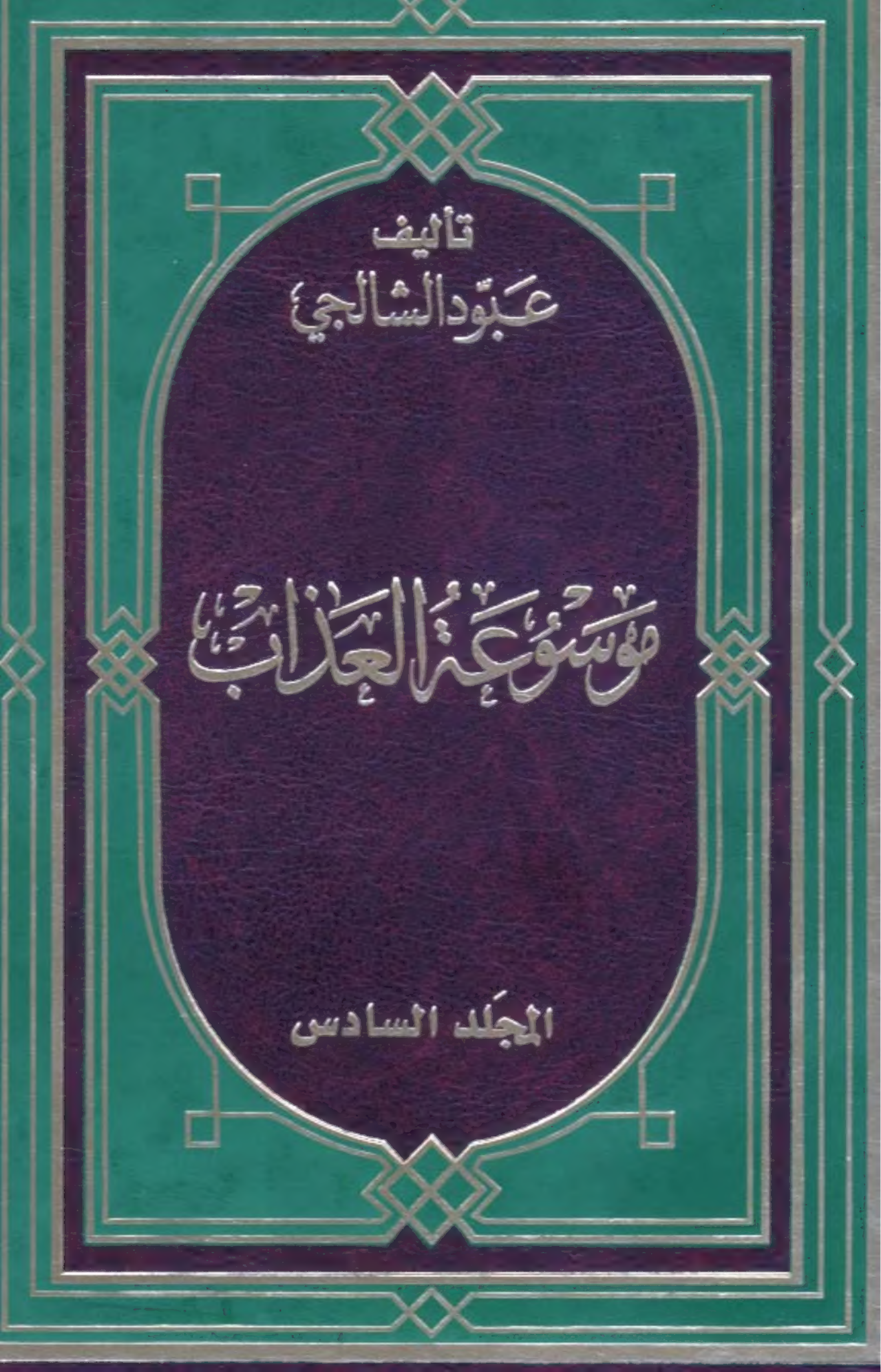


تأليف
عبود الشالجي
موسوعة العذاب
المجلد السادس

موسوعة العذاب





تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد السادس

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.



الدار العربية للموسوعات

THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

بيروت ـ لبنان
ص. ب: ١٣/٥٣٤٨ تلكس: ٢٣١٠٧ Arafred Le
هاتف: ٣٥٢٥٩٨ ـ ٣٤٣٨٢٨ ـ الحمرا
ص. ب ٤٤٦ الحازمية ـ تلكس ٤٢٨٣٩ Arab Le
٤٢٩٩٨١ (٩٦١١) . Telefax ـ هاتف . (٢) ٤٢٩٩٨١

London
2 Greville Lodge, 15 Westbourne
Grove Terrace London W2. P.O. Box 1068
Tel (01) 2293860 (01) 2294054
Telex Arben G925388 Telefax 7920802

الباب الثاني عشر

القتل بكتم النَفَس

ويشتمل هذا الباب ، على ثمانية فصول :

الفصل الأول : القتل خنقاً .

الفصل الثاني : القتل شنقاً .

الفصل الثالث : القتل غمّاً .

الفصل الرابع : القتل بالتغريق .

الفصل الخامس : القتل بالتدخين .

الفصل السادس : الدفن حيّاً .

الفصل السابع : البناء على المعذّب .

الفصل الثامن : هدم البناء على المعذّب .

الفصل الأول

الخنق

الخنق : الشدّ على الحلق ، بقصد قطع النَفَس .
وقد جرت ممارسة هذا اللون من العذاب منذ القديم .

وكان في ماضي الأيّام ، قوم اتّخذوا من الخنق صناعة ، فإذا أحسّوا بأنّ أحداً يحمل في ثيابه مالاً ، خنقوه وأخذوا ما معه ، وبحث الجاحظ في كتاب الحيوان عن الخنّاقين وأصنافهم ، ومظاهرة بعضهم لبعض ، وسكناهم متجاورين ، وأنّهم افتضحوا مرّة ، بأن طمع أحدهم في ثويب على حمّال ، ودريهمات معه ، فألقى الوهق في عنقه ، ثم تحركت عليه بطنه ، فترك الحمّال ، بعد أن حسبه ميتاً ، وكانت فيه روح ، ففرّ منه ، ودلّ عليهم ، فأخذوا ، ومن الخنّاقين من يجمع بني الخنق والتشميم ، أي التخدير بما يشمّ ، ومن يحمل في سفره حجرين مستديرين مدملكين ، وململمين ، فإذا خلا برجل من أهل الرفقة ، استدبره ، ورمى بأحدهما قمحدوته (أعلى القذال) ، وكذلك إن كان ساجداً ، فأن دمغه الحجر الأوّل ، سلبه ، وإن رفع رأسه ، طبّق بالآخر وجهه ، وحدثنا الجاحظ عن خنّاقين ، راقبوا رجلاً خرج من الريّ وفي حقوه هميان ، فكان لا يفارق معظم الناس ، فلما رأوا احتراسه ، لم يشعر صاحب الهميان ، والناس حوله ، إلّا والوهق في عنقه ، ووثب الآخر إليه ، وجلس على صدره ، ومدّ الثالث رجليه ، وألقى عليه ثوباً ، وأخذ يؤذّن في أذنه ، يوهم الناس أنّه مصروع ، ولما قام عليهم بعض الرفقة في القافلة ، ردّوهم ، وقالوا لهم : إنّه إذا رآك خجل واستحيا ،

فأمسكوا عنهم ، ونالوا بغيتهم (الحيوان ٢/ ٢٦٤ - ٢٧١)راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ٢ ص ٨٠ - ٨٢ رقم القصة ٢/ ٣٥ .

وخطب بسر بن أرطاة على منبر البصرة ، فشتم عليّاً ، ثم قال : نشدت الله رجلاً علم أنّي صادق إلاّ صدّقني ، أو كاذب إلاّ كذّبني ، فقال أبو بكرة : اللهم إنّ لا نعلمك إلاّ كاذباً ، فأمر به بسر فخنق ، فنهض أبو لؤلؤة الضبّي ، فرمى بنفسه عليه حتى خلّصه ، وقيل لأبي بكرة : ما أردت بما صنعت ؟ ، قال : أينا شدنا بالله ثم لا نصدقه ؟ (الطبري ٥/ ١٦٨) .

وخنق السّجان ، في سجن يوسف بن عمر الثقفي ، بلال بن أبي بردة ، في قصّة بالغة الطرافة ، فقد كان بلال سجيناً في سجن يوسف بن عمر الثقفي ، وكان كلّ من مات في السجن ، رفع السّجان خبره إلى يوسف ، فيأمر بإخراجه ، وتسليمه إلى أهله ، فقال بلال للسجّان : خذ منّي عشرة آلاف درهم ، وأخرج اسمي في الموتى ، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي ، هربتُ في الأرض ، فلم يعرف أحد خبري ، فأخذ السجان المال ، ورفع آسمه في الموتى ، فقال يوسف : مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه ، هاته ، فعاد إلى بلال ، فقال : اعهد ، قال : وما الخبر ؟ ، قال : إنّ الأمير قال كيت وكيت ، فإن لم أحضرك اليه ميتاً قتلني ، ولا بدّ من قتلك خنقاً ، فبكى بلال ، وسأله أن لا يفعل ، فلم يكن إلى ذلك طريق ، فأوصى ، وصلّى ، فأخذه السجّان وخنقه ، وأخرج إلى الأمير ميتاً ، فلما رآه ، أمر بأن تسلّم جثّته إلى أهله ، فأخذوه ، وهكذا فقد آشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم (نشوار المحاضرة رقم القصّة ٧/ ٥٠ ج ٧ ص ٨١) .

وحبس مروان الحمار ، ابراهيم الامام ، وقتله في السنة ١٣٠ واختلف في كيفية قتله ، والصحيح أنّه خنق (العيون والحدائق ٣/ ١٩٠) .

وخنق عبد الرحمن الداخل ، بقرطبة ، في السنة ١٤١ الصميل بن

حـاتم بن شمر بن ذي الجـوشن ، وكان الصميـل قد فـرّ مع جـدّه من المختار الثقفي بالكوفة ، فلاقاه حتفه بالأندلس (نفح الطيب ٣/٢٦ و٣٦) .

وقتـل المنصور ، عمّـه عبد الله بن علي ، بـأن بعث إليه أبـا الأزهـر ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله ، فخنقه حتى مـات ، ثم مدّه على الفـراش ثم أخذ الجـاريـة ليخنقهـا ، فقـالت : يـا عبـد الله ، قتلة غيـر هـذه القتلة ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلتـه غيرهـا ، فصرفت وجهي عنهـا ، وأمرت بهـا فخنقت ، ووضعتها معـه على الفراش ، وأدخلت يـدهـا تحت جنبه ، ويده تحت جنبها ، كالمعتنقين ، ثم أمرت بالبيت فهـدم عليهما ، ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة ، وغيره ، فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ، ثم أمر به فدفن . (مروج الذهب ٢/٢٤١) .

وخنق المنصور ، عبد الله المحض (تاريخ الكوفة ٣٢٥) .

وفي السنة ٢٢٤ أراد المازيـار بن قارن ، صـاحب طبرستـان ، الخروج على المعتصم ، فألحّ في استيفاء كامل الخراج ، وكتب بـذلك كتبـاً مؤكّدة ، وكـان أحد المـطالبين بالخـراج ، واسمه علي بن يـزداد ، قد كسـر الخراج ، وآستتر ، وترك آبنه الحسن رهينة في يد أصحاب مازيار ، فـأمر أبـو صالـح ، وكيل مازيار في سارية ، باحضـار الغلام الحسن بن عليّ ، فجيء بـه ، فأمـر بصلبـه ، فسأل الغـلام أن يأذن لـه أن يصلّي ركعتين ، فـأذن لـه ، فـطوّل في صلاته وهو يرعد ، وقد مدّ له جذع ، فجذبـوا الغلام من صلاته ، ومـدّوه على الجذع ، وشدّوا حلقه ، حتى إختنق ومات (الطبري ٩/٨٣) .

وفي السنة ٢٢٧ خرج المبرقع أبو حرب اليماني بفلسطين ، وكـان سبب خروجه ، إنّه كان غائباً ، وأراد جنـديّ أن ينزل في داره ، فمـانعته زوجـة أبي حرب ، فضربها الجندي بسوط ، فأثر في ذراعها ، فلما عاد المبرقع ، أخبـرته زوجتـه، فذهب إلى الجنـدي ، وقتله ، وخرج ، وتبعـه مـائـة ألف ، فخـرج

لحربه ، رجاء الحضاري ، فأسره ، وقتل خنقاً في السجن . (النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٨ و٢٤٩) .

وفي السنة ٢٥٦ قتل أنصار المهتدي ، محمد بن بغا ، بأن بعجوا بطنه ، وعصروا حلقه ، وألقوه في بئر من القناة (الطبري ٩/ ٤٦٩) .

وقبض صاحب المعونة ، في إحدى بلاد مصر ، في أيام أحمد بن طولون ، على خنّاق ، وعثر في خرجه على أوتار للخنق ، وأحجار للشدخ ، فأمر بأن يشدخ رأسه بالأحجار التي وجدت في خرجه ، وأن يخنق بأوتاره، ففعل به ذلك ، راجع التفصيل في كتاب المكافأة ١٥٨ ـ ١٦٠ .

وفي السنة ٣١١ لما وزر ابن الفرات للمقتدر ، وزارته الثالثة ، قبض على أبي القاسم بن الحواري ، وصادره على سبعمائة ألف دينار ، مصادرة خاصّة من دون كتّابه وأسبابه ، ثم تسلّمه المحسّن بن الفرات ، فصفعه صفعاً عظيماً في دفعات ، وضربه بالمقارع ، ثم أحدره إلى الأهواز في طيّار خدمة ، وأنفذ معه الحبشي المستخرج ، فلما وصلوا البصرة وتوجّهوا منها إلى الأهواز ، طرح الحبشي ابن الحواري في الماء منكسا ، وشدّ رجليه في شكّات الطيّار (خشباته البارزة) وهو سائر ، وبلغ موضعاً أسفل الأبلّة ، فأخرجه وقد بقي فيه أدنى رمق ، فخنقه غلمان سودان كانوا معه ، ودفنوه (الوزراء للصابي ٤٧) .

وفي السنة ٣٢١ ولّى القاهر بشرى الخادم ، دمشق وحلب ، فسار الى حلب ، ثم إلى حمص ، فتصدّى له محمد بن طغج ، وحاربه ، وأسره ، فخنقه (اعلام النبلاء ١/ ٢٣٨) .

وغضب معزّ الدولة ، على ابن كردم الأهوازي ، لأنّه ضرب دنانير رديئة في دار الضرب التي ضمنها بسوق الأهواز ، فأحضره ، وخاطبه ، ثم أمر بأن يخنق على قنطرة الهندوان بالأهواز ، فخنق راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ١/ ١٤٢ رقم القصة ٧١ .

وفي السنة ٣٦٢ عثر على الشاعر ابن هانىء الأندلسي ، في شانية (سفينة) من شواني برقة ، مخنوقاً بتكّة سراويله . (وفيات الاعيان ٤٢٢/٤ ومعجم الادباء ١٢٧/٧ ومعجم البلدان ٤٢٢/٤) .

ولما توفي الحكم ، الخليفة الأموي بالأندلس ، في السنة ٣٦٦ ، وأراد الحاشية استخلاف ولده هشام المؤيّد ، بعث الوزير المصحفيّ ، القائد محمد بن أبي عامر ، إلى المغيرة ، أخي الحكم ، فقتله خنقاً (نفح الطيب ٨٦/٣) .

وفي السنة ٣٨٢ قتل أبو الحسن بن المعلّم ، خنقاً بحبل الستارة ،وكان مسيطراً في أيام بهاء الدولة البويهي ، وفي السنة ٣٨٢ شغب الجند الديلم والأتراك ، وخرجوا بالخيم إلى باب الشماسيّة (الصليخ) وراسلوا بهاء الدولة بالشكوى من أبي الحسن بن المعلّم ، وتعديد ما يعاملهم به ، وطلبوا تسليمه إليهم ، فوعدهم السلطان بإزالة ما شكوه ، وأن يقتصر بأبي الحسن بن المعلّم على خدمته في خاصّه ، فأعادوا الرسالة ، بأنّهم لا يرضون إلّا بتسليمه ، فأعاد الجواب بأنّه يبعده عن المملكة إلى حيث يكون مبقياً على مهجته ، راعياً لحقوق خدمته، فكانت الرسالة الثالثة ، التوعّد بالإنحدار ، والمسير إلى شيراز ، وقال بكران لبهاء الدولة ، وكان هو المتوسّط بينه وبين العسكر ، أيها الملك إنّ الأمر على خلاف ما تقدّره ، فاْختر بين بقاء أبي الحسن . أو بقاء دولتك ، فقبض عليه حينئذ ، وعلى أصحابه ، وأخذ ما كان في داره من مال وثياب وجوار وغلمان ، وأقام الجند على أنّهم لا يرجعون من مخيمهم إلّا بتسليمه ، فركب إليهم بهاء الدولة ليسألهم الدخول والإقتصار على ما فعله به من القبض والاعتقال ، فلم يقم أحد من الجند إليه ، ولا خدمه ، وعاد وقد أقاموا على المطالبة به ، وترك الرجوع إلّا بعد تسليمه ، فسلّم إلى أبي حرب شيرزيل ،وسقي ابن المعلّم السمّ دفعتين ، فلم يعمل فيه ، فخنق بحبل الستارة ،ودفن بالمخرّم (العلوازية) (المنتظم ١٦٨/٧) .

وفي السنة ٣٩٤ قتل الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، خنقاً في سجنه ببرج من أبراج طرطوشة ، بأمر من المظفّر العامري (نفح الطيب ١ / ٥٢٩ ورسالة التوابع والزوابع ٢٦) .

أقول : أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، أحد كتّاب الدولة العامرية ، وكان على شرطة المنصور بن أبي عامر ، وكتب له ، ثم كتب بعده للمظفّر ، فلما قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع ، صاحب دولته ، وكان أبو مروان قويّ الصلة به ، اتّهم معه ، وكاد أن يقتله ، ثم سجنه في برج من ابراج طرطوشة ، ثم خنق في سجنه (نفح الطيب ١ / ٥٢٩ و٥٨٧) .

وذكروا أنّ شخصاً في بغداد ، استضافه رجل ، وأحسّ أنّ عنده مالاً ، فتركه حتى نام ، ثم عمد إليه فخنقه ، ثم ظهر أنّه خنق ولده ، لأنّ الولد جاء ونام في الموضع الذي كان الضيف ينام فيه ، وسلم الضيف ، راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ٤ / ١٧٥ و١٧٦ رقم القصة ٨٧ .

ورفع الهرويّ ، سعاية في الصاحب بن عباد ، إلى مؤيّد الدولة ، فبعث بالرقعة الى الصاحب ، فأخذ الهروي ، وخنقه (معجم الادباء ٢ / ٢٨٠) .

وفي السنة ٣٧٩ تولّى أبو الحسن الكوكبي ، خنق الأمر أبي علي بن شرف الدولة بيده ، بأمر من بهاء الدولة البويهي (ذيل تجارب الأمم ١٦٢) .

ولما توفّي علي بن حمّود ، صاحب قرطبة ، وهو علوي حسنيّ ، خلفه أخوه القاسم بن حمّود في السنة ٤٠٨ ، وقام عليه في السنة ٤١٢ ابن أخيه ، يحيى بن علي بن حمّود ، واعتقله ، وظلّ معتقلاً عنده ستّ عشرة سنة ، مدّة حكم ابني أخيه يحي وإدريس فلما مات إدريس ، قتل القاسم في سجنه خنقاً ، وسنّه ثمانون سنة . (المعجب للمراكشي ٩٩ ـ ١٠١ ونفح الطيب ١ / ٤٨٦ ـ ٤٨٨) .

وفي السنة ٤١٥ خنقت بالقاهرة ، امرأة ضعيفة مستورة ، طاهرة ، صائمة الدهر ، ولها غلام يعمل في فرن إلى جانب منزلها ، فطلع عليها جماعة من طاق الفرن ، فخنقوها حتى ماتت ، واخذوا ما وجدوا من رحلها ، فقبض عليهم وعلى الغلام الذي كان لها (اخبار مصر للمسجي١٠١) .

وفي السنة ٤٣٠ قتل بهيت خنقاً ، أبو القاسم هبة الله بن علي بن جعفر ، وزير جلال الدولة أبي طاهر (المنتظم ١٠٣/٨) .

ولمّا توفّي أبو القاسم الحسين بن علي بن مكرم ، صاحب عمان ، خلفه ابنه ابو الجيش فتآمر عليه أخوه أبو محمد ، وأحسّ أبو الجيش بذلك ، فاعتقله، ووضع عليه من خنقه في السنة ٤٣١ . (ابن الأثير ٤٦٨/٩و٤٦٩) .

وفي السنة ٤٥٠ عصى إبراهيم ينال بن يوسف ، أخو السلطان طغرلبك لأمّه ، عليه ، وحاربه ، فانكسر إبراهيم ، وأسر هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه داود ، فأمر السلطان بابراهيم أخيه ، فخنق بوتر قوسه ، وقتل ولدي أخيه معه . (ابن الأثير ٦٤٥/٩) .

ولما قتل السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، تسلطن بعده ولده ملكشاه ، فحاربه عمّه قاورد بك في السنة ٤٦٥ ، فانكسر ، وجيء به إلى السلطان ملكشاه ، فقال له : يا عمّ ، أما آستحيت من هذا الفعل ، يموت أخوك ، فما قعدت في عزائه ، ولم تبعث إلى قبره ثوباً ، والغرباء قد حزنوا عليه ، ثم بعث به إلى همذان ، حيث قتل خنقاً، خنقه رجل أعور أرمني من أصاغر الحاشية ، بوتر قوسه . (ابن الاثير ٦٤٥/٩ ونهكت الهيمان ١١٨) .

أقول : اختلف المؤرّخون في إثبات اسم هذا الرجل ، فذكر صاحب نكت الهيمان انّ اسمه : فاروت (بفاء وألف ثم راء بعدها واو وتاء)، اما ابن الجوزي في المنتظم ، وأبو الفداء في المختصر ، وابن خلّكان في وفيات الاعيان ، فقد أثبتوا الاسم : قاروت (بقاف والف ثم راء بعدها واو وتاء) ،

وأثبته ابن الاثير في تاريخه الكامل : قاورت (بقاف وألف ثم واو بعدها راء وتاء) ، أما صاحب كتاب تاريخ الدولة السلجوقية ، فقد أثبت الاسم بلفظة قاورد ، (بقاف وألف ثم واو بعدها راء ودال) ووجدت في المعجم الذهبي أن لفظة قاورد تعني الحلوى بالفارسية ، فرجّحت هذا الاسم ، إلى أن يتيسّر لي الاطلّاع على ما يخالفه .

ولما كان بدر الجمالي ، أميراً بدمشق ، سنة ٤٥٥ نفى الشريف أبا طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني ، إلى مصر ، فاتفق الشريف وابن حمدان الملقّب ناصر الدولة ، وتآمروا على المستنصر ، وأخرج ابن حمدان حازم وحميد ابنا جرّاح من أمراء عرب الشام ، من سجن المستنصر ، وكانا قد مكثا فيه نيفاً وعشرين سنة ، فقبض بدر الجمالي ، لما استولى على مصر ، على الشريف ، وقتله خنقاً . (النجوم الزاهرة ١٣/٥ و١٥) .

وفي السنة ٤٨٨ قتل أحمد خان صاحب سمرقند ، خنقاً ، وسبب قتله أنّه أظهر انحلالاً من الدين ، فقبض عليه جنده ، وأحضروا القضاة والفقهاء ، وادّعوا عليه الزندقة ، فجحد ، فأقيمت عليه البيّنة ، فأفتى الفقهاء بقتله ، فخنقوه . (ابن الاثير ٢٤٤/١٠) .

وفي السنة ٤٨٩ قتل الأمير أرسلان أرغون ، أخو السلطان ملكشاه ، أخاه الامير بوربرس ، بأن خنقه في حبسه بترمذ ، وتفصيل القصّة : إنّ الامير أرسلان أرغون ، كان مع أخيه السلطان ملكشاه لما توفي ببغداد ، وكان له إقطاع بسبعة آلاف دينار ، فلما توفي أخوه ، سار إلى همذان في سبعة غلمان ،وتسلّم مدينة مرو، ثم استولى على بلخ ، وترمذ ، ونيسابور، وعامّة خراسان ، فسيّر السلطان بركياروق بن ملكشاه ، إليه ، جيشاً بقيادة عمه بوربرس ، أخي أرسلان أرغون ، واشتبك الجيشان في معركة ، فانهزم أرسلان أرغون أوّلاً ، ثم انتصر ، وأسر أخاه بوبرس ، فحبسه بترمذ ، ثم أمر به فخنق في حبسه (ابن الاثير ٢٦٣/١٠ و٢٦٤) .

أقول : راجع في بحث الفتك ، مقتل الامير أرسلان أرغون في السنة ٤٩٠ .

وفي السنة ٥١٢ خنق بهرام شاه بن مسعود الغزنوي ، أخاه أرسلان شاه ، في حبسه ، وسبب ذلك : إنّ أرسلان شاه استولى على السلطنة في السنة ٥٠٨ فقبض على إخوته ، وقتل بعضهم ، وسجن البعض الآخر ، وفرّ منه أحد إخوته وهو بهرام شاه ، فالتجأ إلى السلطان سنجر السلجوقي ، فأعانه ، وجرت معركة شديدة بين الأخوين ، انتهت بانتصار بهرام شاه ، وأسر أرسلان شاه ، فأمر بهرام شاه ، فخنق أرسلان شاه في حبسه (ابن الاثير ١٠/٥٠٤ - ٥٠٨) .

وفي السنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وكان قد أهمل أمر ملكه ، وحاول أن يغتال مدبّر أمر مملكته شرف الدين كردبازو الخادم ، فقبض عليه كردبازو ، واعتقله في إحدى القلاع ، وبعث إليه من خنقه . (ابن الاثير ١١/٢٦٧) .

وتفصيل القصّة : إنّ سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، كان مقيماً عند عمّه السلطان سنجر ، وقد جعله ولي عهده ، وخطب له على منابر خراسان ، فلما حارب سنجر الغز ، وأسروه ، مضى سليمان شاه إلى خوارزم شاه ، فزوّجه ابنة أخيه ، ثم بلغه عنه ما كرهه ، فأبعده ، فقصد إصبهان ، فمنع من دخولها ، ومضى نحو قاشان ، فمنع عنها ، فنزل البنديجين (مندلي الآن) وراسل الخليفة المقتفي ، فأذن له في دخول بغداد ، فدخلها ، وخطب له ببغداد ، وسيّر معه الخليفة عسكراً ، فحارب السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، صاحب همذان ، وانهزم سليمان ، وسار على شهرزور يريد بغداد ، فخرج إليه زين الدين صاحب الموصل، وأخذه أسيراً ، وحمله إلى قلعة الموصل ، وحبسه بها مكرّماً ، وفي السنة ٥٥٥ مات السلطان محمد بن محمود صاحب همذان ، فبعث الأمراء إلى الموصل يطلبون سليمان

شاه ليسلطنوه ، فأحضروه ، ونصبوه على تخت السلطنة . فظهر تهوّره ، وخرقه ، حتى إنّه شرب الخمر في رمضان نهاراً ، وكان يألف المساخر ، ولا يهتمّ بالأمراء ، وردّ جميع الأمور إلى الخادم (الخصي) شرف الدين كردبازو ، وهو من مشايخ الخدم السلجوقية ، وكان له دين وحسن تدبير ، فكان الأمراء يشكون إليه ، وهو يسكّنهم ، واتّفق يوماً أنّ سليمان شاه شرب بظاهر همذان ، في الكشك ، فحضر عنده كردبازو ، وأخذ يلومه على تصرّفاته ، فأمر سليمان شاه ، من كان عنده من المساخرة ، فعبثوا بكردبازو ، حتى أنّ بعضهم كشف له عن سوأته ، فخرج مغضباً ، وأحضر الأمراء ، واستحلفهم على طاعته ، فحلفوا له ، فأوّل ما عمله أن قتل المساخرة ، وقال للسلطان : إنّي أفعل هذا صيانة لملكك ، ثم عمل كردبازو ضيافة عظيمة ، حضرها السلطان والأمراء ، فلما جاء السلطان إلى داره ، قبض عليه وعلى وزيره أبي القاسم محمد بن عبد العزيز الحامدي ، فقتل وزيره وخواصّه ، وحبس سليمان شاه في قلعة ، ثم أرسل إليه من خنقه (ابن الاثير ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ و٢٦٧) .

وفي السنة ٥٦٠ توفّي الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، فقبض على ولديه شرف الدين وعزّ الدين ، وأخذ حاجبه ابن تركان فحبس في دار أستاذ الدار ، وفي السنة ٥٦١ هرب عزّ الدين من حبسه ، ثم أخذ فضرب ضرباً وجيعاً ، وأعيد إلى السجن ، ثم رمي به في مطمورة ، ثم أدلوا إليه حبلاً ، فتعلّق به وصعد فمدّوه ، وجلس واحد على رجليه ، وآخر على رأسه ، وخنق بحبل ، وفي السنة ٥٦٢ أخرج أخوه الأكبر شرف الدين ميتاً من محبسه (المنتظم ٢١١/١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٠) .

وفي السنة ٥٨٤ تآمر إخوة قطب الدين عيسى ، صاحب تكريت ، عليه ، وغدروا به ، فقتلوه خنقاً ، وملكوا تكريت ، ثم اختلفوا ، فباعها المقدم منهم للناصر العباسي . (وفيات الاعيان ٤٩٨/٣ ـ ٥٠٠) .

وفي السنة ٦١٨ بعث أمير مكّة ، قتادة بن ادريس العلوي ، ولده الحسن على رأس جيش للاستيلاء على المدينة ، فوثب الحسن بن قتادة ، وهو في الطريق على عمّه ، فقتله ، وكان معه في العسكر ، وعاد إلى أبيه بمكّة ، فخنقه ، وكان الأب في التسعين من عمره ، ثم عمد الحسن إلى أخيه ، وكان نائباً عن أبيه بقلعة ينبع ، فأحضره إلى مكّة ، وقتله أيضاً (المختصر في أخبار البشر ١٣١/٣) ولم يطل أمده في الولاية ، إذ قصده صاحب اليمن في السنة ٦٢٠ وطرده من مكّة (ابن الاثير ٤٠١/١٢ - ٤٠ و٤١٣) .

وفي السنة ٦٢١ قتل خنقاً في قصره ، أبو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي الموحّدي ، بويع له سنة ٦٢١ وهو شيخ ، وانتقضت عليه الإمارات ، وخلع ، وخنق في قصره . (الاعلام ٣٢٨/٤) .

وفي السنة ٦٢١ استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل ، وخنق صاحبها الملك محمود بن القاهر ، وأعلن أنّه توفّي . (النجوم الزاهرة ٢٥٧/٦) .

وفي السنة ٦٢٤ قتل السلطان العادل في أحكام الله ، أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن يوسف الموحّدي ، خنقاً ، اتّفق الموحّدون على خلعه ، ودخلوا عليه في قصره ، وسألوه أن يخلع نفسه ، فامتنع ، فوثبوا عليه ، ودسّوا رأسه في خصة ماء كانت هناك ، وقالوا له : لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع ، فقال : اصنعوا ما بدا لكم ، والله ، لا أموت إلاّ وأنا أمير المؤمنين ، فوضعوا في عنقه عمامته ، وخنقوه بها (الاعلام ٢٩٠/٤) .

وفي السنة ٦٣١ غضب المظفّر صاحب حماة ،علي زكي الدين القوصي الكاتب فحبسه وخنقه في الحبس ، وسبب ذلك ، إنّه وصله بألف دينار ، فأقام معه مدّة ، ولزمته أسفار فأنفق المال ، ولم يحصل بيده زيادة ، فقال :

ذاك الذي أعطوه لي جملة   قد آستردّوه قليلاً قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا   وحسبي الله ونعم الوكيل

فحبسه المظفر فقال له : ما ذنبي ؟ فقال له : حسبي الله ونعم الوكيل ، ثم خنقه (فوات الوفيات ٢ / ٣٠٤ و٣٠٥) .

وفي السنة ٦٣٧ قتل الملك ناصر الدين أرتق ، صاحب ماردين ، خنقه ولده وهو سكران . (النجوم الزاهرة ٦/٣١٦) .

وفي السنة ٦٤١ مات الملك مظفر الدين يونس بن مودود بن محمد بن أيّوب ، خنقاً ، خنقه الملك الصالح اسماعيل ، وكان قد ملك دمشق ، ثم قايض عليها بسنجار وعانه ، ثم ضجّ منه أهلها ، فباعها للخليفة المستنصر ، ثم لجأ إلى الناصر داود في القدس ، فلم يرتح منه ، واعتقله ، ففرّ إلى الافرنج في عكّا فاشتراه منهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، وأخذه ، فاعتقله ، ثم خنقه . (الاعلام ٩/٣٤٨) .

وفي السنة ٦٤١ قبض على ابن الروّاس ، أحد الظالمين ، بدمشق ، وخنق . (الذيل على الروضتين ١٧٣) .

وفي السنة ٦٤٤ قتل خنقاً الشيخ تاج العارفين شمس الدين الحسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن مسافر ، حفيد أبي البركات الشيخ عديّ ، قتله بدر الدين لؤلؤ ، احتال عليه حتى حضر إليه ، فحبسه ، وخنقه بوتر ، وكان تاج العارفين معظماً عند العدوية ، وبلغ من تعظيمهم له إنّ واعظاً قدم علي الشيخ حسن فوعظه ، فرّق قلبه وبكى ، وغشي عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فقتلوه ، فلما أفاق الشيخ رآه يتشحّط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أيش هو هذا الكلب حتى يبكي سيّدنا الشيخ ، فسكت حفظاً لحرمة نفسه (شذرات الذهب ٥/٢٢٩) .

وفي السنة ٦٤٦ جهّز الملك الصالح أخاه العادل ، وكان معتقلاً عنده بمصر ، لينفيه إلى الشوبك ، فدخل عليه محسن الخادم ليكلّمه في السفر ،

فغضب منه ورماه بدواة كانت عنده ، فخرج وأخبر الصالح ، فقال له الصالح : دبّر أمره ، فأخذ معه ثلاثة أشخاص ودخلوا عليه ، وخنقوه بشاش ، وعلّقوه به ، وأظهروا إنّه شنق نفسه . (النجوم الزاهرة ٣١٢/٦) .

وفي السنة ٦٥٥ قتل شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي ، مخنوقاً في سجنه ، وهو من وزراء دولة المماليك البحرية بمصر ، خدم الملك الفائز ، ومن بعده الكامل ، ثم ولده الصالح ، واستوزره المعزّ ، ثم ولده المنصور ، ثم قبض عليه قطز ، مدبّر دولة المنصور ، وقتله في السجن خنقاً . (الاعلام ٦٠/٩) .

وذكروا أنّ شجرة الدر ، أمّ خليل ، خنقت وزيرها الأسعد شرف الدين الفائزي (الذيل على الروضتين ١٩٦) ، وقتلت زوجها السلطان عزّ الدين أيبك ، بمصر ، أمرت مماليكها فخنقوه في الحمام ، في السنة ٦٥٥ (الاعلام ٢٣١/٣ ، والوافي بالوفيات ٤٧٢/٩) ، وكانت عاقبة شجرة الدر « ملكة المسلمين ،وأمّ خليل أمير المؤمنين » أن قتلت ضرباً بالقباقيب في السنة ٦٥٥ (الاعلام ٢٣١/٣) .

وفي السنة ٦٦١ أقرّ زوجان ، بأنّهما كانا يحتالان على النساء ويخنقانهنّ ، من أجل حليهنّ ، فخنقت المرأة ، وجعلت في جولق ، وسمّر زوجها في خشبة ، وفي اليوم الثاني خنق بحبل (الذيل على الروضتين ٢٢٢) .

وفي السنة ٦٦٢ قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر ، تسلطن بالكرك ، ثم سلّم الكرك للملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، ونزل إليه ، فخنقه صاحب مصر ، وكان عمّه قد خنق أباه ، وعاش كلّ منهما ثلاثين سنة (شذرات الذهب ٣١٠/٥) .

أقول : ذكر أبو الفدا في تاريخه المختصر ٣/٢١٦ و٢١٧ إن قتل الملك المغيث حصل في السنة ٦٦١ وإنّه قتل ضرباً بالقباقيب ، راجع الخبر في كتابنا هذا ، في الباب الثالث : الضرب ، في الفصل الثاني : الصفع .

وفي السنة ٦٦٣ اتّفق معين الدين سليمان البرواناه ، مع التتر المقيمين معه ببلاد الروم ، على قتل ركن الدين قليج أرسلان ، سلطان الروم ، فخنق التتر ركن الدين المذكور بوتر ، وأقام البرواناه مقامه ولده غياث الدين سلطاناً ، وعمره أربع سنوات (المختصر في تاريخ البشر ٤/٥) .

وفي السنة ٦٧٦ قبض الملك السعيد ، على الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني وخنقه (الوافي بالوفيات ٩/٣١٠ و٣١١) .

وفي السنة ٦٨٩ اعتقل الأشرف خليل ، الأمير طرنطاي ، وأمر به فخنق (بدائع الزهور ١/١٢٢) .

وفي السنة ٦٩١ لما عاد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، إلى الديار المصرية ، قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير سيف الدين جرمك الناصري ، وغيرهما ، وأمر بحبسهم فحبسوا، ثم أمر بأخراجهم مع من في الحبس من الأمراء ، وأن يخنقوا قدّامه ، فأخرجوا وخنقوا قدّامه ، وهم الأمير سيف الدين الهاروني ، والأمير بدر الدين بكتوت ، والأمير سيف الدين جرمك ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا الناصري ، وجماعة سواهم ، وجاءوا بالأمير حسام الدين لاجين الصغير، الذي كان نائب دمشق ، آخر الجماعة (سيرة الملك المنصور ٢٦٩) .

أقول : ذكر صاحب النجوم الزاهرة ٨/١٣ و١٤ و٣٧ إنّ خنقهم حصل في

السنة ٦٩٠ بينما أورد ابن الفرات في تاريخه ١٤٦/٨ أن خنقهم حصل في السنة ٦٩٢ كما ذكر إنّ الأمير حسام الدين لاجين نائب دمشق ، لما وضع الوتر في رقبته وأرادوا خنقه ، انقطع الوتر ، فرقّ له الأمراء ، وشفعوا فيه ، فعفا عنه السلطان ، وهو الذي تولّى السلطنة في السنة ٦٩٥ .

وفي السنة ٧٠٨ اشتد تحكم بعض الامراء المماليك بالملك الناصر ، فالتجأ إلى قلعة الكرك ، وعاد إلى الملك في السنة ٧٠٩ فقاتل الملك بيبرس الذي خلفه في السلطنة، وأسره ، وأحضره أمامه ، وأمر بخنقه بين يديه ، فخنق بوتر (النجوم الزاهرة ٢٧٥/٨ والاعلام ٢٣٣/٧ وبدائع الزهور ١٥٤/١) .

وفي السنة ٧١٨ قام الأمير أبو الحسن علي المريني ، باعتقال منديل بن محمد بن محمد الكتّاني الكاتب ، واستصفى أمواله ، ثم قتله في الحبس خنقاً ، وقيل جوعاً (ابن خلدون ٢٤٦/٧) .

وفي السنة ٧٣٤ قبض الملك المجاهد سيف الدين علي بن رسول على الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن رسول ، وسجنه شهرين ، ثم خنقه بقلعة تعز . (النجوم الزاهرة ٣٠٢/٩) .

وفي السنة ٧٣٢ قبض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير ألماس الحاجب الناصري ، اتّهمه بأنّه يسعى في إزالة دولته ، وخنق بعد ثلاثة أيّام من اعتقاله (الدرر الكامنة ٤٣٨/١) أقول : ذكر المقريزي في خططه ٣٠٧/٢ إن ذلك حصل في السنة ٧٣٤ .

وفي السنة ٧٣٤ قتل السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني ، أخاه أبا علي عمر ، فصداً وخنقاً ، وسبب ذلك : انّ عمر هذا كان

ولي عهد أبيه السلطان عثمان ، وفي السنة ٧١٤ خرج على أبيه ، وقاتله ، وجرحه ، وخلعه ، وتسلطن في موضعه ، ثم اتفق مع أبيه ، فعاد الأب إلى عرشه ، وتولّى عمر مدينة سجلماسة وما والاها مستقلاً ، ثم عاود الانتقاض على أبيه فلم يفلح ، وعفا عنه أبوه ثانياً ، كما عفا عنه أوّلاً ، ولما مات الأب خلفه ولده أبو الحسن علي ، فخامر عمر على أخيه ، وحاربه ، فانتصر علّي ، وأسر أخاه عمر ، واعتقله ببعض حجر قصره ، ثم قتله فصدا وخنقاً (الاعلام ٥/٢١٤ ونفح الطيب ٥/١٥٦) .

ولما قبض على الأمير تنكز ، نائب دمشق ، رسم السلطان بخنقه ، فخنق في السنة ٧٤٠ (بدائع الزهور ١/١٧٢) .

وفي السنة ٧٤١ قتل خنقاً ، الوزير أمين الدين عبد الله ، وكان قد ولي الوزارة ثلاث مرات ، وكان قد اعتقل هو وولده تاج الدين ناظر الدولة ، وكريم الدين مستوفي الصحبة وبسط عليهم العذاب ، وخنق أمين الدين من بينهم (الدرر الكامنة ٢/٣٥٨) .

وفي السنة ٧٤٢ وقعت حروب واختلافات بين الأمراء في الدولة المصرية ، فقبض على الأمير قوصون وعلى الأمير الطنبغا الحاجب الناصري ، وحملا إلى الاسكندرية ، فخنقا هناك مع آخرين (الدرر الكامنة ١/٤٣٧) .

وفي السنة ٧٤٣ حشد خليل بن السلطان أليسور (سمّاه زامباور علي خليل الله ص ٣٧٠) عسكراً ، وحارب بوزون خان التتار سلطان ما وراء النهر ، فوقع بوزون أسيراً ، فأمر به خليل فقتل خنقاً بأوتار القسيّ ، وكانت تلك عادتهم أنّهم لا يقتلون من كان من ابناء الملوك إلا خنقاً (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/٣١٣) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل خنقاً أمير سيواس الحسن بن تمرتاش بن جوبان ، خلف أباه في إمرة سيواس لما قتل في السنة ٧٢٨ وكان ماكراً بعيد الغور ، قيل إنّه تهدّد زوجته ، فأمرت خمسة أنفس ، تسلّلوا إليه وخنقوه (الدرر الكامنة ٢/٩٦ و٩٧) .

وفي السنة ٧٤٥ قبض على القاضي جمال الدين ابراهيم ، المعروف بجمال الكفاة ، بالقاهرة ،وضرب بالمقارع ، وخنق ، وكان ناظر الخاص في مصر . (خطط المقريزي ٢/٧٦) .

وفي السنة ٧٤٧ وثب الأمراء المماليك ، بمصر ، بالكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد سجن أخويه ، وأراد قتلهما ، فاعتقلوه ، وسلطنوا أحد أخويه وبعثوا إليه في السجن من قتله خنقاً (شذرات الذهب ٦/١٥١ والاعلام ٣/٢٤١ وبدائع الزهور ١/١٨٦) .

وفي السنة ٧٤٧ كان الأمير سيف الدين آل ملك على صفد ، وطلب الحضور للقاهرة ، فرسم له السلطان بذلك ، ولما وصل إلى غزّة ، أمسكه نائبها ، ووجّهه إلى الاسكندرية حيث قتل خنقاً . (خطط المقريزي ٢/٣١٠) .

وفي السنة ٧٤٧ أمر الملك المظفر ، بقتل الأمير شجاع الدين غرلو ، فخنق . (بدائع الزهور ١/١٨٧) .

وفي السنة ٧٤٧ أمر السلطان الملك المظفر حاجي ، بقتل أميرين من أمرائه فخنقا ، ثم أمر بخنق أمير ثالث ، فخنق (بدائع الزهور ١/١٨٧ و١٨٨) .

وفي السنة ٧٤٧ خلع الملك المظفر حاجي ، وخنق ليلاً . (بدائع الزهور ١/١٨٩) .

وفي السنة ٧٤٨ خنق بقابون ، الأمير يلبغا بن طابطا الساقي الناصري ، وكان أثيراً جدّاً عند السلطان الملك الناصر ، ثم ولي لولده الصالح اسماعيل نيابة السلطنة في حماة ، ثم نيابة حلب ، ثم نيابة دمشق ، وفي أيام المظفّر حاجي ، أراد اعتقاله ، ففرّ منه ، فلجأ إلى حماة ، فأكرمه نائبها قطليجا ، ولما دخل الحّمام أمسكه وأمسك أباه وإخوته وولده والأمير أسندمر ، وجهّزهم إلى القاهرة ، وكان آخر أمره أن خنق بقابون (الدرر الكامنة ٢١٢/٥و٢١٣) .

وفي السنة ٧٤٩ تحرّك الأمر أبو عنان فارس بن علي المريني ، ضد أبيه السلطان أبي الحسن ، وأراد أخذ السلطنة منه ، وبايعه قسم من الناس ، واتّهم وزيره الحسن بن سليمان ، بأنّه يكاتب أباه السلطان أبا الحسن سرّاً ، فقتله خنقاً ، ثم حصر فاس ، واستولى عليها ، وقتل واليها منصوربن أبي مالك (ابن حلذون ٢٧٨/٧ - ٢٨٠) .

وكان السلطان أبو عنان فارس المريني ، قد خرج على أبيه السلطان أبي الحسن علي المريني ، وآستمر محارباً له ، حتى مات الأب ، وآستقرّ أبو عنان في السلطنة بلا منازع ، ونفى أخويه أبا الفضل وأبا سالم إلى الاندلس ، فاستقرّا عند صاحب غرناطة ، ثم بدا لأبي عنان ، فطالب صاحب غرناطة بإعادتهماإليه ، فامتنع ، والتحق أبو الفضل بالطاغية (صاحب قشتالة) الذي جهّز له اسطولاً أنزله بالمغرب في السنة ٧٥٤ وجمع جمعاً حارب به أخاه أبا عنان ، ولكّن جمعه آنفلّ ، وفرّ أبو الفضل إلى جبال المصامدة ، واستجار بابن حميدي ، فأجاره ، فبعث إليه أبو عنان يتهدّده ، ويغريه ، ويبذل له ، فأسلمه في السنة ٧٥٥ ألى أتباع أبي عنان ، فاعتقله ، وخنقه في الحبس (ابن خلدون ١٢٤/٧و ٢٩٤) .

وفي السنة ٧٥٩ مرض السلطان أبو عنان فارس بن علي المريني ، صاحب المغرب ، فتآمر بعض أصحابه ، على قتل ابنه أبي زيان المرشّح لولاية العهد ، ونصب أخيه السعيد ، وكان طفلا خماسياً (في الخامسة) ،

فباكروا دار السلطان ، وقبضوا على وزيريه موسى بن عيسى ، وعمر بن ميمون ، فقتلوهما ، وأجلسوا السعيد للبيعة ، واحتالوا على الأمير أبي زيان ، فأحضروه ، وبعد أن بايع أخاه الطفل ، أخذوه إلى حجرة من حجر القصر ، فقتلوه ، ثم أدخل الوزير على السلطان أبي عنان ، من غطّه (خنقه) في فراشه حتى قتله (ابن خلدون ٧/٢٩٩ و٣٠٠) .

وفي السنة ٧٦٠ قبض السلطان على الأمير طرغتمش ، وخنق في السجن . (بدائع الزهور ١/٢٠٨) .

وفي السنة ٧٦٨ أراد السلطان أبو زيان محمد المريني ، صاحب المغرب ، أن يتخلّص من وزيره عمر بن عبد الله بن علي ، وأحسّ الوزير بذلك ، فدخل على السلطان ، وهو في مجلس لهوه ، فطرد ندماءه ، ثم تناوله غطّاً (خنقاً) حتى مات ، وألقاه في بئر ، واستدعى الخاصّة ، وأخبرهم بأن السلطان كان ثملاً ، وسقط عن دابته في البئر (ابن خلدون ٧/٣٢٣) .

وكان إدريس بن عثمان ، فرّ من السلطان أبي عنان ، سلطان المغرب ، ولجأ إلى غرناطة ، واشترك هناك في مؤامرة على السلطان اسماعيل بن الحجّاج ، ولما عاد السلطان أبو عبد الله المخلوع إلى عرشه في غرناطة ، فرّ إدريس وجماعته إلى صاحب قشتالة ، فقتل صاحب قشتالة من اشترك منهم فعلاً في المؤامرة ، وحبس الباقين ، ومنهم إدريس ، في إشبيلية ، وفرّ إدريس من معتقله ، بمداخلة مسلم من الاسرى ، أعدّ له فرساً إزاء معتقله ، ففكّ قيده ، ونقب البيت ، وآمتطى الفرس ، ولحق بأرض المسلمين في السنة ٧٦٦ ، وقصد صاحب غرناطة ، فأكرمه ، ولكنّ إدريس استأذنه في اللحاق بالمغرب ، فأذن له ، فلما أجاز إلى سبته ، اعتقله صاحبها بأمر من الوزير عمر بن عبد الله ، ثم نقل إلى سجن الغدر ، بفاس ، حيث قتل خنقاً في السنة ٧٧٠ (ابن خلدون ٩/٣٧٦ .

وفي السنة ٧٧٦ قتل الوزير لسان الدين بن الخطيب خنقاً في محبسه ،

وكان ابن الخطيب قد لجأ في السنة ٧٧٣ ألى حمى السلطان عبد العزيز بن علي المريني ، فحماه ، وبعث سفيراً ألى غرناطة فأحضر أفرادأسرة ابن الخطيب إلى المغرب معزّزين مكرمين ، فتظافر خصوم ابن الخطيب في غرناطة ، ومنهم جماعة كان ابن الخطيب قد أحسن إليهم ، ورفع من شأنهم ، فكفروا بإحسانه ، وأحرقوا كتبه ومؤلفاته في ساحة غرناطة ، وأصدر القاضي أبو الحسن ، قاضي غرناطة ، وهو من صنائع ابن الخطيب ، حكماً شرعياً صرّح فيه بإلحاد ابن الخطيب وزندقته ، وصادق عليه سلطان غرناطة ، وبعث به إلى سطان المغرب ، مع رسل منه ، يطلب منه إنفاذ حكم الشرع في ابن الخطيب ، بإعدامه ، فردّ سلطان المغرب الرسل ردّاً قبيحاً ، وزاد في العناية بابن الخطيب ، وتوفّي السلطان في السنة ٧٧٤ وخلفه ولده أبو زيّان محمد الملقّب بالسعيد ، وكان صبيّاً ، فأغرى ابن الأحمر سلطان غرناطة ، أميراً من بني مرين وهو أبو العباس أحمد بن ابراهيم بطلب عرش المغرب ، وأمّده بالمال والسلاح ، فتمكّن ، وآستولى ، وتسلطن في السنة ٧٧٦ وكان أوّل ما طلبه سلطان غرناطة من صنيعته السلطان الجديد أحمد ، أن يعتقل ابن الخطيب ، فآعتقله ، وتآمر الجميع على هلاكه ، فنصبوا له مجلساً صورياً ، أجرى له محاكمة صورية مخزية مضحكة ، وكان الحكم فيها بالإعدام منتظراً ، فعزّروه ، وأهانوه ، وعذّبوه ، ثم أخذوه إلى حبسه ، حيث دسّوا إليه من الرعاع ، من قتله خنقاً ، في السنة ٧٧٦ ، ثم أخذت جثّته من الغد ، فأضرمت فيها النار ، فآحترق شعره وبشرته ، وهكذا ذهب هذا الكاتب الشاعر المفكّر ضحيّة الجهالة والتعصّب ، والأحقاد السياسيّة الوضيعة ، وكان آخر ما قاله ابن الخطيب ، وهو في سجنه قبل قتله : (الاحاطة في اخبار غرناطة ٤٩ - ٥٨) .

فقل للعدا ذهب آبن الخطيب   وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منكم به   فقل : يفرح اليوم من لا يموت

وفي السنة ٧٧٨ خرج السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، للحجّ ، وصحبه الخليفة والأمراء ، فلما وصلوا إلى العقبة ، ركب عليه من معه من الأمراء والجند ، فانكسر السلطان ، ورجع هارباً إلى مصر ، واستتر في بيت مغنيّة ، وعرض طشتمر على الخليفة أن يتسلطن ، فأبى ، وقال : اختاروا من شئتم وأنا أولّيه ، وعاد هو والقضاة إلى مصر ، ثم ظفروا بالاشرف ، فقتلوه خنقاً . (الدرر الكامنة ٢ / ٢٨٨) .

أقول : روى صاحب النجوم الزاهرة القصة بتفصيل أوفى ، قال :

وفي السنة ٧٧٨ قبض الأمراء بالقاهرة ، على السلطان الملك الاشرف ، صاحب مصر والشام ، وكان قد فرّ منهم ، واختبأ في بادهنج (بادكير) البيت ، وعليه قماش النساء ، فأمسكوا به ، وألبسوه عدّة الحرب ، وحملوه إلى قلعة الجبل ثم خنقوه ، ووضعوا جثته في قفّه ، وخاطوها ، ورموها في بئر ، فظهرت رائحته بعد أيّام ، فأخرجه خدمه ، ودفنوه (النجوم الزاهرة ١١ / ٧٥ و٧٦) .

وفي السنة ٧٧٩ اعتقل بمدينة غزّة ، الأمير قرطاي ، ونفي إلى طرابلس ثم حمل إلى المرقب حيث قتل خنقاً . (النجوم الزاهرة ١١ / ١٥٤) .

وفي السنة ٧٩٢ قبض الظاهر برقوق على الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة ،وكان قد انحاز إلى خصومه ، فأحضر إليه وهو في الرملة ، فأمر بضربه ، فضرب أربعة وعشرين شيباً ، والنساء تزغرد ، ولما وصل الظاهر إلى غزّة ، ضرب ابن باكيش فيها مائة وعشرين شيباً ، ولما وصل إلى القاهرة ، أحضره بالإصطبل ، وعرّاه ، وضربه بالمقارع ، ثم رسم لوالي القاهرة بأن يحضره ويضربه ، فأحضره وعصره ، وفي السنة ٧٩٣ أمر الظاهر بقتله ، فقتل خنقاً في محبسه بخزانة شمائل (تاريخ ابن الفرات ٩/١٨٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨١)

وفي السنة ٧٩٣ خنق والي القاهرة حسام الدين حسين بن الكوارين ، بأمر من السلطان برقوق ، بعد أن عذّب عذاباً شديداً ، وضرب ضرباً مبرّحاً ، وقيّد بقيد ثقيل ، وسحب في الحديد ، وعصر ، ونهبت داره (بدائع الزهور ١/٢/٤٤٥ ونزهة النفوس ٣٣٩) .

أقول : كان الأمير حسام الدين الكوراني ، يلي ولاية القاهرة ، ولما حصل الاختلاف في السنة ٧٩١ بين السلطان الملك الظاهر برقوق والأمير منطاش بالقاهرة ، واستولى منطاش على الحكم أخذ والي القاهرة يتقرّب إلى منطاش ، وتوجّه إلى حيث عائلة السلطان برقوق ، وأخرجهنّ من دورهنّ إخراجاً عنيفاً ، وسبّهن وسبّ الملك الظاهر ، وأخرجهنّ حواسر وجواريهنّ مسبيّات ، وهنّ في بكاء وعويل (النجوم الزاهرة ١١/٣٦٦) وروي إنّه من أجل أن يثير برقوق من استتاره قبض عى زوجته وعاقبها (أي عذّبها) لتدلّه على مكان استتار زوجها (نزهة النفوس ٢٢٣) فلما استعاد الملك الظاهر السلطنة ، قبض على الأمير حسام الدين الكوراني ، وقيّده بقيد ثقيل جداً ، وضرب ، وعصر ، وعوقب أشدّ عقوبة ، ونهبت داره (النجوم الزاهرة ١١/٣٧٨) ثم شدّد العذاب عليه (النجوم الزاهرة ١١/٣٧٩) وجرّع ألوان العذاب ، وضرب في سجنه ضرباً مبرّحاً (النجوم الزاهرة ١٢/٧ و١٢٣) وفي عاشر شعبان من السنة ٧٩٣ خنق في سجنه (نزهة النفوس ٣٣٩ والنجوم الزاهرة ١٢/١٢٣) .

وفي السنة ٧٩٣ قتل خنقاً في سجن الجرائم بالقاهرة ، القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر القرشي ابن الواعظ، قاضي الشام ، وكان قد أعان على خلع السلطان برقوق ، ولما حاصر برقوق دمشق ، قام القرشي في وجهه ، وحرّض عليه العوامّ ، ولما انتصر برقوق ، قبض عليه ، وحمل الى مصر ، وحبس بسجن الجرائم في القاهرة ، وقتل فيه خنقاً (الدرر الكامنة ١/٢٤٦) .

أقول : زاد ابن الفرات ٢٥٦/٩ بأنّه خنق بعد أن ضرب مراراً بالمقارع والعصي ، أما صاحب الضوء إلى اللامع ، فقال :

لما انتصر السلطان الظاهر على الأمير منطاش ، قبض على القاضي شهاب الدين بن أبي الرضا ، واستصحبه معه كالأسير ، لأنّه كان أشد من ألّب عليه في تلك الفتنة ، ألى أن هلك معه من دون سبب ظاهر للهلاك ، فاتّهم الظاهر بأنه دسّ عليه من خنقه (الضوء اللامع ٦/ ٢٣٠)

وفي السنة ٧٩٤ رسم السلطان بمصر ، بخنق بعض الأمراء ، فخنقوا (بدائع الزهور ١/٢/١٥١) .

أقول : روى صاحب نزهة النفوس (ص ٣٥٠) القصّة باختصار ، فقال : في ثامن عشره « انفذ أمر الله وقضاؤه » في عدّة من الأمراء ، فقتلوا ، ومنهم الأمير قرا دمرداش والأمير تغاي تمر نائب سيس .

ومن مساوىء الاشرف خليل ، أنّه خنق سبعة من الامراء المقدّمين في ليلة واحدة (بدائع الزهور ١/ ١٢٨) .

وفي السنة ٧٩٤ مات الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله بن يوسف البيري الحلبي « الفاضل الكامل الاديب ، الكاتب المنشىء الناشر » مخنوقاً (نزهة النفوس ٣٥٣) .

أقول : ذكر صاحب النجوم الزاهرة ١٣٢/١٢ إن مقتل الشيخ علاء الدين كان في السنة ٨٠١ وهو وهم ، وجاء في إعلام النبلاء ١١٢/٥ إنّ الشيخ علاء الدين اتّصل بالأمير يلبغا الناصري الذي شارك في خلع الظاهر برقوق ، فلما عاد برقوق إلى السلطة ، وقتل الأمير يلبغا الناصري ، قبض على الشيخ علاء الدين وحمله إلى القاهرة .

وفي السنة ٧٩٨ قبض على الأمير محمد بن جمال الدين ، وسجن بالبرج ، وسلّم إلى علاء الدين الطبلاوي ، والي القاهرة ، فعاقبه أشدّ

العقـوبة ، وعصـره بالمعاصير ، حتى أشرف على الهـلاك ، ثم خنق فيالسنة ٧٩٩ (بدائع الزهور ١/٢/٤٧٩ و٤٨٩) .

أقـول : الذي في نـزهـة النفـوس (ص ٣٤٢ و٤٠٤ و٤٢٤ و٤٤٧) أنّ الأمير ناصر الدين محمـد بن الأمير جمـال الدين محمـود الاستادار استقـرّ في السنـة ٧٩٤ نـائبـاً للسلطان في الاسكنـدريـة ، وفي السنـة ٧٩٧ قـدم من الإسكنـدرية وقـدم للسلطان تقدمـة عظيمـة من الذهب والحـريـر والخيـول ، « فقبلت وشكرت » ، وفي السنة ٧٩٨ سلّم ناصر الدين إلى والي القاهـرة ابن الطبلاوي ، فأهانـه ، وأخرق بـه ، وجرّده من ثيـابه ليضـربه بحضـور الخاصّ والعامّ ، فقال له : يا أمير ، قد رأيت عزّنا وما كنّا فيه ، وقد زال ، وعزّك أيضاً ما يدوم ، وفي السنة ٧٩٩ ضرب « فـوق اربعمائة عصاة وسعّط » ولكن الـذي مـات في هـذه السنـة هو أبـوه الأمير محمـود ، وقد أثبتنـا خبر وفـاته في هـذا الكتاب في الباب العاشر : ألوان من العذاب ، الفصل الأول : تعذيب العمّال المصروفين .

وفي السنة ٧٩٩ قبض على الوزير المعروف بـابن البقري (سعـد الدين نصر الله ، وكان والي القاهرة) وصودر ، وعوقب ، وضـرب ضربـاً شديـداً ، وأخرج نهاراً وهو عاري البـدن ، مكشوف الـرأس ، مربـوطاً بجيـل يجرّ بـه ، وثيابه مضمومة بيده ، ثم خنق (خطط المقريزي ٩٦/٢) .

وفي السنة ٨٠٠ اتّهم السلطان بمصر ، الأمير علي باي ، بالتآمر عليه ، فـاعتقله ، وأحضـره ، وأحضـر المشـاعلي ، وأحضــر المعـاصيـر ، وعصـر بحضـرته ، وفي اليـوم الثاني عـذّب بين يدي السلطان عـذاباً شـديـداً ، حتى كسرت رجلاه وركبتاه ، ثم إنّ السلطان ضربه بعكّاز كان في يده من الفولاذ ، فخسف صدره ، فأخذ الى الخـارج ، وخنق (بدائـع الزهور ١/٢/٥٦ و٥٠٧) .

أقول : روى صاحب نزهةالنفوس ٤٦٦ ـ ٤٧١ قصّة مؤامـرة الأمير علي باي على السلطان بتفصيل ، فراجعها هناك .

وفي السنة ٨٠٢ أمر السلطان بـدمشق ، بخنق الأمير تنم نـائب الشام ، والأمير يونس الرمّاح ، فخنقا (بدائع الزهور ٥٨٣/٢/١) .

ولمـا فتح تيمـورلنك دمشق في السنـة ٨٠٣ كان من جملة مـا عذّب بـه الدمشقيون ، أن يربط رأس المعذّب بحبل ، ثم يلوى حتى يغوص في لحمه ، وكلما قارب الموت ، خلّي عنه ، ثم يعاد تعذيبـه ، ويكرّر عليـه العذاب حتى يموت ، ثم يعذّب وهو ميت ، لظنّهم إنّه يتماوت (النجـوم الزاهـرة ٢٤٤/١٢ و٢٤٥) .

وفي السنـة ٨٠٦ عـاد السلطان أحمـد بن أويس إلى العـراق ، وقصـد الحلّة حيث كـانت تحت حكم ولده طـاهر ، فتشـوّش منه ولـده طـاهـر وبقيّـة الأمراء ، وحاربوه ، فاستنجد السلطان أحمد ، بقرايوسف صاحب أذربيجان ، فأنجده بجيش جاء على رأسه ، وانتصر السلطان أحمد في المعركة ، ومات ولده طاهر ، ثم تشـوّش السلطان أحمد من قـرايوسف ، وطلب منـه أن يرسـل معه أتابكه يوسف ، معتمداً ، ليسلّم اله مالاً وقماشاً وأجناساً ، فلمـا قدم السلطان أحمد بغداد ، قتل يوسفـاً أتابـك قرايـوسف ، فبلغ قرايـوسف الخبر ، فقصـد بغداد ، فهرب السلطان أحمـد إلى الشام ، ودخـل قرايـوسف بغداد ونهبهـا ، وبعد قليل وصلت طـلائع جيش أبي بكـر بن ميرزاده ميـران شاه إلى بغـداد ، وتصدّى له أمراء آخرون ، فانتصروا على قرايوسف وقتل في المعركـة يار علي أخو يوسف ، وأسرت امرأة قرايوسف أمّ اسكندر وأسبان ، وفـرّ قرايـوسف إلى الشـام ، فاتّفق أنّ سلطان مصـر قبض عليهما وحبسهمـا في مـوضـع واحـد ، فتصالحا ، ولما مات تيمور أطلقا ، فلما وصلا إلى الـرها ، تعـاهدا ، وتحـالفا على أنّ تبـريز وأعمـالها ليـوسف ، وبغداد وأعمـالها للسلطان أحمـد ، وكان ذلك في السنة ٨٠٨ ثم إنّ عـلاء الدولـة بن السلطان أحمد ، قصـد أذربيجان على رأس جيش ، لـطرد قرايـوسف عنها ، فحـاربه يـوسف ، وأسره ، فكتب

إليه السلطان أحمد ، يطلب إطلاق ولده ، فأبى ، لاعتقاده بأنّ مجيء علاء الدولة على رأس الجيش ، إنّما كان يأمر من أبيه السلطان أحمد الذي غدر به وحنث باليمين التي حلفها له لما عادا من الشام ، وعند ذلك جيّش السلطان أحمد جيشاً ، وقصد قرايوسف ، فاشتبكا في معركة كانت عاقبتها أن انفلّ جيش السلطان أحمد ، ووقع أسيراً في يد يوسف في السنة ٨١٣ فأراد يوسف استبقاءه ، فأصرّ أمراؤه على قتله، فقال لهم : أنا لا أقتله ، وشأنكم وما تريدون ، فقتلوا السلطان أحمد خنقاً ، كما قتل ولده علاء الدولة (تاريخ الغياثي ٢٠٦ - ٢١٠ و٢٣٩ - ٢٤١) .

وفي السنة ٨١٢ قتل خنقاً ، في السجن بدمشق ، محمد بن موسى الدمشقي ، بأمر جمال الدين الاستادار ، حقد عليه تصرّفاً تصرّفه معه أيّام كان خاملاً بحلب ، وكان محمد موقّع الدست في حلب (الضوء اللامع ٦٣/١٠) .

وفي السنة ٨١١ قبض على الأمير يلبغا السالمي ، وأسلم إلى خصمه الأمير جمال الدين يوسف ، فعاقبه ، وبعث به إلى الاسكندرية ، فاعتقل بها ، وسعى جمال الدين في قتله بمال بذله للناصر ، فأذن له في قتله ، فخنق في عصر يوم الجمعة ، وهو صائم (خطط المقريزي ٢٩٢/٢ وشذرات الذهب ٩٥/٧ و٩٦) .

وجاء في الضوء اللامع ما يلي : وفي السنة ٨٠٣ قبض على الأمير يلبغا الظاهري ، الاستادار بالقاهرة ، وأهين ، وعوقب (أي عذّب) وعصر ، ونفي إلى دمياط ، ثم أعيد في السنة ٨٠٥ وتقرر في الوزارة ، ثم قبض عليه ، وعوقب ، وحبس ، ثم أطلق في السنة ٨٠٧ ، وأسلم إلى جمال الدين الاستادار ، وكان قد نبت بينهما عداء ، فعذّبه ونفاه إلى الإسكندرية ، ثم بذل فيه جمال الدين مالاً جزيلاً ، فأذن له في قتله ، فقتل في محبسه خنقاً ، وهو صائم في رمضان ، يوم الجمعة ، بعد صلاة العصر ، في السنة

٨١١ ، ولم يعش جمال الدين بعده إلا عشرة أشهر (الضوء اللامع ٢٩٠/١٠) .

وفي السنة ٨١٢ جاء دور الأمير جمال الدين يوسف ، إذ قبض عليه السلطان وهو بدمشق ، وضربه « علقة مرعدة » ثم قتله في السجن خنقاً (بدائع الزهور ١/٢/٧٩٥ و٧٩٩) .

وقد أثبت صاحب الضوء اللامع ، الخبر ، بتفصيل أوفى ، قال : وفي السنة ٨١٢ قبض السلطان الناصر على الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد الاستادار ، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً في المملكة ،فلم يزل أعداؤه بالناصر يغيرونه حتى أمر بالقبض عليه ، وعلى ولده ، وحاشيته ، وأوقع الحوطة على موجوداته ، وأسلمه ألى أعدائه ، فقتلوه في حبسه خنقاً ، قتله حسام الدين والي القاهرة ، وقطع رأسه وأحضرها أمام السلطان ، فردّها وأمر بدفنه (الضوء اللامع ٢٩٧/١٠) .

وفي السنة ٨١٤ قتل خنقاً أحمد بن أخت جمال الدين الاستادار ، وأخو حمزة ، وكان ممن صودر في محنته مع أقربائه وآله (الضوء اللامع ٢٦٠/٢) .

وفي السنة ٨١٤ خامر الأمير تمراز الناصري ، على السلطان الناصر ، فآل أمره أن قتل خنقاً (الضوء اللامع ٣٨/٣) .

وفي السنة ٨١٦ قتل خنقاً في الحبس والعذاب ، فتح الدين ، فتح الله بن مستعصم التبريزي ، كاتب السرّبالديار المصرية ، غضب عليه السلطان المؤيد لشيء بلغه عنه ، فأمر بحبسه وتعذيبه ، فحبس وعذّب وخنق (الضوء اللامع ١٦٦/٦ وخطط المقريزي ٦٣/٢) .

وفي السنة ٨٢٤ توفيّ الملك المؤيد شيخ ، فأعلن الأتابك الطنبغا العصيان ، وتحصّن بدمشق ، فخرج الأمير ططر أتابك العسكر ، ومعه الملك

المظفّر أحمد بن شيخ ، وهو طفل ، ولما دخل ططر دمشق ، استسلم إليه الأتابك الطنبغا ، والأمير جقمق ، فأمر بهما فحبسا ، ثم قتلهما خنقاً ، ثم عزل الملك المظفّر ، وأعلن سلطنته ، ولكّن سلطنته لم تدم إلا ثلاثة أشهر ومات (خطط الشام ١٩٧/٢) .

وفي السنة ٨٣٥ قبض الأمير أصبهان بن قرايوسف ، على السلطان حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس ، سلطان بغداد ، وكان قد أمّنه ، فأوعز إلى أصحابه ، أن يغروه بالهرب ، ليتّخذ من هربه حجّة على سقوط أمانه ، ففعلوا ، ولما فرّ ، قبض عليه وخنقه (تاريخ العراق للعزاوي ٨١/٣ وشذرات الذهب ٢١٣/٧) .

وذكر صاحب الضوء اللامع ١٦٠/٣ قصّة مقتل السلطان حسين بن علاء الدولة في الستة ٨٣٥ ، فذكر : إنّ تيمورلنك كان قد أسر حسيناً وأخاه حسناً ، وحملهما إلى سمرقند ، ثم أطلقهما ، فاتّصل حسن بالناصر فرج ، ومات عنده بمصر ، وأما حسين فتنقّل في البلاد ، إلى أن دخل العراق ، فوجد شاه محمد بن شاه ولد بن أحمد بن أويس ، وكان أبوه شاه ولد صاحب البصرة ، فلما مات خلفه شاه محمد ، فصادف السلطان حسين ، الشاه محمداً وقد حضره الموت ، فأوصى له بأملاكه ، فآستوى على البصرة وواسط وبقية أملاكه ، فطمع أصبهان (أسبان) شاه بن قرايوسف في حيازة تلك الأملاك ، وقصد السلطان حسين وحاربه ، فآنتمى السلطان حسين إلى الشاه رخ ابن تيمور ، فقوي وملك الموصل وإربل وتكريت ، ثم انقلب الحال ، وتغلّب أصبهان شاه ، وأخذ يدخل كلّ بلد ويحرقه حتى حصر حسيناً في الحلة ، وأعطاه الأمان ، فنزل ، فقتله خنقاً .

وفي السنة ٨٤١ قتل خنقاً الأمير تمراز المؤيّدي ، نائب صفد ، ثم نائب غزة ، جرى خنقه بسجن الإسكندرية (الضوء اللامع ٣٨/٣) .

وفي السنة ٨٥٨ قام قاضي حلب ، سالم بن سلامة بن سلمان الحموي ، بقتل ابن قاضي عينتاب خنقاً ، بغير مسوّغ ، فحبس القاضي سالم من أجل ذلك بقلعة حلب ، ثم خنق على باب محبسه (الضوء اللامع ٣/٢٤٢) .

وفي السة ٩٠٥ تحرّك الأمير جان بلاط (بولاد) على الملك الظاهر بالقاهرة ، وأعلن نفسه سلطاناً باسم الملك الأشرف ، فخالفه قصروه نائب الشام ، فسيّر إليه الأشرف جيشاً ، ولكنّ الجيش المسيّر اتّفق مع النائب قصروه ، وعادوا إلى القاهرة ، فحصروا الأشرف جان بلاط في السنة ٩٠٦ ، وخامر عسكر جان بلاط عليه ، فلم يبق معه أحد ، فصعد طومان باي إلى القلعة ، فاعتقل جان بلاط ، وحمله إلى الاسكندرية ، حيث قتل هناك خنقاً (الكواكب السائرة ١/١٧١) .

وكان القتل عند السلطان سليم العثماني (سلطنته ٩١٨ ـ ٩٢٦) من أسهل الأمور وأهونها ، وقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب تافهة ، ولما تسلطن خنق إخوته ، وغيرهم من أهل بيته وعددهم سبعة عشر نفراً ، حتى كان الأتراك يقولون : من أراد الموت ، فليكن وزيراً عند السلطان سليم (خطط الشام ٢/٢٣٠) .

وفي السنة ٩٢٤ قتل خنقاً في السجن ، المهدي بن أحمد القطبي ، رئيس جازان ، وكان قد سيّر أخاه عزّ الدين على رأس جيش لاحتلال زبيد فاحتلّها ، ثم كرّ راجعاً على أخيه المهدي ، فقبض عليه ، وخنقه في السجن (الاعلام ٨/٢٥٦) .

وفي السنة ٩٢٨ أمر السلطان سليمان العثمان بن السلطان سليم ، بقتل علي بيك شاه سوار وأولاده ، فقتلوا خنقاً ، وتفصيل القصّة : إنّ السلطان سليم العثماني ، قصد في السنة ٩٢٠ الشاه اسماعيل الصفوي ، سلطان العجم ، فمرّ بعساكره من طريق البيرة ، وكان بها نائب للغوريّ هو علاء

الدولة ، أخو شاه سوار ، فاعتدى على أصحابه على أحمال ذخائر السلطان سليم ، وأخذوا منها شيئاً كثيراً ، فحقدها السلطان سليم على علاء الدولـة ، ولما عـاد من محاربة الشاه إسماعيل ، سيّر جيشاً إلى علاء الـدولة ، صحبـة سنان بـاشا الطواشي ، واشتبك مع عسكر علاء الدولة في معركـة كانت عـاقبتها أن آنفـلّ جيش عـلاء الدولـة ، وقتل هـو وكان قـد أناف على التسعين وقتـل معـه أكثـر أولاده ، فقــطعت رؤوسهم ، وبعث بهــا إلى الـسلطان الـغــوري ، ونصب السلطان سليم في مـوضع عـلاء الـدولـة ، ابن اخي عـلاء الـدولـة وهـو علي بيك بن شاه سـوار ، وفي السنة ٩٢٨ أرسـل السلطان سليمان القـانوني وزيـره فرهاد باشا ، فلما وصل إلى مدينة توقات ، أرسل إلى علي بك يدعوه للمذاكرة معه ، فحضر مع ولده صارو أرسلان وعدّة من أولاده الآخرين ، فقبض عليهم فـرهاد بـاشا ، وأمـر بخنقهم ، فخنقوا بـأجمعهم ولم يبق منهم أحـد (اعـلام النبلاء ٣/١١٦ ـ ١١٨ و١٧٦) .

وبناء على أمر من السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧) قتل خنقاً ، ولده بايزيد ، مع أربعة صبيان هم أولاد بايزيـد ، تمّ إعدامهم في مـوضع واحـد ، وفي وقت واحد ، وسبب ذلك : إنّ السلطان سليمان كان قد قسم مملكته بين أولاده الثـلاثة ، مصـطفى ، وبايـزيد ، وسليم ، ووقعت حـرب بين مصـطفى وبايزيد ، فانكسر بايزيد ، ولجأ إلى ملك العجم الشاه طهماسب ، فأكـرمه ، وجرت مراسلات بين السلطان سليمان والشـاه طهماسب ، أدّت إلى أن بعث السلطان سليمان بعثة برئاسة خسرو باشا ، لقتـل بايـزيد ، ولمـا واجه خسـرو باشا بايزيد ، عرف مصيره ، فاستمهـل ليصلّي ركعتين ، فخنقه خسـرو باشـا وهو يصلّي ، ثم أحضروا أولاد بايزيد ، وهم أربعة ، فخنقوهم معه ، وأخذوا جثثهم إلى السلطان سليمان (تراجم الأعيان ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٧) .

وخنق الأمير جانم الحمزاوي ، بمصر ، فتى من أقـرباء القـاضي شرف الـدين الصغيّر ، وسلّمـه إلى أمّه مخنـوقاً ، وتفصيـل ذلك : إنّ الأميـر جـانم

الحمزاوي ، كان يحقد على القاضي شرف الدين ، فذهب إلى الباب العالي (اصطنبول) وسعى في قتل شرف الدين ، وحصل على مرسوم سلطاني بقتله ، فخاف شرف الدين ، وسافر بعده إلى اصطنبول ، فواجهه الأمير جانم في اسكدار ، وخدعه ، وجامله ، وعاد معه ، فلما وصلا إلى مصر ، أبرز المرسوم ، وسلّم شرف الدين إلى الصوباشي ، فعذّبه بالاسكنجة (الاسكنه ، فارسية : مثقب النجّار ، بريمه) ، واستصفى أمولـه وقتله ، ثم اعتقل فتى من اقرباء شرف الدين شاباً ما نمّ عذاره ، وكانت له أمّ حنون هو وحيدها ، وكانت مولعة به مجنونة بحبّه ، فدارت على جميع العلماء والصلحاء ، وتوسّلت بالمشايخ والأولياء ، وحملت الجميع على الأمير جانم ، ليعيد إليها ولدها ، فأظهر لهم إجابة سؤلهم ، ووعد بتسليمه في ليلة معيّنة ، ودسّ له السمّ ، فلم يعمل فيه ، فأمر بخنقه ، وسلّمه إلى أمّه مخنوقاً ، فلما قام الوالي سليمان باشا ، والي مصر، بقتل الأمير جانم الحمزاوي وولده ، وعلّق رأسيهما بباب زويلة ، تخلّقت (تحنّت) أمّ القاضي شرف الدين بالزعفران ، شماتة بهما وجاءت حتى وقفت تحت رأسيهما ، وأظهرت فرحها وحبورها (البرق اليماني ٧٣ ـ ٧٥) .

راجع في بحث الفتك ، القسم الأول من الفصل الأول : القتل بالسيف ، من الباب الحادي عشر القتل ، من هذا الكتاب ، كيفية قتل الأمير جانم الحمزاوي وولده في السنة ٩٤٤ .

وكان ابراهيم بن خضر باني القرمانية ، المتوفّى سنة ٩٤٦ من كبار التّجار بحلب ، وله عدّة مماليك ، اختلس واحد منهم شيئاً من ماله فسعى في قتله ، وصلبه مخنوقاً تجاه خان خير بك بحلب ، لكون الإختلاس جرى من مخزنه بهذا الخان (اعلام النبلاء ٦/٢٦) .

وفي السنة ٩٥٤ عاد الشيخ داود المرعشي إلى دمشق ، وكان من أكابر العلماء ، وهو شيخ الطائفة الأويسيّة ، فقتل خنقاً بأمر من السلطان ورد على

نائب دمشق ، بسبب ما بلغ السلطان عنه من كثرة أتباعه ، ودعـواه أنّ المهدي الذي يبعث آخر الزمان ، يكون من الأويسيّة (الكواكب السائرة ٢/١٤٣) .

وفي السنة ٩٧٦ ولي مـصـر ، للسلطان سليم الثاني العثماني ، الوالي سنان باشـا ، فأمر بقتـل مصطفى بـك أحد أمـراء السناجق بمصـر ، والنجمي محمـد بـك ، أمـر اللواء بمصـر ، فلمـا وصـل إلى مصـر ، طلب الأميـرين المذكورين ، وسلّمهمـا إلى القابجّيـة ، فنفّذوا فيهمـا الأمر السلطاني ، وخنقـا بالوتر، وضبطت مخلّفاتهما للديوان (البرق اليماني ٢١٠) .

وفي السنـة ٩٨٢ تـوفّي السلطان سليم بن السلطان سليمـان ، وفي يـوم دفنه خنق أولاده الخمسة ، خنقهم أخوهم مراد الذي خلف أباه في السلطنة . (خطط الشام ٢/٢٣٩) .

وفي السنة ١٠٠٢ جرى خنق منصـور بن فريـح في قلعة دمشق ، لـظلمه وجوره وتخريبه البلاد ، وكان قد التزم من الدولة العثمانية لواء صفد ، وكان في أوّل أمـره بدويـاً من خدّام ابن الحنش ، ثم تـرّقى بـه الحـال ، وآلتـزم أمـوالاً عظيمة على لواء صفد ، ولواء نابلس، وإمـارة الحاجّ ، وخـرّب بلاداً كثيـرة ، وقتل خلقاً كثيراً (خطط الشام ٢/٢٤١ و٢٤) .

وفي السنة ١٠٠٣ قتل خنقاً في حبسه ابـراهيم باشـا ، المعروف بـدالي ابـراهيم ، أحـد وزراء دولـة السلطان العثمـاني مـراد الثـالث ، وكـان من الظالمين ، قتل كثيراً من الناس في ديـار بكرلمـا نصبه السلطان أميـراً للأمـراء فيها ، وأخذ من التاجر رجب خمسة آلاف ليرة ذهبية ثم أمر به فقطع ألى أربع قـطع ، واعتقل أحمـد باشـا وعماد الـدين بك ، وأهلكهمـا تحت العـذاب ، فآعتقله السلطان مراد ، ولما توفّي السلطان مراد وخلفه ولده السلطان محمد أمر بقتل إبراهيم باشا ، فدخل عليه كبير خـواص خدم الـديوان ومعـه جماعـة من الجـلّادين، مغيّـرين صـورهم ، حتى لا يـرتـاب منهم ، وجلس ذلـك الكبيـر يكلّمه ويشاغله ، وجاء الجلّادون من خلفه ، ووضعوا في عنقه حبلًا ، وقالوا :

أمر بذلك السلطان، فرفع مسبحته مشيراً بالشهادة ، ولما مات ألقوه في البحر (خلاصة الأثر ١/٥٨) .

وفي السنة ١٠٠٦ قتل بأمر السلطان ، حسن باشا الطواشي ، الوزير الأعظم ، أحد وزراء دولة السلطان محمد بن مراد ، وكان في أوّل أمره خزينة دار السلطان ، ثم ولّاه مصراً ، فاختلس من أموال الدولة ، فحوسب وحبس ، ثم أعطي حكومة شروان ، ثم صار وزيراً رابعاً ، وكان ظالماً جباراً مرتشياً ، ثم صدر أمر السلطان بحبسه ، ثم أصدر أمره بقتله فقتل خنقاً (خلاصة الأثر ٢/٧١) .

وفي السنة ١٠١٢ قتل خنقاً بأمر السلطان ، الوزير حسن باشا اليمشجي ، وكان قد خرج على رأس جيش لقتال بعض أعداء الدولة ، فعاد منكسراً ، فعزل ، وصدر أمر السلطان بقتله ، فقتل خنقاً (خلاصة الاثر ٢/٧٣) .

وفي السنة ١٠١٣ قتل نصوح باشا ، كافل حلب ، السيد حسين نقيب الأشراف بحلب ، قتله خنقاً وقتل معه آثنين من أصحابه ، ورمى بجثثهم في الخندق ، وكان المحرّض له على ذلك السيد لطفي ، شقيق السيد حسين ، فإنّه كان يحرّض رجال الدولة على قتل أخيه ، ويزعم لهم إنّه يشرب الخمر ، وإنّه يلبس لبوس النصارى ، ولما عاد نصوح باشا ، من إحدى حروبه مكسوراً ، دسّ السيد لطفي إلى نصوح باشا من أخبره بأنّ أخاه السيد حسين قد فرح بانكساره وإنّه قد احتفل بذلك وأقام مولداً للفرح ، فذهب الباشا بنفسه إلى دار السيد حسين ، فسمع ضرب الدفوف وأصوات المغاني ، وإمارات السرور ، وكان سببه أنّ بنت السيد حسين ولدت ولداً ذكراً ، فاجتمع النساء للفرح ، ولكنّ نصوح باشا حسب أنّ الامر كما ذكره له السيد لطفي ، فطلب إحضار السيد حسين ، فحضر ومعه اثنان من أصحابه ، فأمر بهم

نصوح باشا ، فخنقوا ، ورمى بجثثهم في الخندق (خلاصته الأثر ٢/١٠٨ و١٠٩) .

وفي السنة ١٠١٤ أمر حسين باشا جانبولاد ، كافل حلب ، باعتقال درويش بك بن الأمير أحمد بن مطاف ، وكان يحقد عليه أموراً ، فحبسه في قلعة حلب ، وخنقه ليلاً ، ثم علّقه على باب الحبس ، وادّعى أنّه هو الذي قتل نفسه (خلاصة الأثر ١/٣٦٤) .

وفي السنة ١٠١٨ بدمشق ، قتل شخص من أولاد الجند ، اسمه ابن خضر ، أحد أتباع الوالي حافظ أحمد باشا والي الشام ، وبمعونة شخص اسمه رمضان ، رماه في الخندق ، فأمر الوالي بابن خضر فخنق في القلعة ، وبرمضان ، فصلب تحت القلعة . (تراجم الاعيان ٢/٢٤١ و٢٤٢) .

وفي السنة ١٠٢٢ قتل خنقاً الشيخ خضر بن حسين المارديني ، وكان قد آتصل أوّل أمره بنصوح باشا ، لما كان والياً لحلب ، فلما تقلّد نصوح باشا الصدارة العظمى ، اختار الشيخ خضر رسولاً عن السلطان أحمد العثماني إلى الشاه عبّاس شاه العجم ، لعقد الصلح بينهما ، فسافر إلى بلاد العجم ، ونجحت سفارته ، وآنعقد الصلح بين الطرفين ، فآرتفع شأن الشيخ خضر ، ثم بلغ نصوح باشا أنّ الشيخ خضر قال لبعض رجال السلطنة : أنّني أنا بتدبيري عقدت الصلح ، ولو سمعت كلام الوزير ما صار الصلح ، فأسرها نصوح باشا في نفسه ، وولّى الشيخ خضر دفتردارية وان ، وأخرجه في الحال عن القسطنطينية ، وأرسل إليه في الطريق من خنقه (خلاصة الأثر ٢/١٣٠) .

وفي السنة ١٠٣٧ (١٦٢٦ م) أمر الشريف أحمد بن عبد المطلب ، شريف مكة ، بالقبض على أبي الوجاهة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي ، قاضي مكّة ، ومفتي الحرم المكي ، فحبسه ، ثم خنقه في الحبس (الاعلام ٤/٩٥ والمنجد) .

وفي السنة ١٠٣٩ قتل خنقاً الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نميّ ، وكان وثب على ابن عمه الشريف محسن ، فانتزع منه الامارة في السنة ١٠٣٧ وقتله قانصوه باشا خنقاً . (الاعلام ١/١٥٦) .

وورد خبر مقتل الشريف أحمد في خلاصة الأثر كما يلي : في السنة ١٠٣٩ أقبل الأمير قانصوه باشا ، أمير الحاج المصري ، على الشريف أحمد بن عبد المطلب أمير مكّة ، فقتله ، وكان الشريف أحمد قد اعتقل الشيخ عبد الرحمن المرشدي ، فشفع فيه الأمير قانصوه ، فلم يشفعه ، وأمر به فخنق في محبسه ، فحنق عليه الأمير قانصوه ، وتربّص به حتى قبض عليه وقتله (خلاصة الاثر ١/٢٤٠) .

وفي السنة ١٠٤٣ جهزت الدولة العثمانية جيشاً بقيادة أحمد باشا الارناؤدي ، لقتال الأمير فخر الدين المعني ، فاشتبك الجيش العثماني ، وجيش فخر الدين ، في معركة قتل فيها الأمير علي بن فخر الدين ، وتوفي أخوه متأثراً بجراحه ، فآستسلم الأمير فخر الدين للقائد احمد باشا الذي دخل به دمشق في موكب حافل ، على فرس وهو مقيّد ، ثم حمل إلى الاستانة (اصطنبول) ، فأبقاه السلطان محتاطاً عليه ، ولما قام الأمير ملحم ، حفيد فخر الدين بالعصيان ، وكسر جيش والي دمشق ، أمر السلطان فقطعت رأس الأمير فخر الدين ، وخنق ولده الأكبر (خطط الشام ٢/٢٦٢) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل المولى حسين بن محمد ، المعروف بأخي زاده ، مفتي دار السلطنة ، اتّهمه السلطان مراد بأنّه يعمل في خلعه ، فأحضره ، وأمر بخنقه ، فخنق في الحال ، وأمر بأن يدفن في مكان ويعّمى موضع قبره ، وبعث بابنه إلى قبرس ، فاختلّ عقله ومات هناك .(خلاصة الأثر ٢/١١١) .

وفي السنة ١٠٤٥ قتل خنقاً بقلعة دمشق ، قاضي القضاة بها ، المولى أحمد بن الملاّ زين الدين المنطقي ، وكان قد أطلق لسانه بحقّ بعض ولاة

الأمور ، فشكوه إلى السلطان ، فصدر الأمر بعزله ، ثم ورد « أمر شريف » بقتله فأخذ إلى قلعة دمشق ، وخنق بها (خلاصة الأثر ١/ ٢٠٠ و٢٠١) .

وبعد أن فتح السلطان مراد العثماني بغداد في السنة ١٠٤٨ وعاد إلى عاصمة ملكه ، تحرّك العسكر من جديد ، وكان الوزير الأعظم رجب باشا ، مستظلاً بظلّهم ، وتكلّم المفتي في خلع السلطان ، فأمر السلطان بالوزير الأعظم رجب باشا ، فقتل ، وأمر بالمفتي فخنق ، وقتل جماعة من رؤساء العسكر ، فسكنت الفتنة (خلاصة الأثر ٤/ ٣٣٩) .

وفي السنة ١٠٩٩ قام حسن باشا السلحدار ، نائب السلطان العثماني بمصر ، بخنق كتخداه ، لذنب نقمه عليه (تاريخ الجبرتي ١/ ٤٣) .

وفي السنة ١١٠٣ قبض علي باشا ، نائب السلطان العثماني بمصر ، علي سليم افندي ، وخنقه بالقلعة ، وآنزل إلى بيته محمولاً في تابوت (تاريخ الجبرتي ١/ ٤٥) .

وفي السنة ١١٣٨ نقم والي مصر نيشابخي محمد باشا ، على المعلّم داود ، صاحب عيار (يسك السكّة) لأنّه تلاعب في سكّها ، فقبض عليه ، وخنقه (الجبرتي ١/ ٢٠٤) .

وفي السنة ١٤١١ قتل خنقاً الأمير أحمد أفندي ، كاتب الروزنامة ، بأمر الوالي محمد باشا النيشانجي ، فإنّه لما خرج الأمير جركس مغضوباً عليه من القاهرة ، خرج الأمير احمد افندي معه ، وكان جسيماً ، فانقطع ، وأخذت العرب ثيابه ، وأعيد إلى القاهرة على ظهر حمار سوقي ، وأحضر أمام الباشا ، فأرسله إلى كتخداه ، ثم أرسله إلى كتخدا مستحفظان ، فحبسه بالقلعة ، وخنقه ليلاً (الجبرتي ١/ ٢٠٤) .

وفي السنة ١١٤١ قتل في السجن خنقاً ، أبو مروان عبد الملك بن اسماعيل الحسني ، من ملوك الدولة السجلماسية العلويّة بالمغرب ، وكان قد

بويع بمكناسة بعد خلع أخيه أحمد في السنة ١١٤٠ ثم انقلب عليه الحال ، فأعيد أحمد ، وسجن عبد الملك بمكناسة ، ثم قتل في سجنه . (الاعلام ١/ ٩٥ و٤/ ٣٠١) .

وفي السنة ١١٥٩ قتل خنقاً السيد فتحي بن السيد محمد الدفتري ، تولّى دفتريّة دمشق ، وكان ظالماً ، وله أتباع يظلمون الناس ، فلما ولي الوزير أسعد باشا العظم دمشق ، كتب يشكوه إلى الدولة ، وضمن تركته بألف كيس ، وصادف أن كان الصدر الأعظم حسن باشا ، وكان يكره السيد فتحي ، فورد الأمر السلطاني بقتله ، ولما وصل الأمر جيء بالسيد فتحي إلى سراي دمشق ، وخنق في دهليز الخزنة التي عند حرم السرايا ، وقطع رأسه وأرسل للدولة ، وطيف بجثته في دمشق ثلاثة أيام في شوارعها وأزقتها ، مكشوف البدن عرياناً ، وصودرت أمواله ، وقتل بعض أتباعه وخدّامه (سلك الدرر ٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٧) .

وفي السنة ١١٧١ بعث السلطان ، من قتل أسعد باشا العظم في حمّام داره بدمشق خنقاً . (خطط الشام ٢/ ٢٩١ و٢٩٣) .

وفي السنة ١١٨٢ قبض الأمير علي بك بالقاهرة ، على الأمير خليل بك القازدغلي ، وأرسله ثغر اسكندرية ، حيث قتل خنقاً (الجبرتي ١/ ٣٧١) .

وفي السنة ١١٨٣ أمر علي بك رأس المماليك بالقاهرة ، بنفي الأمير علي بك كتخدا مستحفظان إلى رشيد ، ثم أرسل إليه من خنقه هناك (الجبرتي ١/ ٣٩٧) .

وفي السنة ١١٨٥ قدم الأمير أبو الذهب ، من مصر ، على رأس جيش مصري ، فإستولى على مدينة دمشق عنوة ، ثم آنسحب منها عائداً إلى مصر ، فعاد إليها واليها (كافلها) عثمان باشا ، وولده محمد باشا ، وقدم رئيس « اليرلية » يوسف أغا بن جري من جبل الدروز ومعه خمسة آلاف

درزي ، وبعد مدّة رفع عثمان باشا ، يوسف اغا المزبور إلى القلعة ، وحبسه بها ، ثـم أمر بخنقـه ، فخنق ، اتّهمه بـأنّه كـان المحرّض لحكّـام مصر على إرسال الجيش لفتح الشام (سلك الدرر ١/ ٥٦) .

وفي السنة ١١٨٧ شرع الامير علي بك بـالقاهـرة ، في قتل خصـومه ، فكان يبعث إليهم من يخنقهم ، فخنق علي كتخدا الخربوطلي برشيد ، وحمزة بك بزفتا (تاريخ الجبرتي ١/ ٣٧٨) .

واطّلع الأميـر محمـد بـاشـا المجـاهـد ، صـاحب الجـزائـر (١١٧٩ ـ ١٢٠٥) (١٧٦٥ ـ ١٧٩٠ م) على خيـانـة الخـزنـاجي ، فـأمـر بقتله، فقتـل خنقـاً ، وتفصيل ذلـك : إنّ محمد بـاشا ، صـاحب الجزائـر ، عاتب صـالح باي ، صاحب قسنطينة ، على تصرفه خـلافاً لأوامـره ، فأخـرج له رسـائل من الخزناجي ، تأمره بذلك التصرّف ، فغضب الأمير من ذلك ، وأمر حسن وكيـل الخرج ، وكان زوج ابنة الخزناجي ، أن يقتل والـد زوجته ، فقـال له حسن : أنا اكفيك أمـره ، وفي اليوم التـالي ، أشار حسن الى البـاش شاوش ، إشـارة فهمها ، وتقدّم من الخزناجي ليقبل يده ، فلما أمسك يده ، سحبه ، ونزع عنه اليطغان ، وأمـر أصحابـه فكتفّوه ، وذهبـوا به إلى دار سـركاجي ، حيث قتلوه خنقاً ، وكافأ الباشا حسن وكيل الخرج ، فنصبه خزناجيًا ، مكان صهـره القتيل (مذكرات الزهار ٤٩و٥٠) .

وفي السنة ١١٨٧ ورد أمر الدولة (مرسوم من إصـطنبول) بـطلب رأس عبد الله كتخدا ، ونعمان افندي ، ومرتضى اغا ، ومصـطفى افندي الأشقـر ، كـاتب ديوان علي بـك ، وتبيّن أنّ عبد الله كتخـدا ، قد قتله محمـد بـك ابـو الذهب في السنة ١١٨٦ ، ونعمان افندي ذهب إلى الحجـاز ، ومرتضى أغـا اختفى ، فأحضر البـاشا ، مصـطفى افندي الاشقـر ، وأمر بخنقـه ، فخنقوه ، وسلخوا رأسه ، ودفنوه بالقـرافة ، وأخذ الباشا موجوداته إلى الميري (الجبرتي ١/ ٤٣٩) .

وفي السنة ١١٩١ اتّفق الأمير اسماعيل بك ، مع أتباعه ، على قتل اسماعيل بك الصغير ، أحد الأمراء ، وكان قد حدّثته نفسه بالإنفراد بالأمر ، وركب في آخر الليل مع صناجقه وعساكره وأحاطوا بيت اسماعيل بك الصغير ، وحصروه ، فخرج وحاربهم ، وصار يتخلّص من عطفة إلى عطفة ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت عمامته ، وآحتاطوا به ، وأنزلوه فأجلسوه على دكان (دكة) وعصبوا رأسه بعمامة رجل جمّال ، فأمر اسماعيل بك بأن يرسلوه إلى بيت الوالي ، حيث خنق هناك ، ووضعوه في تابوت ، وأرسلوه إلي بيته (الجبرتي ١/٥٠٧) .

وفي السنة ١١٩٥ قبض الأمير مراد بيك على الأمير ابراهيم بك أوده باشا وآتّهمه بأنّه يكاتب عدوّهم إسماعيل بك ، وخنقه (الجبرتي ١/٥٥٢) .

وفي السنة ١٢٠٥ اسندت ولاية دمشق ، إلى أحمد باشا الجزّار للمرة الثانية ، ودام حكمه فيها خمس سنين ، فعامل الناس بقسوة عظيمة ، حتى نزح كثير من السكّان ، وتركوا أوطانهم ، وكان في كلّ سنة ، يقتل في قلعة دمشق بدون تحقيق أناساً ، وقد قتل في السنة ١٢٠٦ مائة وستين رجلاً خنقاً ، وفي السنة ١٢٠٧ قتل نحو ستين (خطط الشام ٣/٨) .

وفي السنة ١٢١٤ لما استقرت الحرب بين الجيش الافرنسي ، وبين المماليك وأهل القاهرة ، اتّهم الناس مصطفى أغا مستحفظان ، بأنّه يخفي في بيته جماعة من الفرنسيين ، فهجموا على داره ، ووجدوا فيها أنفاراً من الفرنسيس ، فقبضوا على الأغا ، وأحضروه أمام عثمان كتخدا ، ثم تسلّمه الانكشارية ، وخنقوه ليلاً ، ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد (الجبرتي ٢/٣٣١) .

وفي السنة ١٢١٧ خنق الأمير محمد بن عبد الله الشاوي الحميري ، من امراء العراق ، وخنق معه أخوه عبد العزيز ، ودفنا بقرب الموصل، أمر بخنقهما والي بغداد علي باشا ، خلف سليمان باشا ، وكان سليمان باشا قد

أرسـل الأمير محمـد في سفارة إلى الـدرعية ، إلى أميـر نجد ، وبعـد عودتـه اتّهمـه الأتراك بـأنّه مـال للوهّابيين أمـراء نجد ، وقتـل وأخوه خنقـاً (الأعـلام ١٢٠/٧) .

أقـول ذكـر العـزاوي في تـاريخـه ١٥٥/٦ ان القتـل حصـل في السنـة ١٢١٨ .

وفي السنة ١٢١٨ مرّ والي القاهرة بنـاحية الجمـالية ، فـوجد إنسـاناً من أكابر غزة ، اسمه علي أغا شعبان ، كان مهندساً في عمارة الباشا ، وكان علي أغا جالساً على دكّان يتنزّه ، وفرسه وخدمه وقوف أمامه ، فأمره بالركوب معه ، فركب ، وذهب صحبته ، فخنقه وأخذ ثيابه وفـرسه وكـان في جيبه ألف دينـار ذهباً خلاف الورق (الجبرتي ٥٩٢/٢) .

وفي السنـة ١٢١٨ حضر والي القـاهرة ، إلى قصـر الشوك ، ونـزل عند رجل من تجّار خان الخليلي اسمه عثمان كجك ، فتعشّى عنده ، ثم قبض عليه ، وختم على بيتـه ، وأخذه صحبتـه ، ثم خنقـه في تلك الليلة ورمـاه في بئـر ، فاستمّر بها أيّامـاً حتى انتفخ ، فـأخرجـوه ، وأخذتـه زوجته فـدفنته (الجبـرتي ٦١١/٢) .

وفي السنة ١٢١٨ أمر طاهر باشا ، قائمقام الوالي بمصر ، فخنق الأميـر أحمـد كتخدا علي بـاش اختيـار الإنكشاريـة ،ومصطفى كتخـدا الرزّاز كتخـدا العرب ، وكانا محبوسين بالقلعة ، وضـربوا وقت خنقهمـا مدفعين ، ورمـوهما إلى الخارج (الجبرتي ٥٧٤/٢) .

وفي السنة ١٢٢٣ وردت الاخبار من إصطنبول ، بأنّ الينكجريّة ، تآمروا في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهاجموا السـراي السلطاني ، فقتلوا من وجدوا ، أما مصطفى باشـا البير قـدار فإختفى منهم في سـرداب ، ولكنّه مـات تحت الردم ، فسحبوه من رجله وعلّقوه على شجرة ، ومثّلوا به ، وقتلوا قاضي

باشا ، وعبيد الله رامز قبودان باشـا ، وكان السلطان محمـود لما شعـر بمؤامرة الينكجريّة عمـد إلى أخيه السلطان المعزول مصطفى فخنقه (الجبرتي٣/٢٤٥) .

وكان جلال الدين والي حلب في السنة ١٢٢٧ قد عيّن اثنين من طرفه ، يتجسّسان على الناس ، ويقدّمان قوائم بأسماء من ينبغي مصادرته ، ومقدار ما يقتضي أن يصادر عليه ، فيقـولان : هـذا يستحق جـرمين ، والجـرم أربعـون كيساً ، والكيس خمسمائة قرش ، فيحضر ويطالب ، ويـزجّ به في السجن في القلعة ، ويوضع في رقبته زنجير له شوك ، ويكلّف بإحضار ما تقرّر عليه ، من جـرم أو جرمين أو أكثـر ، فإن أدّى ، أطلق ، ومن لم يؤدّ خـلال ثلاثـة أيّام ، خنق ليـلاً ، وألقيت جثّته تجـاه باب القلعـة ، وكلّما خنقـوا واحـداً ، أطلقـوا مدفعاً ، فكان عدد المخنوقين يعرف بعـدد المدافـع ، وكان النـاس فـي اليوم الثاني ، يتحدّثون بأنّ فلان ضربـوا طوبـه ، أي إنّه خنق ، وكـانوا لا يمكّنـون أهـالي المخنوق من رفـع جثّته ، بـل يضعون عسكـراً يحافـظون على الجثث الملقاة في الخندق ، وربما جاء بعض أهـالي المخنوقين ليـلاً ، فيتسلّلون إلى حيث جثّـة قريبهم فيحملونـه ، أو يحملون بعض أعضائـه ، إذا كانت أوصـاله مقطّعة ، إلى حيث يدفن (إعلام النبلاء ٣/٣٧٥ - ٣٧٧) .

ولمـا استولى الحـاج علي بـاشـا ، في السنـة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) على الحكم في الجزائر ، عزل باي وهران ، ونصب مكانه الباي محمد ، من أولاد الباي محمد الذي فتح وهران ، وولّى نعمان باياً بقسنطينة ، وبعـد سنة ، أمـر بخنقه ، ونصب مكانه جعفر باي (مذكرات الزهار ١٠٥) .

وفي السنة ١٢٢٨ التجأ سعيد بك بن سليمان باشـا ، إلى حمود الشـامر شيـخ المنتفق ، فخرج الـوزيـر عبـد الله بـاشـا ، والي بغـداد ، مـع جيش ، لمحـاربة حمـود الشامـر ، واصـطدم الجيشـان في معـركـة ، فـانكسـر الجنـد العثماني ، وأخذ الوزير عبد الله باشا ، والكتخدا طاهر ، وسليمـان اغا كهيـة البوابين أسرى ، وبعد يومين مـات برغش بن حمـود الشامـر ، متأثّـراً من جراح

أصيب بها في المعركة ، فعمد أخوه راشد بن ثامر ، إلى الوزيروالكتخدا وكهية البوابين ، فخنقهم ، ودفنهم ، ثم أخرجهم وقطع رؤوسهم وبعث بها إلى سعيد بك (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٢١٤ ـ ٢١٧) .

وفي السنة ١٢٣٠ (١٨١٤ م) نصب محمد باشا ، أميراً على الجزائر ، بترشيح من عمر اغا ، وبعد سبعة عشر يوماً اتّفق عمر اغا مع العسكر ، وعزلوا محمد باشا ، واعتقلوه ، وأخذوه إلى موضع قتل العسكر ، وخنقوه ، ونصب عمر آغا مكانه ، فأصبح عمر باشا (مذكرات الزهار ص ١١٥) .

وفي السنة ١٢٣٢ (١٨١٦ م) هاج العسكر بالجزائر ، على عمر باشا ، والي الجزائر ، وأرسلوا إليه يقولون : لا حاجة لنا بك، وقد نصبنا أميراً غيرك ، ولما فاوض عمر باشا وزراءه ، رآهم ساكتين مطرقين برؤوسهم ، فعلم بأنّهم قد أسلموه ، وعندئذ خلع ما كان يتقلّد من السلاح ، وذهب لموضع يقال له : الجنينة ، وآستقبل القبلة ، وأمرهم أن يخنقوه ، فتقدّم إليه الحرّاس ، وخنقوه ، وبعثوا بخنجره إلى علي خوجه التركي ، الذي نصبه الجند والياً ، باسم علي باشا (مذكرات الزهار ١٣١ و١٣٢) .

وفي السنة ١٢٣٢ (١٨١٦) تولّى علي باشا ، إمارة الجزائر ، فأتي بمائتين من العسكر وأبقاهم معه ، وفي الغد عزل جميع الوزراء ، فمنهم من أبقاه على قيد الحياة ، ومنهم من قتله ، أمّا الأغا ، فأمر الخليفة بخنقه (مذكرات الزهار ١٣٢) .

وفي السنة ١٢٣٧ قتل خنقاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، المؤرخ المشهور ، وكان قد قتل له ولد ، فبكاه حتى ذهب بصره ، وفي رمضان ١٢٣٧ قتل خنقاً بشارع شبرا ، وربط بحبل في إحدى رجلي حماره ، وكان آتياً من قصر محمد علي بشبرا ، واتّهم بقتله محمد بك الدفتردار الذي كان حاقداً عليه . (الاعلام ٤/٧٥) .

وفي السنة ١٢٤٦ (١٨٣٠ م) بعثت الدولة العثمانية من إصطنبول ، إلى بغداد ، مبعوثاً اسمه صادق افندي ، ومعه تعليمات بعزل داود باشا ، والي بغداد ، ومحاسبته ، وأحسّ داود باشا بذلك ، فبعث إليه كلّ من محمد افندي المصرف وسليمان أغا الميراخور ، ورمضان أغا الجوخدار ، وخالد أغا حاجب الباشا ، فذعر صادق أفندي لما رآهم ، أذ عرف أنّهم جاءوا لقتله ، فآستعطفهم من دون فائدة ، وقام خالد اغا بخنقه (حكم المماليك في العراق ٢٥٣ و٢٥٤) .

وفي السنة ١٢٦٠ خرج كامران شاه ، ملك الأفغان ، من مدينة هراة ، إلى قرية من ضواحيها ، فخنقه وزيره يار محمد خان البامي زائي ، وانقرضت بموته الأسرة السدوزائية في حكم الأفغان (اعيان القرن الثالث عشر ٢٨٧) .

وفي السنة ١٣٠١ (١٨٨٤ م) ، قتل أحمد مدحت باشا ، أبو الأحرار، خنقاً ، في سراي الطائف ، حيث كان معتقلاً ، وقطع رأسه وأرسل إلى السلطان عبد الحميد . (مشاهير الشرق لجرجي زيدان ١ / ٤٨٠) .

الخنق بالشاروفة

الشـاروفة : عصا غليظة في طرفيها حبل ، فإذا أريد خنق أحد ، أدخـل رأسه في انشوطـة الحبل ، وأديـرت العصا ، فتضيق الأنشـوطة على العنق ، فهي كالفلق ، إلا أنّها أصغر حجماً .

والملّاحون في العراق ، يطلقون كلمة الشاروفة ، على حبل يربط طرفه في *أعلى الصـاري* ، وفي طرفـه *الآخـر* أحـزمـة عـدّة ، يضعهـا المـادون في أوساطهم أذا قاموا بمدّ سفينة عكس تيّار الماء .

وبلغ عضـد الدولـة (ت ٣٧٢) ، أنّ أعرابيـاً من بني عقيل ، اعتـرض سفينة من سفن المعاون ، وهي مصعدة من بغداد ، وأخـذ قهراً من السفينـة ، شاروفة ، فأمر به فاعتقل ، وخنق بالشاروفة ، في الموضع الذي أخذهـا فيه ، ثم صلب . (ذيل تجارب الامم ٣/٥٥ و٥٦) .

وفي السنـة ٤٥٧ صـدر أمر السلطان ألب أرسـلان ، بقتل عميد الملك الكنـدري ، فبعث إليه إلى مـرو الروذ غلمـاناً لقتله ، فـدخلوا عليـه ، فقـال أحدهم : قم ، فصلّ ركعتين ، وتب إلى الله تعـالى ، فقال : أدخـل ، وأودّع أهلي ، فقالوا : افعل ، فدخل إلى زوجته ، وارتفع الصياح ، وتعلّق الجواري به ، ونشرن شعورهن ، وحثون التراب على رؤوسهن ، فدخـل إليه الغـلام ، وقال له : قم ، فقال : خذ بيدي ، فقد منعني هؤلاء الجـواري من الخروج ،

فأخـذوه الى مسجـد هنـاك ، فصلّى فيـه ركعتين ، ثم مشى حـافيـاً إلى وراء المسجد ، فجلس ، وخلع فرجيّة سمّور كانت عليه ، فأعطاهم إيّاها ، وخرق قميصـه وسراويله ، حتى لا يؤخـذا وجاءوه بشـاروفة ، فقـال : لست بعيّار ولا لصّ فـأخنق ، والسيف أروح لي ، فشدّوا عينيـه بخرقـة خرقهـا هو من طـرف كمّـه ، وضربـوه بالسيف ، وأخـذوا رأسه ، وتـركوا جثتـه ، وكـان عمـره نيفـاً وأربعين سنة . (المنتظم ٢٣٩/٨) .



الفصل الثاني

الشنق

الشنق : ربط عنق المعذّب بحبل ، وتعليقه حتى يموت .
والبغداديون يسمّون الشنق : صلباً .

وما يزال إلى الآن في وسط بغداد ، جامع اسمه جامع المصلوب لأنّ الوالي الذي بناه صلب ، ويقولون ، إنّ الوالي بعد أن تمّ بناء الجامع ، كانت في حائط سوره خشبة بارزة ، فأرادوا قطعها ، فقال دعوها ، عسى أن يصلب عليها أحد ، فكان هو المصلوب الذي علّق عليها .

وهذا اللون من العذاب يمارس منذ ابتداء العهد الأموي .

وللناس ، حول الصلب ، أقاصيص ونوادر ، منها ، ما أورده التوحيدي في البصائر والذخائر (م ٢ ق ١ ص ٩٨) ، قال : وقف مديني على قاصّ وهو يذكر ضغطة القبر ، ثم قال : يا قوم كم في الصلب من الفرج العظيم ، ونحن لا ندري ، إذ يتخلّص المصلوب من ضغطة القبر .

وسار جحا ، على هذا الرأي ، لما مات جاره ، فأرسل جحا للحفّار ، يحفر له قبراً ، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر ، فمضى جحا إلى السوق ، واشترى خشبة بدرهمين ، وجاء بها ، فسئل عنها ، فقال : إنّ الحفّار لا يحفر القبر بأقل من خمسة دراهم ، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين ، لنصلبه عليها ، ونربح ثلاثة دراهم ، ويستريح من ضغطة القبر ، وسؤال منكر ونكير (اخبار الحمقى ٤٦) .

وقال المدائني : تذاكر قوم من ظراف البصرة الحسد ، فقال رجل منهم : إنّ الناس ربما حسدوا على الصلب ، فأنكروا ذلك ، ثم جاءهم بعد أيّام ، فقال : إنّ الخليفة قد أمر أن يصلب الأحنف ، ومالك بن مسمع ، وقيس بن الهيثم ، وحجّام يعرف بحمدان ، فقالوا : هذا الخبيث ، يصلب مع هؤلاء ؟ فقال : ألم أقل لكم أنّ الناس يحسدون على الصلب ؟ (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ١١) .

ومرّ الماهاني ، بمنجّم قد صلب ، فقال له : هل رأيت هذا في نجمك ؟ فقال : قد كنت أرى لنفسي رفعة ، ولكنّي لم أعلم أنّها فوق خشبة (البصائر والذخائر ١/٥٤) .

وتنبّأ رجل في عهد الرشيد ، وأدّعى أنّه نوح ، فأمر به الرشيد ، فضرب ، وصلب ، فمر به مخنّث ، فقال : يا أبانا ، ما حصل في يدك من السفينة ، إلّا الصاري (المحاسن والمساوىء ١/٢٤) .

وقال ابن مناذر في وصف المشنقة : (الاغاني ١٨/١٨٢) .

يا أبا جعفر كأنّك قد صر ... تَ على أجردٍ طويل الجران
من مطايا ضوامر ليس يصهلـ ... ـن إذا ما ركبن يوم رهان
لم يذلّلن بالسروج ولا أقـ ... ـرحَ أشداقهنّ جذب العنان
قائمات مسوّمات لدى الجـ ... ـسر لأمثالكم من الفتيان

ولأبي تمام في وصف مصلوبين : (الأغاني ١٦/٣٨٧) .

سود اللباس كأنّما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعاً من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامرٍ ... قيدت لهم من مربط النجّار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبداً على سفرٍ من الاسفار

ولأبي تمام في مصلوب : (ديوان أبي تمام ١٦٤) .

لاقى الحمام بسرّ من راء التي شهدت لمصرعه بصدق الفال
أهدي لمتن الجذع متنيه كذا من عاف متن الأسمر العسّال
لا كعب أسفل موضعاً من كعبه مع أنّه عن كلّ كعبٍ عال
متفرّغ أبداً وليس بفارغ من لا سبيل له إلى الأشغال

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب في الإسلام ، زياد بن أبيه ، جيء إليه برشيد الهجري ، من أصحاب الإمام عليّ ، فأمر به فقطعت يداه ، ورجلاه ، ولسانه ، ثم صلبوه خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة ٢/٢٩٤) .

وسار على نهج زياد ، ولده السيّء الصيت عبيد الله بن زياد ، فإنّه خطب في المسجد فردّ عليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، وكان شيخاً ضريراً ، فأمر به فصلب في المسجد (ابن الأثير ٤/٨٣) .

وفي السنة ٥٤ قبض عبيد الله بن زياد ، على سهم بن غالب الهجيمي ، فصلبه بالبصرة ، وكان سهم قد خرج على معاوية في السنة ٤١ بالبصرة ، وطلبه زياد فتوارى ، حتى قبض عليه عبيد الله ، فصلبه (الاعلام ٣/٢١١) .

وفي السنة ٦٩ قتل الحارث بن سعيد ، من أهل الشام ، وكان قد تنبّأ ، وتبعه خلق كثير ، فبعث عبد الملك بن مروان في طلبه ، فاختفى في بيت المقدس ، فأرسل من احتال عليه ، وأحضره ، فصلبه ، وقتله . (الاعلام ٢/١٥٦) .

وأمر الحجّاج بماهان ، أن يصلب على بابه ، فرفعت خشبته ، وهو واقف يراها ، ويسبّح ويهلّل ويكبّر ، ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين ، وطعنه رجل وهو على تلك الحال فقتله . (العقد الفريد ٥/٥٠) .

أقول : قوله يعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين ، يريد به حساب الأصابع ، راجع بحثنا عن هذا الحساب ، في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٧ رقم القصة ٥٣ .

وفي السنة ١١٨ نزل أسد القسري، أمير خراسان ، على بلخ ، وبعث الكرماني إلى قلعة التبوشكان ، فحاصرهم حتى عطشوا وجاعوا ، ونزلوا على حكم أسد ، فحكم أسد بأن يحمل إليه خمسون رجلاً من رؤسائهم سمّاهم ، فحملوا إليه ، فقتلهم ، وكان حكمه في الباقين أن يقسموا أثلاثاً ، فثلث يصلبون ، وثلث تقطع أيديهم ، وثلث تقطع أيديهم وأرجلهم ، وكان المصلوبون أربعمائة (الطبري ١٠٩/٧ - ١١١) .

وفي السنة ١٤٧ قتل عبد الرحمن الداخل ، بقرطبة ، عثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عثمان قد امتنع عن مبايعة عبد الرحمن ، وخالف عليه ، فحاربه ، وأسره ، وصلبه بقرطبة . (الاعلام ٣٦٥/٤) .

واتّهم المنصور ، في السنة ١٥٠ ، محمد بن سعيد القرشي، بالزندقة ، فصلبه (الوافي بالوفيات ٩٥/٤) .

وفي السنة ١٨٨ هاج أهالي قرطبة على أميرهم الحكم ، صاحب الأندلس ، لتظاهره بشرب الخمر ، والإنهماك في الملذّات ، فأنكروا فعله ، ورجموه بالحجارة ، واجتمعوا على محمد بن القاسم المرواني ، وبايعوه ، وعلم الحكم بالحال ، فاعتقل الذين قاموا بذلك ، وصلبهم عند قصره ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من خيار الناس (ابن الاثير ١٨٩/٦) .

وفي السنة ١٩٢ أسر حمّاد البربري ، عامل اليمن للرشيد ، الهيصم بن عبد المجيد الهمداني ، وابنه ، وابن أخيه ، وكانوا قد ثاروا عليه باليمن ، فصلبهم جميعاً بالرقّة . (الاعلام ١١٦/٩) .

وغضب هارون الرشيد على منجم يهودي ، فأمر به فصلب ، وسبب ذلك إنّ منجماً يهودياً زعم للرشيد إنه بموت في سنته التي هو فيها ، فغمّه ذلك غمّاً شديداً ، فقال جعفر البرمكي وزير الرشيد للمنجّم : وهل تعرف

مدى عمرك ؟ قال : نعم ، وذكر أمداً طويلاً ، فقال جعفر للرشيد : اقتله الآن لتعلم أنّه كاذب في تعيين عمرك كما كذب في تعيين عمره ، فأمر به الرشيد فصلب (اعلام النبلاء ١/ ١٥٩) .

وفي السنة ٢٥١ لما شغب الأتراك على المستعين ، انحدر إلى بغداد ومعه وصيف وبغا ، فمنع أتراك سامراء من الإنحدار ألى بغداد ، ووجدوا ملاحاً قد أكرى سفينته إلى بغداد ، فضربوه ، وصلبوه على دقل سفينته . (الطبري ٩/ ٢٨٢) .

وفي السنة ٢٣٧ قام رجل بالأندلس ، ادّعى النبّوة ، وكان من شرائعه أنّه كان ينهى عن قصّ الشعر وتقليم الأظافر ، فأمره العامل بالتوبة ، فامتنع ، فصلبه (ابن الأثير ٧/ ٦٦) .

وفي السنة ٢٥٢ أحدث شخص اسمه عبدان بن الموفق ، فتنةً في بغداد وكان قد أحدث من قبل فتنة في سامراء ، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط ، وحبسه ، ثم أطلقه ، فقدم بغداد ، وحثّ خلقاً من الجند طلاب المشغبة على طلب آرزاقهم وفائتهم ،فاجتمعوا عليه ، وأنفق عليهم ثلاثة أيّام لطعامهم ، ومنعوا الإمام في المسجد من الدعاء للمعتزّ ، فوجّه إليهم أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر ، عدّة من قوّاده ، وآستمرّت الحرب بينهم ، حتى سقط عبدان أسيراً في يد أحد قوّاد ابن طاهر ، فقيّد بقيدين فيهما ثلاثون رطلاً ، وحبس ، ثم سحب بقيوده ، وحمل على بغل إلى الجسر (فيه مجلس الشرطة والحبس) ، وجرّد وضرب مائة سوط بثمارها ، ثم صلبه حيّاً على الجسر وربط بالحبال ، وترك مصلوباً إلى العصر ، ثمأنزل ،ومات بعد يومين ، فأعيد صلبه على خشبة في الجانب الشرقي . (الطبري ٩/ ٣٥٧ ـ ٣٦١) .

وكان ابراهيم الفزاري ، من أهل المناظرة والجدل ، ورمي بالتعطيل ،

وأشهد عيه أنّـه يستهزىء بـالله وكتابـه وأنبيائـه ونبيّه محمـد ﷺ ، وحكم عليه القاضي أبو العباس عبد الله بن طالب (تولّى القضاء بالقيـروان مرّتين ٢٥٧ - ٢٥٩ و٢٦٧ - ٢٧٥) بصلبـه ، فطعن بسكّين في حنجـرته ، وصلب منكّسـاً ، ثم أنزل بعد ذلـك ، وأحرق بـالنار . (طبقـات الاطباء والحكمـاء لابن جلجل ٨٦ و٨٧) .

وبلغ أما جور التركي ، أمير دمشق للمعتمد ، أنّ أعرابياً أهان جندياً من جنوده ، بأن نتف شعرتين من شاربه ، فأمر بالأعرابي ، فنتف شعر بدنه كلّه ، من أجفانه ، ورأسه ، ولحيته ، ومـا ترك على جسمـه شعرة ، ثم ضـربه ألف سوط ، وقطع يديه ورجليه ، وصلبه (الوافي بالوفيات ٣٧٦/٩) .

وفي السنـة ٢٨٣ أسر هـارون الخارجي ، وأدخـل إلى بغـداد ، مشهـراً على الفيل ، وأردوا أن يلبسوه ديباجاً مشهراً ، فامتنع ، وقال : هـذا لا يحلّ ، فألبسوه كارهاً ، ولما صلب ، نادى بـأعلى صوتـه : لا حكم إلا لله ، ولو كـره المشركون . (ابن الأثير ٤٧٧/٧) .

وفي السنـة ٣٠١ أحضر الحـلاج ببغداد ، واختلف فيـه النـاس ، فقسم منهم يقـول إنّه صـاحب حقيقة ، وقسم قـالـوا : إنّـه ممخـرق مشعبذ، وقسم قالوا : إنّـه ادّعى الربـوبية ، فصلب هـو وصاحبـه ثلاثـة أيّام ، كـلّ يوم من بكـرة ، الى انتصـاف النهـار ، ثم يؤمـر بهمـا إلى الحبس . (ابن الأثيـر ٧٦/٨) .

وفي السنـة ٣٠٤ خـاف النـاس ببغـداد من حيـوان كـانـوا يسمّـونـه : الزبزب ، ويقولون إنّهم يرونه في الليل على سطوحهم ، وإنّه ياكل أطفالهم ، وربّمـا عضّ يد الـرجل وثـدي المرأة فقـطعهما وهـرب بهمـا ، فكـان النـاس يتحارسون ، ويتزاعقون ، ويضربون بالطسـوت والصواني وغيـرها ليفـزّعوه ، فـارتجّت بغـداد لـذلـك ، ثم إنّ أصحـاب السلطان صـادوا ليلة حيـوانـاً أبلق

بسواد ، قصير اليدين والرجلين ، فقالوا : هذا هو الزبزب ، وصلبوه على الجسر ، فسكن الناس ، وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم . (ابن الاثير ٨/١٠٥) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، المعروف بابن أبي العزاقر ، لأنّه أحدث مذهباً جديداً ، واتّبعه أناس من الكتّاب ورجال الدولة ، فأخذ وأخذ معه ابن أبي عون ، وابن عبدوس ، وأحضرا أمام الخليفة ، فأمرهما بصفعه فمدّ ابن عبدوس يده وصفعه ، أمّا ابن أبي عون ، فمدّ يده إليه ، فارتعدت يده ، وقبّل لحية الشلمغاني ورأسه ، فأفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فصلب الشلمغاني ، وابن أبي عون ، وأحرقا بالنار (ابن الأثير ٨/٢٩٠ ـ ٢٩٢ . راجع تفاصيل محاكمتهما في معجم الادباء ١/٢٩٦ ـ ٣٠٧ .

وكان الصلب عقاب اللصوص ببغداد ، في ايام معزّ الدولة البويهي ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي في القصة المرقمة ٣/١٤١ .

وفي السنة ٣٦٩ سيّر عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل ، فنزلوا على أمان قائد الجيش ، فغدربهم ، وصلبهم على جانبي الطريق من معلثايا إلى الموصل خمسة فراسخ . (ابن الأثير ٨/٧٠٩) .

وجحد أحد العطّارين ببغداد ، وديعة أودعت لديه ، فاحتال عليه عضد الدولة حتى أقرّ بها ، وأعادها ، فصلبه على باب دكانه وعلّق الوديعة في عنقه ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصّة ٧/١٥١ ج ٧ ص ٢٦٣ .

وفي السنة ٣٨٢ تجدّدت الفتنة في الكرخ فركب أبو الفتح الحاجب وقتل ، وصلب ، فسكن البلد . (المنتظم ٧/١٦٩) .

وأمر أبو طاهر بن صمصام الدولة البويهي ، بفراش اسمه بندار ،

فصلب ، وسبب ذلك إنّ شرف الدولة كان قد اعتقل أخاه صمصام الدولة ، والد الأمير أبي طاهر ، في أحدى القلاع بفارس ، ولما أشرف شرف الدولة على الموت ، بعث رسولاً أمره بسمل عيني أخيه صمصام الدولة ، فسمله ، وكان الفراش بندار ، من جملة الموكلين بخدمة صمصام الدولة ، فأنس به لتطاول المدة ، وأسرّ أليه ، إنّه قد بقيت من نظره بقيّة ، يستطيع أن يبصر بها إبصاراً ضعيفاً ، فنقل بندار قوله هذا إلى الموكل بالقلعة وإجتمعا فحصّا عينيه بمبضع ، فحرماه البصر بمرّة ، فلما عاد صمصام الدولة ألى الملك بفارس ، أراد بندار أن يخدمه على رسمه بالقلعة التي كان حبيساً فيها ، فأمر صمصام الدولة أن يكون مع السترين، أي بعيداً عنه، فقال بندار : أهذا ما أستحقه من الملك ، بعد خدمتي له وصحبتي معه ؟ فقال صمصام الدولة : أما يرضى بالإبقاء عليه حتى يدّل بهذه الدالة ؟ وآتصل الحديث بأبي طاهر بن صمصام الدولة ، فأخذ بندار وصلبه (ذيل تجارب الأمم ١٥٠) .

وفي السنة ٣٩٢ صلب أبو حرب ، كاتب بكران ، على باب حمّام بسوق يحيى ، وجد فيه مع مزنة ، جارية بكران ، على حال ريبة (تاريخ الصابي ٤١٩/٨) .

أقول : بكران هذا توفّي سنة ٣٩١ وهو أبو الفوارس بكران بن أبي شجاع بلفوارس ، وكان عظيماً في دولة بني بويه .

وفي السنة ٤٠٧ تآمر القوّاد في خوارزم على خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون وقتلوه ، فحمي لذلك محمود بن سبكتكين ، وكان خوارزم شاه قد عاهده وصاهره ، فسار إلى خوارزم يطالب القوّاد المتآمرين بدم خوارزم شاه ، وانتصر عليهم وأسرهم ، فأخذهم وصلبهم على قبر خوارزم شاه ، وأخذ الجنود أسرى ، فأطلقهم وعيّن لهم أرزاقاً ، وسيّرهم إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء . (ابن الأثير ٢٦٥/٩) .

وفي السنة ٤٢٤ سيّر السلطان مسعود بن سبكتكين ، جيشاً ، لقتال شهريوش بن ولكين ، صاحب ساوة ، لأنّه هاجم الريّ ، وحاول آقتطاعها من ملك مسعود ، كما أنّه اعترض الحجّاج الواردين من خراسان ، وأساء إليهم ، وآذاهم ، فحاربوه ، وأسروه ، فأمر بأن يصلب على سور ساوه ، فصلب . (ابن الأثير ٤٢٩/٩) .

وفي السنة ٤٣٤ ظهر بمصر إنسان اسمه سكين ، ادّعى أنّه الحاكم الفاطمي ، واتّبعه جماعة ممن يعتقد رجعة الحاكم ، وقصدوا دار الخلافة لاحتلالها ، فقتل من أصحاب سكين جماعة ، وأسر الباقون ، وصلبوا أحياءً ، ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا . (ابن الاثير ٥١٣/٩) .

وفي السنة ٤٤٨ تقدّم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً على الشيعة ، إلى صاحب المعونة ابن النسوي ، بقتل أبي عبد الله بن الجلّاب ، شيخ البزّازين بباب الطاق « لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض » فقتل ، وصلب على باب دكانه (المنتظم ١٧٢/٨و١٧٣) .

وكان السلطان ألب أرسلان السلجوقي (ت ٤٥٥) شديد العناية بكفّ الجند عن أذى الرعية ، بلغه أنّ بعض خواصّ مماليكه ، سلب من بعض الرستاقية ، إزاراً ، فأخذ ذلك المملوك وصلبه (ابن الاثير ٧٥/١٠) .

وفي السنة ٤٦٠ قتل شنقاً ، أبو الحسن ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي ، أحد علماء الشيعة بحلب ، وكان من أكابر النحاة والقراء ، وكان يلي خزانة كتب الأمير سيف الدولة الحمداني ، وألّف كتاباً عن الإسماعيلية ، فأغضبهم ، فحمل إلى صاحب مصر ، فأمر بصلبه ، فصلب (اعلام النبلاء ٢٨٠/١ و١٩٨/٤) .

وفي السنة ٤٧٦ عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، بتحريض من قاضيهم ابن حلبة ، فقصدها شرف الدولة ، وحصرها ، ورماها

بالمنجنيق ، فخرب من سورها بدنه ، وفتح البلد ، وأخذ القاضي ، وأخذ معه ابنين له ، فصلبهم على السور (ابن الأثير ١٠/ ١٢٩ و١٣٠) .

وفي السنة ٤٨٠ أخذ أحد الأتراك ببغداد صبياً فأدخل في دبره دبّوساً فمات الصبي ، فأخذ التركي وصلب(المنتظم ١٠/ ٣٧) .

وفي السنة ٤٨٦ خطب تاج الدولة تتش لنفسه بالسلطنة ، وحارب السلطان بركياروق ، فانكسرتتش ، وأسر بركياروق قائدين من قوّاده ، وهما بوزان وآقسنقر ، فصلبهما . (التنظم ٩/ ٧٦ و٧٧) .

وعصى الشاعر أبو نصر الحسن بن أسد ، بميافارقين ، علي ابن مروان الكردي ، ففتح ابن مروان المدينة ، وأسر أبا نصر ، ثم عفا عنه بتوسّط الغسّاني ، ثم عاد في عفوه فصلبه في السنة ٤٨٧ . (معجم الادباء ٣/ ٤٧ ـ ٤٩) .

وفي السنة ٤٨٧ قتل الأمير قسيم الدولة آقسنقر ، أسره تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فقال له : لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ قال : كنت أقتلك ، فقال له تتش : فأنا أحكم عليك بمثل ما كنت تحكم به عليّ ، وقتله صبراً ، وحزن عليه أفراد رعيته بحلب ، لأنّهم أحبّوه حبّاً جمّاً ، لعدله ، ولإحيائه أحكام الدين ، ولتأمينه السبل ، وقتله قطاع الطريق ، فأنّه طلب اللصوص ، وقطّاع الطريق ، من كلّ فجّ ، وشنق منهم خلقاً ، وكان كلّما سمع بقاطع طريق في موضع ، قصده ، وأخذه ، وصلبه على أبواب المدينة (اعلام النبلاء ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢) .

وفي السنة ٤٨٨ كاتب أهل حرّان جناح الدولة الحسين بن إيتكين ، زوج أمّ السلطان رضوان بن تتش ، ليسلموا إليه مدينة حرّان ، فبلغ ذلك الأمير قراجه صاحب حرّان ، فاتّهم ابن المفتي ، أحد وجهاء حرّان ، فأخذه ، وأخذ معه ابني أخيه ، وصلبهم (اعلام النبلاء ١/ ٣٧٤) .

وفي السنـة ٥٠٠ قبض السلطان محمد السلجـوقي ، على وزيـره سعـد الملك أبي المحاسن أحمد بن نظام الـملـك ، وأخذ أمواله وصلبـه على باب أصبهـان ، وصلب معه أربعـة من أصحـابـه ، أتّهم وزيـره بـالخيـانـة ، واتّهم أصحابه بأنّهم باطنّية (ابن الأثير ١٠/٤٣٧) .

وفي السنة ٥٠٦ قبض السلطان محمد السلجوقي بأصبهـان ، علي زين الملك أبي سعد القمّي ، وكان يجاهر بـالطعن على الخليفـة والسلطان ، فلما قبض عيه أسلمه إلى الأمير كاميار ، وكان عدوّاً له ، فحمله إلى الريّ ، وأركبه على دابّــة بمــركب ذهب ، وأعلن أنّ السلطان خلع علي القمي لقــاء مــال يؤدّيه ، فحصل بذلك على أموال كثيرة من أهل القمي ، ثم صلبه (ابن الاثير ١٠/٤٩٢) .

وفي السنـة ٥١٧ صلب البرسقي أحـد قوّاد الخليفـة المسترشد ، تسعـة أنفس ، اتّهمهم بــأنّ الأميــر دبيس المــزيــدي أرسلهم لقتله . (المنتــظم ٩/٢٣٧) .

وفي السنة ٥١٨ قبض في بغداد على قـوم وصلوا في قافلة من الشـام ، واتّهموا بأنّهم باطنية ، قدموا لاغتيـال أعيان الـدولة ، فصلب اثنـان منهم عند عقد المأمونية ، واثنان بسوق الثلاثاء ، وواحد بعقد الحـديد ، وغـرّق جماعـة (المنتظم ٩/٤٥٠) .

وفـي الـسـنــة ٥١٩ قـبض الآمــر بــأحـكــام الله الـعـلـوي ، عـلـى وزيره أبي عبد الله البطائحي ، الملّقب بالمأمون ، وصلبـه وإخوتـه ، والسبب أنّ الآمر آتّهمه بالتآمر عليه ، والسعي في نصب جعفر أخي الآمر ، بدلاً منه . (ابن الاثير ١٠/٦٣) .

وفي السنة ٥٢٧ حصر المسترشد الموصل ، وكان صاحبها عماد الـدين زنكي خـارجها ، فتـآمر قـوم من الجصّاصين على تسليمهـا للخليفة ، فسعي بهم ، فأخذوا وصلبوا . (ابن الاثير ١١/٦) .

وفي السنة ٥٣٠ حكم بخلع الراشد ، فبارح الموصل ، إلى أذربيجان ، ثم مضى إلى همذان ، فأفسد جماعته بها ، وقتلوا جماعة ، وصلبوا آخرين ، وحلقوا لحى جماعة من العلماء . (تاريخ الخلفاء ٤٣٦) .

وفي السنة ٥٣٠، زاد فساد العيّارين ببغداد ، وقبض على عيارّين اثنين، جبيا درب الدوابّ ، فصلبا في باب الدرب المذكور . (المنتظم ١٠/ ٥٨) .

وفي السنة ٥٣٢ زاد تعدّي العيّارين، فجيء بأحد عشر عياراً ، فصلبوا في الأسواق ، وصلب رجل صوفي في رباط البسطامي ، لكم صبياً فمات (المنتظم ١٠/ ٧٢) .

وفي السنة ٥٣٢ قتل الشحنة ببغداد ، صبيّاً مستوراً من أهل المختارة ، فأمر السلطان بصلب الشحنة ، فصلب ، وحطّه العوام ، فقطّعوه (المنتظم ١٠/ ٧٢) .

وفي السنة ٥٣٢ عظم أمر ابن بكران العيّار بالعراق ، وكثر أتباعه ، وصار يركب ظاهراً في جمع من أتباعه المفسدين ، وخافه الوالي ، فأمر ابن أخيه حامي باب الأزج أن يستند إليه ليأمن من شرّه ، ثم فكّر ابن بكران ، ورفيق له يعرف بابن البزّاز ، أن يضربا لهما سكّة بآسمهما بالأنبار ، فأرسل الوزير إلى الوالي : إمّا أن تقتل ابن بكران ، وأما أن نقتلك ، فبعث الوالي إلى ابن أخيه ، وقل له : إمّا أن تختارني أو تختار ابن بكران ، وكان ابن بكران يزور ابن أخ الوالي ويشرب عنده في بعض الليالي ، فانتظره حتى إذا حضر أخذ سلاحه ووثب به فقتله ، ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزّاز ، وصلب ، وقتل معه جماعة من الحرامية ، فسكن الناس واطمأنوا . (ابن الاثير ١١/ ٦٣ و٦٤) .

وفي السنة ٥٣٣ تآمر بعض أمراء دمشق ، مع خادمي الأمير محمود صاحب دمشق ، وهما يوسف ، والبقش الأرمني ، فوثبا على الأمير محمود

فقتلاه ، وأعانهما عنبر الخادم ، فقبض على يوسف وعنبر فصلبا . (النجوم الزاهرة ٥/٢٦٥) .

وفي السنة ٥٣٨ زاد أمر العيّارين ببغداد ، وكثروا ، لأمنهم من الطلب ، لأنّ ابن الوزير ، وأخا زوجة السلطان ، كانا مع العيّارين ، وكان النائب في شحنكية بغداد ، مملوك اسمه إيلدكز ، وكان صارماً ، مقداماً ، فلامه السلطان ، وقال له : إن السياسة قاصرة ، والناس قد هلكوا ، فقال له : يا سلطان العالم ، إذا كان عقيد العيّارين ابن وزيرك ، وأخا امرأتك ، فأيّ قدرة لي على المفسدين ؟ وشرح له الحال ، فقال له : الساعة تخرج ، وتكبس عليهما أين كانا ، وتصلبهما ، فأخذ خاتم السلطان ، وخرج ، فكبس على ابن الوزير فلم يجده ، فأخذ من كان عنده ، وكبس على ابن قاورت ، فأخذه ، وصلبه ، وهرب ابن الوزير ، وأصبح الناس ، فشاهدوا ابن قاورت مصلوباً ، فهرب العيّارون ، وكفي الناس شرّهم . (ابن الاثير ١١/٩٥) .

وفي السنة ٥٤٣ قصد علاء الدين الغوري مدينة غزنة ، وفتحها ، وآستعمل عليها أخاه سيف الدين سوري ، وطرد عنها ملكها بهرام شاه الغزنوي ، ثم كرّ عليها بهرام شاه ، وأسر سيف الدولة ، فأشهره راكباً على بقرة ، وقد سوّد وجهه ، ثم صلبه (ابن الأثير ١١/١٣٥ و١٦٥) .

أقول : لما فتح علاء الدين الغوري غرنة ، واستعمل عليها أخاه سيف الدين ، خلع سيف الدين على أعيانها ، وأحسن إليهم ، غير أنّهم راسلوا سلطانهم السابق بهرام شاه ، فلما قصد غزنة ، ثار أهلها على سيف الدين ، وأسروه ، وسوّدوا وجهه ، وأركبوه بقرة ، وطافوا به البلد ، ثم صلبوه ، ونظموا أشعاراً غنائية في ذمّه ، فتجهّز علاء الدين الغوري في السنة ٥٥٠ وقصد غزنة ، وفتحها ، وأخذ الذين أسروا أخاه ، فألقاهم من رؤوس الجبال ، وخرّب المحلّة التي صلب فيها أخوه ، وأخذ النساء اللواتي تغنّين

بذمّ أخيه ، فأدخلهنّ حمّاماً ، وأغلقه علهنّ حتى هلكن ، وأخذ من أهل غزنة خلقاً كثيراً ، حملهم معه إلى فيروزكوه يحملون مخالي ملئت تراباً ، فبنى قلعة هناك (ابن الأثير ١١/١٣٥ و١٦٥ و١٦٦) .

وكان من جملة ما عذّب بـه نصر بن عباس ، الذي قتل الظافر الفاطمي ، أن صلب على باب زويلة حيّاً ، حتى مات . (النجوم الزاهرة ٥/٣١٠) .

وفي السنـة ٥٥١ خـالف عمـر بن أبي الحسن ، عـامـل صفـاقس بـالمغرب ، على رجـار الصقلي ، وكان رجـار أراد نصب أبي الحسن عـامـلاً على صـفاقس ، فاعتذر بالعجز ، ورشّح ولده ، فنصب رجارُ عمرَ ، وأخذ أباه أبـا الحسن رهينة عنـده ، فلما أراد أبـو الحسن الـذهـاب إلى صقليـة ، قـال لـولـده : إنّني كبيـر السنّ ، وقـد قـارب أجلي ، فمتى أمكنتـك الفـرصـةُ في الخلاف على العدوّ فآفعل ، ولا تنـظر في انّني أقتل ، وآحسبْ أنّني قـدمتُ ، فلمـا وجد عمـر الفرصـة للخلاف ، خـالف ، وقتـل جميـع عسكـر الإفـرنـج الموجودين في صفاقس في ليلة واحدة ، فاتصل الخبر بغليام بن رجار ، وكـان قـد خلف والده في حكم صقلية ، فكتب إلى عمر يـأمره بـالعودة إلى طـاعته ، ويهـدّده بقتل والـده ، فلما وصـل الـرسـول إلى صفـاقس ، أبصـر أهـل البلد بأجمعهم قد تبعوا جنازة ، فدفنوها وعادوا ، وأحضر عمر الرسول ، وقال لـه : هذه جنازة أبي ، وقـد دفنته ، فـآصنعوا مـا أنتم صانعـون ، فعاد الـرسول ألى غليـام وأخبره بمـا حصـل ، فـأخـذ أبـاه أبـا الحسن ، وصلبـه . (ابن الاثيـر ١١/٢٠٤) .

وصلب عبد المؤمن الكومي المـوحّدي ، وزيـره أبا جعفـر بن عطيّـة ، ومن غريب ما يروى أنّ الشاعر أبا بكر الأوسي ، مدح أبا جعفر بقصيدة ، قال فيها :

أبـا جعفـر نلت الـذي نـال جعفـر ولا زلـت بـالعليـا تسـرّ وتـحبر

فلما سمع الوزير هـذا البيت ، تغيّر وجهـه ، لأنّ جعفر البـرمكي ، نال قـطع العنق ، والصلب ، وكان من العجب ، انّ أبـا جعفر كـان مصيره مصيـر جعفر البرمكي ، حيث صلب . (نفح الطيب ٥٠٨/٣) .

وكـان أبـو الحسين أحمـد بن علي الغسّـاني ، الملقب بـالـرشيـد (ت ٥٦٢) ، يتعصّب لصـلاح الدين ، فقبض عليـه شاور ، الـوزيـر المصـري ، فأدخل إلى قوص ، مكبّلاً بـالحديـد ، ثم أدخل القـاهرة مشهـراً على جمل ، وعلى رأسـه طـرطـور ، ووراءه جلواز يضـربـه ، ثم صلب . (معجم الادبـاء ٤١٧/١ و٤٢٠) .

في السنة ٥٦٤ هاجم إيلدكـز ، بلاد الـريّ ، واستخلصها من صـاحبها إينانج ، بأن راسل سراً جماعة من مماليك إينانـج ، ووعدهم ومنّاهم ، فغدروا بـإينانـج وقتلوه ، وسلّموا الـريّ لايلدكـز ، فلمـا استقـرّ في البلد اطّـرح هؤلاء الجماعة الذين خانوا إينانج ، ولم يفِ لهم بما وعـدهم به ، ففـارقوه ، وذهب أحدهم إلى خوارزم شاه ، فصلبه خوارزم شاه ، نكالاً بما فعل بصاحبه . (ابن الأثير ٣٤٨/١١) .

وفي السنة ٥٦٤ صلب تسعة أنفس ، وقطعت يـد العاشر منهم (المنتظم ٢٢٦/١٠) .

وفي السنة ٥٦٨ حاصر ابن سنكا ، نهاوند ، فتحصّن أهلهـا ، وقاتلوه ، وأفحشوا في سبّه ، فـارتحل عنهـا ، ثم جاءهـا بحيلة ، ودخل إليهـا ، فقبض على القاضي ورؤساء البلد ، فصلبهم ، أمّا الوالي فقطع أنفه وأطلقـه . (ابن الأثير ٣٩٠/١١ و٣٩١) .

وفي السنـة ٥٦٩ صلب صلاح الـدين الأيّوبي ، بـالقاهـرة ، جماعـة ، تآمروا عليـه ، وبلغه أنّهم قـد كاتبـوا الإفرنـج مستعينين بهم عليه ، فـأمر بهم فأخذوا ، وقرّرهـم ، فأقرّوا ، فأمر بصلبهم ، وكان منهم عمارة اليمني الشاعـر

المؤرّخ ، وعبد الصمد ، والعويرس ، وكان بين عمارة اليمني والقاضي الفاضل عداوة منذ أيّام العاضد الفاطمي ، فلما أمر صلاح الدين بصلب الجماعة ، قام إليه القاضي الفاضل ، وخاطبه مسارّة في أمر إطلاقه ، وظنّ عمارة إنّه يحرّض عليه ، فقال لصلاح الدين : يا مولانا لا تسمع منه في حقّي ، فغضب القاضي الفاضل ، وخرج ، فقال له صلاح الدين : إنّه كان يشفع فيك ، ثم أخرج عمارة ليصلب ، فطلب أن يمرّ به على مجلس القاضي الفاضل ، ليسأله أن يشفع له ، فاجتازوا به عليه ، فقام القاضي الفاضل ، وأغلق بابه ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد آحتجب　　　إنّ الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة (ابن الأثير ١١/٣٩٨ - ٤٠١) .

وفي السنة ٥٧٢ باع تاجر متاعاً له بألف دينار فقتله مملوكه ليفرّ بالمال فقبض عليه وصلب بالرحبة ، ببغداد . (المنتظم ١٠/٢٦٥) .

وفي السنة ٥٧٣ ضرب تركيّ ، تركيّاً آخر بنشّابة ، وأتبعها بضربة سيف ، فأخذ ، وصلب . (المتظم ١٠/ ٢٧٠) .

وفي السنة ٥٨٦ غضب الخليفة على عبد الرشيد الصوفي الفقيه ، فأمر بصلبه ، فصلب (الذيل على الروضتين ٢٠) .

وفي السنة ٥٩٦ ظهر بدمشق ، شخص ادّعى أنّه عيسى بن مريم ، فأفتى الفقهاء بقتله ، فصلب (الذيل على الروضتين ١٦) .

وفي السنة ٥٩٦ صلب الأمير جمال الدين قشتمر الناصري بالحلّة ، ابن أمير خفاجة ، وقتل والده زياد بن عبيد ، وسبب قتلهما أنّ زياداً خلع عليه في ديوان الخلافة ، وسلّمت أليه حماية البلاد الفراتية ، فمضى مخلوعاً عليه ، ودخل على الأمير جمال الدين بالحلّة ، شامخاً عليه ، فقتله وصلب

ولـده ، فـأنكـرت الحـال عليـه ، وألـزم بـاداء ألفي دينـار سلّمت إلى ورثـة المقتول . (الجامع المختصر ٤٣) .

وفي السنـة ٥٩٧ قتـل الـسـديـد محمـد بن الاستـاذ ، كـاتب البدريّـة الشريفة ، بدار الخلافة ، وكان له حرمة تامّة ، وهيبة ، وسطوة على المماليك بالبدرية ، يعاقبهم ، ويؤاخذهم على الذنوب فهدّد مملوكين منهم ، وتوعّدهما بـالضرب ، فـاتّفقا على قتله ، ووقفـا له ، وقـد جاء من داره بكـرة ، ليدخـل حمّـام البدريـة ، فضربـاه بالسيـوف ، فحمل إلى داره مقتـولاً ، فتقدّم الإمـام النـاصر لـدين الله بصلب أحدهمـا وتوسيط الآخـر ، فأحضـر عزّ الـدين نجاح الشرابي جميع الممـاليك ، وفعـل بهما مـا رسم بحضورهم، وهم يشـاهدون ذلك (الجامع المختصر ٧٧) .

وفي السنة ٥٩٧ صلب ابراهيم بن محمـد بن ابراهيم ، النـاظر بـأعمال السـواد ، بالجـانب الغـربي من بغـداد ، والسبب لأنـه تكلم وهـو في الحبس بقدح في الدولة (الجامع المختصر ٤٤) .

وفي السنة ٥٩٨ سرق ثلاثة رجـال ، نورة من بعض المحـارز المختصّة بديوان الأبنية بدار الخلافة ، فأمر بهم فصلبوا (الجامع المختصر ٧٩) .

وفي السنـة ٦٠١ اتّفق ضـريـران ، عى خنق ضـريـر ثـالث ، كـان في مسجـد بقراح ابن رزين ببغـداد ، من أجل الاستحـواذ على ذهب كان معـه ، ولما خنقاه لم يجدا معه شيئاً ، فندمـا ، وأدركهما الصبـاح ، والرجـل مخنوق عندهما في المسجد ، فخرجا هاربين ، وقصـدا الجانب الغـربي ، وظهر أمـر الضرير المخنـوق ، ولم يعرف قـاتله ، وصادف أنّ بعض رجـال الشرطـة رأيا الأعميين في الطريق ، فقال أحد الرجال ، على سبيل الولع والفكاهة، هذان هما اللذان خنقا الأعمى بالمقتديّة ، فقال أحدهما ، مشيراً إلى صـاحبه : هـذا خنقه ، وقال الآخر : بل هـذا ، وأخذا ، وقـرّرا ، فأقـرّا فأخـذا إلى المسجد

الـذي حصـل فيـه الخنق ، وصلب أحـدهمـا ، وقتـل الآخـر .(ابن الأثيـر ٢٠٧/١٢ والجامع المختصر ١٤٩ ، ١٥٠) .

وفي السنة ٦٠٢ كان علاء الدين بن محمد ، ابن أخت السلطان شهاب الـدين ، قد استـولى على غـزنـة ، وطـرد عنهـا الأميـر ألـدز ، الـذي أراد أن يتسلطن فيها ، فكبس عسكر ألدز مدينة كرمان (في بلاد الأفغـان ، بين غزنـة ولها وور) وقتلوا كثيراً من الأمـراء والقوّاد في جيش عـلاء الدين ، فلمـا وصل الخبر إلى علاء الدين في غزنـة ، أمر بمن جـاءه بالخبـر ، فصلب (ابن الأثير ٢٣٥/١٢) .

وفي السنة ٦٠٥ سرقت غلّة في التاجيّة من غلّات الديوان ، فخرج قوام الـدين ، وكيل الخليفـة ، وصدر المخـزن ، إلى قريـة بريـدة في معاملة نهـر الملك ، وصلب ثـلاثة أشخـاص وهم : أبو القـاسم بن حمّـاد ، الـذي كـان ناظراً بنهر الملك ، والثاني : حامي التـاجيّة ، والثـالث : شخص يعرف بـابن زريق . (الجامع المختصر ٢٦١) .

وفي السنة ٦٠٥ شنق فضيل الخياط بدمشق ، لأنّه قتل تاجراً قزوينياً (ذيل الروضتين ٦٦) .

وفي السنـة ٦٠٥ دخل أحـد الممـاليـك ، وهـو سكـران ، إلى جـامـع دمشق ، عند أذان الصبح ، فسلّ سيفه وضـرب به جمـاعة ، مـات بعضهم ، فقبض عليـه ، وترك بـالبيمـارستـان ، وشنق آخـر النهـار . (ذيـل الـروضتين ٦٤) .

وفي السنـــة ٦٠٥ قتـل الشـــرف الفلكي ، قتله مملوكــه ، فقبض على المملوك ، وصلب بدمشق على قبر القتيل (الذيل على الروضتين ٦٤) .

وفي السنـة ٦٢٢ اتّهم الملك المعظم ، اثنين من الـدماشقـة ، بالتـآمـر

عليه ، فصلبهما منكّسين على رأسيهما ، حتى ماتا (الذيل على الروضتين ١٤٤) .

وفي السنة ٦٢٨ دخل بعض الأتراك ، إلى دار الوزارة ، في دار الخلافة ببغداد ، وبيده سيف مشهور ، ولم يكن الوزير مؤيّد الدين القمّي في الدار ، فقبض على التركي ، وضرب ضرباً مبرّحاً ، وقرّر ، فذكر إنّ له مدّة لم يصله شيء من معيشته ، وهو ملازم الخدمة ، وقد أضرّ به ذلك ، فحمله فقره ، وحاجته ، وغيظه ، على فعل ما فعل ، فصلب ، وحطّ بعد يومين (الحوادث الجامعة ٢٣) .

وفي السنة ٦٤٧ هاجم الإفرنج مدينة دمياط ،وكان رأسهم ريدفرانس فأخلاها الجيش المصري المدافع عنها ، وتركها من دون حرب ، فحنق السلطان الملك الصالح على القوّاد المذكورين ، وأمر بهم فشنقوا جميعاً . (النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٠) .

وفي السنة ٦٤٧ قتل الملك الصالح ، شنقاً ، ابن يغمور ، وأمين الدولة ، شنقهما على قلعة القاهرة (النجوم الزاهرة ٦/٣٤٩) .

أقول : هكذا ورد الخبر في النجوم الزاهرة ، وقد أورد صاحب اعلام النبلاء الخبر مع ختلاف في التاريخ والاسم ، قال :

في السنة ٦٤٨ أخرج عزّ الدين أيبك ، المستولي على الحكم بمصر ، من الحبس أمين الدولة وزير الصالح أيّوب ، وآبن يغمور استاذ داره (دار الصالح) وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح أيّوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل (اعلام النبلاء ٢/ ٢٧٣) .

أما صاحب الاعلام ، فقد أورد الخبر في ترجمة أمين الدولة ، كما يلي :

في السنة ٦٤٨ أعدم شنقاً أمين الدولة أبو الحسن بن غزال . الوزير

العالم ، الطبيب ، كان وزيراً للأمجد بهرام شاه ، بدمشق، ولما توفي استوزره الملك الصالح اسماعيل ، فلما انتقل الصالح إلى بعلبك ،أراد أمين الدولة أن يلحق بـه ، فاعتقله نـائب دمشق ، وحمله إلى مصـر ، حيث آعتقـل في قلعـة القاهرة خمس سنوات ، ثم أعدم شنقاً (الاعلام ١/٣٥٨) .

وفي السنة ٦٥٨ لما ظفـر الملك قطز بـالتتار ، دخـل إلى دمشق ، وأمر بشنق جمـاعة من المنتسبين إلى التتـار ، وكان من جملتهم حسين الكـردي ، طبردار الناصر يوسف ، وهو الذي أوقع الملك الناصر في أيدي التتار (اعلام النبلاء ٢/٢٩٥) .

وفي السنـة ٦٦٠ قتـل شخص تـاجـراً بـدمشق ، وسـرق مـالـه ، فشنق (الذيل على الروضتين ٢١٦) .

وفي السنة ٦٦٠ اتّهم خضر الكردي ، قاضي المقيس ، بـأنّه يسعى في إقامة دولة كرديّة ، فشنق بمصر (الذيل على الروضتين ٢١٧) .

وكان الملك الظاهـر بيبرس ، متشـدداً في منع شـرب الخمر ، حتى إنّـه بلغه في السنة ٦٧٤ عن الطواشي شجاع الدين عنبر ، المعروف بصدر البـاز ، وكان قد تمكّن منه تمكناً كثيراً إنّه يشـرب الخمر ، فشنقـه تحت قلعة الجبـل (خطط المقريزي ١/١٠٦) .

وصلب الملك الظاهر ، سلطان مصر ، ابن الكازروني ، عقاباً لـه على شـرب الخمر ، وعلّق في حلقـه جـرّة خمـر ، فقال ابن دانيـال (ت ٧١٠) : (الوافي بالوفيات ٣/٥٤) .

لقـد كان حـدّ الخمر من قبـل صلبه | خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصـاحبي : | ألاتُبْ فـإنّ الحـدّ قـد جـاوز الحـدّا

وفي السنـة ٦٨٠ مرّ بعض السقّـائين في القاهـرة ، بشخص ، فـزحمـه

براويته، فوسّخه ، فتقاولا ، وتماسكا ، وضرب ذلك الشخص السقّاء بسكين فقتله ، فأمر به السلطان فشنق (سيرة الملك المنصور ٨٩) .

وفي السنة ٦٨٠ مرّ بعض الأجناد بخيّاط ، فطالبه بإنجاز شيء كان أوصاه عليه، وتقاولا ، فضربه الجندي ، فقتله ، فأمر به السلطان فشنق (سيرة الملك المنصور ٨٩) .

وفي السنة ٦٨٨ وجد في الخزانة المحمولة من بغداد إلى الأوردو المعظم كيس فلوس ، أي نقود نحاسيّة ، فتقدّم بالفحص عن ذلك ، فظهر إنّ بعض حراس الديوان فعل ذلك ، فأمر بصلبه ، فصلب (في التراث العربي ٤٨١) .

وفي السنة ٦٨٩ صلب جمال الدين بن الحلاوي ، ضامن تمغات بغداد ، بباب النوبي ، وعليه ثيابه ، وسلّم إلى أهله في آخر النهار (تاريخ العراق للعزّاوي ١/٢٤٧) .

وفي السنة ٦٩٥ قبض بدمشق على فقير مولّه ، اعترف بارتكابه عدّة جرائم قتل ، فسمّر، وبقي يومين ، ثم شنق في اليوم الثالث (تاريخ ابن الفرات ٨/٢٠٥) .

وفي السنة ٧٠٦ قتل السلطان أبو ثابت المريني، سلطان المغرب، من أقاربه المنازعين سلطانه ، وممن والاهم ، ستمائة من أهل مراكش ، وصلبهم على سورها . (الاعلام ٤/٢١ و٢٢) .

وفي السنة ٧٢٣ خرج بعض المماليك ، على المجاهد الرسولي ، صاحب اليمن ، وجاهروه بالقبيح ، فقبض على جماعة منهم ، وشنق خمسة ، ثم شنق اثنين آخرين ، بعد يومين ، ثم شنق منهم بعد ذلك اثنين آخرين . (العقود اللؤلؤية ٢/١٢) .

وفي السنة ٧٢٤ قتل كريم الدين الكبير ، واسمه أكرم بن هبة الله

القبطي ، تسمّى لما أسلم عبد الكريم ، وكنّي بأبي الفضائل ، ولقّب كريم الدين ، ولما لقب ابن أخته كريم الدين أيضاً ، أضيف إلى لقبه الكبير ، تمييزاً له عن ابن اخته الذي لقب كريم الدين الصغير ، وكان قتل كريم الدين الكبير شنقاًبأسوان ، وكان قد بلغ في الدولة المصرية مبلغاً عظيماً حتى ولّاه السلطان الملك الناصر وكالته ، ثم قرّره في نظر الخاصّ ، ثم أوكل جميع أمور الدولة وأموره الخاصّة إليه ، وبلغ من رفيع المنزلة في الدولة ، ما لم يبلغه أحد قبله ، حتى إنّه وصل ما بين السلطان الملك الناصر ، والسلطان أبو سعيد ، وخطب للناصر على منبر تبريز ، ولكّن كثرة عطاياه وانعاماته على الأمراء ، بعثت الناصر على الإرتياب منه ، فاعتقله ، وصادر أمواله ، وكانت عظيمةجداً ، وأمره أن يقيم هو وولده بالقرافة ، ولا يجتمعان بأحد ، ثم نفي هو وولده إلى الشوبك ، ثم أعيد إلى القدس ، ثم حمل هووولده ألى مصر، فحبس ببرج القلعة ، ثم نفي إلى أسوان ، حيث شنق (الدرر الكامنة ١ / ٤٣٠ و٤٣١) .

وفي السنة ٧٢٥ شنق الطواشي حصير ، بأمر من السلطان المجاهد ، محمد بن طرنطاي ، أحد كبار الولاة في اليمن ، وظلّ مشنوقاً مدّة ، ثم أنزل وقبر ، بعد أن أكلت منه الكلاب . (العقود اللؤلؤيه ٢ / ٣٥) .

وفي السنة ٧٢٦ تحرك العوارين بزبيد ، باليمن ، فتولّى أمرهم الأمير الظاهر ، أمير زبيد ، وشنق طائفة منهم ، وكحل طائفة أخرى . (العقود اللؤلؤية ٢ / ٤٢) .

وفي السنة ٧٢٨ زحف المجاهد ، صاحب اليمن ، على عدن ، فدخلها ، وأمر بقتل جماعة من المماليك والشفاليت ، وأخذ الوالي والناظر والرهائن في سلسلة من حديد ، فشنق الوالي والناظر ، وغرّق الباقين (العقود اللؤلؤية ٢ / ٤٨) .

وفي السنة ٧٣٠ وجد السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، أنّ أهل تعز ، أصبحوا على أخبث ماكانوا عليه من الخلاف ، وخرق العرض ، والشتم الشنيع ، فحاربهم ، وشنق طائفة منهم في كل طريق ، وحزّرؤوسهم حتى ذلّوا ذلاً شديداً . (العقود اللؤلؤية ٢/ ٥٥) .

وفي السنة ٧٤٢ خلع الملك المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون ، ونفي من القاهرة إلى قوص ، حيث قام متولّي قوص عبد المؤمن بقطع عنقه ، وحمل رأسه إلى الأمير قوصون سرّاً ولما قبض على قوصون ، اعترف عبد المؤمن بما صنع ، فأمر الملك الناصر أحمد (أخو المنصور) بتسمير عبد المؤمن ، فسمّر بباب المارستان المنصوري بمسامير جافية شنيعة ، وطيف به ، مدّة ستّة أيّام ، وهو يحادث الناس في الليل بأخباره ، ثم شنق على قنطرة السدّ ، وأكلته الكلاب (النجوم الزاهرة ١٠/ ١٧ و٦٢) .

وفي السنة ٧٤٦ شنق الواعظ المحتسب شرف الدين أبو بكر المعروف بابن المؤيدّي نائب الوكالة باللاذقية ، خافوا بطرابلس من طول لسانه ، وآتّصاله بأعيان المصريين ، وقامت عليه بيّنة بألفاظ تقضي بانحلال العقيدة ، فحملوا قاضي القدموس المالكي ، على الحكم بقتله ، وشارك في واقعته قاضي اللاذقية المالكي أيضاً (تاريخ أبي الفدا ٤/ ١٣١) .

وفي السنة ٧٤٧ بلغ سلطان اليمن ، أنّ جماعة من المماليك الغرباء ، على وشك المناداة بابن أخيه ، الملك الفائز أبي بكر بن حسن ، سلطاناً بدله ، فاعتقل ابن أخيه في تعز ، حيث مات في سجنه بعد قليل ، ثم اعتقل جماعة من المماليك الغرباء ، وأتلفهم قتلاً ، وشنقاً ، وتغريقاً . (العقود اللؤلؤية ٢/ ٧٩ و٨٠) .

وفي السنة ٧٥٢ تحرك الطواشي جمال الدين بارع ، ضد السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، فكتب إليه الطواشي أمين الدين أهيف ، عن

سبب حركته ، فادّعى انّها بأمر الوزير فقبض عليهما ، وشنقهما . (العقود اللؤلؤية ٢/٨٧) .

وفي السنة ٧٥٢ قتل غيلة أبو جعفر الغرناطي أحمد بن سليمان بن يوسف ، المعروف بابن الحدّاد ، اغتاله بعض الشطّار لكونه وجّه الحكم عليه في استخلاص مال يتيم ، فقبض على قاتله ، وصلب بالمكان الذي فتك به فيه (الدرر الكامنة ١/١٤٩) .

وفي السنة ٧٥٨ وصل التجّار إلى اليمن ، بعّدة من الخيل ، فلما دخلوا فشال ، أخذ الأشاعر الخيل بموافقة الوالي وهو الأمير بدر الدين حسن بن باساك ، فأمر السلطان بالوالي ، فشنق . (العقود اللؤلؤية ٢/١٠٤) .

وفي السنة ٧٧٢ قبض ابن السنبلي ، بأمر من السلطان الأفضل ، صاحب اليمن ، على مشايخ القرشيين ، وأمر السلطان بتلفهم (يريد بقتلهم) ، فوسّط منهم خمسة نفر ، وسمّر ثلاثة ، وشنق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢/١٤٨) .

وفي السنة ٧٨٠ كان الأمير إسماعيل بن الأمير زكريا ، حاكم العراق ، ببغداد ذاهباً يوم الجمعة إلى الجامع الذي أنشأه ، فاغتاله مبارك شاه ، فقتله ، وقتل عمّه ، وقطع رأس الأمير اسماعيل وصلبه في جدار الجامع الذي بناه (تاريخ العراق للعزاوي ٢/١٥٨) .

أقول : وهذا الجامع إلى اليوم يسّمى : جامع المصلوب .

وفي السنة ٧٩٩ قبض في زبيد باليمن، على خمسة من مقاصرةالشام ، فأمر السلطان بشنقهم فشنقوا (العقود اللؤلؤية ٢/٢٩٠) .

وكان تيمورلنك قدنصب ولده ميران شاه على تبريز ، ثم بلغه أنّه يصرف أكثر أوقاته في اللهو والطرب والعشرة غافلاً عن أمور المملكة ، فدخل تيمور

تبريز في السنة ٨٠٢ وشنق جماعـة من أهل الـطرب من عشراء وجلسـاء ميران شاه ومنهم قطب الموصلي ، وكان أعجوبة الزمان ، وكان ميران شـاه قد أغـرم به . (التاريخ الغياثي ١٩٤ ، ١٩٥) .

ولما دخل تيمورلنك دمشق في السنـة ٨٠٣ بالأمـان ، نادى في المـدينة بـالأمان والإطمئنـان ، فاتّفق أنّ أحـد عسكره نهب شيئاً من السـوق ، فشنقـه وصلبه برأس سوق البزوريّين (شذرات الذهب ٧/ ٦٤) .

وفي السنة ٨٠٩ قتل الأمير حكيم ، وكان شديد القسوة ، شنق رجلاً في حلب ، لأنّه رعى فرسه في زرع ، وشنق آخر بسلميـة ، وشنق جنديـاً بدمشق (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٥٢) .

وفي السنة ٨١٦ اتّهم الشريف حسن بن عجلان صاحب مكّة ، جابر بن عبد الله الحراشي ، أنّه يوالي خصمه رميثة ، فاعتقله وشنق على باب الشبيكـة (الضوء اللامع ٣/ ٥١) .

وفي السنة ٨١٦ قبض بمنـى في موسم الحـجّ ، على جابـر بن عبد لله أميـر جـدّة ، وعلى ولـده محمـد ، وشنقـا بعـد المغــرب ، شنق الأب ببـاب المعلاة ، والإبن بباب شبيكة (الضوء اللامع ٧/ ٢٠٨) .

وفي السنة ٨٣٢ شنق السلطان حسين بن علاء الـدولة ، وزيـره شهـاب الدين ، في باب التمغا ببغداد (تاريخ العراق للعزّاوي ٣/ ٨٢) .

وفي السنة ٨٤٤ مات توران شاه بن تهتن شاه بن توران شـاه ، صاحب هرمز ، وكان قد دسّ له السمّ أكثر من مرّة ، وآستقر بعده ابنه مقصـود ، فدام قليلاً ثم كحل ، أي سملت عينـاه ، وخلفه المـلاّ شهاب الـدين أخ مقصود ، فشنق ، وخلفه أخوه مزعل (الضوء اللامع ٣/ ٤٥) .

ولمـا تسلطن حسن علي ، على أذربيجان ، خلفاً لـوالده جهـان شاه ، كان يحقد على زوجة أبيه بيكم خاتون ، فلما دخل تبريز ، عمـد إلى أخويهـا

قـاسم وحمزة وإلى قـومها وأهلهـا ، وإلى عدد من أقـاربـه أيضـاً ، فعـاقبهم ، وعذّبهم ، وصلبهم بأجمعهم (تاريخ الغياثي ٣٢٨) .

وفي السنـة ٨٧٧ أسر شـاه سوار الـذي كان خـرج على سلطان مصـر ، وحمل إلى القاهرة ، فأشهـر ، ثم شنق بباب زويلة ، هـو وعشرون أنسـاناً من إخوته وأقربائه ورجال دولته (اعلام النبلاء ٣/ ٧١ ـ ٧٤) .

وفي السنـة ٨٧٧ شنق بمدينـة حلب ، عثمان بن أغلبـك ، ومعـه نحـو الأربعين نفراً ، اتهموا بأنّهم قد تـواطؤوا مع السلطان حسن الـطويل ، سلطان العراق، فصدر أمر السلطان بشنقهم ، فشنقوا (اعلام النبلاء ٣/ ٧٦) .

وفي السنة ٨٨٥ قتل شنقاً عبد الله بن نصر ، بأمر من السلطان الاشرف قايتباي ، وكان قد صادره ، وطالبـه بمال ، فعجـز عن أدائه ، فشنق (الضـوء اللامع ٥/ ٧٢) .

وفي السنـة ٨٨٥ قتـل قـاسم بن بيبـرس بن بقـر ، أحـد شيـوخ العـرب بالشرقية ، وكان الأشرف قايتباي قد سجنه مدّة بـالبرج ، ثم شنقـه ، ولم يبلغ الأربعين (الضوء اللامع ٦/ ١٨٠) .

وفي السنة ٨٩٢ وردت الأخبار إلى مصر ، بأنّ شـاه بوداغ بن دلغـادر ، وكان مسجوناً بقلعة دمشق ، قد فرّ من سجنـه ، فغضب السلطان ، وأمر بشنق نائب قلعة دمشق ، فشنق (اعلام النبلاء ٣/ ٩٦) .

وفي السنة ٩١٩ وقعت حادثة بمصر ، وهي إنّ رجلاً اتّهم بأنّه زنا بأمرأة فـرفع أمـرهمـا ألى حـاجب الحجّـاب بـالـديـار المصـريـة الأميـر أنسبـائي ، فضربهما ، فاعترفا بالزنا ، ثم بعـد ذلك رفـع أمرهمـا إلى السلطان الغوري ، فأحضرا بين يديه ، وذكرا انّهما رجعا عما أقـرّا به من الـزنا قبـل ذلك ، فقعـد السلطان لهما مجلساً جمع فيه العلماء والقضاة الاربعـة ، فأقـر شيخ الإسـلام بـرهان الـدين المقدسي بصحـة الرجـوع ، فغضب السلطان لـذلـك ، وكـان

المستفتي شمس الدين الزنكلوني الحنفي وولده ، فأمر السلطان بهما ، فضربا في المجلس ، حتى ماتا تحت الضرب ، وأمر بشنق المتّهمين بالزنا على باب صاحب الفتوى ، فشنقا ، وعزل الشيخ برهان الدين والقضاة الأربعة من مناصبهم (الكواكب السائرة ١/١٠٣) .

وفي السنة ٩٢٣ قتل السلطان طومان باي ، أبو النصر ، وكان الغوري قد أنابه عنه بمصر ، لما خرج لمحاربة السلطان سليم العثماني ، فلما قتل الغوري ، نصبه المماليك سلطاناً بمصر ، فحارب السلطان سليم لما قصد مصر ، فانكسر جيشه ، واختفى ، ثم اعتقل ، وشنق بباب زويلة بالقاهرة ، (الاعلام ٣/٣٣٧) .

وفي السنة ٩٣٠ شنق الشيخ ابراهيم الصوفي الدمشقي « لأنّه اتّهم بالكيمياء » (الكواكب السائرة ١/١١٣) .

وفي السنة ٩٣٠ أشار الأمير ابراهيم المرقباني ، على أحمد باشا والي مصر ، أن يطلق شيخ العرب عبد الدائم بن بقر ، وكان مسجوناً منذ عهد السلطان الغوري ، ولما تردّد أحمد باشا في إطلاقه ، قال له الأمير ابراهيم : أطلقه بضماني وإن حصل منه خلل فآشنقني ، فأطلقه ، وضمّنه البلاد الشرقية ، فأظهر عبد الدائم العصيان ، فأمر أحمد باشا بالأمير ابراهيم المرقباني فشنق (الكواكب السائرة ١/١٥٨) .

وفي السنة ٩٣٠ قتل شنقاً ، القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان ، اتّهم بأنّه أغرى أحمد باشا على طلب السلطنة بمصر ، فلما قتل أحمد باشا ، اعتقل القاضي ابن الجيعان ، ولما أخرج لشنقه ، طلب من الجلّاد أن يمهله ليصلّي ركعتين ، فصلّى ، ثم شنق (الكواكب السائرة ١/١٥٦) .

وفي السنة ٩٤١ صلب السلطان سليمان القانوني ، ببغداد ، اسكندر جلبي الدفتري (تاريخ العراق للعزاوي ٤/٣٨) .

واتّهم إبراهيم بن خضر اللاري ت ٩٤٦ ، نزيل حلب ، أحد مماليكه ، بأنّه اختلس شيئاً من أمواله فشنقه على باب سوق الدهشة ، حيث الموضع الذي تمّ فيه الاختلاس . (اعلام النبلاء ٦/٢٦) .

وفي السنة ٩٤٤ أمر سليمان باشا ، بكلربكي مصر ، بصلب الأمير داود بن عمر أمير الصعيد ، فصلب بباب زويلة . (البرق اليماني ٧٦) .

وفي السنة ٩٤٥ جاء سليمان باشا الخادم ، الذي نصبه السلطان سليمان لطرد البرتغال من سواحل الجزيرة العربية، فلما وصل إلى عدن، فتح له أمير عدن أبوابها ، واستقبله ، فلما دخل سليمان باشا الى عدن ، ألبس أميرها عامر بن داود ومن معه خلعا ، ثم أمر بهم فصلبوا جميعاً ، ثم خرج من عدن ، متوجّهاً إلى الهند لحرب البرتغال . (البرق اليماني ٨٠ و٨١) .

وفي السنة ٩٤٧ قتل شنقاً بالقاهرة ، قاسم بن عبد الكريم الفاسي ، ناظر الأوقاف بالديار المصرية ، قبض عليه بالقاهرة ، وحبس ، ثم أخرج من حبسه ليشنق ، فرجمه الناس بالحجارة ، وهو في طريقه إلى باب زويلة ، حيث شنق هناك (الكواكب السائرة ٢/٢٤٢) .

وفي السنة ٩٦٦ شنق بدار السعادة حسين جلبي متولّي تكية السلطان سليم بالصالحية ، وشنق معه سنان القرماني وكان يلي نظارة المارستان بدمشق ثم ولي نظارة الجامع الأموي ، وانتقد على سنان إنّه باع بسط الجامع وحصره ، وإنّه خرّب مدرسة المالكية التي بقرب البيمارستان النوري وتعرف بالصمصامية ، وحصل به الضرر بمدرسة النورية ، فشنق سنان وحسين جلبي ، صلبا معاً بدار السعادة وعمامتاهما على رأسيهما ، وهما ذوا شيبتين نيّرتين (شذرات الذهب ٨/٣٤٧) .

ولما دخل محمود باشا ، والي اليمن ، إلى اليمن في السنة ٩٦٨ ، أمر

بصلب أمينْ دار الضرب ، فصلبه ، واستولى على ذخائره ، وكان غنياً . (البرق اليماني ١٢٨) .

ولما سافر محمود باشا ، بعد عزله من اليمن ، إلى مصر ، توقف في جدّه ، وكان لا يصبر عن القتل، فضاق ذرعاً ، لأنّه خلال مكثه في الحجاز لم يقتل أحداً ، وكان عنده مملوك ، اشتراه قريباً بمائتي ذهب ، فقد خنجره ، فجعل ذلك ذنباً له ، وأمر بصلبه ، فوضع في عنقه حبل ، وسحب من بين يديه ليصلب ، فتوسّط له السيد حسين القاضي وغيره ، فلم يقبل فيه شفاعة ، ومضوا به وصلبوه ، وعذّبوه في صلبه ، لأنّهم كانوا مماليك صغاراً لا يعرفون كيف يصلبون . (البرق اليماني ١٤٩) .

ولما ولي محمود باشا ، مصر في السنة ٩٦٨ ، قدمها بحراً ، فلما وصل إلى القاهرة ، قدم عليه الامير محمد بن عمر، صاحب الصعيد ، وقدّم له سفينة كبيرة مشحونة بأنواع الهدايا والتحف ، ومعها خمسين ألف دينار من الذهب ، فبمجرّد وصوله ، أمر محمود باشا بصلبه ، وأخذ جميع ما معه ، ثم صلب القاضي محمد العبادي ، كاتب الروزنامة ، وكاتب الجوالي ، ثم صلب شخصاً مغربياً، يدعى المعرفة بعلم النجوم ، كان قد تنّبأ له بأنّه لا يتولّى مصر ، فلما وصلها متولّياً أمر بصلبه . (البرق اليماني ١٥١) .

وفي السنة ٩٧٥ أمر حسن باشا ، بكلربكي اليمن ، بالفقيه عبد الوهاب المحرقي ، فشنق على باب داره (البرق اليماني ١٨٨) .

وفي السنة ٩٨٨ مات بدمشق شخص اسمه محمود بن يونس بن شاهين الأعور ، فتزوّج أحد الأجناد الدمشقيّين ، واسمه يوسف السقّا بزوجة الأعور المتوفّى ، وسافر إلى إصطنبول ، وتقدّم إلى السلطان بشكوى خلاصتها إنّ الأعور مات عن تركة مقدارها ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وليس له وارث ، فهي من حق بيت المال ، ولكنّ بعض القضاة وسمّاهم ، اتّفقوا مع الترجمان ،

واقتسموا التركة فيما بينهم ، بعد أن نصبوا له بطريق التزوير وارثاً ، فوجّه السلطان أحد موظّفي بلاطه ، وآسمه محمود البواب للتحقيق في الموضوع ، فلما وافي الشام ألقى القبض على القضاة ، وفرّ أحدهم إلى طرابلس ، فأحضره البواب وأدخله إلى دمشق وعلى رأسه قلنسوة نصراني ، وفي رجليه القيود وفي عنقه الغلّ ، أما القضاة الباقون ، فإنّ البواب وضع « الزناجير في رقابهم ، واستولى على جميع ما يملكونه ، وعاقبهم معاقبة بالغة ، ثم صادر جميع أعيان دمشق ووجوهها ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة ، فشكوه إلى السلطان فخرج الأمر السلطاني بقتله ، فأحضره الوزير حسن باشا ، والي الشام ، وعقد له مجلساً حضره القضاة ورجال الدولة ، وأحضروا من كان في حبس البواب على صورتهم ، والقيود والأغلال في أعناقهم ، ولما أحضر البواب إلى المجلس ، نزعت عنه كسوة السلطان ، وألبس قلنسوة نصراني ، وأقيمت عليه البيّنة « بتحقير العلماء » وحكم عليه القاضي بالقتل ، فأنزلوه ، ولما تحقّق البواب أنّه مقتول ، طلب إمهاله ليغتسل ، فأمهل حتى اغتسل ، وصلّى ركعتين ، وصلب في خشب الأرجوحة المنصوبة على باب دار الإمارة (خلاصة الاثر ٢/٤١ ـ ٤٣) .

وكان سليمان باشا بن قباد ، محافظ دمشق ، المتوفى سنة ٩٩٧ شديد السطوة ، ينوّع أنواع العذاب للسراق والقطّاع والزناة والمعرّصين والمزوّرين وقتل محمد بن جلال الدين العامل في التزوير ، وقتل حمدان قبل أن يدخل دمشق وهو بالمرجة ، وسلّ لسانه من تحت حنكه ، ثم شنقه في شجرة خارج باب جامع يلبغا الغربي ، وشنق ابن المعلّم البعلي نقيب الشيخ أحمد بن سليمان في الدلبة بالمرجة ، وشنق كتخدايه ابن الأصفر بالقرب من سوق القاضي داخل دمشق ، وكان من الجبّارين إلا أنّه قطع المناحيس (الكواكب السائرة ١٥٨/٣) .

وفي السنة ١٠١٠ مات عبد الحليم اليازجي ، أحد الخوارج على

الـدولة العثمـانية ، وكـان في أوّل أمره من أتبـاع الأمير درويش الـرومي حاكم صفـد ، ولمـا عـزل الأميـر عن صفـد ، حسّن لـه عبـد الحليم الخـروج على الدولة ، فأعلن خروجه ، وسيّرت عليه عدّة جيوش ، فكان الظفر لـه ، ثم بدا لـه أن يترك المخـالفة ، وأن يتـوجّه إلى الأبـواب السلطانية ، فلمـا وصل إلى إصـطنبول ، عـرض الوزيـر التقاريـر التي وصلت بشأنـه إلى الـدولـة ، فـأمـر السلطان بأن يصلب ، فصلب بثيابه (خلاصـة الأثر ٢/٣٢٢) .

وفي السنـة ١٠٤١ وافي القنقدة قسم من عسـاكر اليمن الـذين طـردهم حـاكمها قـانصوه ، فـأرسلوا إلى الشريف محمـد ، أمير مكّـة ، أن يـأذن لهم بدخول مكّة ليمتاروا وهم في طـريقهم إلى مصر ، فـأبى عليهم دخول مكّـة ، فدخلوها عنوة، وحاربوا الشريف محمـد ، وقتلوه في المعركـة ، ولما استـولوا على مكّة نصبوا الشريف نـامي بن عبد المطلب أميراً ، وأشركوا معه الشـريف عبد العزيز بن إدريس ، وراسلوا أميـر جدّة أن يسلمهـا إليهم ، فـأبى ، وقتـل رسلهم ، فحضروا جدة ، ودخلوهـا عنوة ، ونهبـوها ، وفـرّ الشريف زيـد إلى المدينة ، وكاتب السلطان بمصر ، فوجّه إليه جيشاً ، ونصبه أميراً على مكّـة ، وتقدّم الجيش المصري يريد الخوارج اليمانيّين ، فتحصّنـوا في حصن تربـه ، وكـان لهم رئيسان الأميـر علي ، والأميـر محمـود ، فخـامـر الأميـر علي على أصحـابه ، واتّفق مـع المصـريّين على أن يحقنـوا دمـه ، ويسلم إليهم الأميـر محمود ، فأمّنوه ، فآحتال حتى أسلم إليهم الأمير محمود ، فأشهروه ، وطافوا به على جمل معذّباً بالنار ، ثم صلب حيّاً بالمعلاة حتى مات ، وأخذته العـامّة فأحرقته ، ولما انتهى أمر الخوارج ، قبض على الشريف نامي وأخيه السيد ، وحبسا ، ثم صدرت فتوى العلماء بقتلهمـا ، فقتلا ، وصلبـا (خـلاصـة الأثر ٢/١٧٧) .

أقول : أورد صاحب الاعـلام ٨/٣١٩ الخبر خـلافاً لمـا سلف ، قال : في السنـة ١٠٤٢ قتل شنقـاً الشريف نـامي بن عبـد المـطلب بمكّـة ، وكـان

قانصوه باشا قد قتل أخاه الشريف أحمد ، فآنصرف نـامي إلى اليمن ، وجيّش جيشاً فتح به مكّة ، وقتـل أميرهـا الشريف محمـد بن عبد الله ، وملكهـا مائـة يوم ، ثم حاربه الشريف زيد بن محسن ، وقبض عليه فشنقه .

وفي السنة ١٠٤٦ قتل شنقـاً بإصـطنبـول ، السلطان عنـايت كـراي بن غازي ، سلطان القرم ، وكان قدولي الحكم منذ السنة ١٠٤٤ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١٠٥٢ دخل الوزير محمد باشـا ، المعروف بجـوان قبوجي باشي ، مدينة دمشق ، والياً ، فآتّفق إنّه وجد ثلاثة أنفار مقتولين قرب المدرسة الـظاهريـة ، فبذل جهـده في البحث عن القـاتلين ، حتى عثر عليهم ، وثبت عليهم القتـل ، فصلبهم على بـاب المـدرسـة المـذكـورة (خـلاصـة الأثـر ٣٠٣/٤) .

وفي السنة ١٠٥٩ قتل السلطان ابراهيم الأول العثماني، وزيـره الأول ، الصـدر الاعظم صـوفي محمد بـاشا ، فـأعـدم شنقـاً (معجم انسـاب الاسـر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنـة ١٠٨٨ في أيّام الحكم العثمـاني في العراق ، كـان يجـري صلب مـرتكبي جرائم السـرقة ، في رحبـة الجسر (تـاريـخ العـراق للعـزاوي ١١١/٥) .

وفي السنـة ١٠٩٧ أعدم شنقـاً بأمـر السلطان محمد الـرابع العثمـاني ، وزيره الأول الصدر الأعظم قره ابـراهيم باشـا (معجم انساب الاسـر الحاكمـة ٢٤٤) .

وفي السنـة ١١٣٩ قتل السلطان أحمـد بن إسماعيـل بن الشريـف ، أبـا عبد الله محمد بن العياشي ، الكاتب ، صلباً . (الاعلام ٢١٢/٧) .

وفي السنة ١١٥٦ جهز سليمان باشا العظم ، والي دمشق ، عسكراً على الظاهر عمر الزيداني ، بعد أن قبض على أخيه مصطفى وشنقه بدمشق ، ولما وصل سليمان باشا ، وحصر عكا ، مات (خطط الشام ٢/٢٩٣) .

وفي السنة ١١٥٧ بعث الوزير احمد باشا ، والي بغداد، الكتخدا سليمان باشا إلى الحلّة ، حيث قبض على غصيبيه شيخ زبيد ، ومن معه من أكابر عشيرته ، وصلبهم عند رأس الجسر . (تاريخ العراق للعزاوي ٥/٢٧٠) .

وفي السنة ١١٥٨ ملك الدالاتية قلعة دمشق ، فقاتلهم الإنكشارية ، وأمر أسعد باشا العظم ، والي دمشق ، بنهب سوق ساروجة ، وقتل العسكر أناساً ، ونهبوا البيوت ، وأحرقوا بعضها ، وصلب أشخاصاً كثيرين ، وبقيت المشنقة أياماً لا تخلو من مصلوب ، وتركت جثث المقتولين أمام السراي تأكلها الكلاب ، وسلخت رؤوسهم وجعلت أكواماً (خطط الشام ٢/٢٩٤) .

وفي السنة ١٢٠٠ حصل قحط ببغداد ، فهاج لفيف من الناس ، وحملوا علم الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وخرجوا في مظاهرة ، يصيحون : إنّ عباد الله ماتوا جوعاً ، فأمر الوزير والي بغداد بتفريقهم ، فهاجمهم الجنود ، وقتلوا بعضهم ، وأسروا آخرين فصلبهم في الحال ، وقبض على آخرين فجلدهم بالعصي ثم نفاهم إلى البصرة (تاريخ العراق للعزّاوي ٦/٩٨) .

وكان الأمير يوسف الشهابي ، حاكم لبنان ، قد أكرم احمد باشا الجزّار (ت ١٢١٩) لما كان الجزار صعلوكاً ، وأعانه حتى أصبح والياً ، فكان جزاؤه منه ، أن أمر به فشنق ، وأبقاه ثلاثة أيام معلّقاً في حبل المشنقة (خطط الشام ٣/٢١) .

وفي السنة ١٢١٦ شنق الفرنساوية ، شخصاً منهم على شجرة ببركة الازبكية بالقاهرة ، قيل أنه سرق (الجبرتي ٢/٤٧١) .

وفي السنة ١٢١٧ شنق الباشا والي مصر ، رجلاً طبجّياً (مدفعياً) بالمشنقة التي عند قنطرة المغربي (الجبرتي ٢/٥٤١) .

وفي السنة ١٢١٧ شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام (العثمانيين) أحدهم بباب زويلة، والثاني بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية ، بالقرب من جامع عثمان كتخدا ، وقتلوا أيضاً شخصاً بالنحاسين (الجبرتي ٢/٥٣٨) .

وفي السنة ١٢١٧ مرّ بالقاهرة أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاماً لرجل حلّاق ، فعارضهم الحلّاق ، فقتلوه ، فحصرهم أغات التبديل في دارهم ، وتضاربوا بالرصاص ، ونقبوا عليهم الدار من خلفهم ، وشنقوهم ، ثم أخرجوا من داخل الدار أكثر من ستّين امرأة مقتولة ، وفيهنّ من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها . (تاريخ الجبرتي ٢/٥٥٥) .

وفي السنة ١٢١٩ شنقوا بالقاهرة ، بباب الشعرية ، على السبيل ، شخصاً ، لأنّه كان يتعاطى القيادة ، ويجمع بين الرجال والنساء . (تاريخ الجبرتي ٢/٦٥٦) .

ومن عجائب جلال الدين ، والي حلب ، في السنة ١٢٢٧ ، أنّه بلغه ذات يوم إشاعة سرت في حلب ، بأنّه قد عزل من منصبه ، فأمر أعوانه بالقبض على من أشاعها ، فقبض أعوانه على واحد ، وآتّهموه بأنّه هو الذي آخترع هذه الإشاعة ، فأنكر ، وحلف لهم ، فلم يصدّقوه ، فادّعى إنّه سمعها من شخص آخر ، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص ، فأنكر ، وحلف لهم ، فلم يصدّقوه ، فعزا ذلك إلى شخص آخر ، فتركوه ، وقبضوا على ذلك الشخص ، وهكذا ، إلى أن قبضوا على شخص اسمه الحاج بدور الخيمي ، فأنكر ، ولم يعز ذلك إلى أحد ، فجيء به إلى السوق ، ونصبوا له خشبات الصلب ، واستنطقوه ، وهو يحلف لهم بالأيمان المغلّظة ، إنّه لم يقل ذلك ، ولا علم له بما قيل وبمن قال ، فلم يجده ذلك نفعاً ، وصلبوه بمحضر من الناس . (اعلام النبلاء ٣/٣٧٨) .

وفي السنة ١٢٢٨ قبض ابراهيم بك بن محمد علي باشا ، بالصعيد من مصر ، على أحمد أفندي الذي بيده دفاتر الرزق الأحباسية وشنقه (الجبرتي ٣/٣٩٢) .

وفي السنة ١٢٢٩ شنق عند باب زويلة بالقاهرة ، شخص اسمه صالح ، وآستمر معلّقاً يومين ، وسبب ذلك إنّه كان يدّعي الجذب والولاية ، وتزوّج بامرأة ، وأخذ متاعها ومالها ، وحصل لها خلل في عقلها ، فأنهوا أمره إلى كتخدا بك فأمر بحبسه ، وكثر كلام الناس في حقّه ، فأمر الكتخدا بشنقه (الجبرتي ٣/٤٥١) .

وفي السنة ١٢٣٢ شنق بباب زويلة شخص ، بسبب « الزيادة في المعاملة » وعلّقوا بأنفه ريال فرانسة ، وخزم المحتسب آناف وأشخاص من الجزّارين ، وعلّق في آنافهم قطعاً من اللحم ، بسبب الزيادة في ثمن اللحم (الجبرتي ٣/٥٦١) .

وفي السنة ١٢٣٢ طلب المحتسب بالقاهرة ، حجّاجاً الخضري الشهير بنواحي الرميلة ، فأخذه إلى الجمالية ، وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة ، وكان شنقه وقت السحور ، وتركوه معلّقاً إلى مثلها من الليلة القادمة ، وكان حجّاج مشهوراً بالإقدام والشجاعة ومكارم الأخلاق (الجبرتي ٣/٥٦٤) .

وفي السنة ١٢٣٢ شنق بالقاهرة عدّة أشخاص في أماكن متفرّقة ، قيل إنّهم سرّاق وزغليّة (الجبرتي ٣/٥٦٧) ثم شنقوا خمسة آخرين قيل إنّهم حرامية (الجبرتي ٣/٥٦٩) .

وفي السنة ١٢٣٧ (١٨٢١م) قتل عسكري جزائري في جبل مزاية ، فطالب الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، سكّان تلك المنطقة ، بإحضار الذين اتّهموا بالقتل ، فآمتنعوا ، فبعث من قبض على جماعة منهم ، وصلبهم جميعاً في يوم واحد (مذكرات الزهار ١١١) .

وفي السنة ١٢٥٧ توجّه ابراهيم باشا ، بن محمد علي باشا ، إلى حران ، فخرج شيخ البلد لاستقباله ، فقال له ابراهيم باشا : لازم ذخاير ، فقال له : أفندم ، مقدّمين سابقاً قمح هلقدر ، والآن ما بقي عندنا شيء ، فلما سمع كلامه أمر عليه بالشنق ، فشنقوه حالاً (مذكرات تاريخية ٢٢٨) .

وفي السنة ١٢٨٦ حصلت فتن من العشائر ، فألقت السلطة القبض على الشيخ دنان رئيس عفك ، والشيخ بدوي رئيس الدغّارة ، وصلبتهما على جسر الديوانية ، كلّ واحد على أحد رأسي الجسر (تاريخ العراق للعزاوي ٢١٢/٧ و٢٢٠) .

وفي السنة ١٢٨٦ حصلت وقعة الوالي في جبال العلويّين ، وسببها إنّ طائفة الكلبية ظهرت فيها « شقاوة » فجيّش الدولة عليها جيشاً من عشرة آلاف ، فرابط في قرية الجديدة ، وأرسل يطلب مقدّمي الكلبيّة ووجده العلويين ، وقبض عليهم جميعاً ، ثم أحرق دورهم ، وقراهم ، وعذّب جميع الطوائف العلويّة ، ثم أحالهم على مجلس إداري في جبلة ، فشنق ثلاثة من أعاظم الكلبيين ، وشنق آخر من بني علي ، وسجن الباقين (خطط الشام ١٠٠/٣) .

وفي السنة ١٢٨٨ أسر عبد الكريم ، رئيس عشيرة شمّر ، وحوكم علناً في بغداد ، فحكم عليه بالإعدام ، وأرسل إلى إصطنبول ، وفي الموصل ورد الأمر بإعدامه ، فصلب هناك (تاريخ العراق للعزاوي ٢٦٣/٧) .

وفي السنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ، شنق في رأس القرية كل من شكوري التاجر ، وعزيز شماس جرجيس ، وسليم شماس جرجيس ، وكامل عبد المسيح ، لاتّهامهم بالتجسّس . (تاريخ العراق للعزاوي ٢٧٧/٨) .

وفي السنة ١٣٣٤ (١٩١٦) أعدم جمال باشا السفّاح ، نخبة من أحرار

العرب ، شنقاً ، ببيروت ودمشق ، منهم انطون بن نسطاس زريق وتوفيق أخوه ، وتوفيق أحمد البساط ، ورفيق رزق سلوم ، وسعيد فاضل بشارة عقل ، والقائد سليم الجزائري ، وشفيق المؤيد ، وشكري العسلي ، وعارف الشهابي ، وعبد الحميد الزهرواي ، وعبد الغني العريسي ، وعمر حمد ، وعبد الكريم الخليل ، وعلي محمد الارمنازي ، وفليب وفريد الخازن ،وعبد الوهاب الإنكليزي ، (الاعلام ٣٦٨/١ و٧٥/٢ و٥٧/٣ و١٥٢ و١٨٠ و٢٤٦ و٢٥٠و٩/٤ و١٠ و٥٧ و١٦٠ و١٧٨ و٣٣٢ و١٧٢/٥ و٣٧٦) .

وفي السنة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) هاجم الضابط التركي عاكف ، مدينة الحلّة ، وقبض على مائة وستّة وعشرين رجلاً من رؤسائها ، فقتلهم شنقاً ، وهدم مساكنهم ، وأمر بنسائهم وأطفالهم ، فنفاهم إلى بلاد الأناضول (الشبيبي الكبير ٣٨) .

وفي السنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) أعدم شنقاً بالقاهرة ، المحامي شفيق منصور ، وكان قد أسّس جمعية آغتالت مصريّين ، وختمت أعمالها باغتيال السردار لي ستاك الانكليزي ، سردار الجيش المصري (الاعلام ٢٤٧/٣ و٢٤٨) .

وفي السنة ١٣٥٠ (١٩٣٠م) أسر الإيطاليّون ، بالجبل الأخضر ، في طرابلس الغرب ، المجاهد عمر المختار ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقتلوه شنقاً . (الاعلام ٢٢٧/٥) .

أقول : إنّ إعدام شيخ مجاهد ، شنقاً وهو ابن خمس وسبعين سنة ، سجّل لتاريخ إيطاليا في عهد موسوليني ، خزياً لا يمحى ، وقد بلغنا في حينه إنّ أتباع موسوليني لم يكتفوا بذلك ، بل أخذوا جثّة هذا الشيخ بعد شنقه وحملوها في طبّارة ثم ألقوها من الجّو ، فأضافوا إلى لؤم القدرة ، جريمة المثلة .

أقول : الخبر المتواتر عندنا أنّ الإيطاليين بعد أن شنقوا الشهيد عمر المختار ، وقد تجاوز السبعين من سنيه ، حملوا جثمانه في طائرة علت ثم رموا بالجثمان منها إلى الأرض ، ولكنّ السيد محمد المنصف ، من ليبيا ، كتب في مجلة العربي الكويتية العدد ٢٧٩ الصادرة في شباط ١٩٨٢ ذكر أنّه حضر محاكمة الشهيد عمر المختار طيّب الله ثراه ، وحضر الإحتفال الذي أقامه الإيطاليّون باعدامه شنقاً ، وإنّه لما وضع الحبل في عنقه ، انقطع ، وسقط الشهيد على الأرض ، فقال مستهزئاً : يلعن بوكِ دولة ، حتى حبالها بايدة ، فجيء بحبل آخر تمّ أعدامه به ، وذكر إنّه سأل الذي تولّى دفن الشهيد عما أبصر في بدنه من آثار العنف ، فأخبره بأنّ البدن كان سليماً من آثار العنف ما عدا أثر طلقة نارية في كتفه .

وفي السنة ١٣٦٦ (١٩٤٦) ، أعدم شنقاً سلمان المرشد ، بدمشق ، آتّهم بعصيان الحكومة الوطنية . (الاعلام ٣/ ١٧٠) .

الفصل الثالث

الغمّ

وهو اللون الثالث ، من ألوان القتل بكتم النفس .

والغمّ في الاصل : التغطية ، ثم صرفت إلى كتم النفس بشيء يوضع على الفم ، فيمنع وصول الهواء إلى الصدر .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، على ما بلغنا ، النعمان بن المنذر ، إذ حبس عديّ بن زيد ، ثم بعث إليه من غمّه ، حتى مات (الاغاني ٢/١٢١) .

وكتب معاوية إلى عامله بالعراق ، أن يعذّب عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فألقى على وجهه حريرة ، ونضحها بالماء ، فكانت تلتزق بوجهه ، فيغشي عليه . (الطبري ٥/١٧٦و١٧٧) .

وكان مروان ، قد أخذ البيعة لنفسه ، ثم لخالد بن يزيد ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ، فلما آستقرّ في موضعه ، بدا له ، فجعلها لابنه عبد الملك ، ثم لابنه عبد العزيز ، فدخل عليه خالد بن يزيد ، فكلّمه ، وأغلظ له ، فغضب مروان ، وقال له : أتكلمني با ابن الرطبة ، يعيّره بأمّه وكان قد تزوّجها ليضع منه ، فدخل خالد إلى أمّه ، فحدّثها بما قال مروان ، فقالت : لا يعيبك بعدها ، ثم إنّه لما دخل عندها وضعت على متنفّسه وسادة ، وقعدت هي وجواريها فوقها . حتى مات . (اسماء المغتالين ١٧٤ والاغاني ١٧/٣٤٦ والعقد الفريد ٤/٣٩٨ ومروج الذهب ٢/٦٩) .

وفي السنة ٧٢ خرج عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، على رأس جيش لقتال الخوارج ، فظفر به الخوارج ، وقتلوا من جيشه مقتلة عظيمة ، وسبوا النساء ، ومنهنّ امرأته أمّ حفص بنت المنذر بن الجارود ، وأخذوا أسارى لا يحصى عددهم ، فقذفوهم في غار ، بعد أن شدّوهم وثاقاً ، ثم سدّوا عليهم بابه ، حتى ماتوا فيه (شرح نهج البلاغة ٤/١٧٤) .

وحبس مروان الجعدي ، آخر الحكّام الأمويين ، ابراهيم الإمام العباسي ، بحرّان ، ثم أمر به فغمّ في جراب طرحت فيه نورة ، وجعل رأسه في الجراب ، وسدّ عليه إلى أن مات (مروج الذهب ٢/١٩٣ وكتاب المغتالين ١٨٧ ووفيات الاعيان ٣/١٤٧) .

ولما اشتدّ أمر أبي مسلم الخراساني ، بعث مروان الجعدي ، جماعة من مواليه ، إلى حبسه بحران ، فأخذوا عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وجعلوا على وجهيهما مخادّاً ، وقعدوا فوقها ، فآضطربا ، ثم بردا (مروج الذهب ٢/١٩٢ و١٩٣) .

وفي السنة ١٢٩ قبض أبو مسلم الخراساني ، علي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فحبسه ، ثم خاف غائلته ، فأمر ، فوضع على وجهه فراش ، حتى مات (ابن الاثير ٥/٣٧٣) .

وقتل يزيد بن المهلب ، يوم العقر ، وجد قتيلاً بلا طعنة ولا ضربة ، أنسدّت أذناه ومنخراه وامتلأ فمه بغبار العسكر ، فمات ، فلا يعرف مثله قتيل غبار . (معجم الادباء ١/٢٦٠) .

واتّهم المهدي العباسي ، يعقوب بن الفضل ، من بني هاشم ، بالزندقة ، فحبسه ، فلما صار الأمر إلى موسى الهادي ، أرسل إلى يعقوب في حبسه ، من ألقى عليه فراشاً ، وأقعد عليه الرجال حتى مات ، ثم لم يأمر فيه

بشيء ، وكان ذلك في يوم شديد الحرّ ، حتى انتفخ وأروح ، فقال الهادي : إبعثوا إلى أخيه إسحاق ، فخبروه إنّه مات في السجن ، وجعل في زورق ، وحمل إلى اسحاق ، فنظر ، فإذا ليس فيه موضع للغسل ، فدفنه في بستان له ، وأصبح فأرسل إلى الهاشميين يخبرهم بموت يعقوب ، ويدعوهم إلى الجنازة ، وأمر بخشبة فعملت في قدّ الإنسان ، وغشيت قطناً ، وألبست أكفاناً ، فلم يشكّ أحد ممن حضر إنّه شيء مصنوع (الطبري ٨/١٩١) .

وذكر أنّ الهادي العباسي ، مات مختنقاً بغمّ وجهه ، وكان مريضاً ، فأمرت الخيزران جواريها بالجلوس على وجهه حتى مات (الطبري ٨/٢٠٦ والعيون والحدائق ٣/٢٨٨) .

أقول : أوردت في موضع آخر من هذا الكتاب ، أنّي لا أميل إلى تصديق الرواية القائلة بأنّ الخيزران قتلت ولدها ، لأنّ الهادي كان مريضاً ومات ، ومحبّة الأمّ ولدها تحول دون تصديق هذه التهمة ، ولم أكن في حاجة إلى تكذيب هذه الرواية ، لولا أنّ أكثر من مؤرّخ تورطّ في إثباتها في تاريخه .

وفي السنة ١٧٦ مات بكار بن عبد الله الزبيري ، بأنّ غمّ وجهه ، قام بذلك زوجته وغلامان زنجيان من غلمانه ، وسبب ذلك أنّ بكار كانت له زوجة ، فآتخذ عليها جارية ، فأغارها ، فأغرت غلامين زنجيين له بأن يعاوناها على قتله ، فدخلت عليه وهو نائم ، وهما معها ، فقعدا على وجهه حتى مات (الطبري ٨/٢٤٦) .

وقتل الامام موسى الكاظم ، بأن لفّه السندي بن شاهك في بساط ، وقعد الفرّاشون على وجهه ، فمات . (مقاتل الطالبيين ٥٠٤) .

وروي في موت المهتدي ، إنّه كبس عليه بالبسط والوسائد ، حتى مات . (مروج الذهب ٢/٤٦٤) .

وبلغ المعتز في السنة ٢٥٢ عن أخيه المؤيّد ، أنّه يدبّر عليه ، فحبسه ،

وحبس شقيقه أبا أحمد الملقّب بالموفّق ، والمؤيّد والموفق شقيقان ، لأب وأمّ ، وطالب المعتزّ أخاه المؤيّد ، بأن يخلع نفسه من ولاية العهد ، وضربه أربعين عصا ، فأجاب ، وأشهد على نفسه بالخلع ، ثم بلغ المعتزّ ، أنّ قوماً من الأتراك يتعصّبون للمؤيد ، فأمر به فأدرج في لحاف ، وشدّ طرفاه حتى مات فيه . (ابن الأثير ١٧٢/٧ والطبري ٣٦٢/٩ ومروج الذهب ٤٥٥/٢) .

وروي صاحب العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ١٣٣ خبراً طريفاً عن موت المعتمد ، فذكر أنّ المعتضد دسّ إلى جواري عمّه المعتمد بقتله ، فوضعن سمكاً صغاراً في خابية كبيرة ، وقلن للمعتمد ـ وكان سليم القلب ـ انظر إلى هذا السمك ، فأشرف عليه ، وأدخل رأسه في الخابية ، فرفعن رجله ورمينه في الخابية ، فمات (العيون والحدائق ٤٥ ق ١ ص ١٣٣) .

ومن جملة ألوان العذاب التي كان يمارسها المعتضد ، أن يأمر بمن يعذّبه فتحفر له حفرة بحضرته ، ثم يدلّى رأسه فيها ، ويطرح عليه التراب ، ونصفه الاسفل ظاهر ، فوق التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (مروج الذهب ٤٩٦/٢) .

وذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٥٢ في القصة ٧٧/١ ووردت القصّة في مروج الذهب كذلك ٥٠٧/٢ ، أنّ المعتضد أمر برجل فسدّ بالقطن أنفه ، سدّاً محكماً ، وكذلك فمه ، وعيناه ، وأذناه ، وذكره ، ومنخراه ، وسوءته ، ثم كتّف وترك ، فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه ، ومات .

وذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٥١ في القصة رقم ٧٦/١ أنّ المعتضد عذّب وزيره اسماعيل بن بلبل بأن اتخذ له تغاراً كبيراً ، وملىء إسفيداجاً حيّاً ، وبلّه ، ثم جُعِلَ بالعجل رأس إسماعيل فيه ، إلى آخر عنقه ، وشيء من صدره ، وأمسك حتى جمد الاسفيداج ، فلم تزل روحه تخرج بالضراط حتى مات .

وزاد المسعودي في مروج الذهب ٤٩٣/٢ على ما تقدّم : بأنّ المعتضد عذّب وزيره إسماعيل بن بلبل بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غلّاً فيه رمانة حديد ، والغلّ والرمانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبّة صوف قد صيّرت في ودك الأكادع ، وعلّق معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

وفي اسنة ٣٠٩ صرف تكين عن مصر ، فبارحها ، فقال ابن مهران :

وليت ولايةً وعزلت عنها كما قد كنت تعزل من تولّي
رحمتك يا أبا منصور لما خرجت كذا بلا عَلَمٍ وطبل

فلما وليها تكين بعد ذلك ، أمر فرّاشاً ، فضم ابن مهران ضمّة كانت فيها نفسه (الولاة للكندي ٢٧٨) .

وفي السنة ٤٢٢ قتل أبو علي الحسن بن ماكولا بالأهواز ، قتله غلام له يعرف بعدنان ، كان يجتمع بامرأة من داره ، ففطن لهما ، فخافاه ، وساعدهما فرّاش كان في داره ، فاجتمعوا عليه وغمّوه بشيء ، وعصروا خصاه حتى مات ، وأظهروا أنّه مات فجأة ، ثم أخذوا ، فأقرّوا ، فصلب الرجلان وحبست المرأة . (النجوم الزاهرة ٢٧٤/٤) .

وفي السنة ٥٤٨ لما استولى الغزّ على نيسابور ، ودحروا السلطان سنجر السلجوقي ، أخذوا محي الدين أبا سعد النيسابوري ، ودسّوا في فمه التراب حتى مات . (وفيات الاعيان ٢٢٤/٤) .

وفي السنة ٥٤٨ قتل الغز ، لما دخلوا مرو ، الطبيب المروزي أبا علي الحسن بن علي القطّان ، قبضوا عليه ، فأخذ يشتمهم ، فألقوا في فمه التراب ، وحشوه به فمات . (الاعلام ٢١٩/٢) .

وفي السنة ٦٥٦ فتح هولاكو التتاري ، بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم وولده ، قيل خنقاً ، وقيل بالغمّ في بساط ، وقيل جعل ، هو وولده ، في عدلين ، ورفسا ، حتى ماتا . (النجوم الزاهرة ٥٠/٧ و٥١) .

وكان من جملة ألوان العذاب التي عذّب بها زبانية تيمورلنك الناس في دمشق، انّهم كانوا يشدّون يدي الرجل إلى ظهره ، ثم يربطون في عنقه حبلاً ، ويلونه ليّاً عنيفاً ، ثم يلقى على ظهره ، ويغّم بخرقة فيها رماد سخن (بدائع الزهور ١/٣٣٤) أو بخرقة فيها تراب ناعم ، فكلما تنفسّ المعذّب ، تخلّل التراب خياشيمه ، حتى إذا كادت نفسه أن تزهق ، خلّي عنه حتى يستريح ، ثم يعاد تعذيبه (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٥٤) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل إبراهيم باشا بن عبد المنان الدفتر دار بدمشق ، وأحد كبرائها ، وسبب ذلك إنّ الوزير أحمد باشا المعروف بالكوجك لما قدم حاكماً بدمشق ، حصل بينه وبين إبراهيم باشا منافسة ، فعرض أمره إلى الأبواب السلطانية ، فجاء الأمر بمحاسبته ، فعيّن أحد خصومه لمحاسبته ، « فأطلع » في ذمّته أموالاً كثيرة ، وحبس ، وقبض جميع ما يملكه ، ثم أمر بقتله سراً ، فغمّ بالماء ، وقيل عصرت مذاكيره ، وقيل وضعت على وجهه الوسادة حتى مات ، وأشيع إنّه مات فجأة (خلاصة الأثر ١/٣٠) .

الفصل الرابع

التغريق

وهو اللون الرابع من ألوان العذاب بكتم النَفَس، ويتم بتغطيس المعذّب في الماء حتى يختنق .

وأوّل من مارس هذا العذاب، فيما بلغنا بسر بن أبي أرطأة العامري ، أحد أتباع معاوية ، بعث به معاوية بن أبي سفيان إلى الحجاز واليمن ، لقتل أنصار الإمام علي بن أبي طالب ، فقتل بها مقداراً عظيماً من المسلمين ، ووجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئر لهم ، فألقاهم في البئر (الطبري ١٧٦/٥) .

ومارس هذا اللون من العذاب ، من بعد ذلك ، أحد العمّال الظالمين ، وهو أسامة بن زيد التنوخي ، كان عاملاً على مصر للأمويين ، قبل ولاية عمر بن عبد العزيز ، وكان غاشماً، يقطع الأيدي ، ويشقّ اجواف الدوابّ ، ويدخل فيها القطّاع ويطرحهم للتماسيح ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الصالح ، كتب بعزله ، وأن يحبس ويقيّد ، وأن يحلّ عنه القيد عند كلّ صلاة ، ثم يردّ في القيد ، فحبس مدّة ولاية عمر ، فلما خلفه يزيد بن عبد الملك ، ردّ أسامة على مصر . (سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٤) .

ثم مارس هذا اللون من العذاب المهديّ العباسي ، فإنّه في السنة ١٦٦ طلب من سمّاهم : الزنادقة ، فقتل ، وسبى ، وغرّق خلقاً منهم . (العيون والحدائق ٢٧٩/٣) .

وروي أنّ المستعين العبّاسي ، غرّق ، بأن رُبِطَ في رجله حجر ، وألقي في دجلة (تاريخ ابن خلدون ٣/٢٩١) .

وكان أبو العبر الهاشمي ، المتكسّب بالسفاهة والرقاعة ، شديد البغض للإمام علي بن أبي طالب ، وله في العلويّين هجاء قبيح ، وكان سبب هلاكه إنّه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيّين ، يقول في الإمام قولاً قبيحاً ، استحلّ به دمه ، فغرّقه في بعض الآجام . (الأغاني ط بولاق ٢٠ /٩٣) .

وبلغ الحسن بن زيد العلوي ، أنّ الحسين بن أحمد الكوكبي ، وعبيدالله بن الحسن ، العلويّين ، يريدان الخلاف عليه ، فدعا بهما ، وأغلظ عليهما ، فردّا عليه ، فأمر بهما ، فديست بطناهما ثم ألقاهما في بركة ، فغرقهما، فماتا جميعاً ، ثم أخرجا ، فألقيا في سرداب ، فلم يزالا فيه ، حتى دخل الصفّار البلد ، فأخرجهما ودفنهما . (مقاتل الطالبيّين ٧١٢- ٧١٣) .

وفي السنة ٢٠٣ كان السريّ ، عامل مصر للمأمون ، يخاف قوماً من وجوه الجند ، فأجمع على التخلّص منهم ، فجمعهم وأخبرهم أنّ رسولاً قد قدم من طاهربن الحسين ، وأشار عليهم أن يتلقّوه ، فخرجوا في النيل ، وخرج معهم في مركب غير مركبهم ، وحمل معهم أخاه اسماعيل بن الحكم ، وجعل في باطن المركب غلاماً له ، وأمره أن يخرق المركب ، ففعل الغلام ذلك ، فغرقوا ، ومعهم أخوه ، وأخرجوا أمواتاً . (الولاة للكندي ١٧١) .

وحقّق المعتضد ، مع ملّاح اتّهم باغراق امرأة ، فاعترف بإغراقها، فأمر بتغريقه ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار الحاضرة للتنوخي ج ٤ ص ١٢٦ القصة رقم ٤/٥٩) .

وأوقع القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وزير المكتفي ، بثلاثة

من الكتّاب ، هم محمد بن غالب الأصبهاني ، صاحب ديوان الرسائل ، ومحمد بن بشار ، وابن منارة النصراني ، لشيء بلغه عنهم ، فأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم إلى البصرة ، وكان آخر العهد بهم ، وذكر أنّهم غرّقوا في الطريق ، وفي ذلك ، يقول علي بن بسّام :

عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المناريّ ما ذنبه؟ ودينكما واحد لم يزل

وقوله : دينكما واحد ، لأنّ آل وهب كانوا نصارى وأسلموا (مروج الذهب ٢/٥٢٨) .

وفي السنة ٣٢٩ استولى القائد التركي أبو شجاع كورنكيج ، على الأمور ببغداد ، ولقي الخليفة المتّقي ، فقلّده إمارة الأمراء ، وعقد له لواء ، وخلع عليه ، وقبض على تكينك، وغرّقه ليلاً (تجارب الأمم ٢/١٨ وابن الأثير ٨/٣٧٥) .

وفي السنة ٣٣٨ مات أبو جعفر النّحاس النحوي ، غرقاً في النيل ، جلس على درج المقياس بالنيل يقطع شعراً بالعروض ، فسمعه جاهل ، فقال : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ، فدفعه برجله في النيل ، فمات غرقاً . (الوافي بالوفيات ٧/٣٦٤) .

وكان أحد رجال معز الدولة ، تعهّد له أن يقتل خصمه ناصر الدولة الحمداني، غيلة ، وقصده ، ودخل إلى خيمته ليلاً ، فتأمّل موضع رأسه ، وأطفأ شمعة كانت مشعلة ، ثم طعن بخنجره رأس ناصر الدولة بأقصى قوته ، وخرج ، وصادف أنّ ناصر الدولة كان قد حوّل رأسه وهو نائم ، فغاصت الطعنة في الوسادة ، ونجا ناصر الدولة ، ولما عاد الرجل إلى معزّ الدولة ، يريد الجائزة، أسلمه إلى وزيره الصيمري ، وقال له : من يقدم على الملوك هذا الإقدام ، لا يجوز استبقاؤه ، فأخذه الصيمري ، وغرّقه (وفيات الأعيان ٢/١١٥) .

وذكر أنّ البريدي ، غرّق أبا نصر الخبزأرزي ، الشاعر البصري المشهور ، لأنّه هجاه ، وقيل : بل هرب من البصرة ولحق بالأحساء وهجر ، بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن ، صاحب البحرين (مروج الذهب ٥٨٣/٢).

وفي السنة ٣٤٥ عصى القائد الديلمي روزبهان ، على معزّ الدولة البويهي ، فحاربه ، وأسره ، وأخرجه ليلاً ، وغرّقه بنهر دجلة ببغداد ، أسفل دار الخليفة ، وكان روزبهان من قوّاد معز الدولة ، فاتّفق مع أخويه بلكا وأسفار ، وخرجوا سوية ، خرج أسفار بالأهواز ، ولحق به روزبهان ، وخرج أخوهما بلكا بشيراز ، وكان المهلّبي وزير معزّ الدولة بالأهواز ، فأراد محاربة اسفار ، فانحاز الديلم الذين معه إلى أسفار ، وبلغ الخبر معزّ الدولة ، فلم يصدّقه ، لكثرة إحسانه إلى روز بهان ، ولما تحقّق بأنّ الديلم بأجمعهم قد انحازوا إلى روزبهان ، ترك معزّ الدولة بغداد ، قاصداً الأهواز ، ثم تبعه الخليفة المطيع ، لأنّ ناصر الدولة الحمداني ، لما بلغه أنّ معزّ الدولة ترك بغداد ، انحدر يريد الإستيلاء عليها ، فأعاد معزّ الدولة قائده سبكتكين الحاجب لحفظ بغداد ، واستمرّ معزّ الدولة ، وجلّ اعتماده على جنده الأتراك ، ولما صافّ روزبهان وديلمه ، عبأ اصحابه كراديس، وتناوبت الحملات الى غروب الشمس ، وأحسّ معز الدولة بأنّ الأمور لا تجري وفق رغبته ، فبكى بين يدي أصحابه ، وذمرهم، وطلب منهم أن يجتمعوا كراديس، وأن يحملوا حملة رجل واحد ، وهو في أوّلهم ، فطالبوه بالنّشاب ، وقالوا له : قد بقي لدى صغار الغلمان بعض النشاب ، فأمرهم بأخذه، وأشار إلى الغلمان الصغار لكي يعطوهم النّشاب ، فظنّ الغلمان أنّ معزّ الدولة يأمرهم بالحملة، فحملوا وهم مستريحون، جامّون، فصدموا صفوف روزبهان فخرقوها ، وألقوا بعضهم على بعض ، وحمل معزّ الدولة فيمن معه ، فكانت الهزيمة على روزبهان وأصحابه ، وأسر روزبهان، وجماعة من

قواده ، وقتل منهم كثير ، وعاد معزّ الدولة إلى بغداد ظافراً ، ومعه روزبهان أسيراً ، فغرّقه ليلاً (ابن الأثير ٨/٥١٤ـ ٥١٦).

وفي السنة ٣٩٢ زاد أمر العيارين ببغداد ، وقتلوا النفوس ، وواصلوا الحملات ، وأشرف الناس منهم على خطّة صعبة ، فعوّل بهاء الدولة البويهي، على عميد الجيوش أبي علي الحسن بن استاذ هرمز ، فقدم بغداد ، وطلب العيّارين من العلويّين والعبّاسيّين ، فإذا قبض عليهم ، قرن العلويّ بالعباسّي ، وغرّقهما نهاراً بمشهد من الناس ، وقبض على جماعة من الحواشي الأتراك، والمتعلّقين بهم ، من المشتهرين بالتلصّص فغرّقهم أيضاً ، وتتبّع العيّارين في البلاد ، فكفى الله شرّهم ، وأزال عن الناس ضررهم . (المنتظم ٧/ ٢٢٠و تاريخ الصباي ٨/ ٤٣٩).

وفي السنة ٤٢٥ قبض معتمد الدولة قراوش بن المقلّد العقيلي ، صاحب الموصل والأنبار ، على البرجمي مقدّم العيارين ، وغرّقه (ابن الأثير ٤٣٨/٩ والمنتظم ٧٩/٨) أقول : البرجميّ ، عيّار بغدادي ، عظم شأنه ببغداد ، لاختلال الأمن فيها ، وضعف السلطة الرادعة ، فرأس جماعة من العيّارين ، وواصل الحملات والكبسات على الدور والمخازن ، وأهلك الناس ، وبلغ به الحال، أنّ جماعة من الأصفهسلارية المسؤولين عن الأمن ، خرجوا إليه، وواكلوه، وشاربوه، وأصبح اسمه عند البغداديّين : القائد أبو علي ، وفي إحدى الجمع ، ثار العوام في جامع الرصافة ، ومنعوا الخطيب من الخطبة ، ورجموه ، وقالوا : إن خطبتَ للبرجميّ ، وإلاّ فلا تخطب لخليفة ولا لملك، وبلغ من سلطان البرجميّ ،إنّه فرض على عامل المأصر ، بقطيعة الدقيق ، أن يؤدي إليه في كلّ شهر عشرة دنانير من الإرتفاع ، وأن يطلق له سميريتين كبيرتين بدون اعتراض ، وكان مع هذا ، فيه فتوّة، وله مروءة، لم يعرض لامرأة ، ولا إلى من يستسلم له ، وحدث في السنة ٤٢٥ أن قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلّد العقيلي ، صاحب الموصل والأنبار ، على

ابن القلعي، عامل عكبرا ، وكان صـديقاً للبرجميّ ، فقصد البـرجمي قرواشـاً يخاطبه في أمره ، فقبض عليه قرواش وغرّقـه بفم الدجيـل (المنتظم ٨/٧٢، ٧٥، ٧٧، ٧٩).

وفي السنـة ٤٣٣ شغب الجند الأتـراك ببغـداد ، وخـطفـوا مـا يـرد إلى البلد ، وأخـذوا ثياب النـاس ، وغرّقـوا امرأتين من نسـاء أصحاب المسالح . (المنتظم ٨/١٠٨).

وفي السنـة ٤٦٥كان شـرف الدولـة مسلم بن قـريش ، في طـريقـه إلى السلطان ألب إرسلان، فلما بلغ الزاب ، وقف على ملطّفات (رسائل سـرية) كتبها وزيره ابو جابـر بن صقلاب ، فـأخذه شـرف الدولـة، فغّرقـه (ابن الأثير ١٠/٧٩).

وفي السنـة ٤٧٢ أغرى خمـارتكين ، وكوهـرائين ، السلطان ملكشـاه ، بقتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وكان ملتجئاً إلى نظام الملك ، وكـان بينهما وبين نظام الملك عداوة ومشاحنة فأمر السلطان بتغريقه ، فغرّق فانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيّام ، وأغلق بابه ، ثم أشيـر عليه بـالركـوب ، فركب ، وعمل للسلطان دعوة عظيمة ، وعاتبه على فعله ، فاعتـذر إليه (ابن الأثير ١٠/ ١١٦).

وفي السنة ٤٨٧ قتل السلطان بركيا روق عمّه تكش ، بأن غرّقه ، وقتـل معه ولده ، وكان تكش قد خرج على أخيه ملكشاه والد بركياروق ، فاعتقله ، وكحله ، وحبسه بقلعة تكريت ، فلما ولي بركياروق ، أحضره إلى بغداد ، ثم ظفـر بملطّفات ، أي رسـائل سرية ، تـدلّ على محاولتـه الخروج ، فغـرّقـه بسـر من رأى وحمل إلى بغـداد ، حيث دفن في مقبرة أبي حنيفـة(ابن الأثير ١٠/٢٣٩) .

وفي السنة ٣٩٥ حدثت فتنة بين البغداديّين وعسكر شحنة بغداد ، الأمير

ايلغازي ، وسبب ذلك إنَّ جماعة من أتبـاع ايلغازي جـاءوا إلى دجلة ، ونادوا ملّاحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشابة ، وقعت في مشعـره، فمات ، فأخذ العامة القـاتل إلى بـاب النوبي (من أبـواب دار الخلافـة)، فلقيهم ابن ايلغازي ، مع جماعة من أصحابه ، فأخذوا صاحبهم من يد العامة ، فـرجمته العـامة بسـوق الثلاثـاء ، فذهب إلى أبيـه مستغيثاً ، فعبـر ايلغـازي الى محلّة المـلّاحين (مـربّعـة القـطّانين) فنهب أصحـابـه مـا وجـدوا ، فعـطف عليهم العيّـارون ، فقتلوا أكثـرهم ، ونـزل من سلم منهم إلى المشـرعـة ، ليعبـروا دجلة ، فلما توسّطوا النهر ، ألقى المـلّاحون أنفسهم في المـاء ، وتركـوهم ، فغرقوا ، وكان من غرق أكثر ممن قتل (ابن الأثير ١٠ /٣٣٧ـ ٣٣٨).

وفي السنـة ٥٣٠ توتّـرت الحال بين الخليفـة الراشـد والسلطان مسعـود فكتب مسعـود ملطّفات إلى أمـراء الخليفة ، فـأحضروهـا جميعـاً ، إلّا شحنـة بغـداد فـإنَّـه جحـدهـا ، وكتب جـوابهـا ، فـأخـذه زنكي وغـرّقـه (المنتـظم ١٠ /٥٧).

وفي السنة ٥٤٧ أقبل سلاركرد إلى الحلّة ، فهـرب صـامنها مهلهل إلى مشهد الإمام علي عليه السلام ، فكتب سلاركرد إلى مسعـود الشحنة ، وكـان بتكريت، فلحق به ، فلمّـا اجتمعا ، قبض مسعـود على سلاركـرد ، وغرّقـه . (المنتظم ١٠ /١٤٨ ابن الأثير ١١ /١٦٢).

وفي السنة ٥٥٣ قبض ببغداد على رجل غرّق بنتاً له صغيرة ، فأخـذ ، وحبس . (المنظم ١٠ /١٨٢).

وفي السنة ٥٥٥ مرض المقتفي ، وأيس منه ، فأرادت حظيّته أمّ ولـده أبي علي ، أن ينفرد ولدها بالخلافة ، وتآمرت مع أبي المعالي الكيا الهراسي على قتـل يـوسف ولي العهـد (المستنجـد فيمـا بعـد) ، وأحضـرت عـدّة من الجواري واعطتهنّ السكاكين ، وأمرتهنّ بقتل ولي العهد ، وكـان لولي العهـد

خصيّ صغير يرسله بين حين وآخر يتعرّف أخبار والده ، فرأى الجواري بأيديهنّ السكاكين ،ورأى بيد أبي علي سيفاً ، وبيد أمّه سيفاً ، فعاد إلى المستنجد ، وأخبره ، وأرسلت أم علي الى المستنجد ، تقول أن والده قد حضره الموت ، وطلبت منه أن يحضر فلبس درعاً وأخذ بيده سيفاً ، ودخل الى القصر ومعه جماعة من الفراشين ومعه أستاذ الدار ، فلما دخل ثار به الجواري ، فضرب واحدة منهنّ فجرحها ، وكذلك أخرى ، وصاح ، فدخل استاذ الدار والفراشون ، فهرب الجواري ، فأخذ أخاه أبا علي ، وأمّه فسجنهما ، وأخذ الجواري ، فقتل منهنّ وغرّق منهنّ . (ابن الأثير ١١/٢٥٧) .

وفي السنة ٦٨٠ تآمر بعض امراء المماليك ، على السلطان المنصور قلاوون ، وكان رأسهم في ذلك الأمير سيف الدين كوندك ، وبلغ السلطان الخبر ، فاعتقله ، واعتقل رفاقه ، ووبخّهم ، فاعترفوا بما نووه ، فأمر السلطان بقتلهم ، فأخذ الأمير طرنطاي ، نائب السلطنة ، الأمير كوندك ، وذهب به إلى بحيرة طبرية ، وغرقه هناك (تاريخ ابن الفرات ٧/٢٠٧) .

وفي السنة ٧٠١ حقد بواب الظاهرية بدمشق على الفقيه ولي الدين الحنفي السمرقندي فرماه في الفسقية ، فأغرقه وقرّر فاعترف ، فشنق على باب المدرسة (الدرر الكامنة ٣/٤٧) .

وفي السنة ٧١٠ مرض نصر بن محمد الفقيه النصري ، ملك غرناطة ، وأغمي عليه ، فأحضر الجند أخاه محمد ، الذي كان قد خلعه وأودعه السجن في السنة ٧٠٨ لنصبه ملكاً إذا مات نصر ، فلما أفاق نصر ، أمر بتغريق أخيه ، فأغرق في بركة بغرناطة . (الأعلام ٧/٢٦٢) .

وفي السنة ٧٢٦ قتل تغريقاً أكرم بن خطيرة القبطي ، الملقّب كريم الدين الصغير ولما أسلم تسمّى : عبد الكريم ، وهو ابن اخت كريم الدين الكبير ، وكان اليه نظر الدولة في أيّام خاله ، ثم تمكّن في المملكة جدّاً ،

وكان كبار الأمراء بمصر يكرهونه لتشدّده وتصلّبه ، وهو أوّل من ضرب « الضرب المقترح) وكان آخر أمره ، أن نفي إلى أسوان وأغرق في البحر (الدرر الكامنة ١/٤٢٨، ٤٢٩).

وفي السنة ٧٢٨ زحف المجاهد ، صاحب اليمن ، على عدن ، فدخلها ، وأمر بقتل جماعة من المماليك والشفاليت ، وأخذ الوالي والناظر والرهائن ، في سلسلة من حديد ، فشنق الوالي والناظر ، وغرّق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢/٤٨).

وفي السنة ٧٤١ أفسد المعازبة، بالتهائم في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد صاحب اليمن ، وقتل منهم عدّة مستكثرة ، ورمى بعضهم للفيلة ، وغرّق الباقين في البحر ، ثم آل أمرهم إلى أن شيّخ عليهم امرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم (العقود اللؤلؤية ٢/٦٩).

وفي السنة ٧٤٢ تحرّك الأمير قوصون على السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد فاعتقله، واعتقل معه الأمير طاجار ، اتهمه بأنّه هو الذي حرض السلطان علي أن يقبض عليه (على قوصون)، وأمر قوصون بالأمير طاجار ، فقتل تغريقاً (الدرر الكامنة ١/٤٩٤).

وفي السنة ٧٤٧ بلغ سلطان اليمن ، انّ جماعة من المماليك الغرباء ، على وشك المناداة بابن أخيه ، الملك الفائز أبي بكر بن حسن ، سلطاناً بدله ، فاعتقل ابن أخيه في تعز ، حيث مات في سجنه بعد قليل ، ثم اعتقل جماعة من المماليك الغرباء ، وأتلفهم قتلاً ، وشنقاً ، وتغريقاً (العقود اللؤلؤية ٢/٧٩/٨٠).

وفي السنة ٧٤٩ بويع لعثمان بن عبد الرحمن ، من بني الواد، بالسلطنة بتونس ، فانتقض عليه عثمان بن جرار ، واستولى على تلمسان ، وأعلن

سلطنتـه، ثم سقط أسيـراً في يـد السلطان عثمـان، فـاعتقله في المـطبق، ثم سرّب اليه الماء ، فقتله غرقاً (ابن خلدون ٧/٢٨١).

ولمـا مات أبـو عنان المـريني ، سلطان المغرب في السنـة ٧٥٩ تحرّك أخوه أبو سـالم ، وكان منفيّاً بالأنـدلس ، لكي يحلّ محلّه ، فـامتنع صـاحب غرناطة من إعانته على ما يريد ، فـالتجأ إلى ملك قشتـالة ، فـاشترط عليـه أن نجح ، شروطاً ، وافق عليها ، فأمدّه بأسطول في طنجة ، وتحرّك إلى حاضرة المملكـة ، وخلع السعيـد الطفـل الـذي ولي السلطنـة ، وتمت البيعـة لأبي سـالم ، فقبض على بعض خصومـه وقتلهم قعصاً بـالرمـاح ، ثم جمع إخـوته وأقاربه من المرشحين للسلطنة ، فـأركبهم السفن على أن تنقلهم إلى المشرق (مصـر) ولكنّه أعـطى أمراً سـرّياً بـإغراقهم ، فـأغرقـوا جميعـاً (ابن خلدون ٧/٣٠٥-٣٠٦).

وفي السنة ٧٨٣ رسم الأتابكي برقوق ، بتغريق الوزيـر كريم الـدين بن مكانس، فتوجّهوا به إلى الجزيرة الوسطى ووضعوه في البحر ، وهو مكتّف من يديه ورجليه بحبل ، فأقام في الماءنهاراً كاملاً ، حتى شفـع فيه بعض الأمـراء من التغريق . (بدائع الزهور ١/٢/٢٩١).

وفي السنة ٧٨٤ اتّهم الأتابكي برقوق ، بالقاهرة ، جماعة من المماليك السلطانية بالتآمر عليه، فاعتقلهم وغرّق منهم جماعة في البحر، وحبس آخرين (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٣٠٩).

وفي السنـة ٧٩٢ كبس والي القاهـرة، حسين بن الكوراني، المـدرسـة البرقوقية ، وصار يتطلّب المماليك البرقوقية ، ومن ظفر به منهم غرّقه في البحر (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٤٣٢).

وفي السنـة ٧٩١ أحضر من الصعيـد جماعـة ممن خرج عن الـطاعة ، فـرسم بتغـريق جمـاعـة منهم في البحـر ، وخنق ستّـة في الجبّ. (نـزهـة النفـوس ٢٦٩).

وفي السنة ٧٩٣ رسم السلطان بتغريق بعض الأمراء المسجونين وبتسمير آخرين ، وتوسيطهم ، ففعل بهم ذلك . (نزهة النفوس ٣٣٢).

وفي السنة ٨٠٢ اتّهم الأمير نوروز ، جماعة من مماليكه ، بالأتفاق على قتله ، فقبض عليهم وغرّق منهم جماعة . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٩١).

وفي السنة ٨٠٣ ذكر أنّ تيمورلنك، كان قد أخذ قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي ، أسيراً معه ، ووضعه في زكيبة ، وأغرقه، في نهر الزاب (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٦٤٥).

وفي السنة ٨٣٦ كان السلطان الملك الأشرف برسباي ، سلطان مصر والشام ، يحاصر مدينة آمد ، وكان قد استولى عليها عثمان قرا يلك ، فأسر السلطان حماعة من أصحاب ابن قرايلك ، كانوا يعبرون في الفرات ، يريدون حلب ، فأمر بهم فغرّق منهم جماعة، وضرب أعناق الآخرين (حوليات دمشقية ٦٦).

وفي السنة ٩٢٠ لما ظهر البرتقال في بنادر الهند ، وسواحل الجزيرة العربية ، جهز السلطان الغوري خمسين غراباً (نوع من السفن) مع الأمير حسين الكردي ، وأرسل معه عسكراً عظيماً ، من الترك والمغاربة واللاوند ، وجعل له جدّة أقطاعاً ، فوصل الأمير حسين إلى جدّة ، وعسف النّاس عسفاً عظيماً ، ثم توجّه إلى الهند في السنة ٩٢١ ، فاجتمع بسلطان كجرات خليل شاه، فأكرمه، وعظّمه، وهرب الفرنج عن البنادر لما سمعوا بوصوله، ثم عاد الأمير حسين الكردي إلى اليمن ، فقتل ملوكها وسلاطينها ، وترك بها نائباً اسمه برسباي الجركسي ، ثم عاد حسين الى جدّة ، فبلغه زوال دولة الغوري ، فذهب إلى مكّة ، فورد على شريف مكّة ، أمر السلطان سليم بقتل الأمير حسين الكردي ، فأخذه شريف مكة بغتة ، وقيده ، وأرسله إلى بحر جدّة ، فغرّقه فيه (شذرات الذهب ٨/ ١١٥) .

أقول : روى صاحب البرق اليماني ، قصّة إعدام الأمير حسين الكردي ، كما يلي : ولّى السلطان قانصوه الغوري ، الأمير حسين الكردي نيابة جدّة ، وكان هذا الأمير ظالماً ، فاتكاً ، فكان لا يخلو في كلّ يوم من شنق ، أو توسيط ، أو شنكلة ، وكلّما نزل مكاناً يوضع له فيه المشنقة ، ومحّل الشنكلة وآلاتها ، فلما استولى السلطان سليم العثماني على مصر ، بعث بمرسوم إلى شريف مكة أبي نمي باعدامه تغريقاً ، فبعث الشريف إلى الأمير حسين من أحضره ، وقال له : ورد حكم السلطان أن نجهزك إلى مصر ، ثم أمر فأنزلوه إلى البحر من جدّة ، وأركبوه في جلبة ، فلما وصلوا به إلى بين العلمين ، غرّقوه في البحر . (البرق اليماني ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦) .

وفي السنة ٩٦٨ عيّن محمود باشا ، عتيق محمد باشا ، نائب الشام ، والياً (بكلربكي) على اليمن، وكان سفّاكاً ، نهّاباً ، فلما وصل إلى جدّة ، أمر بقتل كتخداه ، وكلا رجيّه ، وجاشنكيره ، غرقاً في البحر ، فأغرق الثلاثة ، ولكنّ الجاشنكير ، استطاع أن يغوص في البحر ، ويفلت بأعجوبة ، لأنّ الثلاثة رموا في البحر ، وهم مكتّفون ، وفي عنق كلّ واحد مهم حجر ، فصادف أن أنحلّ كتاف الجاشنكير لما رمي إلى الماء ، فسبح ، وكان عوّاماً ، وتعلّق ليلة كاملة بسكان المركب ، حتى تخلّص . (البرق اليماني ١٢٧) .

وروي لنا الرّحالة نيبور ، أنّ الميرمهنا ، حاكم بندريق ، على الساحل الشرقي لخليج البصرة (ت ١١٨٣) ، أمر باغراق أختيه ، فأغرقتا ، لأنّ أميراً من جيرانه خطب إحداهن لتكون زوجة له (رحلة نيبور ٢/١٤٧) .

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية ، في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصلات ، ونشطت حركة الإعدام ، كان المدعو (كاريه) يحمل ضحاياه على حفر قبورهم بأيديهم ، ليدفنهم فيها أحياء ، أمّا النساء والاطفال ، فكان يأمر بإغراقهم . (قصّة الاضطهاد الديني ٢٦ و٢٧).

وفي السنة ١٢٠٥ قبض الامير اسماعيل بك ، شيخ البلد ، بالديار المصرية ، على المعلم يوسف كساب معلّم الدواوين ، وأمر بتغريقه في بحر النيل ، فأغرق (الجبرتي ٢/٩١) .

وفي السنة ١٢١٩ لما احتضر أحمد باشا الجزار ، أمر أتباعه بأن يغرقوا جميع من في سجنه ، فنفذوا أوامره ، وأغرقوهم جميعاً (خطط الشام ٣/٢٢) .

وفي السنة ١٢٢٨ بلغ الكتخدا أنّ تركيّاً في القاهرة اسمه حسن لبلبي ، وهو رجل درويش ، يدخل إلى بيوت الأعيان والأكابر من الأتراك وغيرهم ، وفي جيوبه الحمص المجوهر ويسمونه بالتركية لبلبي، فيفرّق على أهل المجلس منه ، ويلاطفهم ، ويضاحكهم ، فمن أعطاه شيئاً أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئاً ، وربما قال له بعضهم : انظر لي ضميري ، أو فألي ، فيعد على سبحته أزواجاً وأفراداً ، ثم يقول : ضميرك كذا وكذا ، فيضحكون منه ، فوشي بحسن أفندي هذا إلى الكتخدا بأنّه كان يقول للطيف باشا إنّه سيلي سيادة مصر،فلما أرسل الكتخدا العساكر لاعتقال لطيف باشا ، أحضر حسن لبلبي ، وقال له : أين لطيف باشا ؟ فقال : لا أدري ، فقال له : انظر في حسابك ، هل نجده أم لا ، فأمسك سبحته ، وعدّها كعادته فقال : إنّكم تجدونه وتقتلونه ، فأشار الكتخدا إلى أعوانه ، فأخذوه ، ونزلوا به ، وأركبوه على حماره ، وذهبوا به إلى بولاق ، فأنزلوه في مركب ، وانحدروا به إلى شلقان ، وشلحوه من ثيابه ، وأغرقوه في البحر (الجبرتي ٣/٤١٣ و ٤١٤).



الفصل الخامس

التدخين

وهـو اللون الخامس ، من ألـوان العـذاب بكتم النفس ، ويتّم بـامسـاك المعذّب في حجرة ، أو موضع ، وإرسال الدخان عليه .

وأوّل ما بلغنا من ألوان هذا العذاب ، ما حصـل على الأقيشر الشـاعر ، فـإنّه هجـا قيس بن محمد بن الأشعث الكنـدي ، فأمسـك بـه مـوالي قيس ، ودخّنواعليه حتى مات (اسماء المغتالين ٢٤٩) .

وفي السنة ١٧٣ في أيّام الرشيد ، ثار الجند الذين يقال لهم : القديديـة بصاحب خراج مصر عمر بن غيلان في أعطيـاتهم ، فصلبوه ، ودخّنـوا عليه ، حتى دفع إليهم أعطياتهم . (الولاة للكندي ١٣٣) .

وقتـل القـاسم بن عبيـد الله ، وزيـر المكتفي ، محمـد بن غـالب الأصبهاني ، المعداني الكاتب ، لأنّه ترشّح للوزارة ، فأخرجـه إلى أصبهان ، وكتب إلى المسمعي بإهلاكه فأحضره مائدته ، وأطعمه كوامخ وسمكاً مـالحاً ، ثم أدخله بيتاً ، وأغلقه ، فمات عطشاً ، وقال أحمد بن أبي طاهـر ، في كتاب بغداد : هلك بأصبهان بالجـوع والتدخين ثـلاثة أيـام ، في خلافـة المكتفي . (الوافي بالوفيات ٤/٣٠٨) .

أقول : ذكر صاحب مروج الذهب ٢/٥٢٨ أن القاسم وزير المكتفي أمر بمحمـد بن غالب الاصبهـاني ، فاحـدر إلى البصرة وغـرّق في الطريق ، وقـد

أشرنا إلى ذلك في الفصل الرابع « التغريق » من الباب الثاني عشر « القتل بكتم النفس »

وفي السنة ٢٦٧ قتل عامل نيسابور عليّ بن الحسن الهلالي من علماء نيسابور ، بأن أدخله بيتاً ، وأوقد فيه النار في التبن ، فمات من الدخان (المنتظم ٥/٦٠) .

وفي السنة ٥٣٢ قصد ملك الروم مدينة بزاعة ، على ستّة فراسخ من حلب ، وفتحها بالأمان ، ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبى ، وبلغه أنّ جمعاً مهم قد نزلوا الى مغارات ، فأمر فدخّنوا عليهم في المغاور ، فهلكوا . (ابن الأثير ١١/٥٦) .

وفي السنة ٥٧٣ قتل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي ، كمشتكين الخادم ، بأن علّقه منكّساً ، ودخن تحت أنفه حتى مات . (النجوم الزاهرة ٦/٨١) .

وذكر الجبرتي في تاريخه ٢/٣٩٣ إنّ العذاب بالتدخين مارسه في مصر في السنة ١٢١٥ قبطي اسمه شكر الله ، كان ببولاق يحبس الرجال مع النساء ويدخّن عليهم بالقطن والمشاق ، وينّوع عليهم العذاب .

وحدّثني والدي رحمه الله قال : انّ بعض الموظّفين الأتراك ببغداد ، في القرن التاسع عشر كانوا يقبضون على الناس من التجّار وأرباب المهن ، ويفرضون عليهم أداء مال لهم ، ومن لم يؤدّ مهم ، حبس في حجرة ، ودخن عليه بدخان التبن ، فيضطر للأداء .

وقال ابن المعتز ، في أرجوزته ، يصف التعذيب بالدخان : (ديوان ابن المعتز ١٣٢) .

وتاجرٍ ذي جوهر ومال كان من الله بحسن حال

قيل له : عندك للسلطان ودائع غالية الأثمان

فقال : لا والله ما عندي له صغيرة من ذا ولا جليله

وإنّما أربحت في التجارة ولم أكن في المال ذا خسارة

فدخّنوه بدخان التبن وأوقروه بثقال اللبن

حتى إذا ملّ الحياة وضجر وقال : ليت المال جمعاً في سقر

أعطاهم ما طلبوا فأطلقا يستعجل المشي ويمشي العنقا

الفصل السادس

دفن الانسان حيّاً

وهو اللون السادس من ألوان العذاب بكتم النَفَس ، وتدلّ ممارسته على قسوة في قلب من يمارسه .

وأوّل من مارس هذا الون من العذاب ، زياد بن أبيه ، بناء على أمر من معاوية بن أبي سفيان ، حيث أمره في السنة ٥١ بقتل فتى أبى أن يبرأ من الامام عليّ ، إذ طلب معاوية من عبد الرحمن بن حسّان ، أن يبرأ من عليّ ، فأبى ، فبعث به إلى زياد ، وطلب من أن يقتله شرقتلة ، فدفنه زياد حيًّا . (الطبري ٥/٢٥ ـ ٢٧٧ والاغاني ١٧/١٥٢ و١٥٣ ابن الاثير ٣/٤٧٢) .

وفي السنة ٦٤ لما هلك يزيد بن معاوية ، وتولّى بعده معاويه ، خطب الناس ، وأخبرهم بأنّه قد ضعف عن أمرهم ، وإنّه آبتغى لهم رجلاً مثل عمر بن الخطاب فلم يجد ، وابتغى لهم ستّة في الشورى مثل ستّة عمر ، فلم يجد ، وقال لهم : أنتم أولي بأمركم ، فآختاروا له من أحببتم ، فوثب بنو أمّية على عمر المقصوص ، وكان معاوية يستشيره ، وقالوا له : أنت أفسدته ، ودفنوه حيًّا (خطط الشام ١/١٤٦) .

وقال الشعبي : ما رأيت في العمّال مثل عبد الله التميمي ، كان لا يعاقب إلّا في دين الله ، وكان إذا أتي برجل نباش ، حفر له قبراً ، ودفنه فيه حيًّا ، وإذا أتي برجل نقب على قوم ، جعل منقبته في صدره حتى تخرج من

ظهره ، وإذا أتي برجل شهر سلاحا ، قطع يده ، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى إليه بجانٍ خوفاً من سطواته (الغرر للوطواط ٤٠١) .

وبلغ الوليد بن عبد الملك ، تشبيب وضّاح بزوجته أمّ البنين ، فهمّ بقتله ، فسأله عبد العزيز ابنه من أمّ البنين ، أن لا يقتله ، وقال له : إن قتلته حقّقت قوله ، وتوهّم الناس أنّ بينه وبين أمّي ريبة ، فأمسك عنه على غيظ وحنق ، حتى بلغ الوليد أنّه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز ، فشبّب بها . فاشتّد غيظه ، وقال : أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب . ثم دعا به فأحضر ، وأمر ببئر فحفرت ، ودفنه فيها حيّاً . (الاغاني ٦/٢٢٧) .

وكان الشاعر سديف من أشدّ المحرّضين للسفّاح على قتل بني أمّية ، دخل عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحت الضلوع داءً دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأمر السفّاح بسليمان ، فأخذ وقتل ، ودخل سديف على عبد الله بن علي وعنده نحو تسعين رجلاً من بني أميّة على الطعام ، فأنشده :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمان وباس

لا تقيلنّ عبد شمس عثاراً ... واقطعن كلّ رقلة وغراس

واذكروا مصرع الحسين وزيداً ... وقتيلاً بجانب المهراس

والقتيل الذي بحرّان أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناسي

فأمر بهم عبد الله ، فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، فأكل الطعام عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم ، حتى ماتوا جميعاً (ابن الاثير ٥/٤٢٩ - ٤٣١) ، ثم أخذ سديف يحضّ العلويّين من آل

الحسن ، على العبّاسيين ، فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة ، وخرج أخوه ابراهيم بالبصرة ، قال سديف :

إنّا لنأمل أن ترتدّ إلفتنا بعد التباعد والشحناء والإحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن

فبلغت الأبيات ، أبا جعفر المنصور ، فكتب إلى عبد الصمد بن علي ، عامله بالحجاز ، أن يأخذ سديفاً ، فيدفنه حيّاً ، ففعل . (العقد الفريد ٨٧/٥ و٨٨) .

أقول : في الغرر للوطواط ١٠٧ و١٠٨ إنّ عبد الصمد أخذ سديفاً ، وقطع يديه ورجليه ، وجدع أنفه ، فلم يمت ، فدفنه حيًّا .

وذكر صاحب مقاتل الطالبيين ٢٢٨ إنّ المنصور قتل يعقوب وإسحاق ومحمداً وابراهيم بني الحسن ، في الحبس ، بضروب من القتل ، وإنّ ابراهيم بن الحسن دفن حيّاً .

وفي السنة ٢٢٣ تآمر بعض القوّاد على المعتصم ، وبايعوا العبّاس بن المأمون ، وكان منهم عمرو الفرغاني ، فلما نزل المعتصم بنصيبين ، في بستان ، دعا صاحب البستان ، وأمره فحفر بئراً بقدر قامة ، ثم عا بعمرو ، وقال جرّدوه ، فجرّد ، وضربوه بالسياط ، والبئر تحفر ، حتى إذا فرغ من حفرها ، أمر المعتصم فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب ، فلم يزل يضرب حتى سقط ، ثم قال : جرّوه إلى البئر فاطرحوه فيها ، فطرح في البئر ، وطمّت عليه . (ابن خلدون ٢٦٥/٣ وتجارب الامم ٥٠١/٦ والطبري ٧٧/٩) .

ولما ولي سيما الطويل أنطاكية في السنة ٢٥٨ قبض على الفضل بن صالح العباسي وعلى ولده ، ودفنهما حيّين في صندوقين ، وبصر رجل

بالصندوق الذين دفن فيه الفضل ، فظنّ أنّ فيه مالاً ، فلما خلا الموضع ، عمد إلى الصندوق فآستخرجه ، وبالفضل رمق ، فعاش الفضل بعد ذلك عشرين سنة ، وصار إلى مصر ، واتّصل بأحمد بن طولون ، وحرّكه على احتلال أنطاكية ، فقصدها في السنة ٢٦٥ واستولى عليها ، وقتل سيما في المعركة (اعلام النبلاء ١/٢١٣) .

وكان المعتضد قليل الرحمة ، إذا غضب على قائد ، أمر بأن يلقي في حفرة ويطمّ عليه . (تاريخ الخلفاء ٣٦٨) .

وكان المعتضد إذا غضب على القائد النبيل أو من يختصّه من غلمانه ، أمر أن تحفر له حفرة ، بحضرته ، ثم يدلّى رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك ، حتى تخرج روحه من دبره (مروج الذهب ٢/٤٩٦) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل النوبختي ، وكان سبب قتله إنّه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة ، قبل الخلافة ، وكانت موصوفة بالجمال والغناء ، فزايده إسحاق فيها وآشتراها ، فلما استخلف القاهر اعتقل إسحاق ، وأحضره وهو مقيّد ، فأمر بطرحه في بئر في الدار ، فرمي فيها بقيده ، وهو حيّ ، ثم أمر بطمّ البئر عليه (ابن الاثير ٨/٢٩٥ و٢٩٦ وتجارب الامم ١/٢٨٤ وتاريخ الخلفاء ٣٨٧) .

وكذلك قتل القاهر في السنة ٣٢٢ أبا السرايا الحمداني ، لأنّه كان قبل الخلافة أراد شراء جارية ، فاشتراها أبو السرايا ، فاعتقله لما استخلف ، وأحضره وهو مقيّد ، وأمر برميه في بئر هناك ، فما زال أبو السرايا يتضرّع إليه ، ويسأله العفو ، وهو لا يلتفت إليه ، وتعلّق بسعف نخلة كانت بقرب البئر ، فأمر القاهر ، بضرب يده ، فضربت ، فخلّى عن السعفة ، ودفع في البئر ، ثم أمر بطمّ البئر ، فطمّت (تجارب الأمم ١/٢٨٤ـ ٢٨٥) .

وأمر اسد الدولة صالح بن مرداس ، في السنة ٤١٥ بقاضي حلب احمد بن عبيدالله ، فدفن حيّاً . (اعلام النبلاء ٣/٥١٢).

وفي السنة ٤٣٢ خلع السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وتسلطن اخوه محمد ، وأغراه ولده أحمد بقتل مسعود ، فأمر بذلك ، فألقي في بئر حياً وسدّ رأسها ، فمات . (ابن الأثير ٩/٤٨٦).

وفي السنة ٤٤٧ قبض الملك الرحيم البويهي ،على الوزير أبي عبد الله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم ، وأمر به فطرح في بئر في دار المملكة ، وطمّ عليه ، وكان وزيراً متحكّماً في دولته (المنتظم ٨/١٦٦ وابن الأثير ٩/٦١٥) .

وفي السنة ٤٧٨ تآمر ابن بدر الجمالي مع آخرين ، على والده بدر ، ففطن بدر لهم ، فقتل الجماعة ، وعفّى أثر ولده ، فقيل إنّه دفنه حياً ، وقيل غرّقه ، وقيل جوّعه حتى مات ، (النجوم الزاهرة ٥ / ١٢٠).

وذكر أنّ تيمورلنك حلف لأهالي سيواس ، أن لا يضع فيهم السيف ، إذا استسلموا ، فلما استسلموا أمر بدفنهم أحياء ، وكانوا ثلاثة آلاف (أعلام النبلاء ٢/٤٩٢- ٤٩٣) (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٩٣ النجوم الزاهرة ١٢/٢٦٥).

وكان من جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر ، أن دفن جماعة من العربان في التراب وهم أحياء . (بدائع الزهور ٢/١١٦).

وفي السنة٧٣٨ أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمل مواضع لتربية البقر والضأن بقلعة الجبل ، ورسم لوالي القاهرة بتسخير العامّة ، وكان المشرف على العمل الأمير أقبغا وكان ظالماً غشوماً فعسف

بالرجال ، وكلّفهم السرعة في اعمالهم من غير رخصة ، ولم يمكّنهم من الاستراحة ، وكان الوقت صيفاً حارّاً ، فهلك جماعة كثيرة منهم في العمل لعجز قدرتهم عما كلّفوه ، وكان أحدهم إذا عجز القى بنفسه الى الأرض ، فيرمي أصحابه عليه التراب ، فيموت لوقته (بدائع الزهور ٩/ ١٢٠)، وكذلك حصل الأمر لما أراد السلطان حفر الخليج ، فإنّه رسم لوالي القاهرة بتسخير العامّة للعمل ، فقبض على عدّة كثيرة منهم ، وأخذ الناس من المساجد والجوامع والأسواق ، حتى تستر الناس في بيوتهم خوفاً من السخرة ، حتى أنّ الرجل منهم كان يخرّ إلى الأرض ، وهو يعمل ، لعجزه عن الحركة ، فيردم رفاقه عليه الرمل فيموت من ساعته ، واتفق ذلك لخلائق كثيرة (النجوم الزاهرة ٩/١٢٧).

وفي السنة ١١٨٤ بعث علي بك ، أمير مصر ، جيشاً على رأسه محمد بك أبو الذهب ، للإستيلاء على الشام ، فلما حاصر دمشق ، أرسل إلى أهلها كتاباً يذكر فيه ما فعله عثمان باشا ، والي دمشق ، في السنة الماضية بعلماء غزّة ، حيث أنّه دفنهم وهم أحياء . (خطط الشام ٢/ ٣٠٤) .

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية ، في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصلات ، ونشطت حركة الإعدام ، كان الجلّاد يلقي بجثث الضحايا ، في أوضاع يثير بها ضحك المشاهدين ، وكان (كاريه) يحمل ضحاياه على أن يحفروا قبورهم بأيديهم ، ليدفنهم فيها أحياء ، أما النساء والأطفال ، فكان يأمر باغراقهم ، وقال : أنه كان يضحك من منظر وجوه رجال الدين ، وهي تتقلّص وتنقبض عندما تحين ساعتهم . (قصة الاضطهاد الديني ٢٦ـ ٢٧).

وروى لنا الرحالة نيبور ، أنّ المير مهنا ، حاكم بندر ريق ، على الساحل الشرقي لخليج البصرة (ت ١١٨٣) كان يئد بناته (يدفنهن وهنّ على قيد الحياة) (رحلة نيبور ٢/ ١٤٧).

الفصل السابع

البناء على المعذّب

وهو اللون السابع ، من ألوان العذاب بكتم النَفَس ، ويتمّ بتقييد المعذّب أو تسميره ، وبناء حائط أو اسطوانة عليه .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، عبيدالله بن زياد ، فإنّه لما بنى داره بالبصرة ، مرّ بها رجل ، فتلا آية من القرآن : ﴿ وتتّخذون مصانع لعلّكم تخلدون ﴾ (١٢٩ ك الشعراء ٢٦). فأحضره عبيدالله ، وأمر فبني عليه ركن من أركان القصر (الهفوات النادرة ١١٧ـ ١١٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢/ ١٦٥) .

وفي السنة ١٢٧ لحق رفاعة بن ثابت بن نعيم الجذامي ، بمنصور بن جمهور ، بالسند ، فأكرمه ، وولّاه ، وخلّفه مع أخ له اسمه منظور بن جمهور بالمنصورة ، فوثب رفاعة على منظور فقتله ، فبلغ ذلك منصوراً ، فعاد وأخذ رفاعة ، وبنى له اسطوانة من آجرّ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم سمّره إليها ، وبنى عليه (الطبري ٧/ ٣١٤) .

أقول : لرفاعة هذا ، ولأخوته نعيم وبكر وعمران ، ولأبيهم ثابت بن نعيم الجذامي ، تاريخ عريق في الفساد وإثارة الفتن ، وكان رفاعة هذا أخبثهم ، راجع ما صنعوه من أصناف الفساد ، وكيف كان مصيرهم ، في هذا الكتاب ، في الباب التاسع (التعذيب بالعرّض للجوارح) ، القسم الأوّل من الفصل الثاني (قطع الأطراف) .

ولما اعتقل المنصور بني الحسن في السنة ١٤٤ نظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان من أجمل الناس صورة ، فقال له : أنت الديباج الأصفر ؟ قال : نعم قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنيّة ، ففرقت ، ثم أدخل فيها ، فبنى عليه وهو حيّ (الفخري ١٦٤ وابن الأثير ٥/٥٢٦ والطبري ٧/٥٤٦).

ويروى أنّ الرشيد ، أمر بيحيى بن عبدالله بن الحسن ، فشدّ الى جدار ، وسمّر على يديه ورجليه ، وسدّ عليه المنافذ بأن بنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حيّ . (مروج الذهب ٢/٢٧١ وشذرات الذهب ١/٣٣٩).

وفي السنة ٢٠٢ أخذ علي بن الحسين الهمداني ، المتغلّب على الموصل ، رجلاً من الأزد ، فبنى عليه حائطاً ، فهاج الأزد ، وركب السيّد بن أنس في الأزد ، وحاربوا علي بن الحسين فطردوه من الموصل ، إلى الحديثة ، وحاربوه هناك ، فقتلوه ، وقتلوا أخاه أحمد ، وجماعة من أهل بيته ، وغلب السيد بن أنس على الموصل ، وخطب للمأمون ، (ابن الأثير ٦/٣٤٩).

ولما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ أحضر مؤنس ، محمد بن المعتضد (القاهر) وأبا أحمد محمد بن المكتفي ، وابتدأ بخطاب محمدبن المكتفي ، فامتنع من قبول الخلافة ، وقال : عمّي أحقّ بالأمر ، فاستخلف محمد بن المعتضد ، وصرف محمدبن المكتفي الى داره (تجارب الأمم ١/٢٤٢) وكان لترجيح محمد بن المكتفي عليه ، أثر عظيم في نفسه ، ولذلك فقد أمر في السنة ٣٢١ باعتقاله ، فلما أحضر أمامه أمر بأن يقام في فتح باب، ويسدّ عليه بالجصّ والآجر ، وهو حيّ (تجارب الأمم ١/٢٦٦ وابن الأثير ٨/٢٦٠ والمنتظم ٦/٢٥٠).

وفي السنة ٤٠٧ انقرضت باليمن دولة بني زياد ، على يد عبد يقال له قيس ، مولى مرجان ، ذلك إنَّ قيساً اتّهم عمّة ابن زياد ، وزياداً، فبنى عليهما حائطين وهما قائمين بالحياة يناشدانه الله أن لا يفعل، حتى ماتا ، فظفر نجاح بقيس وقتله ، وأخذ مولاه مرجان ، فقال له : أين مواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجهما ، وصلّى عليهما ودفنهما ، وجعل مرجان في موضعهما، وبنى عليه الحائط حتى هلك (المستبصر ٧١- ٧٢ ووفيات الأعيان ٢/٥٢).

وفي السنة ٤٢٩ ظفر بنونمير بأصفر الغازي ، وكان قد أوغل في بلاد الروم ، فسلّم إلى ابن مروان ، فسدّ عليه برجاً من أبراج آمد . (المنتظم ١٣٢/٨).

ولما توفّي المستنصر الفاطمي ، سنة ٤٨٧ ، خلفه ولده أحمد ، ولقّب بالمستعلي ، بسعي الوزير الأفضل ، وكان نزار أكبر منه سناً ، فامتنع من مبايعته، وتوجّه نزار الى الإسكندرية ، واتّفق مع أميرها افتكين ، فبايعه، وأعلن نزار خلافته هناك ، فنهد الأفضل إلى الإسكندرية ، وحاصرها ، فاستسلم نزار وافتكين ، فاعتقلهما ، وبعث بهما إلى القاهرة ، فأمّا نزار فإنّه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه ، وأمّا أفتكين فإنَّ الأفضل قتله بعد قدومه . (خطط المقريزي ١/٤٢٣ وابن الأثير ١٠/٢٣٨ ووفيات الأعيان ١/٤٠٧ وشذرات الذهب ٣/٤٠٢ والنجوم الزاهرة ٨١).

وفي السنة ٧٠٦ حصل الأمير أقوش الأفرم ، نائب دمشق ، على فتوى من بعض الفقهاء ، بإباحة دماء وأموال اهالي كسروان من لبنان ، وجنّد لهم خمسين ألفاً ، وواقعهم عند صوفر ، فهرب أمراؤهم بحرمهم وأولادهم ، ونحو ثلثمائة نفس من رجالهم ، واجتمعوا في غار تيبة ، فوق انطلياس ، فلم يتمكّن منهم أحد وهم في داخل الغار ، وبذل لهم الأمان فلم يخرجوا ، فأمر نائب دمشق ، فبني على باب الغار سدٌّ من الحجر والكلس ، وهالوا عليه تلاً

من التراب ، وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً ، حتى هلكوا داخل الغار (خطط الشام ٢ /١٤٣- ١٤٤) .

ولما تسلطن السلطان قانصوه الغوري ، في السنة ٩٠٥ ارتاب من الأمير قصروه نائب السلطنة بدمشق ، فنقله إلى مصر أميراً كبيراً ، وخشي أن يزاحمه على السلطنة فقبض عليه بعد أن حلف أنّه لا يقتله ، ثم وضعه في حائط مجوّف ، وسدّ عليه ، فقتله (إعلام النبلاء ، ٥ /٤٦٧) .

الفصل الثامن

هدم البناء على المعذّب

وهو اللون الثامن ، من ألوان العذاب بكتم النَفَس ، ويتمّ بإسكان المعذّب في بناء متداع ، أو مبني على أساس من الرمل أو الملح ، وتسليط الماء عليه على حين غفلة ، لينهدّ على ساكنه ، فيقتله .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب، على ما بلغنا ، المنصور العباسي ، إذ قبض في السنة ١٣٩ على عمّه عبدالله بن عليّ ، وكان قد أمّنه، فوضعه في بيتٍ أساسه من الملح ، وأجرى عليه الماء ، فسقط عليه وقتله (الطبري ٨/٧ـ ٩ والعيون والحدائق ٣/٢٢٧) .

ولما اعتقل المنصور في السنة ١٤٤ بني الحسن ، قتلهم بضروب من القتل ،وقتل عبدالله بن الحسن بن الحسن ، بأن طرح عليه بيتٌ ، فقتله (مقاتل الطالبيّين ٢٢٨) .

وفي السنة ٣٨٧ قتل حسن بن عمّار ، أمين دولة الحاكم بمصر ، عيسى بن نسطورس ، بأن رمى عليه حائطاً ، وعذّب اصحابه وقتلهم (النجوم الزاهرة ٥٥)

وفي السنة ٧٩٢ ورد من الفيوم محضر مفتعل ، مضمونه : إنَّ الأمراء المسجونين بالفيّوم سقط عليهم حائط فقتلهم ، وعددهم ثمانية (نزهة النفوس ٢٨٧) .

أقول: في السنة ٨٠٢ قبض على أمير حاج بن بيدمر ، وسجن، لأنّه

كان يلي الفيّوم ، وحبس عنده بعض الأمراء ، فقتلهم وأحضر قاضي الفيوم ، وعمل محضراً بأنّ حائط السجن وقع عليهم، وماتوا تحت الردم (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٥٢).

وفي السنة ٧٩٦ حاصر تيمورلنك تكريت ، وكان متولّيها حسن بن بولتمور ، فاستسلم بعد أن عاهده تيمورلنك أن لا يريق دمه ، فلما استسلم بعث به إلى دار ، ودسّ له من هدمها عليه (تاريخ العراق للعزاوي ٢/ ٢١٠-٢١١).

وفي السنة ٨٣٤ حاصر الأمير أسبان بن قره يوسف ، مدينة الحلّة ، وفيها السلطان حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس ، وكان أمراؤه قد ضجروا منه لفساده ، وتعرّضه لنسائهم وأولادهم ، فكاتبوا الأمير أسبان ، فلما وصل وحصر الحلّة ، أشار عليه الأمراء أن يخرج ويصالحه، على أن يستحلفه أن لا يقتله ، ففعل ذلك ، وسلّم المدينة إلى أسبان فتلقّاه بالإبتهاج ، وسار راجلاً في ركابه ، ثم وكل به اثنين من أصحابه ، وعلّمهما أن يحسّنا له الهروب ، وأن يهربوا معه ، فلما فعلوا ، أدركوهم ، وقبضوا السلطان حسين ، وقيدوه وطرحوه تحت حائط ، ثم طرحوا الحائط عليه ، فقتلوه، وكان ذلك في السنة ٨٣٥ (تاريخ الغياثي ٢٦٢- ٢٦٤).

أقول : ورد في تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٨١ وفي شذرات الذهب ، ان الأمير أسبان قتل السلطان حسين خنقاً ، وقد اثبتنا ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

وبعد أسر الأمير فخر الدين بن معن ، في السنة ١٠٤٣ وسّدت الدولة حكم لبنان إلى الأمير علي بن علم الدين اليمني ، فضبط جميع ارزاق بيت معن ، وقتل بعض تابعيهم ثم باغت الأمراء بني تنوخ ، وكانوا في الحمّام في السراي التي تحت القرية ، فقتلهم ، وردم البرج على أولادهم الصغار ، ولم يترك من بني تنوخ ذكراً يخلفهم . (خطط الشام ٢/ ٢٦٣).

الباب الثالث عشر

القتل بالسم

طعاماً ، وشراباً ، ودواء ، أو بتسميم آلة الفتك

ومن ألوان التعذيب ، القتل بالسمّ ، ويستعمل في الأحوال التي لا يريد القاتل فيها أن يعرف ، أو إذا لم يكن في إمكان القاتل ، الوصول إلى من يريد قتله ، إلّا بهذه الطريقة .

ولما كانت حوادث التسميم ، الغالب عليها التكتّم ، والتصرّف الخفيّ ، لذلك فإنّ كثيراً من حوادث الوفاة الإعتيادية ، زعم الناس أنّ المتوفّى فيها قد دسّ له السمّ ، وتنّوعوا في وصف الطريقة التي دسّ له السمّ بها ، ومثل هذه الأخبار تجد أذناً صاغية ، إذا كان المتوفّى شخصاً مرموقاً ، وخاصّة إذا كان شابّاً ، وكان له خصوم يتمنّون له الموت .

ذكر بعض المؤرخين ، أنّ أبا بكر الصديق ، مات مسموماً ، وأنّ يهوديّة سمّته (وفيات الاعيان ٦٨/٣) وأنّ معاوية بن يزيد بن معاوية ، مات مسموماً (ابن الأثير ١٣٠/٤ والطبري ٥٣٠/٥ و٥٣١)، وأنّ مروان بن الحكم مات مسموماً ، وأنّ امرأته أمّ خالد ، سقته شربة لبن مسموم فقتله ، وأنّ سبب ذلك ، إنّ مروان أهان ولدها خالداً ، وتعرّض بأمّه في الشتيمة ، فقال له : يا ابن الرطبة ، فأخبر خالد أمّه بذلك (انساب الاشراف ١٤٥/٥) وفي السنة ٩١ طلب قتيبة بن مسلم ، أمير خراسان ، ملك الجوزجان ، وكان قد هرب

منه ، فأرسل يطلب الأمان ، فأمنّه قتيبة على أن يطأ بساطه ، فطلب رهناً يكون في يده ، ويعطي مقابله رهائن ، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، وخلّف ملك الجوزجان حبيباً في بعض حصونه ، وقدم على قتيبة ، وصالحه ، ثم عاد ، فمات بالطاعون ، فقال أهل الجوزجان : سمّوه ، وقتلوا حبيب الباهلي ، فقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده (الطبري ٦/ ٤٦٠) ولما توفّي الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، قال بعض المؤرخين إنّه مات مسموماً (تاريخ الخلفاء ٢٤٥) ولما مات المهدي العباسي ، على أثر إصابته في حادثة من حوادث الصيد بماسبذان ، ذكر بعض المؤرخين إنّه مات مسموماً ، وعينوا طريقة سمّه ، بأنّه أكل كمثراة مسمومة ، (الطبري ٨/ ١٦٩) ولما مات الهادي العباسي في السنة ١٧٠ وهو شاب ابن ٢٦ عاماً ، اتهمت أمّه الخيزران بأنّها دسّت له السمّ (الطبري ٨/ ٢٠٥ و٢٠٦) وذكروا لذلك سبباً ، وهو إنّه حال بين أمّه وبين التدخل في أمور الدولة ، وهذه أقوال تخالفها الطبيعة الإنسانية في محبّة الأمّ ولدها ، فضلاً عن كون هذا الأتّهام لا يخرج عن دائرة التكهنّ ، في حين أنّ الثابت إصابة الهادي بالحمى ، ومن مرض كان آحتمال موته أقوى من إحتمال قتله ، ولما توفّي الشاعر دعبل الخزاعي ، في السنة ٢٤٦ ، وهو ابن ثمان وتسعين سنة ، عموا أنّه قتل مسموماً ، ورتّبوا له قاتلاً ، فقالوا إنّه مالك بن طوق التغلبي ، وذكروا لقتله سبباً ، فقالوا لأنّه هجاه ، وحاكوا لمقتله قصّة ، وهي أنّ مالكاً أعدّ لقتله رجلاً حصيفاً مقداماً ، وأعطاه سمّاً ، وأمره أن يغتاله ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس ، فاغتاله بعد صلاة العتمة ، بأن ضرب ظهر قدمه بعكّاز لهازجّ مسموم ، فمات من غد (الاغاني ٢/ ١٨٤ و١٨٦) ، مع أنّ الثمانية والتسعين عاماً التي بلغها دعبل لا يحتاج معها إلى زجّ مسموم ، ولما توفّي المنتصر ، وهو شاب اتّهم الطبيب بأنّه سمّه ، بأن فصده بمبضع مسموم ، وزعم آخرون بأنّه سمّ في كمثراة

(الطبري ٩/٢٥١ و٢٥٣) ، مع أنّ المعروف أنّ المنتصر أصيب بالذبحة ، ومات متأثراً بهذا المرض (الطبري ٩/٢٥١) ، أما صاحب مروج الذهب ، فقد ذكر سبباً لمرض المنتصر ، غير الذبحة ، ونسب وفاته ألى أنّه خرج من حمّام حارّ ، ونام في مجرى هواء بادهنج بارد ، فحمّ ، ومات (مروج الذهب ٢/٤٢٥) ، ولما توفّي أبو القاسم أنوجور، بن أبي بكر الإخشيد صاحب مصر ، في السنة ٣٤٩ ، وكان قد تباعد ما بينه وبين كافور مولاه ، اتّهم كافور بأنّه سمّه (خطط المقريزي ٢/٢٧ وابن الاثير ٨/٥٣٣) .

وفي السنة ٣٥٢ توفّي الوزير المهلّبي ، أبو محمد الحسن بن محمد ، وزير معز الدولة ، وكان قد خرج في الصيف مع جيش لفتح عمان ، فلما وصل إلى هلثا ، من أعمال البصرة ، مما يلي البحر ، اعتلّ ، وثقل ، فردّ إلى الأبلّة زائل العقل ، مسبوتاً ، وعملت له محفّة يحملها أربعون ، يتناوبون عليها ، فلما بلغ زاوطا ، ما بين واسط وخوزستان والبصرة ، مات ، فاتّهم الناس أستاذ داره فرج الخادم بأنّه سمّه ، لأنّه خرج من راحة وخيش وتنعّم ، إلى قيظ شديد ، وشقاء كثير ، مع أنّ خروج المهلّبيّ في الصيف ، إلى جنوبي العراق ، وكان مفرط السمن ، ومصاباً بحصر البول ، وقد عبر الستين ، ترجّح موته من آنفجار دماغي ، راجع تجارب الأمم ٢/١٩٦ و١٩٧ .

وفي السنة ٣٧٣ أولم علي بن كامه ، من زعماء الديلم ، وليمة للأمير فخر الدولة بن بويه، وقوّاده، وحاشيته، وجنده، وأجهد نفسه في إتقانها، فبان عليه في خلال الحفل أثر الجهد ، فأوى إلى موضع طرح نفسه فيه ، وألقى عليه كساءه ، وحسبه أصحابه نائماً ، فأبقوه على حاله ، وآشتغلوا بإقامة الوليمة ، ولما أرادوا إيقاظه في صباح اليوم التالي ، وجدوه ميتاً ، فاتّهموا الأمير فخر الدولة بأنّه دسّ له السم ، بلا دليل ولا حجّة ، راجع القصّة في ذيل تجارب الأمم ٩٥ وراجع نشوار المحاضرة للتنوخي ، القصة المرقمة ٤/٢٣ ج ٤ ص ٤٩ ـ ٥١ .

وفي السنة ٣٧٨ توفي الرئيس أبو عبد الله محمد بن العباس الهروي الضبّي ، وكان قد دخل الحمّام ، ومات لما خرج منه ، فقال الناس عنه : إنّه لما خرج من الحّمام ألبس قميصاً ملطّخاً (يريد ملطخاً بالسمّ) فانتفخ ، ومات شهيداً (الوافي بالوفيات ٣/١٩١) .

وبلغ من تعارف الناس على دسّ السم في الطعام ، أنّ شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي ، صاحب الموصل (ت ٤٨٧) مات أحد الناس على مائدته وهو يتناول الطعام ، فخاف شرف الدولة أن يظن من حضر إنّه تناول طعاماً مسموماً ، قصد به غيره ، فقال : يا معشر العرب ، لا يبرح منكم أحد ، وجلس مكان الطاعم المتوفّى ، وأخذ يأكل من ذلك الطعام الذي كان بين يديه ، فآستحسن الجماعة فعله (ابن الاثير ١٠/٢٧) .

ولما توفّي عبيد بن صالح بن عبد الملك ، ورثه أخوه الفضل ، وتزّوج بجاريته ، فآتهمه الناس بأنّه كان يهوي جارية أخيه ، وإنّه سقى أخاه السمّ ، فقتله ، وتزوّج بجاريته ، وقال فيه أحمد بن الوليد الأنطاكي ، وكان الفضل قد ظلمه في أرض : (الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٠) .

لئن كان فضل بزّني الأرض ظالماً	فقبلي ما أودى عبيد بن صالح
سقاه نسوعيّاً من السمّ ناقعاً	ولم يتّئب من مخزيات الفضائح
حوى عرسه من بعده وتراثه	وغادره رهن الثرى والصفائح

وفي السنة ٤١٤ توفّي الناجحون الأعمى ، وكان يؤدّب الصبيان ، أطعم طعاماً فمات منه مبطوناً ، وكان هجاءً ، فقال الناس إنّه سمّ ، وآتّهم بقتله جماعة ممن هجاهم (الوافي بالوفيات ٣/٣٤٢) .

وفي السنة ٤٥٥ توفّي صاحب آمد سعيد بن مروان ولما احتضر اتّهم أبا الفرج الخازن ، بأنّه دسّ له السمّ بآتّفاق مع نصر بن سعيد صاحب ميا فارقين ، فأمر بابي الفرج فقطع قطعاً (المنتظم ٨/٢٣٢) .

ولما توفي جمال الملك ، ابن الوزير نظام الملك ، في السنة ٤٧٥ ، اتّهموا السلطان ملكشاه بأنّه دسّ له السمّ ، وعينوا الطريقة التي دسّ بها له السمّ ، بأنّه دُسّ له في كوز فقاع (ابن الاثير ١٠/١٢٤) .

ولما توفّي شمس الملك أبو نصر دقاق بن تتش السلجوقي ، في السنة ٤٩٧ ذكروا أنّ أمّه سمّته في عنقود عنب (وفيات الاعيان ١/٢٩٦) ، ويرد في الأعتراض على هذا الخبر ، ما ورد في الاعتراض على الخبر القائل بأنّ الخيزران دسّت السمّ لولدها الهادي العباسي .

ولما توفّي أمير الجيوش يأنس الحافظي ، وزير الحافظ الفاطمي بمصر ، قالوا إنّ الحافظ سمّه ، ثم وصفوا طريقه عجيبةفي دسّ السمّ له ، فقالوا : إنّ الحافظ سمّه في ماء الإستنجاء (النجوم الزاهرة ٥/٢٤٠) .

ولما مات السلطان ملكشاه في السنة ٤٨٥ ببغداد ، زعموا إنّه مات مسموماً ، وأنّ السم دسّ له في خلالٍ تخلّل به .

ولما مات أسد الدين شيركوه ، بمصر ، على أثر تولّيه وزارة العاضد الفاطمي ، في السنة٥٦٤ ذكروا أنّه سمّ ، وإنّ السمّ دسّ له في حنك الوزارة ، لما خلع عليه (وفيات الاعيان ٧/١٥١) .

وفي السنة ٥٧٧ توفيّ الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ، صاحب حلب ، ولم يبلغ العشرين ، وكانت علّته القولنج ، فأدّى موته شاباً إلى آتّهام الأمير علم الدين سليمان بن جندر ، بأنّه سمّه ، وإنّه دسّ له السمّ في عنقود عنب ، وهو في الصيد ، وقال آخرون : إن السم دسّ له في خشكنانجة ، وهو في الصيد (اعلام النبلاء ٢/١١٦) .

ولما توفّي الصاحب كمال الدين محمد بن علي بن مهاجر ، في السنة ٦٣٤ قال الناس أنّ الملك الأشرف بعث إليه جرزة بنفسج ، وقال : هذه بركة السنة ، فأخذها وشمّها ، فأصبح ميتاً ، يعني إنّه وضع له السم في جرزة البنفسج فلما شمّها قتلته (الوافي بالوفيات ٤/١٧٢) .

ولما توفي الملك السعيد بركة بن السلطان الملك الظاهر بيبرس ، بالكرك ، وهو في العشرين من عمره ، في السنة ٦٧٨ قال الناس إنّه سمّ ، مع إنّه تقطّر به فرسه وهو يلعب الكرة ، فمات (الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٤) .

وفي السنة ٧٠٣ مات القان غازان بن أرغون ، ملك التتار ، وكان ما يزال شاباً فاشتهر بين الناس ، إنّه قد سّم في منديل تمسّح به بعد الجماع ، وكان ابن بضع وعشرين سنة لما تسلطن في السنة ٦٩٣ وأسلم في السنة ٦٩٤ وكان يحكم على العراقين ، وفارس ، والروم ، وأذربيجان ، والجزيرة ، وخراسان بأسرها ، وخرج عليه أخوه نوروز ، فأسره ، وقتله ، ثم قصد بلاد الشام في السنة ٦٩٩ ففتح دمشق ، ونهب وسبى وعذّب ، فهلك خلائق من العذاب والجوع ، وعاد في السنة ٧٠٠ فأوقع ببلاد حلب ، وجهز قطلو شاه بالعساكر ليغز وحلب ، فامتدّ يريد مصر ، فكانت الكسرة عليه في وقعة شقحب في السنة ٧٠٢ ومات غازان في السنة ٧٠٣ (الدرر الكامنة ٣ / ٢٩٢ ـ ٢٩٤) .

وفي السنة ٧١٢ مات المنصور غازي الأرتقي ، صاحب ماردين ، على حين فجأة بعد أن مرّ به الأفرم وقراسنقر ، فقال الناس إنّهما سقياه السمّ ، وخلفه ولده الملك العادل علي ، فاستقرّ في السلطنة سبعة عشر يوماً ومات ، فقالوا إنّه سمّ أيضاً كما سمّ أبوه (الدرر الكامنة ٣ / ٢٦) .

وفي السنة ٧١٦ توفّي الأمير كستاي ، نائب السلطنة بطرابلس ، وكان شديد البأس قويّ البدن ، بحيث إنّه كان يأخذ العظم الكبير من الشاة ، فيكسره بيده قطعتين ، فلما مات قالوا إنّ السلطان الناصر محمد بن قلاوون سمّه في رمّانة (الدرر الكامنة ٣ / ٣٥٤) .

وفي السنة ٧٢٧ مات كمال الدين محمد بن علي الزملكاني ، بمدينة

بلبيس ، فجأة ، وكان قد تأهّب لموافاة الشام ، لتولّي القضاء بها ، فقالوا إنّه مات مسموماً ، لأنّه لم يكن قد تجاوز الخمسين من عمره (الدرر الكامنة ١٩٤/٤)

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد بهادر ، سلطان العراق ، لمدّة عشرين سنة (٧١٦ - ٧٣٦) ، وكان شاباً لم يتجاوز السابعة والثلاثين ، فذكروا أنه سمّ في منديل تمسّح به بعد الجماع ، وكانت هذه التهمة سبباً لقتل زوجته بغداد خاتون بنت الأمير جوبان .

وفي السنة ٧٣٨ مات الأمير العباسي محمد بن سليمان ، بمدينة قوص منفيّاً ، وكان ولي عهد والده المستكفي ، فلما أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بنفيهم إلى قوص ، مات الأمير محمد بن سليمان بها وكان أبوه لقبه القائم بأمر الله ، وكانت سنّه لما مات ٢٤ سنة ، قيل إنّهم دسّوا على القائم من سمّه فمات (الدرر الكامنة ٤/٦٧) .

وفي السنة ٧٤٣ مات الأمير ايدغمش الناصري ، نائب السلطنة بدمشق ، فإنّه بعد أن حضر الموكب ، وعلّم على القصص ، وتحادث مع بعض خواصّه ، ثم سمع بعض الجواري يتخاصمن ، فدخل وضرب واحدة منهن ضربتين ، ورفع يده ليضربها الثالثة فسقط ميتاً ، فقال الناس إنّه مات مسموماً ، ولما كان قد لبس خلعة من السلطان قبل موته بيوم ، قالوا أنّ الخلعة كانت مسمومة ، وأنّه لما لبسها سرى السمّ إلى بدنه ، فمات من ذلك (الدرر الكامنة ١/٤٥٦) .

ولما توفّي الأمير محمد بن الأمير الكبير الطنبغا ، وكان محمد شاباً جميل الصورة ، قال الناس إنّه توفّي مسموماً ، مع إنّه مات مسلولاً (الضوء اللامع ٧/١٤٧) .

وذكر صاحب الضوء اللامع ١/٥٣ أن الأمير صارم الدين ابراهيم بن

الملك المؤيد شيخ سلطان مصر ، توفّي في السنة ٨٢٣ ، وهو في العشرين من عمره ، وكان قد فتح فتوحاً وظفر في معارك ، فاتّهم الناس أباه بأنّه هو الذي دسّ له السمّ ، مع أنّهم يذكرون أنّ الأب شدّد على الأطباء في معالجة ابنه ، وإنّه حزن عليه لما مات أشدّ حزن وجزع جزعاً عظيماً ، ولم يعش الأب بعد ابنه سوى ستّة أشهر .

وفي السنة ٨٣١ مات مريضاً بالقولنج الأمير جانبك الاشرفي ، وكان في الخامسة والعشرين من عمره ، فشاع بين الناس إنّه سقي سمّاً ، ولحقت به زوجته بعد ستّة أيّام (الضوء اللامع ٣/٥٥) .

ولما توفّي ابراهيم بن عبد الكريم القبطي المصري ، في السنة ٨٤١ وكان من رجال الدولة بمصر ، وكان شابّاً لم يبلغ الثلاثين ، إتّهم الناس طبيبه بأنّه دسّ له سمّاً (الضوء اللامع ١/٦٩) .

وفي السنة ٨٧١ مات الأمير قانم الجركسي بالقاهرة ، حين دخوله الخلاء ، وتحدّث الناس في كونه مات مسموماً ، مع إنّه قارب السبعين (الضوء اللامع ٦/٢٠١) .

وفي السنة ٩٠١ مات الأمير العثماني جم ، ابن السلطان محمد الفاتح ، وكان قد نازع أخاه السلطان بايزيد الملك ، وحاربه مرتين ، فلم يوفّق، وفرّ إلى إيطاليا ، ومات في مدينة نابولي شاباً ، فزعموا أنّ أخاه بايزيد أرسل إليه من سمّه ، بأن حلق رأسه بموسى مسموم ، فمات (شذرات الذهب ٨/٨٦ وهدية العارفين ١/٢٥٧) .

وكان الأمير خاير بك ، كافل حلب ، المتوفى سنة ٩٢٨ ، إذا آستقر بمقصورته في الجامع الأعظم ، حيث يجلس بعد صلاة الجمعة ، يتقدّم إليه الشربدار ، ومعه طبق نفيس ، مغطّى بغطاء نفيس ، يشتمل على أشربة سكّرية متنوعة ، فإذا رفع إليه شيء منها ، أخذ الشربدار قليلاً منه في وعاء

صغير ، وهو يراه ، فيشربه ، ويسمّى هذا الوعاء : الششني ، والمقصود بشربه الأمان من دسّ السمّ إلى ذلك المخدوم ، ومع كلّ هذا التحفّظ ، فقد روي أنّ السلطان الغوري ، دسّ لخاير بك السمّ مرّة ، على يد طبيب يهودي ، فمرض ثم عوفي (اعلام النبلاء ٥/ ٤٣٠ و٤٣١) .

وكان عيسى باشا ، بكلربكي المملكة الدمشقية ، في زمن آل عثمان ، مولعاً بدسّ السمّ للناس ، وذكر إنّه جاء مرّة إلى حلب للتفتيش ، وحاسب حسن بن عمر النصيبي ، وأراد أن يسقيه شراباً ، فامتنع من تناوله ، لاشتهار عيسى باشا بدسّ السمّ ، وقيل « وعاد بدر الدين من عنده سليماً بإذن الله تعالى » (اعلام النبلاء ٥/٥٦٥) .

ولما توفي الامير محمد بن علي بن سيفا ،حاكم طرابلس ، بمدينة قونية ، وكان شاباً ، قالوا إنّه مات مسموماً (خلاصة الاثر ٤/ ٤٨) .

وبلغ من لهج الناس بالسمّ ، إنّ داود الانطاكي ، الطبيب المشهور صاحب التذكرة توفّي بمكة في السنة ١٠٠٨ وهو شيخ ضرير على أثر تناوله عنباً أصيب من بعده بالاسهال ، فزعم بعض الناس أنّه مات من السمّ (خلاصة الأثر ٢/ ١٤٩) .

وفي السنة ١٠١٣ لما عينت الدولة العثمانية ، حسين باشا جانبولاد ، لإمارة حلب ، غضب نصوح باشا ، أمير حلب ، لأنّ حسين باشا كان خصماً شخصياً له ، وآمتنع عن تسليم ولاية حلب إليه ، وقال : أسلمها إلى عبد أسود ، ولا أسلمها إلى حسين جانبولاد ، ثم أنّ قاضي حلب سعى في الصلح بينهما ، فخرج نصوح باشا ، وزار حسين باشا في مضاربه ، فقدّم لنصوح باشا شربة سكر ، فامتنع من تناوله ، خشية أن يكون مسموماً ، فتناول حسين باشا القدح وشرب منه قليلا ، ثم قدّمه لنصوح باشا ، فشربه (اعلام النبلاء ٣/ ٢٢٩) .

ولما مات الأمير محمد أبو الذهب ، في السنة ١١٨٩ ثاني يوم انتصاره في المعركة على عمر الظاهر صاحب عكّا ، قال الناس أنه مات مسموماً ، وإنّ الذي سمّه عمر الظاهر ، وإنّه أعطى لمن دسّ له السمّ خمسة آلاف دينار (سلك الدرر ١ /٥٧) .

وفي السنة ١٢٠٦ (١٧٩١ م) قدم الباي محمد ، باي وهران ، على الأمير حسن باشا صاحب الجزائر ، فأضافه ثمانية أيّام ، وبارح الجزائر قاصداً وهران على أحسن حال ، ولكنّه مات في الطريق ، فاتّهم الأمير حسن باشا بأنّه قد دسّ له من سمّه في الطريق لأنّ الباي كان شاباً ولم يشك من مرض (مذكرات الزهار رقم ٦٣) .

وفي السنة ١٢٤٨ استولى ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ، على مدينة قونيه ، وآشتبك عندها في معركة عنيفة مع الجيش العثماني ، فكسره وأسر قائده الصدر الأعظم محمد رشيد باشا ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأعطاه صدر المجلس ليجلس فيه ، وجلس هوبقربه ، ثم أمر إبراهيم باشا بالقهوة أن تحضر ، فأبى الصدر أن يشربها ، وخشي أن تكون مسمومة ، وطلب شربة من ماء ، فأحضرت ، ولما ملأ الساقي الكأس ، تردّد في أخذها ، فمدّ ابراهيم باشا يده بسرعة ، وأخذ الكاس ، وشرب قسماً منها ، ثم قال لمحمد رشيد باشا : خذ وآشرب ولا تسيء الظنّ بنا (اعلام النبلاء ٣/٤٢٢ و٤٢٣) .

وفي السنة ١٢٦٧ أمر والي حلب بنفي عبد الله البابنسي ، وابن أخيه ، وآخرين ، إلى الأستانة ، فتوفي عبد الله في جناق قلعة ، فاتّهم الناس ابن أخيه محمد اغا ، بأنّه دسّ له السم (اعلام النبلاء ٣/ ٤٤٠) .

أقول : عبد الله بك البابنسي رجل أمّي ، كان شوباصيّاً عند آل الجابري ، ولما دخل ابراهيم باشا حلب ، حظي عنده ، وتقدّم لديه ، إلى أن جعله متسلّماً لمدينة حلب ، ووشوا به مرّة عند ابراهيم باشا ، فأحضره ، وسأله عن ذلك ، فقال له : أنّي دخلت خدمتك ، وليس عندي سوى أم

حمدان (زوجته) وأم عرقوب (فرسه) فهذان لي ، وخذ الباقي ، فضحك منه إبراهيم باشا ، ولم يأخذ منه شيئاً ، وظل معوّلاً عليه ، ألى أن ترك حلب .

وكذلك كان الحال، في وفاة جمال الدين الأفغاني في اصطنبول في السنة ١٣١٥ (١٨٩٧ م) فقد زعم قوم إنَّه سمّ ، واتّهموا السلطان عبد الحميد ، بأنّه سمّه ، وعلّلوا سبب ذلك بأنّه أتّهمه بأنّه كان وراء مقتل ناصر الدين شاه ، سلطان العجم ، وخشي إن بقي أن يسلبه عرشه ، وزعم آخرون إنَّه أوعز إلى الطبيب ، بأن يشخّص مرض السيد في بلعومه بأنّه سرطان ، وأمر طبيبه الخاص ، بأن يجري له جراحة لم تكن لها ضرورة فقتله، وادّعى آخرون بأنّ السلطان أوعز إلى طبيب الأسنان الذي كان يرعى أسنان السيّد بأن يزرع في فمه السرطان ، هذا ، مع أنّ المؤرّخين أجمعوا على أنّ السيّد رحمه الله كان مسرفاً في التدخين ، مكثراً من تناول الشاي ، وكان قد عبر الستين من سنيه ، ومن كان في هذه السنّ ، وفي مثل حاله من الإكثار من الشاي والدخان ، لم يكن في إصابته بالسرطان في البلعوم ، ما يوجب العجب ، كما أنّ فشل الجراحة لم يكن بالأمر الغريب ، بل إنَّه يكون غريباً حقاً لو نجحت، وعوفي من مرضه .

ولما توفّي عبد الرحمن الكواكبي بالقاهرة، في السنة ١٣٢٠ عن خمس وخمسين سنة ، اتّهم الناس السلطان عبد الحميد بأنّه دسّ له السمّ، بواسطة صحفي مصري معمّم ، ناوله إيّاه في أحد مقاهي القاهرة ، وعلّلوا ذلك بأن السلطان كان قد نقم على الكواكبي تأليفه كتاب طبائع الإستبداد .

ويحصل القتل بالسمّ ، إمَّا بدسّ السمّ في الطعام أو الشراب ، وإمّا بتسميم آلة القتل ، وأكثر ما يحصل ذلك في المشرط الذي يستعمله الطبيب للفصد ، وقد يسمّم السيف أو الحربة ، ليكون مفعولهما أقوى ، وعاقبة إصابتهما أوكد .

وكان الآيين أن يقوم صاحب المطبخ بين يدي ذي السلطان ، قائماً ،

متشحاً بمناديل الغمر ، وأن يقدّم الغضائر بيده ، وأن يذوق الألوان عند تقديمه إيّاها (تجارب الأمم ٢/٣١٣)، ولا شكّ أنّ التزام صاحب المطبخ بأن يذوق الألوان بنفسه ، إنّما يحصل تحرّزاً من دسّ السمّ إلى ذي السلطان في الطعام .

وأوّل من مارس دسّ السمّ في الإسلام، على ما ذكر المؤرّخون ، معاوية بن أبي سفيان ، فإنّه لما بلغه ، أنّ الإمام عليّاً ، ولّى مالك الأشتر على مصر ، كتب إلى دهقان القلزم ، أنّ الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيتني إيّاه ، لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فلما وصل الأشتر ، استقبله الدهقان ، وأنزله ، وسقاه شربة عسل جعل فيها سمّاً ، فلما شعر به مات ، فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر ، قال عمرو بن العاص : إنَّ لله جنوداً من عسل (دائرة المعارف الإسلامية ٢/٢١١ ومروج الذهب ١/٦٠٥ والنجوم الزاهرة ١/١٠٣ـ ١٠٤ ، وأسماء المغتالين ١٥٩ـ ١٦٠ والطبري ٥/٩٥ و٩٦).

وكان معاوية دسّ إلى خالد بن المعمر السدوسي ، بالعراق، أن يدعو ربيعة إلى الوثوب بعليّ بن أبي طالب ، ووعده ـ إن فعل ـ أن يولّيه خراسان، ففعل خالد ذلك ، فلما قتل علي ، طالب خالد معاوية بخراسان ، فاضطر أن يكتب له بعهده على خراسان ، ودسّ إليه رجلاً ، فسقاه شربةً بظهر الكوفة ، بقصر بني مقاتل ، فقتلته (كتاب المغتالين ١٦٤).

ولما أراد معاوية الناس على البيعة ليزيد ، ورأى أنّ اشخاصاً لا يمكن أن يشايعوه على ما يريد ، قرّر إزاحتهم من الطريق، وعلى ذلك ، قيل ، أنّه دسّ السمّ للإمام الحسن ، ولسعد بن أبي وقاص ، فماتا في أيّام متقاربة (مقاتل الطالبين ٥٠ ومروج الذهب ١/٦١٩ والإمامة والسياسة ١/١٤٠).

وكان الصلح بين الحسن ومعاوية ، قد تمّ أن لمعاوية الخلافة ، ما كان حيّاً ، فإذا مات ، فالأمر للحسن (الإمامة والسياسة ١/١٤٠ وتاريخ الخلفاء

١٩١، ١٩٢)، فلما أراد أن يبايع بالعهد ليزيد من بعده ، عرف أنّ ذلك لا يتمّ لـه ما دام الحسن حيّاً ، فأرسـل إلى جعدة بنت الاشعث بن قيس الكنـدي ، امرأة الحسن : إنّك إن احتلت في قتـل الحسن ، زوّجتك من يـزيد ، فبعثها ذلك على سمّه (مروج الذهب ١/٦١٩).

وذكر ابن أبي الحديد ، في شرح نهج البلاغـة ١٦/١١و٤٩ إنَّ الحسن تـوفّي في السنة ٤٩ عن سبـع وأربعين سنة ، دسّ إليـه معاويـة بن أبي سفيان سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن ، وقال لها : إن قتلته بالسمّ ، فلك مائة ألف ، وأزوّجك بيزيد ، فلما مات وفى لها بالمال ، ولم يزوّجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة ، فأولـدها، فكـان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام ، عيّروهم ، وقالوا : يا بني مسمّة الأزواج .

ولمـا حسب معاويـة، أنّه قـد أمن جانب المعـارضة ، خـطب في أهـل الشـام ، وقـال لهم : إنَّ أميـر المؤمنين قـد كبــرت سنّـه ، ورقّ جلده ، ودقّ عـظمه ، واقتـرب أجله ، ويريـد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقـالوا : عبد الرحمن بن خـالد بن الـوليد ، فسكت ، ثم دسّ ابن أثـال الطبيب ، إلى عبـد الرحمن ، فسقـاه سمّاً ، فمات (كتـاب المغتـالين ١٦٨- ١٦٩، الأغـاني ١٦/١٩٧ والطبري ٥/٢٢٧- ٢٢٨).

وفي السنة ٧٣ توفّي عبدالله بن عمر ، وكان سبب موته أنّ الحجّاج أمـر بعض أصحابه ، فضرب ظهر قدمه بـزجّ مسموم ، فمـات منها (الكـامل لابن الأثير ٤/٣٦٣).

وممن قتـل بالسم ، عبيـدالله بن زياد بن ظبيـان ، أحد فتـاك العـرب ، سمّه سليمان بن سعيد ، صاحب عمـان ، في نصف بطيخـة ، وسبب ذلك ، أنّ مصعب بن الزبير كان قتل فاتي بن زياد ، أخا عبيدالله ، لقطعه الـطريق ، فحقـدها عبيـدالله على مصعب ، حتى إذا كان يـوم مسكن ، في السنة ٧١ ، قتل عبيدالله مصعباً ، وأحضر رأسه إلى عبد الملك بن مروان ، فأمر له بـألف

دينار ، فأبى أن يأخذها . وقال : إنّي لم أقتله لأجلك ، وإنّما قتلته بأخي ، ثم ضاقت به البصرة ، فهرب إلى عمان ، واستجار بسليمان ، فلما أخبر بفتكه ، خشيه ، وتذمّم أن يقتله علانية، فبعث إليه بنصف بطيخة قد سمّها ، وأكلها ، فمات ، راجع معجم البلدان ٤/٥٣١ .

واتّهم سليمان بن عبدالملك ، بأنّه دسّ السمّ لأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . (الإمامة والسياسة ٢/١٠٩).

وتوفّي الخليفة عمر بن عبد العزيز، في السنة ١٠١ ، وقيل أنّ بعض المتلاعبين من أهل بيته ، حنقوا عليه ، فسقوه السمّ . (خطط الشام ١/١٥٦ الأعلام ٥/٢٠٩).

واتّهم يزيد بن عبد الملك ، نفراً بالخلع والخروج ، فأخذهم عمه محمد بن مروان ، وسجنهم ، ودسّ لهم السمّ ، فماتوا جميعاً (الإمامة والسياسة ٢/١٠٣ـ ١٠٤).

وكان عمر بن هبيرة أمير العراق وخراسان ليزيد بن عبد الملك ، وجّه إلى خراسان سعيد الحرشي عاملاً عليها ، ثم بعث إليه جميل بن عمران مفتّشاً ومراقباً لحسابات الديوان ، فساء ذلك سعيداً ، وسمّ بطّيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها ، فمرض وتساقط شعره ، وعاد إلى ابن هبيرة ، فعولج حتى صحّ . (الطبري ٧/١٥ـ ١٦).

وفي السنة ١١٩ قدم ابو الربيع سليمان بن موسى ، ، على هشام بين عبد الملك ، فسقاه طبيب لهشام شربةً، فقتله ، فأمر هشام أن يسقى الطبيب من الدواء نفسه ، فقتله (الاعلام ٣/١٩٩).

واعتقل أبو مسلم الخراساني ، عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وحبسه ، وقيل إنّه دسّ إليه سماً ، فمات منه . (مقاتل الطالبيّين ١٦٩) .

وفي السنة ١٤٠ كان الصميل بن حاتم ، رأس مضر ، محبوساً بقرطبة، في سجن عبد الرحمن الداخل ، فسمّ ومات ، وأدخل عليه مشيخة مضر ، فوجدوه ميتاً ، وعنده كأس نقل ، لإيهام الناس بأنّه مات وهو سكران ، فقالوا : يا أبا جوشن ، إنّا لنعلم أنّك ما شربت ، ولكن سقيت (ابن الأثير ٥/٤٩٩).

وفي السنة ١٤٢ نكث أصبهبذ طبرستان ، العهد الذي بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده منهم ، فلما انتهى الخبر إلى المنصور سيّر إليه قوّاداً حصروه في حصنه ، فلما أحتلّ المسلمون الحصن ، عمد الأصبهبذ ، إلى سمّ شربه فمات (ابن الأثير ٥/٥١٠).

ولما حاول المنصور إقناع عيسى بن موسى ، بأن يتنازل عن ولاية العهد لولده المهدي ، ولم يقنع ، دسّ إلى عيسى بعض ما يتلفه (أي السمّ) فنهض من مجلس المنصور فقال له المنصور : إلى أين يا أبا موسى ؟ قال : أجد غمزاً يا أمير المؤمنين ، قال : ففي الدار إذن ، فقال : الذي أجده أشدّ مما أقيم معه في الدار ، قال : فإلى أين ؟ قال : إلى المنزل ، ونهض المنصور في أثره متفزعاً له ، وبلغت العلّة من عيسى كلّ مبلغ حتى تمعّط شعره ، ثم أفاق من علّته هذه ، فقال فيه يحيى بن زياد :

أفلت من شربة الطبيب كما ... أفلت ظبي الصريم من قتره

راجع التفصيل في الطبري ٨/١١-١٤ والعيون والحدائق ٣/٢٥٩-٢٦٠).

وذكر أنّ المنصور، لما حبس آل الحسن ، كان يسقيهم مقادير من السمّ ، وهم في محبسه ، ليعجّل بموتهم (الطبري ٧/ ٥٤٩).

وذكر أن المنصور قتل أبا حنيفة بالسمّ ، دسّه إليه وهو في حبسه ، إذ كان أبو حنيفة ، قد نصر إبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتيل باخمرى، وظفر المنصور بكتاب بعث به أبو حنيفة إلى إبراهيم لما ظهر ، فحبسه وسقاه السمّ ، فمات (مقاتل الطالبيّين ٣٦٧-٣٦٨ وتاريخ الخلفاء ٢٥٩).

وسقى المنصور أبا جهم بن عطيّة ، شربة من سويق اللوز ، دسّ له فيها السمّ ، فقتله بها ، فقال الشاعر :

تجنّب سـويق اللوز لا تشـربنّـه   فشرب سويق اللوز أردى أبـاجهم

أقول: أبو الجهم بن عطيّة ، من أوائل الدعاة العباسيين ، وكان مستشار أبي العباس السفّاح ، ووزيره، راجع أخباره في الطبري ٧/٣٥٦-٤٩٢).

قال صاحب الفخري (ص ١٥٦): كان في نفس المنصور أمور من أبي الجهم بن عطية ، لما كان وزيراً لأخيه السفـاح ، فلما استخلف المنصـور ، سمّ أبـا الجهم في سويق اللوز ، فلمـا أحسّ بالسمّ ، قـام ليذهب ، فقـال له المنصور ، إلى أين ؟ قال : إلى حيث بعثت بي يا أمير المؤمنين .

وولّى المنصـور محمد بن أبي العبّـاس السفاح ، البصـرة ، ووجّـه معـه بالمجّان ، لكي يبغضه للناس ، ثم أمر طبيبه الخصيب ، بأن يدسّ له السمّ ، فهيّـأ له سمّـاً ، ثم انتظر أن يشكـو من علّة ، فشكا من حـرارة ، فسقـاه السمّ الذي هيّأه له ، فكتبت أم سلمة وهي أم محمـد بن العباس ، إلى المنصـور ، تعلمـه أنّ الخصيب قتل ابنهـا ، فأمـر المنصور بحمله اليـه ، وضربـه ثـلاثين سوطاً، وحبسه أيّامـاً ثم خلاّه ، أمـا زوجة محمـد ، وهي البغوم بنت علي بن الربيع ، فـإنَّ زوجها لمـا قضى ، صاحت : واقتيـلاه ، تتّهم المنصور بقتله ، فضربها رجـل من الحرس على عجيـزتها ، فـوثب عليه غلمـان محمد فقتلوه (الطبري ٨/٢٥ و ٨٦) .

وذكـر أنّ المهدي العبـاسي، دس السمّ لعلي بن العباس بن الحسين . (مقاتل الطالبيّين ٤٠٣) .

وروى الـطبـري في تـاريخـه ٨/١٦٩ من أسبـاب مـوت المهـدي ، انّ جارية من جواريه، بعثت إلى ضرّة لها بلبأ فيـه سمّ ، فدعا به المهدي ، فأكل منه وهو لا يدري ، فمات، وروي غير هذا ، وهو أنّ المهدي كان جالسـاً في

علّيّة ، وكانت جاريته حسنة ، قد عمدت الى كمثراتين كبيرتين، فسمّت واحدة منهما ، في أسفلها ، وردّت القمع فيها ، وبعثت بها إلى جارية للمهدي كان يتحظّاها ، تريد قتلها ، ورأى المهدي الكمثرى ، فتناول واحدة ، وأكلها ، وكانت المسمومة (الطبري ٨/١٦٩).

وذكر أن الهادي ، دسّ السمّ للربيع بن يونس الحاجب ، وسبب ذلك أنّ الربيع كان قد أهدى للمهدي جارية اسمها أمة العزيز، فائقة الجمال، فلما رأى المهدي جمالها ، قال : هذه لموسى أصلح ، ووهبها له ، فكانت أحبّ الخلق إليه ، وولدت له بنيه الأكابر ، فبلغه أنّ الربيع يقول : ما خلوت بامرأة قطّ ، أطيب خلوة من أمة العزيز ، فدعاه ، فتغدّى عنده ، ثم سقاه في الشراب سمّاً، فانصرف، ومات من ليلته، وأمة العزيز هذه، تزوّجها الرشيد من بعد الهادي ، وهي أم علي بن الرشيد (كتاب المغتالين ١٩٦- ١٩٧ والطبري ٨/٢٢٨).

وذكرت خالصة ، قهرمانة الخيزران ، للعباس بن الفضل بن الربيع ، أنّ الهادي بعث إلى أمّه الخيزران بأرزة، وقال : اشتهيتها ، فأكلتها ، فكلي منها ، فقالت لها خالصة : أمسكي حتى ننظر فإني أخاف أن يكون فيها شيء ، فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيت الأرزّة ؟ قالت : وجدتها طيّبة، فقال : لِمَ لم تأكلي منها ، والله ، لو أكلتِ كنتُ أسرحتُ منكِ ، فما أفلح خليفة له أمّ . (المحاسن والمساوىء ٢/١٩٤).

وقيل في موت الهادي ، إنّ أمه الخيزران ، دسّت له السم (تاريخ الخلفاء ٢٨٠). وقد أسلفنا رأينا في تهافت هذه التهمة .

وبعث هارون الرشيد ، إلى إدريس العلوي ، أبي الأدارسة ، مولى المهدي الشماخ اليمامي ، فادّعى أنّه متطبّب ، وأنّه من أولياء العلويّين ، فأنس به إدريس ، واطمأنّ إليه ، وأقبل الشماخ يريه الإعظام له، والميل اليه ،

فنزل عنده بكلّ منزلة ، ثم إنَّ إدريس شكا علّة في أسنانه ، فأعطاه سفوفاً مسموماً قاتلاً ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر لليلته ، فلما استنّ به إدريس قتله، وطلب الشماخ ، فلم يظفروا به، وعاد الشماخ إلى الرشيد فولّاه بريد مصر ،وأجازه (الطبري ٨/١٩٩ وابن الأثير ٦/٩٣، وكتاب المغتالين ١٩٧ وتاريخ الفرقة الزيدية ١٧٧ والوافي بالوفيات ٨/٣١٨) .

وأدخل يحيى بن عبدالله العلوي على الرشيد ، مكبّلاً في الحديد ، فقال الرشيد متضاحكاً : وهذا يزعم أيضاً أنا سممناه، فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هوذا لساني ، وأخرج لسانه مثل السلق ، فتربّد هارون ، فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لنا قرابةً ورحماً ، ونحن وأنتم أهل بيت واحد ، علام تحبسني وتعذّبني ؟ (مقاتل الطالبيّين ٤٨٣ والطبري ٨/٢٤٤- ٢٤٥) .

وفي السنة ١٨٣ توفّي الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، في حبس السندي بن شاهك ، بأمر الرشيد ، وقيل أنّه توفّي مسموماً . (وفيات الأعيان ٥/ ٣١٠) .

وروى صاحب كتاب الفخري (ص ١٩٦) كيفية وفاة الإمام موسى الكاظم ، في السنة ١٨٣ بالسمّ ، في حبس الرشيد ، قال : كان قد بلغ الرشيد أنّ الناس يحملون إلى الإمام موسى خمس أموالهم ، يعني اعترافاً منهم بصحة إمامته ، وفي ذلك نقض لما يدعيه الرشيد من الإمامة، فلما كان الرشيد بالحجاز قبض على الإمام موسى ، وأخذه إلى بغداد، فحبسه بدار السندي بن شاهك ، ثم أمر به، فقتل قتلاً خفياً ، يعني بالسمّ ، ولما مات ، وكان الرشيد بالرقة ، ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ، ليشاهدوه ، إظهاراً إنّه قد مات حتف أنفه .

أقول : يكاد المريب أن يقول خذوني .

وفي السنة ١٩٩ خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي ، وكان القيّم بأمره في الحرب أبو السرايا ، ومات محمد بن إبراهيم فجأة ، فاتّهم أبو السرايا بأنّه سمّه ، لأنّه رأى أن لا امر له معه ، وأقام مكانه غلاماً حدثاً (الطبري ٨/ ٥٢٩) .

واتّهم المأمون ، بأنّه دسّ السمّ لولّي عهده الإمام الرضا (مقاتل الطالبيّين ٥٦٧) والمأمون أكرم خلُقاً ، وأعلى نفساً ، وأتقى لله ، من أن يرتكب هذا الوزر .

دخل المأمون إلى الإمام الرضا ، يعوده ، فوجده يجود بنفسه ، فبكى ، وقال : أعزز عليّ يا أخي ، بأن أعيش ليومك ، وقد كان في بقائك أمل، واغلظ ما عليّ من ذلك ، أنّ الناس يقولون أنّي سقيتك سمّاً ، وأنا والله من ذلك بريء ، فقال له الرضا : صدقت يا أمير المؤمنين، أنت ـ والله ـ بريء (مقاتل الطالبيّين|٥٧١ـ ٥٧٢).

ولما انتصر جيش المأمون على أبي السرايا ، أخذ محمد بن العلوي ، وحمل إلى المأمون بخراسان ، فأقيم بين يديه ، ثم صاح الفضل بن سهل : اكشفوا رأسه ، وأسكن في دار على سبيل الإعتقال والتوكيل، ثم دسّت إليه شربة، فمات (مقاتل الطالبيّين|٥٤٩).

وذكر صاحب كتاب الفخري ، أنّ الأمير طاهر بن الحسين ، أمير خراسان للمأمون ، مات بالسمّ، وأنّ الذي دسّ له السمّ، وزير المأمون احمد بن أبي خالد الأحول ، وذكر لذلك سبباً ، وهو إنَّ المأمون أنكر على طاهر أمراً ، فكتب إليه يتهدّده، فأجاب طاهر بجواب غليظ ، وقطع الدعاء للمأمون ثلاث جمع، فقال المأمون لوزيره أحمد بن أبي خالد : أنت الذي ضمنت طاهراً ، فعليك أن تتدارك أمره ، فقال له أحمد : يا أمير المؤمنين طب نفساً ، فبعد أيّام يأتيك البريد بهلاكه ، وكذلك حصل (الفخري ٢٢٤).

وفرّ محمد بن القاسم الصوفي ، العلوي ، من سجن المعتصم ، واستتر أيّام المعتصم والواثق ، ثم أخذ في أيّام المتوكّل ، فحمل إليه ، فحبس ، ويقال إنّه دسّ إليه سمّاً ، فمات في حبسه (مقاتل الطالبيّين ٥٨٨) .

وقتل سعيد الحاجب ، بالسم موسى بن عبدالله بن موسى بن الحسن بن علي ، بناحية زبالة ، وهو في طريقه الى العراق (مروج الذهب ٢ / ٤٥٩) .

وقتل أحمد طولون ، صاحب مصر ، الحسن بن مخلد ، بأن دسّ له السمّ في شربة وهو في حبسه ، فقتله بها . وسبب ذلك إنّ الحسن بن مخلد ، كان معطّلاً ببغداد ، فكتب صاحب الخبر بمدينة السلام ، إلى الوزير اسماعيل بن بلبل ، وزير المعتمد ، إنّ مغنّية غنّت عند الحسن بن مخلد ، بشعر ذكرت فيه تقلّب الأيّام ، فكتب الوزير إلى الخليفة ، بأنّ الحسن يتربّص به الدوائر ، فأمر المعتمد بنفيه إلى مصر ، فلما قدم على ابن طولون مصر ، تناهى في برّه وإكرامه ، ونادمه ، وشاوره في خلع طاعة المعتمد ، فنهاه ، وشاوره في قطع ما يحمل من مصر ، فنهاه ، فقام في نفس ابن طولون إنّه دسيس لبلاط الخليفة عليه ، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ، ثم دسّ إليه السم في شربة ، في محبسه ، فقتله بها ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٨ ص ٣٠ ـ ٣٤ رقم القصة ٨/٩ و١٠ .

ولما مات المعتمد في السنة ٢٧٩ ذكروا إنّه مات مسموماً ، واكتفى صاحب تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٧) بالقول إنّه سمّ ، أمّا صاحب مروج الذهب ٢ / ٤٩٣ فإنّه أفاض في الحديث ، فقال : كان المعتمد قد أمر بأن تصلح له رؤوس حملان برقابها ، فقدّمت ، وكان معه على المائدة رجل من ندمائه وسمّاره ، يعرف بقف الملقم ، وآخر يعرف بخلف المضحك ، وكان الملقم

أوّل من ضرب بيده ألى الرؤوس ، فكان ينتزع الأذن ويلفّها في الرقاق ، ويغمسها في الاصباغ ، ثم يهوي بها إلى فيه ، ممعناً في الأكل ، وأمّا المضحك فإنّه كان يقتلع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وأتمّوا يومهم ، فأمّا الملقم صاحب اللقمة الأولى فإنّه تهرّأ في الليل ، وأمّا المضحك فإنّه مات قبل الصباح ، وأمّا المعتمد ، فإنّه أصبح ميتاً ، ولحق بالقوم ، وروى عن سبب وفاة المعتمد رواية أخرى ، وهي إنّه سمّ في شرابه بأن وضعوا فيه نوعاً من السمّ يقال له : البيش ، يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت .

وتناول اثنان من جلساء المعتضد ، لقماً من كرنبيّة مسمومة ، فقتلتهما ، وتفصيل ذلك ، أنّ المعتضد أمر في علّته التي مات فيها ، وقبل موته بأيّام يسيرة ، بأن يصنع له سمّ يقتل به جماعة ممن كان في الحبس ، لم يرد قتلهم قتلة ظاهرة ، لسياسة رآها ، وفعل ذلك ، وجيء بالسمّ إلى حضرته ، فأراد تجربته قبل أن يقتل به من أراد قتله ، فطرح في كرنبيّة ، وأحضرت في طيفوريّة ، وهو مفكر فيمن يطعمه منها ، وعلى من يجرّب السمّ الذي فيها ، إذ دخل محمد بن أحمد نفّاطه وابن أبي عصمة ، فقيل لهما : إنّ الخليفة يريد أن يأكل من ذلك اللون ، وهو محجم عنه للحمية ، فقالا : ما أحسن هذه الكرنبيّة ، فلو أكل مولانا منها لقمة ، رجونا أنّها لا تضرّه ، وتجاوزا ذلك إلى أن أكلا منها لقماً ، كأنّهما قصدا آستنهاض شهوته ، وتحريكها بأكلها ، فلم يمكنه أن ينهاهما لئلاّ يخرج السرّ ، وأمسك عنهما ، ومضيا إلى منازلهما ، فماتا من يومهما ، وبلغ الخليفة خبرهما من الغد ، وقد اشتدّت علّته ، فعلم صحّة السمّ ، وأمسك لسانه أن يأمر في معنى من أراد أن يأمر في معناه ، بإطعامه من ذلك السمّ الذي عمل له ، ومات المعتضد بعد ذلك بثلاثة أيّام ، ومضى أولئك بالعرض ، وسيء الاتفاق ، وسوء المقدار ، وكأنّه عمل لهما . لا لغيرهما ، وسلم من عمل له وقصد به ، ونجا (الهفوات النادرة ٢١٨) .

ودسّ الوزير القاسم بن عبيدالله، وزير المكتفي، السمّ لابي العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، في تفاحة أشمّه إيّاها ، فأتلفته ، وسبب ذلك إنّ القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، بلغه أنّ الحسين بن عمرو النصراني ، الذي كان كاتباً للمكتفي لما كان وليّاً للعهد ، أخذ يسعى في صرف القاسم عن الوزارة ، وحيث إنّه ذمّي لا يستوزر ، فهو يطلب استيزار ابراهيم بن حمدان الشيرازي ، كاتب الحسين ، على أن تكون الدواوين بأجمعها في يد الحسين ، وعلى أن لا يخرج الوزير ابراهيم عن رأيه وإشارته ، فآضطرب القاسم ، وآستشار ابن الفرات ، فقال له : عندي ما يكفيك ذلك ، وهو كتاب بخطّ الحسين ، كتبه لما خرج مع المكتفي إلى بعض الوجوه ، يذكر فيه العظائم عن المكتفي ، عن بخله ، وسقوط نفسه ، وعيوبه ، وأعطاه الكتاب ، فأوصله القاسم إلى المكتفي ، فأذن له في القبض على الحسين بن عمرو وعلى كاتبه إبراهيم بن حمدان ، فقبض عليهما ، وأرسلهما إلى الأهواز ، حيث قتلا هناك ، وشكر القاسم أبا العباس أعظم شكر ، وسأله عن كيفيّة حصوله على الكتاب ، فأخبره بأنّه وجد ظهوراً في دكان نطّاف ، يلفّ بها ما يبيعه من الناطف ، والظهور : الأوراق اتي سوّدت بطونها بالكتابة ، وبقيت ظهورها ، وإنّه بعث غلامه إلى النطّاف ، فآشترى الناطف ، ولفّه في هذا الظهر ، فلما قرأه احتفظ به ، فلما انصرف ابن الفرات ، قال الكاتب ابن فراس ، وهو من المعرقين في الدسّ ، قد بان لك مقدار شرّ آبن الفرات ، وهو عدوّ مندسّ بين ثيابك ، ولعلّه قد تحفّظ عليك بما هو أكثر من هذا ، فآقبل قولي ، وعاجله بسمّ تدسّه إليه ، فوقع ذلك في نفس القاسم ، حتى دسّ له السمّ في تفاحة ، لزيادة التفصيل راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي تحقيق المؤلف ج ٣ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ رقم القصة ٣/١٧١ .

ودسّ الوزير القاسم بن عبيدالله ، السمّ ، للشاعر ابن الرومي ، في

خشكنانجة ، أو لوزينجة ، وقيل في سبب ذلك ، إنَّ ابن الرومي كان منقطعاً إلى الوزير القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وكان القاسم مغرماً بشعره ، مستطرفاً له ، محسناً إليه ، فقال له أبوه : أريد أن أرى ابن روميّك هذا ، فأحضره في مجلس أبيه ، فلما انفضّ المجلس ، قال لأبيه : كيف رأيته ؟ قال : رأيت ما ساءني ، رأيت رجلاً ، سقيم العقل ، صحيح الشعر ، ومثل هذا لا تؤمن بوادره ، وأقل غضبة يغضبها ، تبقي في أعراضنا ما لا يغسله الدهر ، والرأي إبعاده ، قال : وكيف ذلك بعد اتصاله ؟ أخاف أن يظهر ما أضمره ، قال : يا بنيّ ، اتبع فيه قول أبي حيّة :

يقلن لها في السرّ: هديك لا يرح صحيحاً وإن لم تقتليه فألممي

فأخبر القاسم : الكاتب ابن فراس بقول أبيه ، وكان ابن فراس من أشد الناس عداوة لابن الرومي ، فقال : إنّما أشار عليك باغتياله ، وأنا أكفيك أمره ، فسمّ له لوزينجة وقدّم له الجام ، وهي في أعلاه ، فلما تناولها أحسّ بالموت ، ونهض قائماً ، فقال له : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى حيث ارسلتني ، فقال : آصرفوه ، فقد غلب عليه السكر ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ رقم القصة ١٧١ ، وراجع وفيات الأعيان ٣/٣٦١ وكتاب الملح والنوادر للحصري ٢٤١ .

وفي السنة **٢٩٠** أظهر علي بن الفضل بن أحمد القرمطي ، باليمن ، الدعوة للمهدّي المنتظر ، فتبعه كثير من القبائل ، وآستولى على اليمن ، جبالاً وتهائم ، ثم ادّعى النبوة ، فكان المؤذّن عنده يؤذّن : وأشهد أنّ علي بن الفضل رسول الله ، ثم امتّد به عتوّه ، فأصبح يكتب إلى عمّاله : من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، إلى عبده فلان ، ومات مسموماً ، سمّه في السنة **٣٠٣** طبيب بغدادي اسمه شريف ، بعد أن حكم ١٣ سنة (الاعلام ٥/١٣٥) .

وفي السنة **٢٩٥** مات القائد إسحاق بن أحمد الساماني ، بالموصل ،

مسموماً ، سمّه غلامه ، وتزّوج امرأته ، واستولى على ماله . (ابن الاثير ٨/ ٧ و٨) .

وفي السنة ٢٩٦ ولي إفريقية أبو مضر زيادة الله بن الأغلب ، بعد قتل أبيه ، فقتل عمّه إسحاق ، وقتل من قدر عليه من أعمامه وإخوته ، فانتقضت حاله ، وخرج عن إفريقية بأمواله وأتباعه إلى مصر ، ثم إلى فلسطين ، ثم عاد إلى مصر ، فسمّه بعض غلمانه ، فسقط شعر لحيته ، ومات . (ابن الأثير ٨/ ٢٣) .

وفي السنة ٣١١ عزل المقتدر وزيره حامد بن العباس ، وأعاد أبا الحسن بن الفرات للوزارة ، وأسلم حامد ، للمحسّن بن الفرات ، ابن الوزير ، فعذّبه المحسّن عذاباً شديداً ، ثم أحدره إلى واسط ، وأمر من سمّه في بيض مشويّ ، فمات (ابن الاثير ٨/ ١٤١ و١٤٢) .

وقبض الوزير أبو الحسن بن الفرات ، علي إبراهيم بن عيسى ، أخي الوزير علي بن عيسى ، وصادره ، فأدّى بدل المصادرة ، فصادره مصادرة ثانية ، ثم اسلمه إلى المحسّن ، فأوقع به مكروهاً شديداً ، وبعث به إلى البصرة ، فسمّه عاملها . (الوزراء للصابي ٥٠) .

وفي السنة ٣٢٣ قبض الراضي العباسي ، بإغراء من وزيره ابن مقلة ، على ولدي ياقوت ، محمد والمظفّر ، واعتقلهما ، ومات محمد في السجن بنفث الدم ، فاتّهم أخوه المظفّر ، ابن مقلة ، بأنّه قتل أخاه بالسّم ، ولما أطلق من سجنه، سعى في مكروه ابن مقلة، وحرّك عليه الجند، فشغبوا على الوزير ، وهاجموا داره ، ونقبوا عليها من ظهرها ، ودخلوها ، وفي السنة ٣٢٤ حضر ابن مقلة دار الخليفة ، فقبض عليه المظفّر بن ياقوت واعتقله (ابن الأثير ٨/ ٣٠٥ ـ ٣١٤) .

وفي السنة ٣٤١ مرض المنصور العبيدي ، صاحب إفريقية بالسهر

والأرق ، فأحضر له طبيب شاب اسمه ابراهيم ، فركّب له عقاقير ، أدمن شمّها ، فنام ، ومات وهو في نومه ، فأراد أصحابه قتل إبراهيم الطبيب ، فقيل لهم : ماله ذنب ، وإنّما داواه بما ذكره الأطباء . (وفيات الاعيان ١/٢٣٦) .

وفي السنة ٣٥٩ مات أبو عبدالله محمد بن الحسن الحسني الملقب بالمهدي ، والمعروف بآبن الداعي ، قيل إنّه توفّي مسموماً في هوسم ببلاد الديلم (الاعلام ٦/٣١١ و ٣١٤) .

وفي السنة ٣٦٢ قبض بختيار البويهي على وزيره أبي الفضل الشيرازي ، واسلمه إلى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلويّ ، وسمّ بأن سقي ذراريح في سكنجين ، فتقرّحت مثانته ، ومات . (تجارب الأمم ٢/٣١٣ والمنتظم ٧/٦٠) .

وكان ألفتكين التركي ، مولى معزّ الدولة ، قد فارق مولاه بختيار ، وسار في طائفة من الجند إلى دمشق ، فاستولى عليها ، وحاربه جيش الفاطميّين فأسر ، فأكرمه العزيز الفاطمي ، وأنزله في قصره ، فوضع عليه الوزير من سمّه في شراب ، فمات ، فحزن عليه العزيز ، وآتّهم الوزير بسمّه ، وحبسه نيفاً وأربعين يوماً ، وكان ذلك في السنة ٣٦٥ (التكملة ٢٢٨ وابن الأثير ٨/٦٦١) .

أقول : كان الفتكين ، القائد التركي ، مولى معزّ الدولة ، قد أرمضته معاملة بختيار بن معزّ الدولة ، فترك العراق ، ومعه طائفة صالحة من الأتراك ، ووصل إلى حمص ، ثم إلى دمشق ، فنزل بظاهرها ، وكانت دمشق في فتنة ، فخرج أشراف دمشق وشيوخها ألى الفتكين ، وطلبوا منه أن يقيم عندهم ويحكم دمشق ، فأجابهم لذلك ، واستحلفهم على الطاعة ، ودخل البلد ، ونفى عنه أهل العبث والفساد ، فأصلح حال البلد ، ولما توفّي المعزّ ، قصد الفتكين صيدا فآستولى عليها وعلى عكّا وطبرية ، فسيّر إليه

العزيز الفاطمي جيشاً بقيادة جوهر فاتح مصر وباني القاهرة ، فحصر جوهر دمشق ، فكاتب الفتكين ، الحسن بن أحمد القرمطي ، فحضر لمعاونته ، فآنسحب جوهرمن حصار دمشق ، فاتّفق الفتكين والحسن القرمطي ، وحصرا جوهر ، فاجتمع جوهر بالفتكين ، وقال له : قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام ، وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة ، وإريقت فيها الدماء ، ونحن المؤاخذون بها عند الله ، فراقب الله تعالى ، وراجع نفسك ، فإنّي أدعوك إلى الصلح ، فقال له ألفتكين: أنا واثق بك ، لكنّي غير متمكّن من المصالحة بسبب صاحبي القرمطي الذي الجأتني أنت إلى مداراته والقبول منه ، فقال له جوهر : إذن ، أريد منك أن تمنّ عليّ ، وعلى من معي من المسلمين ، وتذمّ لنا ، وأعود إلى صاحبي شاكراً لك ، فأجابه إلى ذلك ، وترك جوهراً وجيشه يسيرون عائدين إلى مصر ، ولم يتعرّض لهم أحد ، ثم أن العزيز بالله الفاطمي قصد الشام بجيش لجب ، فآقتتل مع الفتكين والقرامطة ، وفي خلال المعركة ، بذل العزيز لألفتكين الرغائب إن آنحاز إليه ، ووعده بقيادة الجيش الفاطمي ، فترجّل بين الصفّين ، وقبل الأرض للعزيز ، وقال للرسول : قل لأمير المؤمنين ، لو تقدّم هذا القول لسارعتُ ، أمّا الآن فلا يمكن إلّا ما ترى ، وعاد إلى الاشتراك في المعركة ، ولما ربح العزيز الحرب ، وآنفلّ جيش ألفتكين والقرامطة بذل العزيز لمن يأتيه بألفتكين مائة ألف دينار ، وكان ألفتكين قد لجأ إلى المفرج بن دغفل الطائي ، فأخبر العزيز بأنّه عنده ، فأعطاه مائة ألف دينار ، وتسلّمه منه ، فأكرمه ، وأحسن إليه ، وأخذه إلى مصر ، وأنزله معه في قصره ، ثم مات ، فاتّهم العزيز وزيره ابن كلس بأنّه سمّه بأن سقاه شيئاً (ابن الأثير ٨/٦٥٦ ـ ٦٦١) .

وقتل المنصور بن أبي عامر ، في قرطبة ، هشاماً ، ابن أخي المصحفي الحاجب ، في السنة ٣٦٦ بأن سمّه في ماء شربه (نفح الطيب ٣/٩٠) .

وأنفذ عضد الدولة ، إلى مكة ، أحمالاً ، فسلبها الأعراب ، ولما قيل

لهم إنّها للملك عضد الدولة ، سبّوه ، فتقدّم عضد الدولة بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة ، وبعث بها صحبة أمتعة ، ومرّوا بها أمام اولئك الأعراب ، فعاودوا سلبها ، وأكلوا منها ، فهلكوا (ذيل تجارب الأمم ٥٧/٣) .

وفي السنة ٣٧٠ دس وزير رومي لابن الشمشقيق السمّ فقتله . (ذيل تجارب الامم ١٣/٣) .

وفي السنة ٣٧٣ التجأ حسام الدولة أبو العباس تاش ، حاجب نوح ين منصور الساماني ، من خراسان إلى فخر الدولة بالريّ ، فقلّده جرجان ، ومات بها في السنة ٣٧٧ فقال الناس : إنّه مات مسموماً . (ذيل تجارب الأمم ٢٥ و٩٦ وابن الاثير ٩/ ١٠ ـ ١٢ و٢٤ ـ ٢٩) .

وفي السنة ٣٧٩ قتل أبو الحسن الكواكبي ، أبا نصر بن كعب ، بالسمّ ، سقاه دفعتين ، فلم يؤثّر فيه ، وسقاه الثالثة ، فنفخ وجهه ، ثم قتله بالسيف . (ذيل تجارب الأمم ١٥٧/٣) .

وفي السنة ٣٨١ عمد أحد الاشرار ، وهو خلف بن أحمد ، المتغلّب على سجستان ، إلى حيلة ذات طرفين ، إذ كان يرغب في إعلان الحرب على جاره صاحب كرمان ، وأن يتخلّص من القاضي أبي يوسف البزّاز من رعيته ، لأنّه كان مسموع الكلمة في سجستان ، فأوفد القاضي إلى صاحب كرمان ، وبعث معه رجلاً ، وأوصاه أن يسّم القاضي وهو في ضيافة صاحب كرمان ، فسمّه في قطائف ، واتّهم خلف ، صاحب كرمان بقتله ، وأعلن عليه الحرب ، للتفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٨٩ ـ ١٩٨ ، وراجع ترجمة خلفاهذا في هذا الكتاب ، في الباب الحادي عشر (القتل) الفصل الأول (القتل بالسيف) القسم الثالث (القتل غدراً) .

وفي السنة ٣٨٢ قتل أبو الحسن المعلّم ، وزير شرف الدولة ، وكان من شرار الخلق سقي السم دفعتين فلم يعمل فيه ، فخنق بحبل الستارة (ذيل تجارب الأمم ٢٤٤) .

وفي السنة ٣٩٢ توفّي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بالاندلس ، فخلفه ولده عبد الملك الملقب بالمظفّر ، وحكم سبع سنين ، وكان مرضي السيرة ، وذكر أنّ سبب موته ، أنّ أخاه عبد الرحمن ، سمّه في تفاحة ، قطعها بسكين كان قد سمّ أحد جانبيها ، وناول أخاه ما يلي الجانب المسموم ، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح ، فأكله بحضرته ، فاطمأنّ المظفّر ، وأكل النصف الآخر ، فمات وكان ذلك في السنة ٣٩٩ (ابن الاثير ٨/٦٧٧ و٦٧٨) .

واتّهمت السيدة أمّ مجد الدولة ، ابا العباس الضبّي ، وزير مجد الدولة ، إنّه قتل ابن أخيها بالسّم ، فهرب منها إلى بدر بن حسنويه ، فدسّ أبو بكر بن رافع وواطأ أحد غلمان الضبّي ، فسقاه سماً كان فيه حتفه في السنة ٣٩٧ . (معجم الادباء ١/٧٣ و٧٤) .

وكان أبو عبد الله بن الحيري من شرار الخلق ، وكان يكتب للحسن بن المسيب ، بالموصل ، فأراد أن يقتل الحسن بسمّ يطعمه إيّاه ويهرب ألى الشام ، فدعاه إلى وليمة ، وقدم إليه بطّيخاً مسموماً ، فقال له الحسن : تقدّم يا أبا عبد الله وكل ، فاحتج بأنّه صائم ، وخشي أن يشتبه به الحسن ، فقال لأبي الفتح ابنه : إجلس وكل مع الأمير ، فجلس ابنه ، وأكل ، ومات ، وتأخّر الحسن قليلاً ومات . (تاريخ الصابي ٨/٤٤٦) .

وفي السنة ٤١٤ مات الشاعر محمد بن عبدالله القفصي الضرير ، الملقب بالناجحون ، وكان هجّاءً ، دسّ له السم في الطعام بعض من هجاه ، فقتله ، وكان يعلّم الصبيان ، ولا يصبر عن النبيذ ، قال أحد من رآه ذات يوم وهو سكران ، يقول للصبيان : (الوافي بالوفيات ٣/٣٤٢).

يا فراخ المزابل	ونتاج الأراذل
اقرأوا لاقرأتم	غير سحر وباطل
روّح الله منكمُ	عاجلاً غير آجل

وفي السنة ٤١٦ ثار أهل قرطبة على خليفتهم محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر ، الملقّب بالمستكفي ، وهو والد ولّادة الشاعرة ، صاحبة ابن زيدون ، وكان المستكفي قد استقرّ في الخلافة ستّة عشر شهراً ، وكان غاية في التخلّف ، وقبيح الذكر ، فطرده القرطبيون ، وضجر منه أصحابه ، فشوى له أحدهم دجاجة ، ووضع فيها شيئاً من البيش (حشيش سام - مفردات ابن البيطار ١/١٣٢- ١٣٣) . فأكلها ومات (المعجب للمراكشي ١٠٧- ١٠٨ وابن الأثير ٩/٢٧٧- ٢٧٨) .

وفي السنة ٤١٩ توفّي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهي ، صاحب كرمان ، وكان ظالماً سيّء السيرة ، تكرهه الرعيّة ، وكان إذا شرب ضرب أصحابه ، وضرب يوماً وزيره مائتي مقرعة ، وحلّفه بالطلاق أن لا يتأوّه ، قيل إنّهم سمّوه فمات (ابن الأثير ٩/٣٦٨) .

وفي السنة ٤٢٣ توفي شرف الدولة قدرخان ، صاحب بخارى وكاشغر ، وختن ، وبلاساغون ، وخلّف أولاداً ، أكبرهم بغراخان ، والثاني أرسلان خان ، وكان قدرخان قد جعل ولاية العهد لولده بغراخان ، فلما ولي الحكم ، نازعه أخوه أرسلان خان ، ولكنّ بغراخان تغلّب عليه واعتقله ، وعهد بغراخان بولاية العهد لولده الأكبر حسين جغري تكين ، وكان لبغراخان امرأة لها منه ولد صغير اسمه إبراهيم ، فغاظها حرمان ولدها من ولاية العهد ، فعمدت إلى زوجها ، ودسّت له السمّ ، فمات وعدّة من أهله ، ثم خنقت أخاه أرسلان خان ، وكان ذلك في السنة ٤٣٩ ، وقتلت وجوه أصحابه ، وملّكت ولدها إبراهيم ، وسيّرته في جيش إلى مدينة برسخان، فانكسر ، وقتل في المعركة (ابن الأثير ٩/٢٩٩) .

ولما استولى الحسن بن يحيى من آل حمّود ، على مالقة بالأندلس ،

وبويع بالخلافة في السنة ٤٣١ ، وتسمّى بالمستعلي ، قتل ابن عمّه يحيى بن ادريس ، وكانت ابنة عمّه شقيقة يحيى ، تحته ، فقيل إنّها سمّته انتقاماً لأخيها . (المعجب للمراكشي ١١٦).

ولما توفّي المستنصر الحمّودي ، في السنة ٤٣٤ ، وكانت إليه سبتة ومالقة ، وغرناطة ، وجملة من بلاد الأندلس ، قيل أنّه مات مسموماً . (الأعلام ٢ / ٢٤١).

وفي السنة ٤٤٧ قتل ابو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان، صاحب الجزيرة ، وكان أبو حرب قد اختلف مع الأمير موسك بن المجلّي زعيم الأكراد البختيّة، فراسله أبو حرب واستماله وسعى في تزويجه بابنة الأمير أبي طاهر البشنوي ، وهو ابن اخت نصر الدولة بن مروان ، فتزوّجها واطمأنّ من أبي حرب، فلما زاره ، غدر أبو حرب به وقبض عليه وحبسه ، فغضب أبو طاهر البشنوي ، وأرسل إلى نصر الدولة يشفع في موسك ، فأظهر أنّه قد مات ، فشقّ ذلك على أبي طاهر ، وقال لنصر الدولة وولده أبي حرب : إذا كنتما تريدان قتله ، فلماذا جعلتما إبنتي طريقاً إلى ذلك ، وقلّدتماني العار ، وتنكّر لهما ، فوضع عليه أبو حرب من سقاه سمّاً فمات ، فولي ابنه عبيدالله بن أبي طاهر ، فراسله أبو حرب وأظهر له المودّة ، واستقرّ الامر بينهما على الإجتماع، فلما اجتمعا قتل عبيدالله أبا حرب. (ابن الأثير ٩/٦٠٦-٦٠٧).

وفي السنة ٤٥٢ قتل نجاح، رأس دولة آل نجاح في زبيد ، وكان عبداً علا أمره حتى استولى على زبيد ، واتّسع ملكه ، وضربت السكّة باسمه ، قتله علي بن محمد الصليحي بسمّ دسّه له على يد جارية في الكدراء (الأعلام ٨ / ٣٢٤).

وبلغ المعتضد اللخمي ، صاحب اشبيلية (ت ٤٦٤) ، أنّ أعمى بمكّة

كان يدعو عليه ، وكان هذا الرجل من بادية إشبيلية ، فأفقره المعتضد ، فقصد مكّة ، وأخذ يدعو عليه ، فبعث إليه رسولاً ، ومعه حقّ فيه دنانير مطليّة بالسمّ ، وأمره أن يسلمه إلى الأعمى ، فوصل الرجل مكّة ، وسلّم الدنانير إلى الأعمى ، ففتح الحقّ ، وأخذ ديناراً ، فوضعه في فمه ، فمات . (المعجب للمراكشي ١٥٣) .

وفي السنة ٤٦٩ أمر الخليفة باعتقال الشريف أبي جعفر في دار الخلافة، فاعتقل مكرماً . ثم مرض مرضاً أثّر في رجليه فانتفختا ، فيقال أنّ بعض المتفقّهة من الأعداء نزّل له في مداسه سمّاً (المنتظم ٨/٣٠٧) .

وروى صاحب اعلام النبلاء ٤/٢٠١ قصّة تتعلّق بدسّ السمّ ، أنا في ريب من صحّتها ، ولكنّي أوردها إتماماً للفائدة ، قال : كان الأمير عبدالله بن محمد الخفاجي المتوفّى سنة ٤٦٦ قد عصى بقلعة إعزاز من أعمال حلب ، على أمير حلب محمود الملقب رشيد الدولة ، فطلب محمود من وزيره أبي نصر بن النحاس ، أن يحتال على الخفاجي ليقدم حلب ، وكان ابن النحاس صديقاً للخفاجي ، فكتب اليه كتاباً يرغّبه فيه في الحضور إلى حلب ، وكانت آخر جملة في الكتاب : إن شاء الله ، فوضع الوزير على كلمة (إن) شدّة ، وكان الخفاجي شاعراً أديباً ذكياً ، فانتبه إلى أنّ الشدّة على (إن) تعني الآية : إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فكتب الجواب ، وكانت آخر جملة فيه : أنا الخادم المعترف بإنعام الأمير ، ووضع شدّة على نون (انا) فلما وصل الجواب إلى الوزير ، علم أنّ المقصود بهذه الشدّة، الآية : إنَّا لا ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاستدعى الأمير رشيد الدولة محمود وزيره ابن النحّاس ، وقال له : أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجي وما أعرفه إلاَّ منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له : مرني بأمرك أمتثله ، فقال له : تمضي إلى الخفاجي في ثلاثين فارساً ، فإذا نزلت به ، وحلّ موعد الطعام ، فأخرج هاتين

الخشكنانتين ، وكل هـذه ، وأطعمه هـذه ، فإذا استـوفى أكلها ، فعجّـل في العودة ، فإنّ منيته فيها ، ففعل ما أمره ، ولما أكلها الخفاجي ، عاد أبو نصـر إلى حلب ، فـأصابت الخفـاجي أوجاع في البـطن ورعـدة ، فقـال : قتلني ـ والله ـ أخي أبو نصر ثم مات .

وفي السنة ٤٧٥ أمر السلطان ملكشاه ، بقتل منصور ، ابن وزيره نـظام الملك ، فسقي سمّاً في كوز فقاع (ابن الأثير ١٠/١٢٤) .

وفي السنـة ٤٨٢ أراد أمير المسلمين يـوسف بن تاشفين ، التخلّص من سيد قبيلة كزولـة ، واسمه محمـد بن إبراهيم ، فـدعا حجّـاماً ، وأعـطاه مائـة دينار ، وضمن له مثلهـا ، إن هو احتـال على قتل محمـد بن إبراهيم ، فـأخذ الحجّام مشاريط مسمومة ، وصعد الجبل ، وأخذ ينادي لصناعته ، فارتاب بـه محمـد ابراهيم ، وقـال : أراه يكثر الصيـاح ، وأحضره ، واستـدعى حجّـامـاً آخر ، وأمره أن يحجم الحجّام بمشاريطه التي معه ، فـامتنع، فـأمسك وحجم بمشاريطه ، فمات ، ولما فشلت حيلته ، استمال قسماً من أصحاب محمـد ، وبعث إليهم بجرار عسل مسموم ، فأهـدوا الجرار الى محمـد ، فأحضـرهم ، وأمرهم، أن يأكلوا من العسل، فامتنعوا، فأطعمهم قسراً ، فماتـوا (ابن الأثير ١٠/١٧٨ـ ١٧٩).

وفي السنة ٤٩٢ مات الميـراخور ، من أكـابر القـوّاد السلاجقـة ، فاتّهم ربيبه الأمير أياز ، وزير الميراخور بـأنّه قتله بـالسمّ ، فقتله ، وامتدّت التهمـة إلى مؤيّـد الملك ، وزيـر السلطان محمـد ، بـأنّـه شـارك في دسّ السمّ للميراخور ، فقتله السلطان بركياروق (ابن الأثير ١٠/٣٠٣ـ ٣٠٤).

وفي السنة ٤٩٣ قتل السلطان بركياروق السلجـوقي ، الفقيه أبـا القاسم الجويني ، بأن دسّ له السم في محبسه . (الكامل لابن الأثير ١٠/٢٩٦).

وروي أنّ الشـاعـر الأبيـوردي ، المتـوفى سنـة ٥٠٧ ، كـان قـد تـولّى

الإشـراف في مملكة السلطان محمـد بن ملكشاه ، فسقـوه السمّ ، وهو واقف عند سريـر السلطان ، فخانتـه رجلاه ، وحمـل إلى منزلـه ، فمات . (معجم الأدباء ٦/٣٤٣).

واشتـرى منصور بن فـاتك بن جيّـاش ، سلطان اليمن ، في السنة ٥١٧ جارية مغنّية ، اسمها علم ، فولدت له ولده فاتكاً ، وحظيت عنده ، فجعل لها تـدبير المملكـة ، فنهضت بها ، وقتـل زوجها بـالسمّ ، فولي ولـدها فـاتك ، واستبدّ بالأمر قاتل زوجها ، فقتل بالسمّ أيضاً في السنة ٥٢٤ فأدارت هي أمور الدولة ، ثم احتيـل على ولدهـا فاتـك، فقتل بـالسّم أيضاً في السنـة ٥٣١ أما هي ، فقد توفّيت سنة ٥٤٥ (الاعلام ٥/٤٩ـ ٥٠).

وكـان الحافظ الفـاطمي (٥٢٤ـ ٥٤٤) كثير الفتـك بـوزرائـه وخـاصّتـه استوزر أحمد بن الفضل الجمالي، وقتله ، واستوزر يأنس الحـافظي ، فـدسّ له السمّ ، وفوّض الأمر لابن له اسمـه سليمان ، فمـات لشهرين من ولايتـه ، وأقام ابناً آخر له اسمه حسن، ثم قتله بالسمّ ، واستوزر وزيراً آخـر اسمه تـاج الدولة بهرام، ثم قتله . (الأعلام ٤/٢٩٣).

أقـول : في السنـة ٥٢٦ استـوزر الحـافظ الفـاطمي ، بمصـر ، ولـده حسناً ، وخطب له بولاية العهد ، فسفك كثيراً من الـدماء ، حتى انـه قتل في ليلة واحدة ، أربعين أميراً ، فاجتمع الأمراء الباقون ، وراسلوا الحافظ ، وقالوا له : إما أن تسلم إلينـا ولدك لنقتله ، أو نقتلكمـا جميعاً ، فـاستدعى الحـافظ ولده ، وحبسه ، فراسلوه بأننا لا نرضى إلاّ بقتله ، فسقاه سمّاً، فمات ، وأصرّ القوّاد على التوثّق من موته ،فحضر بعضهم، وجرحوا أسافل رجليه، فلم يجر منهـا دم ، فعلموا مـوته ، وكـان موتـه في السنـة ٥٢٩ (ابن الأثيـر ١١/٢٢و ٢٣).

وذكر صاحب النجوم الزاهـرة ٥/٢٤٣ كيفية قتـل الحافظ ولـده حسن ، في السنـة ٥٢٨ بأن أوعـز إلى الطبيب فصنـع له شـربة سمّ ، وألـزم ولده بـأن

يشربها ، فشربها ، وذلك لأنّ الجيش هدّد بأنّه إن لم يقتل حسناً ، فإنَّ الجيش سوف يقتلهما معاً .

وفي السنة ٥٣٣ توفّي أبو بكر بن باجه الأندلسي ، في مدينة فاس ، مسموماً في باذنجان (معجم البلدان ٤ / ٤٣١) .

وفي السنة ٥٤١ مات بالسمّ السلطان قطب الدين محمد الغوري ، ملك الجبال ، دسّ السّم له حموه ، والد زوجته السلطان بهرام الغزنوي (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٢١) .

وفي السنة ٥٥٥ توفّي السلطان السلجوقي ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، مسموماً في لحم مشويّ ، وكان سبب ذلك أنّه طالب الخليفة ببغداد أن يقطع خطبة عمّه سليمان ، وأن يخطب له ، فعمد ابن هبيرة وزير الخليفة إلى خصيّ يثق به ، وبعث به إلى بلاد العجم ، فاشترى جارية من قاضي همدان بألف دينار ، وباعها للسلطان ملكشاه ، وواضعها على سمّه ، ووعدها أموراً عظيمة ، فسمّته في لحم مشويّ ، فأصبح ميتاً ، وضربت الجارية فأقرّت (ابن الأثير ١١ / ٢٦٣) .

ودسّ الوزير ابن هبيرة ، وزير المقتفي والمستنجد ، السمّ ، لأحد خطباء الجامع في بلاد العجم ، ذكر ذلك ابن طباطبا في كتابه الفخري (ص ٣١٤) قال : كان ببعض بلاد العجم رجل كلما أقيمت الخطبة يوم الجمعة في الجامع ، يقوم ويذمّ الخليفة ، ويدعو للسلطان ، فاتّصل ذلك بالوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠) فأحضر شخصاً من أهل بغداد ، وأمره أن يسافر إلى تلك البلدة ، وأعطاه عشرة دنانير ذهباً ، وقال له : إذا دخلت ذلك البلد ، وحضرت في الجامع يوم الجمعة ، ورأيت الرجل الذي يسبّ الخليفة ، فانهض اليه ، وأنت على زيّ التّجار ، وأمّن على كلامه ، وأظهر البكاء عند سبّه الخليفة ، وقل : إي والله ، فعل الله به وصنع ، وهل

غـرّبني عن عيـالي ووطني ، وأفقـرني غيـره ؟ ثم افعـل في الجمعـة الثـانيـة كذلك ، وقل له : قد حلفت أن املأ فمك دنانير ، وضع هـذه الدنـانير حشـو فمه، وأخرج ، وغيّر زيّك ، وبارح البلد ، ففعل الرجل ذلك ، وكانت الدنانير مسمـومة ، فلمـا راح ذلك الـرجل الى بيتـه ، ما زال يتقلقـل ، حتى مات من يومه .

وفي السنـة ٥٦٠ توفّي الـوزيـر عـون الـدين بن هبيـرة ، وزيـر المقتفي والمستنجد ، فقيل إنّ طبيبه ابن رشادة سقاه سمّاً فمات (المنتظم ١٠/٢١٦).

وفي السنـة ٥٦٧ تـوفّي أبـو عبـدالله محمـد بن سعـد المعـروف بـابن مردنيش ، صاحب شرق الأندلس ، واتّهمت أمّه بأنّها دسّت له السمّ لأنّه أساء عشـرة أهله وخواصّـه ، فنصحته ، فتهـدّدها ، فخـافت من بطشـه ، وعملت عليه ، فقتلته بالسمّ . (وفيات الأعيان ٧/١٣١) .

وفي السنة ٥٦٧ توفّي الإمام محمد بن محمد البروي الشافعي الواعظ ، وكـان ببغداد شـديـداً على الحنـابلة ، يبـالـغ في ذمّهم ، وكـان شـابـاً مليـح الصورة ، حسن العبارة ، فذكر أنّ الحنابلة ، دسّوا عليـه سمّاً، فجـاءته امـرأة في الليل ، ومعها صحن حلوى ، فـطرقت بابـه ، وقالت : أنـا امرأة آكـل من مغزلي ، وقد غزلت قطناً ، وبعته، واشتريت من ثمنه هذه الحلوى ، واشتهيت أن يأكل الشيخ منها ، فإنّها من حلال ، فتناوله منها ، ومضت ، وجلس يـأكل وزوجته وولد لـه صغير ، فـأصبحوا مـوتى جميعاً ، (المنتظم ١٠/٢٣٩ وابن الأثير ١١/٣٧٦ والوافي بالوفيات ١/ ٢٨٠).

وفي السنـة ٥٨٠ سار شهـاب الدين الغـوري الى الهند ، فحـاصـر بهـا مدينة آجره (أغرا) وبها ملك من ملوك الهند ، فلم يـظفر منـه بطائـل ، وكان للهندي زوجة غالبة على أمره ، فراسلها شهاب الدين أنّه يتـزوجها ، فـأعادت الجـواب إنّها لا تصلح لـه ، وإنّ لها ابنـة جميلة تزوّجـه إيّاهـا ، فأرسـل إليها

يجيبها إلى التزوّج بـابنتها ، فسقت زوجهـا سماً ، وسلّمت البلد إليـه ، فلما تسلّمـه ، أخذ الصبيّـة ، فأسلمت ، وتـزوّجها ، وحملهـا إلى غزنـة ، وأجرى عليها الجرايات الوافرة ، ووكّل بها من يعلّمها القرآن ، وتشاغل عنها، فتوفيت والدتها ، ثم توفّيت هي بعد عشـر سنين ، ولم يرهـا ، ولم يقربهـا ، فبنى لها مشهـداً ، ودفنها فيـه ، وأهـل غـزنـة يـزورون قبـرهـا (ابن الأثيـر ١١/١٧١-١٧٢).

وفي السنـة ٦٠٣ تـوفّي إيتـامش ، مملوك الخليفـة النـاصـر لـدين الله العبـاسي ، وكان قـد أقطعـه الخليفة الـدجيل ودقـوقـا ، فـآتّهم نصـراني من الدجيل ، يقال له ابن سـاوة بأنّـه سمّه ، فـأمر الخليفـة بتسليم النصراني إلى مماليك ايتـامش ، فكتب الوزيـر إلى الخليفة يقـول : إنّ النصاري بـذلوا في ابن ساوة مائة ألف دينار كي لا يقتل ، فلم يستمع الخليفـة إلى قولـه ، وسلّم ابن ساوة إلى المماليك فقتلوه وأحرقوه (شذرات الذهب ٥/٩) .

أقول : ذكر صاحب الجامع المختصر القصـة في الصحيفة ٢١٩ و٢٢٠ وذكر أنّ آسم الأمير تتامش (بتائين) الناصري ويلقب عـلاء الدين ، وإنّ ابن ساوة الذي آتّهم بسمّه ، كان نـاظراً في اعمـال الدجيـل ومعاملة دقـوقا ، وإنّ الأمير علاء الدين تتامش كان مقطع دقوقا .

وجاء في كتاب الذيل على الـروضتين (ص ٦١) إنّ الذي قتـل الأمير علاء الدين ايتامش بالسمّ ، هو الوزيـر ابن مهدي ، وزيـر الناصـر العباسي ، وإنّ الوزير دسّ السم لآق سنقر الدوادار ولعلاء الدين ايتامش .

ولمـا توفّي الامـام فخر الـدين الرازي في السنـة ٦٠٦ وكـان مخـاصمـاً للكرامية ، قـال بعض الناس : إنّ الكـرامية دسّـوا له السمّ (شـذرات الذهب ٥/٢١) .

وفي السنة ٦٣٤ مات بالسمّ السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو ، سلطان الروم ، وهو من السلاجقة (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢١٥) .

وفي السنة ٦٦٢ توفّي الملك الأشرف موسى بن ابراهيم الايوبي ، ملك حمص والرحبة عن ٣٥ سنة ، وقيل إنّه مات مسموماً (شذرات الذهب ٣١١/٥ والاعلام ٢٦٧/٨) .

وفي السنة ٦٧٦ توفّي بدمشق ، الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك الأيّوبي واتّهم الظاهر بيبرس بأنّه دسّ له السّم في الشراب (تاريخ ابن الفرات ٨٦/٧) .

وفي السنة ٦٧٦ توفّي الأمير بيلبك الخازندار الظاهري ، نائب السلطنة بمصر ، أصابه قولنج عظيم ، فاتّهم شمس الدين الفارقاني ، بأنّه دسّ له السمّ ، وفي السنة ٦٧٧ نصب الملك السعيد بركة ، شمس الدين الفارقاني ، نائباً له ، فوثب عليه خاصّة الملك السعيد ، واعتقلوه ، ثم خنقوه (شذرات الذهب ٣٥١/٥ و ٣٥٧) .

أقول : ذكر ابن الفرات في تاريخه ٩٤/٧ انّ الذي اتّهم بدسّ السمّ للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار هو الملك السعيد بركة ، خوفاً منه ، لمحبة الجند له .

وفي السنة ٦٨٢ توفّي الوزير نجم الدين حمزة بن محمد الاصفوني ، وزير المنصور قلاوون ، وآتهم عبد له اسمه فرج ، بأنّه دسّ له السمّ ، فأخذ الشجاعي فرجاً هذا ، وضربه بالمقارع إلى أن مات (تاريخ ابن الفرات ٢٨٤/٧) .

وفي السنة ٦٨٦ توفي قاضي القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن السنجاري ، وكان قد ولي قضاء مصر ، ثم ولي الوزارة مرّتين ، ثم ولي قضاء القضاة في الأقاليم ، ومات بعد عشرين يوماً من تولّيه منصبه الأخير ، فقال الناس إنّه سمّ (شذرات الذهب ٣٩٥/٥) .

وفي السنة ٦٨٧ توفي الملك الصالح علاء الدين على ابن المنصور قلاوون ، بالقاهرة وكان أبوه صاحب مصر والشام ، قد ولّاه العهد ، فاتّهم أخوه الملك الاشرف صلاح الدين خليل ، بأنّه سمّه (تاريخ ابن الفرات ٨/٧٠) .

وفي السنة ٦٨٩ توفّي الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون ، ملك مصر والشام ، وقيل إنّ ولده الملك الاشرف الدين خليل سقاه السمّ (تاريخ ابن الفرات ٨/٩٧) .

وفي السنة ٦٩٠ مات السلطان أرغون ، وقيل إنّه سمّ ، واتّهموا سعد الدولة الماشعيري اليهودي ، بأنّه سمّه ، فكانت حجّة لطّلاب المال والجاه ، إذ مالوا على اليهود قتلاً ونهباً ، وسلباً ، وقتل سعد الدولة فيمن قتل (شذرات الذهب ٥/٤١١ وتاريخ العراق للعزاوي ١/٣٥٢) .

وفي السنة ٦٩٤ توفّي بتعز من بلاد اليمن ، الملك المعزّ يوسف بن عمر بن علي بن رسول سلطان اليمن ، وقد تجاوز الثمانين ، مات مسموماً ، سمّته أحدى جواريه (النجوم الزاهرة ٨/٧٣) .

وفي السنة ٧٠٣ توفيّ القان محمود بن غازان ، وكان بعد شاباً ، فذكر الناس أنّه سمّ ، ووصفوا كيفيّة سمّه ، بإنّه سمّ في منديل تمسّح به بعد الجماع (شذرات الذهب ٦/٩) ، وقد بحثنا عن كيفية موته وأوردنا ترجمته باختصار في موضع آخر من هذا الكتاب .

وفي السنة ٧١٢ توفّي صاحب ماردين نجم الدين غازي بن المظفر قرا أرسلان عن بضع وستّين سنة ، وتملّك بعده ولده العادل ، فمات بعد أيّام ، فقيل أنّ الأب والابن سمّهما قراسنقر ، ثم تملّك بعدهما الابن الآخر الملك الصالح (شذرات الذهب ٦/٣١) .

وفي السنة ٧٣٢ بلغ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، أنّ الأمير بكتمر الساقي قد تآمر مع أمراء آخرين على الفتك به ، فآحترز منه غاية الإحتراز ، وكان السلطان في طريق الحجّ ، ومعه بكتمر وولده أحمد ، وبعد انتهاء الحج ، توفّي في طريق العودة أحمد بن بكتمر وتبعه بكتمر بعد يومين ، فآتّهم الناصر بأنّه دسّ لهما السّم ، وأخذت زوجة بكتمر تصيح بالسلطان بصوت عالٍ : يا ظالم ، أين تروح من الله ، ولدي وزوجي ، زوجي كان مملوكك ، ولدي أيش كان بينك وبينه ؟ ، وكرّرت ذلك مراراً ، فلم يجبها السلطان . (النجوم الزاهرة ٩/١٠٤ ـ ١٠٦) .

وفي السنة ٧٤٣ قصد الملك الاشرف بن تمرتاش بن جوبان ، صاحب أذربيجان وأزان ، بير حسن بن محمود بن جوبان ، فوقعت الحرب بينهما بظاهر أصبهان ، فانتصر الاشرف ، واستولى على شيراز ، والتجأ بيرحسن إلى حسن بن تمرتاش بالسلطانية ، فسقاه سمّاً ، فمات (تاريخ الغيالي ٨٥ و ٨٦) .

وفي السنة ٧٧٠ بلغ السلطان بمصر ، أنّ الأمير طنبغا الطويل ، ينوي الإنتقاض ، فدس إليه سمّاً ، فقتله (اعلام النبلاء ٢/٤٤٩) .

وفي السنة ٧٧٦ مات الأمير قطب الدين أويس بن شاه شجاع بن مبارز الدين محمد ، دسّ له السمّ (معجم أنساب الاسرار الحاكمة ٣٧٩) .

وفي السنة ٣٨٦ ضجر السلطان المتوكّل على الله أبو فارس موسى بن أبي عنان ، من تحّكم وزيره مسعود بن ماسي عليه ، وداخل بطانته في الفتك به ، وشعر الوزير بذلك ، فبعث ولده يحيى ، وعبد الواحد المزوار إلى السلطان ابن الاحمر ، صاحب غرناطة ، في أن يبعث إليه السلطان المخلوع أبا العباس ، ليعيده إلى السلطنة بدلاً من أبي فارس ، ثم خرج الوزير على رأس حملة لقتال أحد الخوارج ، وآستخلف في مكانه أخاه يعيش بن رحّو بن

ماسي ، فلما انتهى الوزير إلى القصر الكبير ، لحقه الخبر بأنّ السلطان موسى قد مات ، والناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنّه سمّ السلطان (ابن خلدون ٣٥٢/٧) .

وفي السنة ٧٨٦ توفّي أوحد الدين عبد الواحد بن اسماعيل الإفريقي ، كاتب السلطان الاشرف برقوق ، وكانت علّته أنّه ذهبت منه شهوة الطعام ، وآبتلي بالقيء ، فصار لا يستقرّ في جوفه شيء ، وتوفي قبل الأربعين ، فشاع بين الناس إنّه دسّ له السمّ (شذرات الذهب ٢٩١/٦ و٢٩٦) .

وفي السنة ٧٨٧ توفّي نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان المعروف بابن الجابي ، عن خمسين سنة ، وكان قوي العلاقة بأوحد الدين كاتب سرّ السلطان برقوق ، وبين موتهما أشهر ، فقال الناس أنّهما سمّا معاً ، وإن تأخّر موت أحدهما عن صاحبه (شذرات الذهب ٢٩٦/٦) .

وفي السنة ٧٩١ توفّي شهاب الدين أحمد بن ركن الدين السرائي ، الشهير بمولانا زاده ، وهو في الأربعين ، ذكروا إنّ بعض حسّاده دسّ إليه سمّاً فقتله (شذرات الذهب ٣١٧/٦) .

وفي السنة ٧٩٣ توفي شرف الدين أبو حاتم عبد القادر النابلسي ، قاضي القضاة ، وكان قاضي دمشق في حياة أبيه ، مات بدمشق على أثر اكلة أكلها ، ومات جميع من أكل معه ، فقالوا أنّه دسّ له السّم ، ولما بلغ والده خبر موته ، اختلط عقله من حزنه عليه ، وظلّ مختلطاً حتى مات (شذرات الذهب ٣٢٩/٦) .

وفي السنة ٧٩٤ توفّي الأمير حسام الدين لاجين الصقري ، وزير السلطان برقوق بالديار المصرية ، واتّهم الأمير جمال الدين محمود ، استادار العالية ، بأنّه « سقاه » أي إنّه دسّ له السّم في الشراب (تاريخ ابن الفرات ٣٢٨/٩) .

وفي السنة ٧٩٤ توفّي الأمير بطا بن عبد الله الطولوتمري ، وقيل إنّه مات مسموماً على يد السلطان الظاهر (نزهة النفوس ٣٥١) .

وفي السنة ٧٩٤ استدعي فخر الدين بن مكانس ، من الشام إلى مصر ، فدسّ له السّم في الطريق ، فدخل القاهرة ميتاً (شذرات الذهب ٦/٣٣٤) .

وفي السنة ٨٠١ مات خير الدين خليل بن عيسى الحنفي ، قاضي القدس ، مات مسموماً (الضوء اللامع ٣/٢٠١) .

وفي السنة ٨٠٩ توفّي مسموماً ، السلطان خليل بن أميران شاه بن تيمور كوركان ، وكان قد تسلطن في السنة ٨٠٧ عند وفاة جدّه تيمورلنك ، لكونه كان معه عند وفاته ، فملك قلوب الرعية بالإحسان ، وآستفحل أمره ، ومات بالريّ مسموماً ، فانتحرت زوجته شادملك عند وفاته ، بأن نحرت نفسها بخنجر من قفاها ، فهلكت من ساعتها ، ودفنا في قبر واحد ، ثم قتل والده أميران شاه بعده بقليل ، وولي مكانه بير عمر (الضوء اللامع ٣/١٩٣ و١٩٤) .

وفي السنة ٨٠٩ حمل السلطان الملك الناصر ، سلطان مصر ، أخويه الملك المنصور عبد العزيز ، وابراهيم ، إلى الاسكندرية ، ليقيما بها ، وأخرج مع أخويه أمّهاتهما ، وخدمهما ، وأجرى لهما في كلّ يوم خمسة آلاف درهم ، ولكلّ من الأمراء ألف درهم في اليوم ، وبعد أقلّ من شهرين مات عبد العزيز وابراهيم ، في يوم واحد ، ولهج الناس بأنّهما ماتا مسلومين ، ونقلت رمّتاهما إلى القاهرة ، مع أميهما وجواريهنّ ، وكانت عاقبة أخيهما السلطان أنّه لما كان بدمشق ، خلع ، وسجن بالبرج بقلعة دمشق ، وأرسلوا له أربعة أشخاص قتلوه طعناً بالخناجر ثم أخرجوه ، وألقوه على مزبلة خارج المدينة ، وهو عريان مكشوف الرأس ، ليس عليه غير اللباس في وسطه ، فترك ثلاثة أيّام لم يدفن ، ثم دفن . (بدائع الزهور ١/٢/٧٦١ ـ ٨٢٠) .

وفي السنة ٨١٢ قصد قرايوسف ماردين ، وحصرها ، وفيها الملك الصالح شهاب الدين الأرتقي ، وتمّ الصلح بينهما على أن يتسلّم قرايوسف ماردين مهراً لابنته التي زوّجها للملك الصالح ، على أن يعطي يوسف للصالح مدينة الموصل، وتسلّم يوسف ماردين، وأعطاه البنت، ورحل الملك الصالح إلى الموصل ، فمكث فيها أيّاماً ثم مات بالسّم ، وآتّهم قرايوسف بأنّه هو الذي أمر بدسّ السمّ للملك الصالح ، وعادت الموصل إلى حكم قرايوسف (تاريخ الغياثي ٢٤١و٢٤٢) .

أما في الضوء اللامع ، فقدورد الخبر ٢٣١/١ كما يلي : كان الملك الصالح شهاب الدين أحمد بن اسكندر الأرتقي ، قد نشأ في دولة ابن عمّه الظاهر مجد الدين عيسى ، وآختصّ به ، وزوّجه آبنته ، واستخلفه على ماردين ، ولكنّه باع ماردين لقرايوسف بن قرامحمد بعشرة آلاف دينار ، وألف فرس ، وعشرة آلاف رأس غنم ، وزوّجه قرايوسف ابنته ، وأعطاه الموصل ، فتوجّه أليها ، فلم يقم سوى ثلاثة أيام ، ومات هو والزوجة المشار إليها في السنة ٨١١ ويقال أنّ قرايوسف سمّة ، وخلّف أربعة أولاد أخرجهم قرايوسف من الموصل .

وفي السنة ٨٢٣ توفّي الامير صارم الدين ابراهيم بن السلطان الملك المؤيد شيخ وقيل أن أباه المؤيّد دسّ إليه من سمّه (شذرات الذهب ١٥٩/٧) .

أقول : الثابت أنّ الأب كان شديد المحبّة لولده ، وأنّه كان يلّح على الاطباء في المبالغة في علاجه ، وأنّه اشتّد جزعه عليه لما مات ، بحيث أنّ الأب لم يعش بعد ولده إلاّ ستّة أشهر .

وفي السنة ٨٢٤ مات السلطان الملك الظاهر ططر ، من ملوك الجراكسة بمصر والشام ، وكان قد خلع سلفه الملك المظفّر ، وتزوّج أمّه ،

ثم طلّقها ، فروي أنّه مات مسموماً ، سمّته أمّ المظفر ، لما خلع ولدها (الاعلام ٣/٣٢٧) .

وفي السنة ٨٣٣ قتل الظاهر صاحب اليمن ، اسماعيل بن عبد الله العلوي الزبيدي بالسمّ ، وتفصيل ذلك : إنّ الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل رأى زوجة اسماعيل العلوي فأعجبه جمالها ، فأمر زوجها اسماعيل بطلاقها ، وضيّق عليه حتى آضطر إلى طلاقها ، فتزوّجها الظاهر ، وفرّ اسماعيل إلى مكّة ، فلما بلغ الظاهر فراره ، قتل أخا اسماعيل وهو شهاب الدين أحمد بن عبد الله العلوي الزبيدي ، ونهب بيوتهم ، وأزال نعمتهم ، ثم إنّه دسّ إلى اسماعيل من قتله بالسّم بمكّة (الضوء اللامع ١/٣٦٠ و٢/٣٠١) .

أقول : السلطان الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل ، سلطان اليمن ، من بني رسول ، خلف أباه في حكم اليمن في السنة ٨٢١ وهلك في السنة ٨٤٢ وانقرض حكم بني رسول بعد ثماني سنوات من هلاكه ، وليس العجب من انقراض حكم هذه السلالة مع هذا الظلم ، ولكنّ العجب من بقاء هذا الظالم في السلطنة عشرين سنة .

وفي السنة ٨٣٥ توفّي القاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي التفهني ، قيل أنّه مات بالسّم ، وإنّ أمّ ولده هي التي دسّت له السّم من غيظها منه لأنّه لما توفيّت زوجته ظنّت أمّ ولده أنّها تنفرد به ، فتزوجّ آمرأة ، وآطرح أمّ ولده ، فحصلت لها غيرة فسمّته (شذرات الذهب ٧/٢١٤) .

وكان الأمير أسبان يكثر من استعمال السّم سلاحاً في قتل من يريد قتله فإنّه في السنة ٨٣٩ حاصر مدينة إربل وهي تحت حكم مزراعلي بن شاه محمد وبعد ستّة شهور من الحصار ، أرسل إلى القلعة مشاعلياً وسباهيّين زعموا أنّهم فرّوا من عند أسبان ، وكانوا قد صحبوا سمّاً ألقوه في الآبار التي يشرب أهالي إربل منها الماء ، فلما شرب منه الإربليون وقع الموت فيهم

وازرقّت جلودهم ونتنت أفواههم ، وطالت مدة الحصار إلى سنة واحدة وشهور فاضطر مزراعلي إلى طلب الأمان من أسبان ، فأمنّه وحلف له أن لا يقتله فنزل إليه هو وأولاده ، فآختار أسبان بلقيس ابنة شاه علي زوجة له ، ونصب حاكماً في إربل نائباً عنه ، ورحل أسبان إلى الموصل ، فآحتال على حاكمها توشمال زينل ، ودسّ إليه السّم ، فقضى نحبه ، فاستولى على البلد ثم نزل إلى بغداد ، وصحب مرزاعلي معه (التاريخ الغياثي ٢٦٩) .

أقول : لم يكن الأمير أسبان هذا مقتصر في جرائمه على آستعمال السّم للفتك بالناس ، وقد أسلفنا في موضع آخر من هذا الكتاب ، إنّه قتل أباه غيلة ، ثم قتل ابن عمّه ميزراعلي وأولاده جميعاً ، حتى الأطفال في المهد ، وكانت بلقيس بنت مرزاعلي ، جالسة عند زوجها أسبان ، لما قتل أباها وأخوتها ، فبكت وصاحت ، فأمر بخنقها ، فخنقت .

وفي السنة ٨٤٠ مات بالسّم السلطان محمد غزنين خان بن هو شنك ، ملك مالوه ، دسّ له السّم ، الأمير محمود الخلجي ، الذي تسّلم الملك من بعده باسم محمود شاه (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٣١) .

وفي السنة ٨٥٥ قتل بالسّم السلطان محمد كريم شاه ، سلطان كجرات ، دسّت له السّم زوجته (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٣٥) .

وفي السنة ٨٦٨ مرض بدر الدين الحسن بن علي الحصني ، ومات بالقاهرة ، فقيل إنّه مات مسموماً (الضوء اللامع ١١٤/٣) .

وكان بابر بن بايسنقر على مملكة هراة ، وكانت معه جدّته أمّ أبيه ، وآسمها كوهرشاد ، قيل إنّها سقته سمّاً في الشراب ، في السنة ٨٦١ فمات (التاريخ الغياثي ٢٢٨) .

أقول : أحسب أنّ آتهام العجوز بسّم حفيدها ، تهمة لا أصل لها ، هذا إذا صحّ أنّ الحفيد توفّي مسموماً .

وفي السنة ٨٧٠ توفّي الفقيه محمد بن سليمان الجزولي ، فقيل إنّه مات مسموماً (الاعلام ٧/٢١) .

وفي السنة ٨٩٧ مات بالسّم الشيخ نجم الدين مسعود ، وزير السلطان يعقوب ، سمّه أحد الأمراء في شيروان (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٢٨٨) .

أقول : السلطان أبو المظفر يعقوب بهادر بن السلطان أوزون حسن بك ، ولي السلطنة في السنة ٨٨٣ على قول صاحب تاريخ الغياثي (ص ٣٩٣) وفي السنة ٨٨٤ على قول زامباور في معجمه (ص ٣٨٤) ، وتوفّي في السنة ٨٩٦ على ما جاء في تاريخ الغياثي ومعجم زامباور ، لذلك يكون التاريخ الذي أورده العزّاوي في حاجة إلى تصحيح ، إلاّ إذا كانت وفاة الوزير بعد وفاة السلطان .

وحصل للسلطان ابراهيم لودي ، سلطان الهند (٩١٥ ـ ٩٣٢) ، بعض الريب في مستشاره ووزيره أعظم همايون ، فأمر باعتقاله ، وسقي كاساً من السمّ في السجن ، فقتله . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٣٥) .

وكان عيسى باشا ، بكلربكي (أمير الامراء) المملكة الدمشقية ، في عهد آل عثمان ، مولعاً بدسّ السّم للناس ، ولما توفّي فجأة حسين بن محمد شاه الحلبي المعروف بابن الميداني ، في السنة ٩٣٤ وكان ذا صولة وعلوّ همة ، إتّهم الناس عيسى باشا ، بأنّه دسّ له السّم مع واحد من اصحابه (اعلام النبلاء ٥/٤٦٥) . ولما توفّي في السنة ٩٣٧ قاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة محمد بن فرفور الدمشقي ، قالوا إنّه مات بسّم دسّه إليه عيسى باشا (اعلام النبلاء ٥/٤٨٩) ، وجاء عيسى باشا مرة إلى حلب للتفتيش ، وأراد محاسبة بدر الدين حسن بن عمر النصيبي ، ففّر منه ، ثم آستسلم إليه ، وحضر مجلسه ، فأراد أن يسقيه شراباً ، فامتنع من تناوله ، لاشتهار عيسى باشا بدسّ السّم « وعاد بدر الدين من عنده سليماً بإذن الله تعالى » ولكنّه بعد

أن سلم من عيسى باشا ، لم يسلم من خلفه إسكندر بك الذي ولي الدفتر دارية ، إن أهل الديوان الدفترداري دسّوا له السمّ ، فمرض ومات في السنة ٩٥٦ (اعلام النبلاء ٥/٥٦٥) .

وفي السنة ٩٦١ قتل السلطان محمود شاه بن لطيف شاه ، صاحب كجرات ، قتله بعض خدمه بمواطأة من بعض وزرائه وحرسه ، بأن دسّ له سمّاً في شرابه وحلواه ، (شذرات الذهب ٨/٣٢٨) .

وفي السنة ٩٧٤ ولي اليمن ، مراد باشا ، المعروف بكورمراد ، أي مراد الأعور ، لخلل كان بإحدى عينيه ، وقد آتّهم بأنّه دسّ السّم لأميرين من أمراء اليمن ، معروفين بكثرة المال ، وهما الأمير محمد بن يحيى سنجق عدن ، والثاني محمد بك سنجق جبلة ، فوضع يده على جميع مخلفاتهما ، وقوّم له ذلك بأبخس ثمن ، حتى إنّه قوّم له رأسّ الخيل بخمسة دنانير . (البرق اليماني ١٦٣ و١٦٤) .

وفي السنة ٩٧٨ مات بالسّم ، الأمير علي بن شرف الدين ، صاحب حصن حب باليمن ، وهو أحد أمراء الزيدية ، غدر به شفلوتان من خواصّه (الشفلوت وجمعه شفاليت : طائفة من العرب يخدمون في العسكر ويربّون شعورهم) فدسّا إليه السّم في سفرجلة ، فلما أكلها مات ، وكان قد حرّضهما على الغدر به ، سنان باشا التركي قائد الجيش العثماني المحاصر لحصن حب(البرق اليماني ٤٤٢) .

وفي السنة ٩٨٤ مات بالسّم الشاه طهماسب الأوّل ، بعد أن حكم إيران من السنة ٩٣٠ (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٨٨) .

وفي السنة ٩٨٥ مات مسموماً، الشاه إسماعيل الثاني ، ابن طهماسب ، قيل إنّ أخته الأميرة بيري جان خانم سمّته في حقّة البرش (مخدّر) فلما تناول منه مات (تراجم الاعيان ٢/٥٧ ـ ٥٩) ، وفي الكواكب السائرة

١٣٦/٣ إنّ الشاه إسماعيل مات هو ومحبوبه ، بسبب أكل البرش المسموم ، وفي معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٨٨ قيل إنّه سّم لأنّه كان يميل إلى أهل السنّة .

وفي السنة ٩٨٦ هلك المتوكّل بن الغالب ، من ملوك السعديّين في المغرب ، غرقاً ، وهلك عمّه المعتصم أبو مروان عبد الملك السعدي ، بالسّم ، وخلاصة القصّة ، أنّ محمد الشيخ بن القاسم ، الملك السعدي ، مات ، فولي الحكم ولده الغالب ، فطمع أخوه المعتصم عبد الملك في الإستيلاء على الحكم ، ثم مات الغالب ، فخلفه ولده المتوكّل ، فزاد طمع المعتصم ، واستعان بالترك العثمانيين على ابن أخيه ، واستعان ابن أخيه بالبرتغاليين ، ونشبت بينهما معارك طاحنة ، كان آخرها أن هلك المتوكّل غرقاً ، ومات المعتصم بالسّم الذي دسّه إليه قائد جيش الترك . (الاعلام ٣١١/٤ و٣١٢) .

وفي السنة ١٠٢٢ قتل السلطان زيدان بن المنصور ، سلطان المغرب ، أبا العباس الأندلسي أحمد بن قاسم بن معيوب ، قتله بالسّم . (الاعلام ١٨٩/١) .

وفي السنة ١٠٣٢ توفي الأمير محمد بن علي السيفي الطرابلسي ، من امراء بني سيفا ، حكّام طرابلس الشام ، مات مسموماً في رحلة قام بها إلى تركيا . (الاعلام ١٨٦/٧ و١٨٧) .

وفي السنة ١٠٣٤ خلع الشريف محسن بن الحسين ، عمّه الشريف إدريس من أمارة مكّة ، وحلّ محلّه منفرداً ، فحاربه مسعود وعبد الكريم ولدا عمّه إدريس ، فآنتصر عليهم ، وفي السنة ١٠٣٧ مرّ بجدّة الوزير أحمد باشا متولّياً على اليمن ، فلما استقرّ بجدّة ، أمر بالقائد راجح بن ملحم حاكم جدّة ، فحبس ، ثم شنقه ، ونصب الشريف أحمد بن عبد المطلب ، أميراً

على مكّة ، فاشتبك الشريف محسن والشريف أحمد ، فانتصر الشريف أحمد ، وانحاز الشريف محسن إلى اليمن ، حيث نزل ضيفاً على الإمام محمد بن القاسم ، وتوفّي هناك في السنة ١٠٣٨ فقيل إنّه مات مسموماً (خلاصة الاثر ٣/٣٠٩ - ٣١١) .

وفي السنة ١٠٦٨ (١٦٥٨ م) ، اعتقل أورنك زيب عالمكير محي الدين أعظم شاه (١٠٦٨ - ١١١٩) أخاه الأمير مراد ، ونقل إلى دلهي ، حيث تمّ إعدامه بطريقة طريفة ، وهي إنّه عرض لحيّة لدغته ، فقتلته . (الإسلام والدول الاسلامية في الهند ١١١) .

وفي السنة ١٠٩٧ قتل المؤيّد بالله محمد بن إسماعيل ، صاحب اليمن ، بالسّم ، وهو من أئمة الزيدية ، بسط عمّاله أيديهم بالظلم ، فهمّ بإصلاحهم ، فقتلوه بالسّم . (الاعلام ٦/٢٦٢) .

وتوفي في السنة ١١٢٥ في اليمن ، الإمام المنصور بالله ، الحسين بن عليّ الحسني ، إمام الزيديّة باليمن ، ولي الحكم في السنة ١١٢١ وتنازل عنه في السنة ١١٢٤ للمنصور الحسين بن القاسم ، ولما توفّي قيل انّه مات مسموماً . (الاعلام ٢/٢٦٩) .

وفي السنة ١١٥٦ جهز سليمان باشا العظم ، والي دمشق ، عسكراً على الظاهر عمر الزيداني ، بعد أن قبض على أخيه مصطفى ، وشنقه بدمشق ، ولما وصل سليمان باشا إلى عكّا ، وحصر الشيخ الظاهر عمر ، رشا الظاهر بعض أتباع سليمان باشا ، فدسّ له السّم في طعامه فمات (خطط الشام ٢/٢٩٣) .

ولما توفّي السيد جمال الدين الأفغاني ، في اصطنبول، في السنة ١٣١٥ اتّهم الناس السلطان عبد الحميد بأنّه دسّ له السّم . (الاعلام ٧/٣٧ و٣٨) .

ومن الـطريف أن نورد هنـا خبراً ذكـره الدكتـور علي الوردي في كتـابـه لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث ١٤٣/٣ وهو : أنّ محكمة تركيّـة حكمت في السنة ١٩٠٩ ميلاديـة ، على ثلاثين رجـلاً من رجال الـدين ، بأن يأكلوا خبزاً مسموماً .

سمّ أداة القتل

وأما اللون الثاني من القتل بالسم ، وهـو سـمّ أدات القتل ، فقد ذكروا أن ابن ملجم ، قاتل الإمـام عليّ بن أبي طالب ، سمّ سيفـه الذي ارتكب بـه الجـريمة (الـطبري ٥/١٤٦) ، وذكـروا أنّ الحجـاج بن يـوسف الثقفي دسّ على عبد الله بن عمر ، من طعن ظاهر قدمه بحربة مسمومة ، فمـات (تاريـخ الخلفاء ٢١٥) .

وأمّا فيما يتعّلق باتّهام الطبيب بسّم المشرط المعدّ للفصد ، فقد قيل أنّ الطبيب ابن طيفور سمّ المنتصر في مشراط فصده به (مـروج الذهب ٢/٤٢٦ وتاريخ الخلفاء ٣٥٧ وفوات الوفيات ٣/٣١٨) .

وذكـروا أنّ أمير المسلمين بـالمغرب ، يـوسف بن تاشفين ، حـاول في السنة ٤٨ قتل محمد بن ابراهيم سيـد قبيلة كزولـة ، إذ لم يظفـر منه بـطاعة ، فبعث إليـه حجّامـاً ، وأمره أن يحجمـه بمشارط مسمـومـة ، وأحسّ الكزولي بذلك ، فأمر بـأن يحجم الحجّام بمشـارطه المسمـومة ، وحجم بهـا ، فمات (ابن الاثير ١٠/١٧٨ و١٧٩) .

وكـان سبب وفـاة أبي الفـرج غيث بن علي الصـوري (ت ٥٠٩) أنّـه آفتصد ، وكان الـطبيب قد أعـدّ مبضعاً مسمـوماً ، ليفصـد به غيـره ، فغلط ، ففصده به ، فقتله (معجم الادباء ١/٢٥٠) .

وكان الأطبّاء ، قبل آكتشاف المكروب ، لا يعرفون عن التعقيم شيئاً ، فـإذا كان المشـرط ملوّثاً ، كـانت العاقبـة موت المفصـود ، ولما كـان الفصـد يجري في كلّ سنة مرّة واحدة على الأقل ، حسب تقاليد الطبّ القديم . فقـد كـان من يفتصد يتعّـرض جرحـه للتلوّث ، فيتّهم الطبيب بـأنّه فصـده بمشـرط مسمـوم ، ويتّهم مع الـطبيب ، واحد أو أكثـر من خصوم المفصـود ، من أفراد العائلة الحاكمـة ، أو من مزاحميـه على السلطان ، فيقتلون معاً ، وقـد قتل ، في مثل هذه الظروف ، عدد من الأطبّاء الذين هيّـأ لهم سوء حـظّهم ، أن كان المشرط الذي أجروا به عمليّـة الفصد ، مشرطاً ملوّثـاً ، وعندما أراد الأطباء أن يخلصـوا من تهمـة سمّ المشـرط ، أصبح متعـارفـاً بينهم أن يمصّ الـطبيب المشرط أمام المفصود ، ثم يمسحه بلحيته ، قبل إجراء عملية الفصد ، فأدّى ذلك إلى زيادة حوادث التلوّث ، فكان الطبيب يتّهم بأنّه ذرّ السّم على لحيته ، فلوّث به نصل المشرط ، فكان الذي رآه الأطبّاء سبباً للنجاة ، سبباً من أسباب الإمعان في التورّط .

وكان حرص الحاكمين على حياتهم ، والتخـوّف من دسائس خصـومهم يدفعهم إلى آمتحان الأطبّاء إمتحانات صعبة ، لاختبـار أمانتهم (عيـون الأنباء ١/١٨٧ و١٨٨) فإن نجحوا في آختبار الأمانة ، وفي آختبار الفهم والمعرفة ، أفاضوا عليهم من النعم ، ورتّبوا لهم من الأرزاق والصلات ، والمكافآت ، ما يصـل إلى مقاديـر تثير العجب ، ونـورد على سبيل المثـال، أنّ رزق الـطبيب جبريل بن بختيشوع من الرشيد ، وحاشيته ، والبرامكـة ، بلغ مجموعـه ثلاثـة آلاف ألف ومائة وثمانين ألف درهم في العام (عيون الأنباء ١/١٣٦ و١٣٧)، هذا عدا الصلات الوافـرة التي كان يـوصل بها ، وأسعف الرشيـد مرّة ، لمـا أغمي عليـه ، فلّما أفـاق ، أمر فـآشتريت لـه ضيـاع تغـلّ ألف ألف درهم في السنة (عيون الانباء ١/١٣٢) .

ومرضت إحدى حظايا الرشيد ، فعالجها ، ولمـا برءت ، وصله الـرشيد

بخمسمائة ألف درهم (تاريخ الحكماء ١٣٥) ، وبلغ مجموع ما أفاده من البرامكة ، في دولتهم سبعين ألف ألف درهم (نشوار المحاضرة للتنوخي رقم القصة ١٠٨/٨) ، وعالج المأمون مرّة ، فوصله بألف ألف درهم (عيون الأنباء ١٢٨/١ و١٢٩) ، وأحتال أبو قريش الطبيب ، في تخفيف وزن عيسى بن جعفر ، أخي السيدة زبيدة ، فوصله الرشيد وجعفر بعشرين ألف دينار (تاريخ الحكماء ٤٣٢ و٤٣٣) ، ووصل الواثق طبيبه يوحنا بن ماسويه في مجلس واحد بثلثمائة ألف درهم (عيون الأنباء ١٧٥/١) ووصل المتوكّل طبيبه إسرائيل الطيفوري بثلثمائة ألف درهم (عيون الأنباء ١٥٨/١٠) كما وصل الطبيب حنين بن اسحاق بمائتي ألف درهم (عيون الانباء ١٩٦/١) .

وإذا عوفي السلطان من مرضه ، وصل الطبيب بألوف دنانير (عيون الأنباء ٣٠٢/١ و ١٠٩/٢ و ٢٤١/٢ و ٢٤٢)، وأخرجه في « زفّة » ومعه البند الموسيقي (الطبلخانة) الخاصّ بالسلطان ، يدور به على الأمراء الكبراء ، ليعطوه « على قدر محبّتهم للسلطان » (معجم الأطباء ٦٩ و٧٠) ومن يا ترى الذي لا يحب السلطان؟

ولما كان الغرم بالغنم ، فإنّ الطبيب يتعرّض لخاتمة تعيسة ، إذا لم ينجع دواؤه ، فقد ابتلي سعيد بن توفيل ، طبيب أحمد بن طولون ، بالضرب والتجريس ، فأدّى ذلك إلى موته (عيون الانباء ٨٥/٢) ، وقتل السلطان الأشرف برسباي طبيبيه العفيف وخضر ، إذ أمر بقتلهما توسيطاً . (معجم الأطباء ١٨٣ و ٢٩١) وكما قتل فضل اللّه رشيد الدين ، وزير غازان (الاعلام ٣٥٩/٥ ودائرة المعارف الاسلامية ١١٦/١٠ ـ ١١٩) ، وثمّة أطباء هيّأ لهم حسن حظّهم أن افلتوا من العقوبة ، بعد أن أحاطت بهم حبائلها ، ومن هؤلاء أطباء الهادي العباسي ، فإنّه لما تطاول مرضه ، غضب على أطبائه وأمر بقتلهم ، ولكنّ موت الهادي خلّصهم من مصيرهم المرعب (تاريخ الحكماء ٤٣١ و٤٣٢) ، وكذلك كان حال جبريل بن بختيشوع

طبيب الرشيد ، فإنّ الرشيد ، لما أشفى ، وهو بطوس ، في السنة ١٩٣ على الموت ، أتّهم طبيبه جبريل ، فهمّ بقتله ، وإن يفصّله ، كما فصّل أخا رافع ، ودعا بجبريل ليفعل به ذلك ، ثم أنظره إلى غدٍ ، فمات قبل الغد (الطبري ٨/٣٤٤) .

الباب الرابع عشر

الاحراق والتعذيب بالنار والماء المغليّ

تعريض المعذّب للنار ، لون من ألوان العذاب قديم ، وهو من أشدّ ألوان العذاب قسوة .

ولم أتوصّل إلى معرفة تاريخ البدء بهذا اللون من العذاب ، ولعلّه عرف منذ أن عرف الإنسان النار .

وقد روى لنا التاريخ ، أنّ ملكين من ملوك العرب ، سمّي كلّ واحد منهما محرّقاً ، أولّهما جفنة الأصغر الغسّاني ، أحرق الحيرة (الأعلام ١٢٨/٢) . وثانيهما عمرو بن هند اللخمي ، أحرق مائة من بني حنظلة ، كان آخرهم البرجمي الذي أبصر النار ، وشمّ القتار ، فجاء يطلب الطعام ، فأضحى طعاماً للنار ، وقيل فيه : إنَّ الشقيّ وافد البراجم (سرح العيون ٢٤٠-٢٤٢) .

والهنود ، منذ القديم ، يحرقون أنفسهم ، ولكنّهم لا يعتبرون ذلك عذاباً ، وإنّما يعتبرونه تخليصاً للروح من شوائب الجسد ، للوصول إلى النيرفانا ، حيث يندمجون في الذات العليّة .

وكان مشركو قريش ، يعذّبون الضعفاء ممن أسلم ، بإلصاق ظهورهم ، وصدورهم ، بالرمضاء ، ويكوونهم بالرضف ، وهي الحجارة المحماة بالنار ،

والمعروف أنّ الرمضاء في الحجاز ، في حمارّة القيظ ، ليست بأقلّ أذى من النار .

وأذكر، على سبيل الاستطراد ، أنّ الشيخ علي الشرقي ، عليه رحمات الله ، حدّثني مرّة عن شدّة الحرّ في الحجاز ، فقال إنّه أحرم في جدّة ، وكان يسير منتعلاً ، في شارع من شوارعها ، وإذا بلذعة، في باطن احد قدميه ، كلذعة الجمر ، فكاد أن يغيب عن وعيه ، وإذا الذي كواه حصاة أصلتها نار الشمس ، فحميت حتى أصبحت مثل النار ، بل أصبحت ناراً ، وتكوّنت في قدمه ، مكان اللذعة ، غدّة ، لم ينفع فيها علاج ، ولم ينجع دواء ، ورافقته طول حياته .

وسمعني ـ رحمه الله ـ يوماً، أترنّم بأبيات لأبي الخطّاب عمر بن أبي ربيعة :

قل لفند يشيّع الأظعانا طالما سرّ عيشنا وكفانا
صادرات عشيّة من قديد واردات مع الضحى عسفانا

فالتفت إليّ ضاحكاً ، وقال : هل أبصرت عسفان، هذه التي تذكرها ؟
قلت: لا

قال : أنا أبصرتها ، وأنخت فيها ركابي ، وكان ذلك عندما حججت صحبة الحاج خيّون العبيد (وهو رئيس عشيرة العبودة، في قضاء الشطرة، جنوبي العراق) ، وكان الحرّ شديداً ، بحيث أنّ كل شيء يلمس ، يكوى اليد ، ووصلنا قبل الظهر إلى عسفان ، فانخنا جمالنا ، وأنزلنا أحمالنا ، واسترحنا في خيامنا ، وكان الذي يعنى بنا شابٌ من جماعة الحاج خيّون ، قويّ البنية ، ضخم الجثّة ، وافر النشاط، وإذا به قد دخل علينا ، وشكا إلينا وجعاً في رأسه ، وبعد دقائق ، انتابه رعاف شديد ، ثم انطرح، ولم يلبث أن مات ، وكانت الشمس حادّة إلى درجة لا يمكن معها للإنسان أن يبارح

خيمته ، فأمر الشيخ أن يوضع تابعه الميت في إحدى العمّاريات (الكجاوات) ، إلى أن تنكسر الشمس ، ولما مالت الشمس ، وأمكننا أن نبارح خيمنا ، وجدنا هذا المسكين ، قد انتفخ من شدّة الحرّ ، إلى درجة لم يتمكّن أحد من إخراجه من العمّارية ، فدفنوه وهو فيها (طرائف ١٥ـ ١٦) .

وكان الإحراق بالنار ، لوناً واحداً لا يتبدّل ، أما التعذيب بالنار ، فكان على أشكال وألوان ، من تقريب إلى كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، إلى صبّ الزيت على الرؤوس وإقامة المعذّب في الشمس ، إلى الكيّ بالسيخ المحمّي ، إلى ملء الطست جمراً وإقعاد المعذب عليه ، أو وضعه على رأسه أو بطنه ، إلى الباس الرأس خوذة من الحديد المحمى بالنار ، وقد عاقب أحد محتسبي القاهرة ، بائع كنافة ، خالف التسعيرة ، فوضع صينيّة الكنافة، على النار ، وأقعده عليها ، أما السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، فكان من جملة ما يعذّب به الناس ، أن تحمى صفيحة الحديد ، ثم تلصق على صدر المعذّب ، فإذا قلعت ، ذهبت بجلد الصدر ، وبعض اللحم ، فيذرّ على الجرح ، البول والرماد ، ليكون ألم المعذب أشد .

أمّا التعذيب بحبس الإنسان في حمّام حارّ ، فقد كان متعارفاً في جميع الأوقات .

وثمة لون آخر من العذاب بالنار ، وهو العذاب بالماء المغليّ ، ويكون بسلق المعذّب في ماء مغليّ ، وهذا اللون من العذاب ، فضلاً عن كونه قليل الحدوث ، فهو لون ليس بالقديم ، وأوّل ما بلغنا عنه ، ما صنعه الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ ، على أثر التحكيم ، فإنّهم صبّحوا حيّاً من أحياء العرب ، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال وأخذوا قسماً من الصبيان ، فألقوهم في قدور الأقِطِ ، وهي تفور (مروج الذهب ٢ / ١٤٩) .

ثم غاب عنّا هذا اللون من العذاب ، حتى أعاده جنكيزخان ، فكان

يسلق الناس أحياء (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٧٥) ، وحاكاه في ذلك عز الدين كيكاوس ملك الروم (الذيل على الروضتين ١١٣) ثم تبعه السلطان أباقا ، سلطان المغول ، إذ أمر بمعين الدين البرواناه ، فقطعت أطرافه الأربعة ، ثم سلق في مرجل ، وأكل المغول لحمه (فوات الوفيات ٢/٧١).

وثمة لون آخر من العذاب بالماء المغليّ ، لم يبلغنا عنه إلاً خبر واحد ، وهو الحقن بالماء المغليّ ، فقد ذكر صاحب مروج الذهب ٢/٤٦٢ ، أنّ الأتراك حقنوا المعتزّ بماء مغليّ ، فورم جوفه ، ومات . وعلى هذا ، فإنً هذا الباب ، يشتمل على فصلين اثنين :

الفصل الأول : التعذيب بالنار ، ويقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الإحراق بالنار .

القسم الثاني : الكيّ بالنار .

الفصل الثاني : التعذيب بالماء المغليّ، ويقسم إلى قسمين :

القسم الأول : السلق بالماء المغليّ .

القسم الثاني : الحقن بالماء المغليّ .

الفصل الأول
التعذيب بالنار

القسم الأول

الإحراق بالنار

حَرَقَ ، وحَرَّقَ ، وأحرق بالنار : جعل النار تؤثّر فيه أثرها المعهود .

أوّل من بلغنا خبر إحراقه ، عبد بني الحسحاس ، فإنّه شبب بفتياتهم ، فحفروا له أخدوداً وألقوه فيه ، وألقوا عليه الحطب ، فأحرقوه (الأغاني ٢٢/٣٠٩).

أقول : اسم هذا العبد سحيم ، وكان عبداً أسود نوبيّاً أعجمياً ، مطبوعاً على الشعر ، وهو القائل :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

وهو القائل :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة ... فكيف إذا جدّ المطي بنا شهرا

والأبيات التي دفعت بني الحسحاس الى قتله هي :

تجمّعن من شتى ثلاث وأربع ... وخامسة حتى بلغن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني ... ألا إنّما بعض العوائد دائيا
فما بيضة بات الظليم يحفّها ... ويرفع عنها جؤجؤاً متجافياً
بأحسن منها يوم قالت أظاعن ... مع الركب أم باق لدينا لياليا
وهبّت شمال آخر الليل قرّة ... ولا درع إلّا بردها وردائيا
توسّدني كفّاً وتثني بمعصم ... عليّ وتحوي رجلها من ورائيا
فما زال بردي طيباً من ردائها ... مدى الحول حتى أنهج البرد باليا

وفي السنة ٣٨ بعث معاوية بن أبي سفيان ، إلى البصرة ، عبدالله بن الحضرمي ، يدعو أهلها إلى الانتفاض على عليّ ، فبعث عليّ من الكوفة أعين بن ضبيعة المجاشعي ، لإخراج ابن الحضرمي من البصرة ، واقتتل أصحاب أعين وأصحاب ابن الحضرمي ، فقتل أعين ، فبعث عليّ ، قائده جارية بن قدامة السعدي ، وهو من كبار قوّاده ، في خمسين رجلاً من بني تميم ، فلما وصل البصرة ، تفرّق عن عبدالله بن الحضرمي أكثر أنصاره، وتحصّن عبدالله في دار مع سبعين رجلاً من أصحابه ، فأحرق عليهم جارية الدار ، وأحرقهم فيها جميعاً (الطبري ٥/ ١١٠ـ ١١٢).

وفي السنة ٦٦ أحرق بالنار ، أحد قتلة الحسين ، عليه السلام ، وهو زيد بن رقاد الجنبي ، وكان يقول: رميت فتى من آل الحسين بسهم ، وإنّه لواضع كفّه على جبهته يتقّي النبل ، فأثبتُّ كفّه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل كفّه ، ثم رميته بسهم آخر ، فقتلته ، ثم جئت إليه ميتاً ، فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ، أما السهم الذي في جبهته، فلم أزل انضنضه حتى نزعته ، وبقي النصل مثبتاً في جبهته ، ما قدرت على نزعه ، وهذا الفتى القتيل عبدالله بن مسلم بن عقيل ، فلما استولى المختار الثقفي على الكوفة ، بعث قائده عبدالله بن كامل الشاكري ، فأحاط بدار زيد ، وأمر رجاله فاقتحموها عليه ، فخرج عليهم مصلتاً سيفه ، فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ، ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه بالحجارة ، ففعلوا به ذلك ، فسقط، وأخرجوه وبه رمق ، فدعا بنار ، فأحرقه بها وهو حيّ لم تخرج روحه (الطبري ٦/ ٦٤ـ ٦٥ وابن الأثير ٤/ ٢٤٣ وانساب الأشراف ٥/ ٢٣٩).

وفي السنة ١١٩ خرج وزير السختياني على خالد القسري ، في نفرٍ ، وكان مخرجه بالحيرة ، فوجّه إليه خالد قائداً من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل عامّة أصحابه ، وأثخن بالجراح ، فأخذ مرتثّاً ، وأحضر أمام خالد ، فأعجب

خالداً ما سمع منه ، ونفس به على الموت ، وحبسه ، فكتب إليه هشام ، يطلب منه أن يقتله ، فأمر به وبمن أسر من أصحابه ، فأخذوا إلى جامع الكوفة ، وأدخلت أطنان القصب فشدّوا فيها ، ثم صبّ عليهم النفط ، ثم اخرجوا فنصبوا في الرحبة ، ورموا بالنيران ، فاضطربوا وجزعوا ، إلاّ وزير فإنّه لم يتحرّك ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات. (الطبري ٧/ ١٣٤).

وفي السنة ١١٩ قبض خالد بن عبدالله القسري أمير العراق ، على المغيرة بن سعيد وبيان ، في نفر من أصحابهما ، خرجوا بظهر الكوفة ، فاحضرهم في جامع الكوفة ، وأمر بأطنان قصب (الطن هو الحزمة) ونفط ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنّاً ، فكعّ عنه ، فصبّت السياط على رأسه ، فتناول طنّاً فاحتضنه ، فشدّ عليه ، ثم صبّ عليه وعلى الطنّ النفط ، ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ذلك فأحرقهم كلّهم . (الطبري ٧/١٢٨-١٢٩ وابن الأثير ٥/٢٠٨).

أقول : كان خروج المغيرة بن سعيد ، في ستّة نفر ، وكانوا يسمّون الوصفاء ، وكان بيان قد أدّعى النبوّة ، وزعم إنّه المراد بقوله تعالى في القرآن : هذا بيان للناس ، وبلغ خالداً خروج هؤلاء النفر بظهر الكوفة ، وهو يخطب على المنبر ، فتحيّرو وحصر ، وقال : أطعموني ماءً ، ثم بعث فأخذهم، وأمر بسريره فوضع في المسجد الجامع ، وأمر بالقصب والنفط فأحضرا ، وأحرقهم ، فقال الشاعر يعيّره بالجبن : (ابن الأثير ٥/٢٠٧-٢٠٨).

لأعلاج ثمانية وشيخ　　كبير السن ليس بذي نصير
تقول من المخافة : أطعموني　　شراباً ثم بلت على السرير

وفي السنة ١٣٠ بعث مروان الجعدي ، عبد الملك بن محمد بن

عطية ، على رأس جيش إلى المدينة ، فقاتل أبا حمزة الخارجي ، وقتله ، ثم امتدّ إلى اليمن ، واستخلف على المدينة ابن أخيه واسمه الوليد بن عروة ، فكتب مروان الى عبد الملك أن يحجّ بالناس ، فخرج من اليمن في نفر من أصحابه ، قيل عددهم اثنا عشر رجلاً ، حتى نزل الجرف ، فأحاط به وبأصحابه ابنا جمانة المراديّان ، وقالا لهم : أنتم لصوص ، فأراهما عهده على الحجّ ، فقالا : هذا باطل ، وأنتم لصوص وقتلا عبد الملك ومن معه ، فلما أبطأ عبد الملك ، افتعل الوليد بن عروة ، ابن أخيه ، كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، وحج بهم ، ولما بلغه قتل عمّه ، مضى إلى الذين قتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنار من قدر عليه منهم (الطبري ٧/٣٩٨- ٤١١ وابن الأثير ٥/٣٩١- ٣٩٢- ٤٠٢).

وفي السنة ١٦١ لما أحسّ المقنّع الثائر بالهلاك ، جمع أهله ونساءه ، وسقاهم السمّ ، فأتى عليهم ، ثم أمر أن يحرق هو وكل ما في قلعته من دابّة وثوب ، ثم قال : من أحبّ أن يرتفع معي إلى السماء ، فليلق نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أصحابه وخواصّه في النار ، فآحترقوا ، ودخل العسكر القلعة ، فوجدوها خالية خاوية (ابن الأثير ٦/٥١ و٥٢) .

وفي السنة ٢٠٠ اسر جيش المأمون بالبصرة ، زيد بن موسى بن جعفر العلوي ، وكان يقال له : زيد النار ، لكثرة ما أحرق من دور بني العبّاس بالبصرة ، وكان إذا جيء اليه برجل من المسوّدة (أتباع العبّاسيّين) كانت عقوبته عنده ، أن يحرقه بالنار (الطبري ٨/٥٣٥ وتجارب الأمم ٦/٤٢٤).

وفي السنة ٢٢٥ أحرق غنام المرتدّ بالنار (الطبري ٩/١٠٣).

أقول : جاء في تجارب الأمم ٦/٥١٦ غنام المرثد ، بالثاء ، وأحسب أنّ الصحيح ما ورد في الطبري ، ولم أعثر على أخبار له في بقيّة التواريخ ، وأحسبه أحرق لأنّه أرتدّ عن الإسلام .

وفي السنة ٢٧٦ أمر أحمد بن طولـون ، صاحب مصـر والشام ، بحبس كاتبه احمد بن حنون الفديدي ، كاتبه ، على ذنب كـان منه ، فكتب اليـه من الحبس رسـالة يسـأله العفـو ، وكتب في فصل منهـا : وانقياد مثلي ـ أعـزّ الله الأمير ـ إنقياد من دحضت حجّتـه ، وأوبقه جـرمه ، فآلحظني بعين عفـوك ، واعطف عليّ بنشر نعمتك ، فإنّك للفضل والطول أهل .

هبني أسـأت فـأين العفـو والكـرم   إن قـادني نحـوك الإذعـان والنـدم
بالغت في السخط فاغفر غفر مقتـدر   إنّ الملوك إذا مـا استرحمـوا رحمـوا

فلما قرأ رسالته ، قـال : يكتب إلي « هبني أسأت » وقـد أساء ، والله ، لـو كتب « إنّي أسأت » لعفـوت عنه ، وأطلقت سبيله ، ثم أمـر به فجعـل في تابوت ، وأحرقه بالنار وهو حيّ (العيون والحدائق ٤ / ١٢٠ـ ١٢١) .

وفي السنـة ٢٨٠ قبض المعتضـد على محمـد بن الحسن بن سهـل ، الملقب : شيلمـة ، وكان قـد اتّهم بأنّـه يسعى لبيعة خليفـة من أولاد الواثق ، فصـدقه عن المؤامـرة ، ولكنّه لم يبـح باسم من أرادوا بيعتـه ، فاجتهـد بـه ، وألحّ ، فقال له : والله ، لو جعلتني كـردناكـاً (شاورمـا) لم أخبرك بـاسمه ، فقـال المعتضد للفـراشين : هاتم أعمـدة الخيم الكبار الثقـال ، وأمر أن يشـدّ عليها شداً وثيقاً ، وأحضر فحماً كثيراً فرش على الطوابيق بحضرته ، وأجّجـوا ناراً ، وجعل الفراشون يقلّبون شيلمة على النار ، وهو مشـدود على الأعمدة ، حتى انشوى ومات ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضـرة للقاضي التنوخي حـ ١ ص ١٤٦ رقم القصة ١ /٧٣ وراجـع الطبري ١٠ /٣٢ وابن الأثير ٧ /٤٦١ ومروج الذهب ٢ / ٥٠٤) .

وفي السنة ٣١٢ ظهر في سطح دار للسيدة (أمّ المقتـدر) كان المقتـدر يقيم بها في بعض الأوقات ، إنسان اعجميّ ، وعليه ثياب فاخرة ، وتحتها مما

يلي بدنه قميص صوف ، وكان قد دخل مع الصنّاع ، فبقي هناك ، ثم عطش ، فخرج ليشرب ، فأخذ ، فأحضر عند الوزير ابن الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : لا أخبر إلاّ صاحب الدار ، فرفق به الوزير ، فلم يخبره بشيء ، فضربوه ضرباً عنيفاً ، فأخذ يكرّر بالفارسية ، كلمة واحدة : ندانم ، معناه : لا أدري ، فأمر به الوزير ، فصلب ، ولفّ عليه حبل من قنّب ومشاقة، ولطّخ بالنفط ، وضرب بالنار ، فاحترق (ابن الأثير ١٤٦/٨ وتجارب الأمم ١١٨/١ والمنتظم ١٨٧/٦- ١٨٨) .

وفي السنة ٣١٧ كان الأمير نصر بن احمد الساماني ، قد حبس اخوته يحيى ومنصور وإبراهيم ، في القهندز ببخارى ، فاحتال أبو بكر الخبّاز ، وكان خبّازاً ببخاري ، فأخرج من القهندز الأمراء المسجونين ، وأخرج معهم جميع من كان مسجوناً فيه من العلويّين ، والديلم ، والعيّارين ، فاجتمعوا ونهبوا خزائن الأمير نصر بن أحمد ، ودوره ، وقصوره ، واختصّ يحيى أبا بكر الخبّاز ، وقدّمه ، وقوّده ، فقصدهم الأمير نصر من نيسابور يريد بخارى، وأسر في طريقه أبا بكر الخباز ، فأخذه إلى بخارى ، وبالغ في تعذيبه ، ثم ألقاه في التنّور الذي كان يخبز فيه ، فاحترق (ابن الأثير ٢٠٨/٨- ٢١٠) .

وفي السنة ٣١٨ أحرق صاحب الشرطة ببغداد ، منازل الجند السودان ، فأحترق فيها جماعة كثيرة منهم ، ومن أولادهم ونسائهم ، وسبب ذلك إنّ الرجّالة المصافية ببغداد ، لما عاد المقتدر إلى الخلافة عودته الثانية ، كثر إدلالهم عليه ، لأنّهم كانوا السبب في عودته للخلافة ، وزاد شغبهم ، ومطالباتهم ، وآصطدموا بالفرسان ، فقتلوا من الفرسان جماعة ، فأمر المقتدر صاحب الشرطة فطرد الرجّالة عن دار المقتدر ، ونودي فيهم بأن يخرجوا عن بغداد ، وظفربجماعة منهم بعد النداء ، فأمر بهم فضربوا ، وحلقت لحاهم وشهرّ بهم ، فهاج السودان تعصّباً للرجّالة ، فركب صاحب الشرطة ، وأوقع بهم ، وأحرق منازلهم ، فآحترق فيها جماعة كثيرة منهم ، ومن أولادهم ،

ونسائهم ، فخرجوا إلى واسط واستولوا عليها ، وطردوا عامل السلطان ، فسار إليهم مؤنس ، فأوقع بهم ، ولم تقم لهم بعدها راية (ابن الأثير ٣١٨/٨ و٣١٩) .

وفي السنة ٣٢٢ ظهر أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، المعروف بابن أبي العزاقر ، وذكروا إنّه أنشأ ديناً جديداً ، وصار له أتباع ، فأفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فصلب ، وصلب معه ابن أبي عون ، صاحب كتاب التشبيهات ، ثم أحرقا بالنار ، راجع التفصيل في ابن الاثير ٢٩٠/٨ - ٢٩٤ وفي وفيات الاعيان ١٥٦/٢ وفي هذا الكتاب : الباب الثالث ، الفصل الثاني : الصفع .

وفي السنة ٣٣٤ حصل قحط وغلاء شديد في بغداد ونواحيها ، وعثروا على امرأة قد شوت ولدها وجلست تأكله ، وقال التنوخي : أخبرني عدّة من أهل بغداد إنّ هذا جرى عندهم ، وإنّهم شاهدوه ، وآختلفت أقوالهم ، فمنهم من قال : إنّ امرأة شوت إبناً لجارة لها ، ومنهم من قال : إنّها شوت إبناً لها ، ومنهم من قال : إبنة جارتها ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج١ ص ٣٥١ رقم القصة ١٨٨ .

وفي السنة ٤٠٤ أمر الحاكم الفاطمي بإحراق امرأة ، فلفّت في بارية ، وأحرقت (أخبار القضاة ٦٠٦ و٦٠٧) .

وفي السنة ٤٠٧ جرى قتل الشيعة بجميع بلاد إفريقية، وأحرق قسم منهم بالنار ، راجع السبب في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب : القتل ، الفصل الأول : القتل بالسيف ، القسم الأول : القتل فتكاً .

وفي السنة ٤١٣ عمد أحد الحجّاج المصريين إلى الحجر الأسود ، فضربه بدبوّس ، وصاح : إلى متى يعبد هذا الحجر ؟ فتبادر إليه الناس فقتلوه ، وقطّعوه ، وأحرقوه بالنار ، وقتلوا جماعة ممّن آتّهم بمصاحبته ، وأحرقوهم بالنار (المنتظم ٩/٨) .

وفي السنة ٤٨٨ تغلّب السيد القنبيطور (رودريق الطاغية) على بلنسية ، فأحرق قاضيها أبا أحمد بن حجاف (نفح الطيب ٤/٤٥٥) كما أحرق أبا جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي (نفح الطيب ٤/٢١ و٤٥٦) .

وفي السنة ٤٩٠ فتح الصليبيون القدس ، فجمعوا اليهود في الكنيس ، وأحرقوهم (خطط الشام ١/٢٨٢) .

أقول : ذكر ابن الاثير ١٠/٢٨٢ إنّ فتح بيت المقدس حصل في السنة ٤٩٢ وإنّهم قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبّادهم ، وزهّادهم ، ممن فارق وطنه وجاور بذلك الموضع الشريف .

وذكر صاحب كتاب علاقات بين الشرق والغرب ٧١ : إنّ الصليبيّين آستولوا في السنة ١٠٩٩ م على بيت المقدس ، وقاموا بمذبحة « خاض فيها رجالهم بالدماء إلى الركب » وآندفعوا يذبحون كلّ من رأوه ، حتى الذين آستسلموا وأسروا ، وجمعوا اليهود في معبدهم ، ثم أحرقوا المعبد ، وأحرقوهم في داخله .

وفي السنة ٤٩٤ ثار الناس بأصبهان ، ضدّ المتّهمين بالباطنية ، وأخذ قومٌ اتّهموا بهذه النحلة ، وتجرّد أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي ، الفقيه الشافعي ، لعقوبتهم ، وأمر بحفر أخاديد ، وأوقد فيها النيران ، وجعل العامّة يأتون بالمتّهمين بهذه النحلة ، أفواجاً ومنفردين ، فيلقون في النار ، وجعلوا على أخاديد النار ، إنساناً ، وسمّوه مالكاً اسم خازن جهنم ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . (ابن الاثير ١٠/٣١٥) .

وفي السنة ٥١٤ هاجم الكرج والقفجاق ، مدينة تفليس ، فخرج إليهم قاضي تفليس وخطيبها في طلب الأمان ، فأحرقوهما (عيون التواريخ ١٠٤) .

وفي السنة ٥٤٨ اتّهم روجر الصقلي ، أحد قواده واسمه فليب المهدويّ ، بأنّه قد أسلم ، وأنّه يتظاهر بالنصرانية ، فجمع له مجلساً من الاساقفة والقسوس والفرسان ، فحكموا عليه بأن يحرق ، فأحرق . (ابن الاثير ١١/١٨٧) .

وذكر ابن الأبّار ، في تحفة القادم ، أنّ ابراهيم بن أحمد بن همشك (ت ٥٧٢) كان قد ملك في الفتنة جيّان ، وشقورة ، وكثيراً من أعمال غرب الأندلس ، كان يعذّب الناس بإحراقهم ، وبرميهم بالمجانيق ، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق (الوافي بالوفيات ١/٢١٤) .

وفي الاعلام ١٠/٥ : إنّ إبراهيم هذا كانت إحدى أذنيه مقطوعة ، فكان الأسبان إذا رأوه في المعركة عرفوه من أذنه المقطوعة ، وقالوا بالأسبانية : همشك ، أي المقطوع الأذن ، راجع بقيّة التفاصيل في هذا الكتاب في الباب السادس عشر : القتل بصنوف العذاب ، الفصل الثامن : القتل بالطرح من شاهق .

وفي السنة ٥٧٩ فرّ أبو الحسن المالقي المغربي ، من السلطان أبي يعقوب الموحّدي ، إلى ملك الروم ، فأكرمه الملك وأحسن نزله ، ثم عثر على كتاب منه إلى المسلمين بالمغرب ، يدلّهم فيه على عورات الروم ، فأحضره ، فأقرّ بأنه كتب الكتاب ، وقال له : ليس يمنعني برّك بي وإكرامك لي من النصح لأهل ديني ، فشاور الملك قسّيسيه ، فأشاروا عليه بإحراقه ، فأحرقه . (المعجب للمراكشي ٣٣٣/٣٣٤) .

وفي السنة ٥٧١ وقعت حرب بمكّة بين أمير الحاجّ العراقي ، والأمير مكثر أمير مكّة ، ومن أعجب ما جرى فيها إنّ إنساناً زرّاقاً ، ضرب داراً بقارورة نفط ، فأحرقها ، وكانت لأيتام ، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكاناً آخر ، فأتاه حجر ، فأصاب القارورة فكسرها ، فاحترق هو بها ، وبقي ثلاثة أيّام ، يعاني عذاب الحريق ثم مات (ابن الأثير ١١/٤٣٢) .

وفي السنة ٥٩٧ حصل قحط عظيم بمصر ، صنّف فيه عبد اللطيف البغدادي كتاباً ، وذكر فيه : أنّ الحال وصل بالناس إنّهم كانوا يأكلون الصغار ، فكان السلطان يأمر باحراق الفاعل ، وذكر أنّه رأى صبيّاً مشويّاً في قفّة ، وقد أحضر ألى دار السلطان ومعه رجل وآمرأة ، وزعم الناس انّهما أبواه ، فأمر بإحراقهما ، وذكر كذلك أنّه رأى آمرأة في السوق ومعها صغير مشويّ وهي تأكل منه وأهل السوق ذاهلون عنها ، مقبلون على أشغالهم ، ولم ير فيهم من يعجب من فعلها ، ورأى قبل ذلك صبيّاً مراهقاً مشويّاً ، وقد أخذ به شابّان أقرا بقتله ، وشيّه ، وأكل بعضه ، وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب ، كان مع جارية ، فطيم تلاعبه لبعض المياسير ، فبينما هو إلى جانبها طلبت غفلتها صعلوكة ، فبقرت بطنه ، وجعلت تأكل منه نيئاً ، وأحرق في مصر من النساء خاصّة بسبب قتل الصغار وأكلهم في أيّام يسيرة آلاف النساء ، ورأى آمرأة أحضرت إلى الوالي وفي عنقها طفل ، فضربت أكثر من مائتي سوط على أن تقرّ ، فلم تحر جواباً ، ثم سحبت فماتت على المكان ، وكان إذا أحرق آكل ، أصبح مأكولاً ، وحكى له رجل إنّه دخل دار صديق له ، فوجد عنده خزانة مشحونة برمم الآدميين ، واحتيل على بعض الأطبّاء ، كانوا يأخذونهم بحجّة تمريض مريض ، فيقتلون . (الجامع المختصر ٤٨ - ٥٠) .

وفي السنة ٦٠٤ قتل رجلان، من رجال البدرية الشريفة في دار الخلافة ببغداد إسم أحدهما براها ، والآخر عليك ، أحد النقباء بباب الشحنة ، ويعرف بابن حسّان ، إذ لقياه في محلّة المأمونية ، وهو على فرس ، فنكّسه أحدهما ، وطعنه الثاني بسكين ، ففرّ من يديهما ، ودخل داراً ، وأغلق بابها ، وصعد إلى سطحها ، فتسوّر عليه جماعة من العوامّ ، وألقوه من السطح على رأسه ، وشدّوا في رجله حبلاً ، وسحبوه وهو حيّ ، وحملوه إلى دجلة ، وألقوه فيها ، ثم أخرجوه فأحرقوه (الجامع المختصر ٢٢٧) .

وفي السنة ٦٠٥ لما قتل سنجر شاه ، وخلفه ولده محمود ، اتهم بعض سراري أبيه ، بأنّهنّ تآمرن مع القاتل ، فأحرقهنّ بالنار ، كان يأخذ الجارية ، فيجعل وجهها في النار ، فإذا احترق ، ألقاها في دجلة . (ابن الاثير ٢٨١/١٢) .

وفي السنة ٦١٥ خرج كيكاوس بن كيخسرو ، ملك الروم ، بجيشه يريد الاستيلاء على حلب ، وحصرتل باشر ، وآستولى عليها ، ووضع فيها جنداً ، ثم تقدّم يريد منبج ، فتصدّى له الأشرف بن العادل ، وحاربه ، فانهزم كيكاوس ، وحصر الاشرف تل باشر ، وأنزل أصحاب كيكاوس من القلعة بالأمان ، وأطلقهم ، فلما وصلوا إلى كيكاوس ، اتّهمهم بالتقصير ، وسلق جماعة منهم في القدور ، وجعل آخرين في دار وأحرقها وهم فيها (ابن الاثير ٣٤٩/١٢ والنجوم الزاهرة ٢٢٤/٦) .

ومن ألوان العذاب العجيبة ، ما صنعه جنكيزخان ، بإينال خان ، ابن خال خوارزم شاه علاء الدين ، وذلك بأن أذاب الفضّة ، وصبّها في عيني إينال خان وأذنيه ، وسبب ذلك : إنّ جنكيز خان ، بعث في السنة ٦١٦ إلى خوارزم شاه بهدية من نقرة المعدنين (أي الذهب والفضّة) ونوافج المسك ، وحجر اليشم ، والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الإبل البيض ، وطلب منه الموادعة ، والإذن للتجّار بالتردّد بمتاجرهم من الجانبين ، وكان في خطابه إطراء للسلطان خوارزم شاه ، بأنّه مثل أعزّ أولاده ، فآمتعض خوارزم شاه من هذا الوصف ، ولكنّه صرف الرسل بما طلبوا من الموادعة والأذن للتجّار ، وعلى أثر ذلك ، وصل بعض التجّار من بلادهم إلى مدينة اطرار، وهي آخر ولاية بحكم خوارزم شاه ، وبها نائب عنه ، اسمه إينال خان ، ابن خال السلطان ، فطمع إينال خال في الأموال التي كانت مع التجّار، فآعتقلهم ، وكتب إلى السلطان خوارزم شاه ، بأنّهم عيون (جواسيس) وليسوا بتجّار ، ثم أخذ أموالهم وقتلهم ، وبلغ ذلك جنكيز خان ، فكتب الى خوارزم شاه ، ينكر

عليه قتلهم ، وسلب أموالهم ، وقال في كتابه، إن كان هذا صنع إينال خان ، فابعث به إليّ ، فغضب خوارزم شاه ، وقتل الرسل ، فهاج هائج جنكيز خان ، وسار في عساكره ، فاحتّل أطرار أولاً ، وأمسك إينال خان ، وأذاب الفضّة ، وصّبها في عينيه وأذنيه ، ثم اجتاح بلاد المسلمين ، وفعل فيها الأفاعيل (ابن خلدون ٥/٥١٨ و٥١٩) .

وفي السنة ٦٨٧ في رمضان ، وجد عند بدر بن النفيس النصراني الكاتب ، امرأة مسلمة ، وجماعة ، وهم يشربون الخمر ، فأمر الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة ، بأن يحرق النصراني ، فأضرمت له نار بسوق الخيل ، وألقي فيها ، وأما المرأة فقطع بعض أنفها ، ثم أطلقت (تاريخ ابن الفرات ٨/٧١) .

وفي السنة ٧٢١ كثرت الحرائق بالقاهرة ، واتّهم جماعة ، بإحداثها ، فأخذ منهم أربعة ، وأحرقوا بشارع صليبة جامع ابن طولون ، في يوم الجمعة ، وآجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم ، ثم أحرق اثنان آخران . (خطط المقريزي ٢/٥١٥) .

وفي السنة ٧٣٥ غزا عسكر حلب ، الأرمن في مدينة سيس وأذنه وطرسوس ، وغنموا ، وأسروا ، فلما علم أرمن مدينة إياس بذلك ، أحاطوا بمن عندهم من المسلمين ، وكانوا نحواً من ألفين ، من تجار وغيرهم ، وحبسوهم في خان ، ثم أحرقوه عليهم (خطط الشام ٢/١٤٨) .

وذكر ابن بطوطة ، إنه لما كان بالهند ، حصلت فيها مجاعة عظيمة ، فأخذ خمسمائة نفس ، عمّر لهم سقائف في داره ، وأسكنهم فيها ، وكان يعطيهم نفقة كلّ خمسة أيّام مرّة ، فجاءوه بامرأة قالوا إنّها « كفتار » أي ساحرة ، وإنّها أكلت قلب صبيّ كان إلى جانبها ، وأتوا بالصبي ميتاً ، فأرسلها إلى نائب السلطان ، فأمر باختبارها ، وذلك بأن ملأوا أربع جرّات

ماء ، وربطوها بيديها ورجليها ، وطرحوها في نهر الجون ، فلم تغرق ، فعلم إنّها كفتار ، ولو لم تطف على الماء ، لم تكن بكفتار، فأمر بإحراقها بالنـار ، وجاء أهل البلد ، رجالاً ونساءً ، فأخذوا من رمادها ، ويزعمون أنّ من تبخّر به أمن في تلك السنة من سحر الكفتار (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٦٥ - ١٦٦) .

أقول : وهكذا ذهبت هذه المسكينة ضحية الجهل والقسوة .

وفي السنة ٧٦٨ رسم السلطان بالقاهرة بتعذيب الصاحب فخر الدين بن قروينة لاستخراج ما عليه من الأموال المقرّرة ، فضرب غير ما مرّة بالمقارع ، ولفّت أصابعه اليمني بالمشاق ، وغمست في الزيت ، ثم أشعلت بالنار ، حتى احترقت يده كلّها ، واستمّر يعاقب حتى مات تحت العقوبة . (بدائع الزهور ١/٢/٥٥ و٦٤) .

وفي السنة ٧٩٥ اجتمع بالقدس أربعة رهبان ، دعوا الفقهاء لمناظرتهم ، فلما اجتمعوا جهروا بالسوء من القول » وصرّحوا بذم الإسلام ، فثار الناس عليهم ، فأحرقوهم (شذرات الذهب ٦/٣٣٧) .

ولما استولى تيمورلنك على بغداد في السنة ٧٩٥ فرض على الناس في بغداد ، مال الأمان ، وعذّبهم على أدائه ، وكان يشوي الناس على النار كما يشوى طائر الأوز أو طائر الدجاج (تاريخ الغياثي ص ١١٣ حاشية ونزهة النفوس ص ٣٦٦) .

وذكروا أنّ تيمورلنك ، لما فتح دمشق في السنة ٨٠٣ تنوّق زبانيته في تعذيب أهليها ، فكان أحدهم يشدّ رأس الرجل بحبل قنّب ، ثم يلويه ليّاً عنيفاً حتى يغوص الحبل في رأسه ، ثم يؤخذ من تحت أبطيه ، وتربط إبهام يديه من وراء ظهره ، ثم يلقى على ظهره ، ويغمّ بخرقة فيها رماد سخن ، ويعلّق من إبهام رجليه في سقف الدار ، ثم توقد تحته النار حتى يموت ، أو يسقط من الحبل في النار (بدائع الزهور ١/ ٣٣٤) .

وفي السنة ٨١٣ أمر شاه محمد بن قرايوسف ، في بغداد بأحراق شاب سعى بأبيه ، وتفصيل ذلك ، إنّ شاه محمد بن قرايوسف ، لما دخل ببغداد ، قصده ابن الشيخ أحمد السهروردي ، وسعى بأبيه ،وقال عنه أنّه يزعم بأنّ السلطان أحمد ـ خصم قرايوسف ـ ما زال حيّاً ، فأمر شاه محمد ، بأحضار الشيخ أحمد ، فأحضر ، وسأله ، فأنكر ، فبهته إبنه ، وأصّر على السعي بأبيه ، فقال له شاه محمد : إن كنت صادقاً ، فخذ هذا السيف وآقتل به أباك ، فأخذ السيف ، وقطع عنق أبيه ، فأمر شاه محمد بالولد ، فأحرق (التاريخ الغياثي ٢٤٧) .

وكان من جملة ما ارتكبه الأمير يشبك الدوادار في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر من المظالم أن شوى بالنار شيخ بني عديّ . (بدائع الزهور ٢/١١٦) .

وفي السنة ٨٩٦ وقعت فتنة عظيمة في حلب ، بين الأمير نائب السلطان فيها وبين أهلها ، وقتل في الفتنة من مماليك النائب سبعة عشر مملوكاً ، وقتل من أهل حلب نحو الخمسين ، وأحرق أهل حلب جماعة من حاشية النائب بالنار (اعلام النبلاء ٣/١٠٤) .

وكان من جملة ما عذّب به السلطان الغوري ، القاضي بدر الدين بن مزهر ، كاتب أسرار القاهرة ، في السنة ٩١٦ أن أمر به فلفّ القصب والمشاق على يديه ، فاحترقتا ، ومات تحت العذاب . (شذرات الذهب ٨/٧٤) .

وفي السنة ٩٤٢ أحرق القاضي شمس الدين محمد بن يوسف الدمشقي الحنفي ، وأحرق معه رفيق له يقال له حسين البقسماطي ، وكان سبب إحراقهما ، ما ثبت عند قاضي دمشق « إنّهما رافضيان » فربطت رقابهما ، وأيديهما ، وأرجلهما ، في أوتاد ، وألقي عليهما القنّب ، والبواري ، والحطب ، ثم أطلقت النار عليهما ، حتى صارا رماداً ، ثم ألقي رمادهما في

بـردي ، وسئل الشيخ قطب الـدين بن سلطان ، مفتي الحنفيـة عن قتلهمـا ، فقـال : لا يجـوز في الشــرع ، بـل يستتــابـان (شــذرات الـذهب ٨/ ٢٤٩ و٢٥٠) .

وممـا اتّفق للشيخ أحمـد بن محمد ، المشهـور بابن حمـاره ، المتوفّى سنـة ٩٥٣ ، إنّه كـان يعظ بـالجـامـع الأمـوي بحلب ، إذ طلع إليـه شخص شيعي ، متحـرّيـاً قتله ، فتمكن أهـل السّنـة منـه ، وحملوه الى كـافـل حلب خسرو باشا ، فأمر بقتله ، فأخذه الناس ، وألقـوه في النار حيّـاً ، « وكان يـومـاً مشهوداً سرّ به أهل السنّة » (اعلام النبلاء ٥/ ٥٥١) .

وفي السنــة ١٠١٩ تـوفّي الأميـر حسن بن محمـد ، المعـروف بـابن الأعوج، أمير حماة ، ومن غريب ما آتفق له ، إنّه كان من أقربـائه شاب آسمه الأمير يحيى ، بارع الجمال ، وكان الأمير حسن يحبّه بمنـزلة ولـده ، وعيّن له معلّماً من طلبة العلم ، يقـرئه العلم ، والأدب ، فواظب على تعليمه زمنـاً ، وحـدث أن بنى الأميـر حسن داراً عـظيمـة ، ودعـا أعيـان البلدة إليهـا بعـد أن فرشها ، وكان الأمير يحيى من جملة المدعوين ، وسهـر المدعـوّون قريبـاً من الثلث الأخير للّيل ، وعاد الأمير يحيى فنام مستغرقاً ، وفي الصباح جـاء الفقيه إلى يحيى ، وطلب من الجارية أن توقظ الأمير يحيى للدرس ، فقالت له : إنّ الأمير سهر ليلاً ، وهو الآن نائم ، واليوم الجمعة لم تجر العادة فيه بـالدرس ، فقال لها الفقيه إنّ لي حاجة مهمة ، أريد أن توقظيه ، فأيقظته ، فخرج مسرعاً للقـاء الفقيه ، فمـا كـان من الفقيـه إلاّ أن جـرّد سكينـاً ، وطـرح الأميـر على الأرض ، وذبحـه ، وخرج من الـدار هاربـاً ، ففطنت الجـاريـة لمـا حصـل ، وصاحت، وآستغاثت ، فلحق النـاس بالفقيـه ، وأرادوا إمساكـه ، فقاتـل قتالاً شديداً ، وقتل ثلاثة رجال ، ثم ضـربه رجـل بحجر كبيـر في ظهره ، فسقط ، فأمسكوا به ، وأحضروه بين يدي الأمير حسن ، فسأله عن سبب قتله الأميـر ، فلم ينطق بحرف ، فأمر بإحراقه ، فجمعوا له حطبـاً ، وأوقدوه ، ثم ألقـوه في

النار ، فآحترق ، والذي يظهر إنّ قتله لـه كان عن ولـوع وهيام بـه ، ورأى أنّه إذا قتله تخلّص مما هو فيه من المشقّة لأنّـه يقتل بـه فيستريـح (خلاصـة الاثر ٢/٤٨ و٤٩) .

وفي السنـة ١٠٢٨ حـدثت ببغـداد فتنـة بين بكـر اغـا رئيس الشـرطـة ببغداد ، وبين رئيس العزب ، والتجأ الأخير إلى الـوالي فحماه ، وتحصّن في القلعة ، وحاصره بكر اغا ، وآستسلم رئيس العزب بعد أن أمّنه بكـر اغا ، ثم غدر به ، فأمر به وبولديه ، فـربطوا بـالسلاسـل ، ووضعوا في زورق ، وصبّ عليهم النفط ، وأضرمت فيهم النار ، والـزورق منحدر في دجلة ، حتى مـاتوا جميعاً محترقين (مختصر تاريخ بغداد لعلي ظريف الاعظمي ١٧٩ ـ ١٨١) .

وروى صاحب الاثر ١/٣٨٢ ـ ٣٨٤ و٤٥٥ قصة مقتل بكـر الصوبـاشي فقال : في السنة ١٠٣٢ قتل بكر البغدادي هو وأخـوه عمر ، وكـان بكر رومي الاصل سكن بغداد ، وصار من أكابـر عساكـرها ، وتغلّب على الأمـور فيها ، حتى صـار حكم الوزيـر الـذي نصبـه السلطان لا ينفـذ إلا إذا وافق بكـر على إنفاذه ، وأراد الوزير يوسف بـاشا ، والي بغـداد اعتقالـه ، فتحصّن بالقلعـة ، وآنحـاز معه أكثـر عساكـر بغداد ، وآشتبـك الـطرفـان في معـركـة ومـرامـاة ، فـآنطلقت مكحلة من جانب عسكر بكـر ، أصابت الـوزير فقتلتـه ، وأعلن بكر نفسه حاكماً لبغداد ، وبعث إلى دار السلطنة ، يطلب نصبه والياً على بغداد ، فلم يجب إلى ذلـك ، ونصب السلطان أحمـد بـاشـا الحـافظ ، واليـاً لبغـداد وسـرداراً ، فلما بلغ بكـراً الخبر ، كـاتب الشاه عبـاس ، شاه العجم ، وطلب منه موافاة بغداد ليسلمها إليه على أن ينصبه نائباً عنه ، فلمـا وافى أحمد بـاشا بغداد وحصرها ، حضر الشاه عباس بعسكره يريد بغداد ، فاضطر أحمـد باشـا ألى نصب بكـر واليـاً على بغـداد ، وسلّم إليـه الإرادة السلطانيـة بـذلـك ، وآنسحب بجيشه يريد دياربكر ، فلما وصـل الشاه إلى بغـداد ، امتنع بكـر من تسليمها إليه ، فحصـره ، وشدّد في حصـاره ، وكانت قلعـة بغداد في عهـدة

محمد علي بن بكر ، فلما رأى شدّة الحصار آستسلم للشاه عباس ، وأدخل عساكر الشاه إلى القلعة ليلاً ، فآستولى الشاه علي البلد نهاراً ، وإعتقل بكراً وقتله شرّ قتله ، وقبض على عمر أخي بكر ، ووضعه في سفينة ، وألقى فيها النفط والقار والنار ، فأحرقه ، ثم قتل الملاّ علي ، وقاضي بغداد ، والسيد محمد نائب المحكمة (خلاصة الاثر ١/٣٨٢ ـ ٣٨٤) .

أقول : وصف تاريخ العراق للعزاوي ٤/١٦٥ ـ ١٨١ كبقية قتل بكر الصوباشي وأخيه عمر ، فإنّهما وضعا في قفص من الحديد ، وسوهرا لمدّة سبعة أيّام ، وكويا بالنار ، ثم وضعا في سفينة ، وأحيطا بالنفط والقار ، ثم أشعلت النار في السفينة حتى أحترقا .

وفي السنة ١٢١٥ قتل سليمان الحلبي ، الجنرال كليبر ، قائد الجيش الفرنسي بمصر ، فحكمت عليه المحكمة بإحراق يده اليمنى ، ثم قتل بإقعاده على الخازوق (تاريخ الجبرتي ٢/٣٨٩) .

وأحسّ الإنكشاريّة من السلطان محمود العثماني (حكم ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥) ووزيره مصطفى البير قدار ، رغبة وسعياً في نزع سلطانهم ، وإنشاء جيش حديث ، فهجم في السنة ١٢٢٣ أغا الإنكشارية على دار الوزير مصطفى البيرقدار وأحرقوه بما فيه من رجال ونساء وأطفال ،وكان الوزير من جملة من احترق (اعيان القرن الثالث عشر ١٠٤) .

وروى الحاج الزهار الجزائري في مذكراته (ص ١١١ و١١٢) إنّ الحاج علي باشا ، أمير الجزائر (١٢٢٤ ـ ١٢٣٠) اتّهم جماعة من يهود الجزائر بأنّهم أكلوا أموال الناس ، فأمر بهم فأحرقوا ، وألزم أقرباءهم بسداد تلك الأموال .

وفي السنة ١٢٤٧ فرض الوزير محمد سليم باشا والي دمشق ، على الأهالي ، ضريبة الصليان ، فثار عليه الشاميّون ، وحصروه في القلعة ،

فآستسلم ، وفتح لهم أبواب القلعة ،وخرج ومعه مائة وسبعة نفر من حاشيته ، فأخذوه إلى دار محمد باشا العظم ، ثم نقلوه ألى بيت الكيلاني بالعصرونية ، ثم أحضروا كخيته ، وخاله من بيت المفتي ، وفي الليل قتلوا الكخية ، والخال ، والقابجي ، والسلحدار ، والخزندار ، والمهردار ، وهاجموا الوالي ، فأغلق عليه باب حجرته ، وقاومهم ، وكان معه مملوك وطواشي ، كانا (يدكّان) له البنادق ، وهو يقوّس (يرمي) بها ، فنقبوا عليه سقف الحجرة ، وأحرقوا بابها ، فلحق الحريق به ، وأحرقت النار لحيته وشاربه ، و (تشلوط) كلّ بدنه ،ومات ،ثم قتلوا المملوك والطواشي (مذكرات تاريخية ٢٩ و ٣٠) .

وذكر الجبرتي في تاريخه ٤١٧/٣ إن ابراهيم بن محمد علي (ت ١٢٦٤) ، عذّب أناساً بالصعيد بأن شدّهم على أعمدة وشواهم بالنار . (الجبرتي ٤١٧/٣) .

القسم الثاني

الكيّ بالنار

كان التعذيب بالكيّ بالنار شائع الحدوث، وقد مارسه مشركو قريش لتعذيب الذين سبقوا بالإسلام .

وكان مشركو قريش يأخذون ياسراً ، والدعمّار ، وسميّة أمّ عمّار ، وابنيهما ، وبلالاً ، وصهيباً ، وخباباً ، فيلبسونهم أدراع الحديد ، ويصهرونهم في الشمس ، حتى بلغ الجهد منهم كلّ مبلغ (شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣٧) .

وكان خباب بن الأرتّ ، يعرّى ، ويلصق ظهره بالرمضاء ، ثم بالرضف ، وهي الحجارة المحماة بالنار ، ويلوى رأسه (ابن الأثير ٢ /٦٨) وكان خباب يقول : أوقدوا لي ناراً ، وسحبت عليها ، فما أطفأها إلاّ ودك ظهري (شرح نهج البلاغة ١٨ /١٧٢) .

وكان أميّة بن خلف الجمحي ،يلقي بلالاً الحبشي في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره (ابن الأثير ٢ /٦٦ والأغاني ٣/ ١٢٠) .

وفي السنة ٣٥ قدم ملك الروم قسطنطين بن هرقل ، في جمع من جنده ، بطريق البحر ، يريد أرض المسلمين، فأصابهم نوء في البحر

فأغرقهم ، ونجا قسطنطين، فأتى صقلية ، فأحموا له حمّاماً ، وأدخلوه فيه فقتلوه (الطبري ٤/٤٤١).

وأخذ محمد بن هشام المخزومي ، أمير مكّة لهشام بن عبد الملك ، العرجي والحصين الحميري، فجلدهما ، وصبّ على رأسيهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البلس في الحنّاطين بمكّة (الأغاني ١/٤١١).

أقول : العرجي ، لقب لقّب به عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، لأنّه كان يسكن العرج ، عرج الطائف ، وكان من شعراء قريش ، صاحب غزل وفتوّة ، مشغولاً بالصيد واللهو ، وكان فارساً معدوداً ، وله مواقف مشهورة مع مسلمة بن عبد الملك في غزو الروم ، باع أموالاً عظاماً له وأنفق ثمنها في إطعام الطعام في تلك الغزوة ، وكان قد اتّخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قدره، وقام الغلامان يوقدان فإذا نام أحدهما قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى الصباح ، يقول : لعلّ طارقاً يطرق ، وأصابت الناس مع مسلمة في غزو الروم مجاعة ، فقال العرجي للتجّار : أعطوا الناس ، وعلّي ما تعطون ، فلم يزل يطعمهم حتى أخصبوا ، فبلغ ثمن ذلك عشرين ألف دينار ، التزم بها العرجي، وبلغ الخبر عمر بن عبدالعزيز، فقال: بيت المال أحقّ بهذا ، وقضى التجّار من بيت المال ، وكان العرجي قد شبب بأمّ محمد بن هشام المخزومي، عامل مكّة ، فقال فيها :

عوجي علينا ربّة الهودج ... إنّك إن لا تفعلي تحرجي
نلبث حولاً كاملاً كلّه ... لا نلتقي إلّا على منهج
في الحجّ إن حجّت وماذا منىً ... وأهله إن هي لم تحجج

وقال فيها :

أماطت كساء الخزعن حرّ وجهها ... وأرخت على المتنين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حُسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفّلا

وشبّب بزوجة محمد ، جبرة المخزومية ، فقال :

عوجي عليّ فسلّمي جبر ... فيم الصدود وأنتم سفر
ما نلتقي إلاّ ثلاث منى ... حتى يفرّق بيننا الدهر

وكان محمد بن هشام تيّاهاً جباراً ، فلم يزل يتطلّب عليه العلل ، حتى أخذه ، فحبسه ، وقيدّه ، وأقامه على البلس للناس ، وأبقاه في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات في الحبس، ومن جملة ما قاله في حبسه ، وهو من عيون الشعر :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا ... وقد شرعت أسنتها بنحري
أجرّر في الجوامع كلّ يوم ... فيا لله مظلمتي وصبري
كأنّي لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تك نسبتي في آل عَمْرِو

فلما مات هشام بن عبد الملك ، وخلفه الوليد بن يزيد ، وكان مضطغناً على هشام وعلى عمّاله ، قبض على محمد بن هشام ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، فحملا إليه إلى الشام ، فضربهما ضرباً مبرّحاً ، وبعث بهما إلى يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق مثقلين بالحديد ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، عامل هشام على العراق ، ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم ، راجع تفصيل ما حلّ بهما من العذاب ، في موضعه من هذا الكتاب .

ولما قتل مروان بن محمد ، آخر الحكّام الأمويّين ، طلب كاتبه عبد الحميد بن يحيى ، فلجأ إلى ابن المقفع ، وكان صديقاً له ، ففاجأهما الطلب ، وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كلّ واحد منهما : أنا هو ، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه ، وخشي عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع بمكروه ، فقال لهم : تثبتوا، فإنَّ في عبد الحميد علامات يعرف بها ، فأرسلوا إلى مرسلكم من يستوصفها منه ، فأينا

وجدتموها فيه فخذوه ، ففعلوا ، فوصف لهم عبد الحميد بعلامات ، فأخذ ، وحمل إلى السفاح ، فولّى عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته ، فكان يحمي طستاً بالنار ، ويضعه على رأسه ، حتى مات (الغرر للوطواط ٢٧ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٠).

وكان الرشيد ، حبس عبد الملك بن صالح العباسي ، لما سعى عليه ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ، وكاتبه قمامة، فلما ولي الأمين ، أخرجه من السجن ، وولّاه الجزيرة والعواصم ، والثغور ، ودفع إليه ابنه عبد الرحمن ، وكاتبه قمامة ، فحبس قمامة في حمّام قد أحكم ، وأوقد أشدّ وقود ، وطرح معه سنانير ، فلم يزل فيه حتى مات (اليعقوبي ٢ / ٤٣٤).

وفي السنة ٢٥٥ لما خلع الأتراك المعتزّ ، سحبوه فأخرجوه ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف شديد الحرّ ، فكان يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي أقيم فيه . (الطبري ٩/ ٣٨٩).

وفي السنة ٢٥٥ استصفى صالح بن وصيف ، أموال أحمد بن اسرائيل وأبي نوح والحسن بن مخلد ، وعذّبهم بالقيد ، والضرب ، والتقريب إلى كوانين الفحم في شدة الحرّ . (الطبري ٩/٣٩٧ـ ٣٩٨).

وفي السنة ٢٩١ لما ظفر المكتفي بزعماء القرامطة الذين كانوا قد عاثوا وقتلوا وأفسدوا ، أدخلهم إلى بغداد مشهرين ، وبنى لهم دكّة عظية مربّعة، طول ضلعها عشرون ذراعاً ، وارتفاعها عشرة أذرع ، جرى فوقها تعذيب أسرى القرامطة ، وعددهم ستمائة وستون ، وكان مما عذّب به زعيمهم المدثّر ، أنّه بعد أن قطعت يداه ورجلاه ، أخذت خشبة فأضرمت فيها النار ، ووضعت في خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما حتى إذا قارب الموت قطعت عنقه (الطبري ١٠/ ١١٢ـ ١١٤).

وفي السنة ٣٢٦ كان بجكم على الأهواز لابن رائق ، فقبض على

جماعة من الوجوه بالأهواز ، وعذّبهم ، وجعل على بطن سهل بن نظير الجهبذ ، طستا فيه جمر. (تجارب الأمم ١ /٣٧٩).

وفي السنة ٣٥٤ أرسل أهل طرسوس والمصيصة الى نقفور ملك الروم ، يبذلون له إتاوة ، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم ، فأتاه الخبر بأنّهم قد ضعفوا ، وعجزوا عن القوت ، وأكلوا الكلاب والميتة ، وكثر فيهم الوباء ، وإنّه يموت منهم في اليوم نحو ثلثمائة نفس ، فأحضر الرسول ، وأحرق الكتاب على رأسه ، فاحترقت لحيته ، وأعاد الرسول خائباً ، ثم هاجم المصيصة ففتحها عنوة ، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، ونقل كلّ من بها إلى بلد الروم ، وكانوا نحواً من مائتي الف إنسان ، ثم سار إلى طرسوس ففتحها ، وجعل الجامع إصطبلاً لدوابه ، وأحرق المنبر (ابن الأثير ٨/ ٥٦٠ - ٥٦١).

وكان أبو بكر الخوارزمي ، هجا بعض الملوك ، فظفر به ، فوسمه في جبهته بسطرين فيهما شطران بأقبح هجاء ، فكان يشدّ العمامة على حاجبيه ستراً عليهما (الملح والنوادر) .

وفي السنة ٣٧٢ اعتقل أبو منصور بن هارون ، وسلّم إلى الشابشتي الحاجب ، فعسفه ، وملأ طستاً بالجمر ، ووضعه على صدره ، فمات (ذيل تجارب الأمم ٨١).

وادّعى رجلٌ الشرفَ (النسبة للعلويين)، فأمر به الحاكم ، فكوي في وجهه ونودي عليه (أشهر) . (النجوم الزاهرة ٦٣).

وفي السنة ٤٨٩ عذّب رئيس حلب، بركات بن فارس الفوعي، بأن أحمي الطست حتى صار كالنار ، ثم وضع على رأسه (اعلام النبلاء ١ /٣٧٥).

وفي السنة ٤٩٣ قتل المستظهر العباسي ، وزيره عميد الدولة بن جهير بأن ادخله حمّاماً ،وسمّر عليه الباب إلى أن مات فيه. (الوافي بالوفيات ١ /٢٧٣) .

وفي السنة ٥٥٠ فتح علاء الدين الغوري ، غزنة ، وكانوا قد صلبوا أخاه سيف الدين ، وتغنّوا بأشعار في ذمّة ، فأخذ النساء اللواتي تغنّين بذمّه ، وأدخلهنّ في حمّام ، وأغلق عليهنّ بابه حتى هلكن (ابن الأثير ١١ / ١٦٥) .

وفي السنة ٥٦٦ لما اشتدّ مرض المستنجد العباسي ، تآمر عليه أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء ، وقطب الدين قايماز المقتفوي ، وتابعهما طبيبه ابن صفيّة ، وحملوه الى الحمّام وقد احمي ، واغلقوا عليه الباب حتى مات . (ابن الأثير ١١ / ٣٦١) .

ولما توفّي السلطان أبو سعيد ، ملك العراق ، في السنة ٧٣٦ استولى أحمد بن رميثة المكّي العلوي ، على الحلّة ، واستمرّ يحكمها ثماني سنوات ، فحاربه الشيخ حسن الكبير سلطان العراق ، وأسره ، وعذّبه بأن كان يوضع على صدره طست مملوء بالجمر ، حتى مات (جاوان ص١١) .

وفي السنة بضع وثلاثين وسبعمائة غضب السلطان الملك الناصر ، على الأمير الأكز الناصري ، فعزله ، وضربه ، ونفاه إلى دمشق فمات بها ، وكان اليه شدّ الدواوين ، فبالغ في تنويع عذاب من يصادره ، حتى إنّه كان يحمي الطاسة ويلبسها له ، ويحمي الدست ويجلسه عليه ، ويضرب الأوتاد في الآذان ، ويدقّ ليط القصب تحت الأظافر (الدرر الكامنة ١ / ٤٣١ـ ٤٣٢) .

أقول : روى صاحب الوافي بالوفيات ٩/ ٣٤٨ الخبر بتفصيل اكثر ، قال : في السنة ٧٣٨ غضب السلطان بمصر على الأمير سيف الدين الأكوز الناصري ، ورماه قدّامه ، وضربه بالعصي ، ورسم عليه أيّاماً ، ثم أخرجه الى دمشق ، حيث مات ، وكان الأكوز ظالماً ، تنوّع في عذاب المصادرين من الكتّاب وغيرهم ، وقتل بالمقارع ، وأحمى الطاسات وألبسها الناس ، وأحمى

الـدسوت وأجلسهم عليهـا ، وضـرب الأوتـاد في الآذان ، ودقّ القصب تحت الأضافير ، وبالغ وشدّد .

وفي السنة ٧٦٨ قتل بالعذاب الوزير فخر الدين ماجد القبطي بالقاهرة ، كان يلي الوزارة بالشام ، ثم نقل إلى مصر ، وأضيف اليه الخاص ، ثم اعتقل وسلّم إلى شادّ الدواوين فأذاقه أنواع العذاب حتى لفّ مشاق الكتّان على أصابعه ، وغمرت بالزيت ، وأوقدت فيها النار إلى أن مات (الدرر الكامنة ٣٦١/٣) وذكر صاحب بدائع الزهور ٥٥/٢/١ أنّه كانت تحمى له خوذة فولاذية ، وتوضع على رأسه .

وفي السنة ٨٠٠ غضب سلطان مصر ، على علاء الدين والي القاهرة، فألبسه خوذة حديد محماة بالنار. (بدائع الزهور ٣٠٩/١).

وكان الشيخ زاده النهاوندي ، صاحب عذاب السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، عجيباً في قسوته، بعث إليه السلطان بفقيهين ليقتلهما ، فقال لزبانيته : ذوّقوهما بعض شيء ، يعني من العذاب ، فبطحا على قفائيهما، وجعل على صدر كلّ واحد منهما صفيحة حديد محماة ، ثم قلعت بعد هنيهة ، فذهبت بلحم صدريهما ، ثم أخذ البول والرماد، فجعل على تلك الجراحات (رحلة ابن بطوطة ص ٤٧٥ طبعة صادر) .

وفي السنة ٩١٠ جرى تعذيب القاضي بدر الدين ، كاتب الأسرار بالقاهرة ، وكان من جملة ما عذّب به أن أحمى له الحديد ووضع على بدنه ، ولفّ القصب والمشاق على يديه ، وأحرقت (الكواكب السائرة ١٧٦/١) .

وفي السنة ١٠٠١ غضب محمد باشا ، نائب السلطنة بالشام ، على الخواجا محمد بن العنبري، فأمر به فدمغ بالنار في جبهته ، وأنفه ، ووجهه ، وأركب حماراً مقلوباً ، وكشف رأسه ، وعرّي حتى صار بالقميص ، وطيف به في أسواق دمشق وشوارعها ، ونودي عليه : هذا جزاء من يزوّر على أوقاف

نور الدين الشهيد ، وبعد التطواف به ، أعيد إلى محبسه بالقلعة (خلاصة الأثر ٣/٣٠١).

وفي السنة ١٠٢٤ توفّي السيد عمر بن أحمد السقاف ، وكان معظّماً بتريم ، ووشي به إلى السلطان مرّة ، فاعتقله بالحصن ، وعذّب بأن عمل له قميص من ليف النخل وأحرق وهو عليه ، وصودر ، وسلب جميع ما يملك (خلاصة الأثر ٣/٢٠٩).

وفي السنة ١٢٠١ اعتدى الأعراب على الحاج المصري ، ونهبوا الحجّاج ، وسبوا النساء ، وقتلوا كثيراً من الرجال ، وسبب ذلك رعونة أمير الحاج المصري وجبنه ، فإنّه لما أراد أن يتوجّه بالحاجّ إلى المدينة ، أحضر اكابر الأعراب ودفع لهم عوائد سنتين ، وأخذ عنده منهم أربعة أشخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم ، وبلغ ذلك اصحابهم ، ففعلوا ما فعلوا (الجبرتي ٢/١٢).

وفي السنة ١٢٠٢ حضر الى الإسكندرية بالديار المصرية ، رجل هندي ، قيل إنَّه وزير سلطان الهند حيدر بك ، ومهمّته أن يجيّش جيشاً لمحاربة أعدائه الإنكليز ، وكان كلّ من دخل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة في جبهته لا تزول ، فنفر الناس من ذلك (الجبرتي ٢/٥٤).

أقول : الوسم في الجبين بعلامة لا تزول ، يعني كيّه بالنار .

وروى الجبرتي في تاريخه ٣/٤١٧ إنه بلغه : أنّ إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، لما كان أميراً للصعيد يعذّب الرجل بأن يربطه ممدوداً ، على خشبة طويلة يمسك بطرفيها الرجال ، ويقلّبونه على النار المضرمة مثل الكباب .

وكان للجزّار صاحب عكّا ، أعوان من الأكراد ، يقومون بتعذيب الناس بالنار ، وبالكعاب يضعونها في « مصادغ » من يريدون تعذيبه ، وهي محمّية ،

ومربوطة بالسلاسل (أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القـرن الرابـع عشر لمحمد جميل الشطي).

وفي السنة ١٢٢٧ أمر والي حلب ، جلال الدين باشا ، باعتقال إبراهيم أغا الحربلي ، من رؤساء الإنكشارية، وحبسه ، وأمر بتعذيبه ليلاً ونهاراً ، وكان أعوانه يحمون الآنية من النحاس ، ويجرّدون إبراهيم اغا من ثيابه ، ويضعونه فوق الآنية ، حتى يسيل الدهن من أليته ، فكان يستغيث ولا يغاث ، ويستجير فلا يجار ، وهم يقولون له : قرّ لنا عن الذهب الذي عندك ، وأقرّ لهم عما عنده من الذهب، فذهبوا وأحضروه ، وفي آخر الأمر أقر لهم أنّ في داره التي في محلة قارلق في الصهريج كذا وكذا من الذهب ، وكان مبلغاً عظيماً ، فذهبوا وأخذوه ، ولما تيقّنوا أنّه لم يبق عنده شيء ، قطعو رأسه وكان عمره لما قتل ، خمساً وسبعين سنة (اعلام النبلاء ٣/٣٧٨).

وفي السنة ١٢٣٢ نصب محمد علي باشا ، بمصر ، مصطفى كاشف كرد، محتسباً ، فكان إذا وجد بائع كنافة قد خالف التسعيرة ، أقعده على صينيته وهي على النار (تاريخ الجبرتي ٣/٥٦٤).

وفي السنة ١٢٤٧ عذّب الملاّ علي الخصي ومحمد الليلاني ببغداد ، زوجة رضوان أغا ، بكيّها بالسيخ المحمي (تاريخ بغداد للعزاوي ٧/١٣).

الفصل الثاني

التعذيب بالماء المغلي



القسم الأول

السلق بالماء المغلي

السلق : غلي الشيء بالنار وطبخه بالماء .

والتعذيب بالسلق ، قليل الحدوث ، وقد حفظ لنا التاريخ بعض الأخبار عن هذا اللون من العذاب، فذكر أنّ الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ ، على أثر التحكيم ،صبّحوا حيّاً من أحياء العرب، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال ، حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الأقط وهي تفور (مروج الذهب ٢ / ١٤٩) .

ووصف ابن المعتز ، في أرجوزته ، ألوان العذاب ، التي كان يمارسها صاحب الزنج ، على أسراه ، ومن جملة ما ذكره من ألوان العذاب ، سلق الأسرى، قال : (ديوان ابن المعتز ١٢٩) .

ولم يزل بالعلويّ الخائن المهلك ، المخرّب المدائن
والبائع الأحرار في الأسواق وصاحب الفجّار والمرّاق
وقاتل الشيوخ والأطفال وناهب الأرواح والأموال
مخرّب القصور والمساجد ورأس كلّ بدعة وقائد
قد خرّب الأهواز والأبلّة وواسطاً قد حلّ فيها حلّه
وترك البصرة من رماد سوداء لا توقن بالمعاد
وأطعم الزنوج أطفال الناس مكيدة منه فأعظم من باس
فواحد يشدخ بالعمود وواحد يدخل في السفّود
وبعضهم مسمّط مربوط وبعضهم في مرجل مسموط

وجـعـل الأسـرى مكـتّفـينـا أغـراض نـبـلٍ ، ومعـلّقيـنـا
وبـعـضـهـم يـحـرق بـالـنـيـران وبـعـضـهـم يلقـى مـن الـحـيـطان
وبـعضبهم يـصلب قـبـل الـمـوت وبـعـضـهـم يئـنّ تـحـت الـبـيـت

وفي السنـة ٥٩٠ حارب جنكيـزخان، أعـداء لـه من التـاتـار ، من قبيلة تايجوت ، وأسـر منهم جماعـة، فأغلى لهم المـاء في مراجـل ، وسلقهم فيها أحياء (تاريخ العراق للعزاوي ١/ ٧٥) .

ولمـا توفّي كـويوك ، سلطان المغـول ، خلفه مـانكو بن تـولوي (٦٤٩-٦٥٩) . واستهلّ حكمه بتصفيـة أقربـائه ، فـأمر بـوضعهم في أكياس مغلقـة ، ورميهم تحت حوافر الخيل المغيرة ، فهشمت عظامهم ، وقتل غيرهم برجمهم بالحجارة، ومع ذلك فقد ذكر عنه إنّه أقلّ حكّام المغول تعطّشاً للدماء، فإنّ جدّه جنكيزخان، أمـر في أحد انتصـاراته ، بسبعين زعيمـاً ظفر بهم ، فغـطس كلّ واحد منهم في قدر مـاء يغلي ، فقتلهم (علاقـات بين الشرق والغـرب ١٩٦-١٩٧) .

وكـان عزّ الـدين كيكاوس ، ملك الـروم (ت ٦١٥) ظـالمـاً ، سفـاكـاً للدمـاء ، سلق بعض رعيّتـه في القـدور، وجعـل آخـرين في بيت فـأحـرقهم (الذيل على الروضتين ١١٣)

وفي السنة ٦٧٦ أمر السلطان أباقا خان ، سلطان المغول ، فـأخذ معين الـدين البروانـاه ، وقطعت أطـرافه الأربعـة ، وهـو حيّ، ثم ألقي في مـرجـل وسلق ، وأكل المغول لحمه (فوات الوفيات ٢/ ٧١) .

وكانت إمرة العرب ، لعلي بن حذيفة بن مانع بن حذيفـة ، الذي تـوفّي في ابتداء دولة الظاهر بيبرس ، وكان ابن حذيفة هذا ظالماً، قاسياً ، وكانت له قدر كبيرة ، منصـوبة ، لا تـزال على النار مملوءة مـاءً ، والنار تـوقد تحتهـا ، فمتى وقع له مفسد من العرب ، ألقـاه فيها حيّـاً ، فسقط لحمه لـوقته (تـاريخ ابن الفرات ٨/ ١٢) .

وفي السنة ٧٠٧ قتل الشيخ براق القرمي الدوقاني ، في جبال كيلان ، بأن سلقوه حيّاً في قدر ممتلىء بالماء .

وكان الشيخ براق قد تجرّد ، وصحب الفقراء ، وتلمذ له جماعة ، فدخل بهم الروم ، ثم قدم دمشق في السنة ٧٠٦ محلوق الذقن ، وشواربه وافرة ، ومعه جمع من أتباعه على هيأته ، وكان يلازم العبادة ، ومعه محتسب يؤدّب أصحابه ، وإذا ترك أحد منهم صلاة واحدة، عاقبه أربعين سوطاً ، وكان أوّل ظهوره في بلاد التتار ، فبلغ خبره غازان فأحضره وسلّط عليه سبعاً ضارياً ، فوثب الشيخ براق على ظهره ، وركبه، فأعظم غازان ذلك ، ونثر عليه عشرة آلاف ، فلم يتعرّض لها ، وقيل : إنّه سلّط عليه نمراً ، فصاح به ، فانهزم النمر ، وأعطاه غازان مرّة ثلاثين ألفاً ، ففرّقها في يوم واحد ، وكان لا يدّخر شيئاً ، ولما دخل إلى دمشق ، كان في إصطبل الأفرم نعامة ، فسلّطوها عليه ، فوثب عليها وركبها ، فطارت به في الميدان خمسين ذراعاً حتى قرب من الأفرم ، فقال له : أطير بها إلى فوق ؟ قال : لا ، وأحسن الأفرم تلقّيه ، ثم زار القدس الشريف ، وأراد الدخول الى مصر ، فلم يؤذن له في ذلك ، وعاد إلى بلاد التتار ، فأرسله غازان صحبة حبيش لحرب أهل جبال كيلان ، فأسروا الشيخ ، وقالوا له : أنت شيخ فقراء ، كيف تجيء صحبة أعداء الدين لقتال المسلمين ، وسلقوه في دست (الدرر الكامنة ٢/٥-٦) .

وحدث أن تحرّك بعض المماليك على أحمد باشا الجزار (ت ١٢١٨) يريدون قتله ، وتحصّنوا في أحد أبراج عكّا ، ثم طلبوا الأمان فأمّنهم ، ولما نزلوا غدر بهم ، وأمر بهم فخنقوا بالماء الحار (أي أنّهم غطّسوا في الماء الحار حتى هلكوا) (خطط الشام ٣/٢١) .



القسم الثاني

الحقن بالماء المغلّي

وقتل الأتراك المعتز ، بأن حقنوه بماء مغلّي ، فورم جوفه ، ومات ، (مروج الذهب ٢/٤٦٢) .

فهرس الكتاب


تأليف
عبود الشالجي
موسوعة العذاب
المجلد السابع



موسوعة العذاب

تأليف

عبود الشالجي

المجلد السابع

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.



الباب الخامس عشر

القتل بالجوع والعطش

الجوع : اسم للمخمصة ، ونقيضه الشبع ، الذي هو الاكتفاء من الطعام .
والعطش : الحاجة إلى الماء ، ونقيضه الريّ .

وربما ذكر الجوع والعطش، كناية عن الشوق ، قال الشاعر :

وإنّــي إلـى اسمـاء عـطشـان جـائـع

وكان من أعظم ما يعيّر بـه العربيّ ، أن يشبـع ، وصاحبـه جائـع ، قال الشاعر :

وشبـع الـفتـى لـؤم إذا جـاع صـاحبـه

وقال :

تبيتـون في المشتى مـلاءاً بـطونكم وجـاراتكم غـرثى يبتنَ خمـائصـا

وكان، وما يزال ، إطعام الطعام ، من التقاليد العربيّة المتمكّنـة ، وفيما يتعلّق بالتقاليد العربية في احكام الطعام ، راجع كتابنا « المائـدة في الإسلام » وقـد اثبتنا نتفـاً منه في بحث « المـائدة » في كتـاب نشوار المحـاضرة وأخبـار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، في القصة رقم ١٢٥/٣ ، وفي كتـاب الفرج بعـد الشدّة ، للقـاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصـة ٤٦٤).

والتعـذيب بالجـوع والعطش ، لـون قديم من ألـوان العـذاب ، ويكـاد يكون ـ على الأكثر ـ مقصوراً على قتل من يراد قتله مع تجنيبه الإهانة .

وقد قتل بهذا اللون من العذاب ، خلفاء ، وسلاطين ، وأمراء، ووزراء ، وقوّاد وعلماء .

فمن قتل من الخلفاء : المعتزّ بن المتوكل .

ومن السلاطين : السلطان غياث الدين بن السلطان حسين .

ومن الأمراء : العباس بن المأمون .

ومن الوزراء : أبو علي بن مقلة ، ومن قبله محمد بن عبد الملك الزيات .

ومن القوّاد : الإفشين ، وعجيف ، وإيتاخ ، ومحمد بن إبراهيم المصعبي ، وزهمان بن هندي ، وعماد الدين بن المشطوب ، والأمير سلار ، وكان من الغنى على درجة عظيمة ، وقد حبسه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومنع عنه الطعام ، حتى أكل خفّه من شدّة جوعه .

ومن العلماء : عبد الصمد عبد الأعلى ، وأخوه عبد الرحمن ، وشهاب الدين السهروردي ، صاحب القصيدة المشهورة :

أبداً تحنّ اليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القتل بالعطش ، ويكون بإطعام المعذّب طعاماً مالحاً ، ومنع الماء عنه .

الفصل الثاني : القتل بالجوع ، يمنع الطعام وحده عن الأسير .

الفصل الثالث : القتل بالجوع والعطش معاً ، وهو اللون الأكثر شيوعاً .

الفصل الأول

التعذيب بالعطش

أوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، في الإسلام ، معاوية بن أبي سفيان في حرب صفّين ، فإنّه نزل بجيشه منزلاً احتوى فيه على الشريعة ، وصفّ عليها قوّاده ، وجنده ، ومنعوا أصحاب الإمام علي من الماء ، ونضحوهم بالنبل ، وطاعنوهم بالرماح ، وحالوا بينهم وبين الشريعة ، فدعا الإمام علي ، صعصعة بن صوحان ، وقال له : ائت معاوية ، وقل له انّا سرنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار اليكم ، وإنّك قدّمت إلينا خيلك ، ورجالك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ حتى ندعوك ، ونحتجّ عليك ، وإنّكم حلتم بين الناس وبين الماء ، فابعث إلى أصحابك ، فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا حتى ننظر فيما قدمنا وقدمتم له ، فقال معاوية للرسول : سيأتيك رأيي ، وبعد عودة الرسول ، أمر معاوية بمنع أصحاب عليّ من الوصول الى الماء ، فحاربه أصحاب عليّ ، وطردوا أصحاب معاوية عن الشريعة ، واستولوا عليها ، ومنعوا أصحاب معاوية من الماء ، فأمر الإمام عليّ أصحابه بأن يأخذوا من الماء حاجتهم ، وأن يخلّوا بين الشريعة وبين من يريد أن يستقي منها (الطبري ٤/٥٧١ـ ٥٧٢ وابن الأثير ٣/٢٨٣ـ ٢٨٤).

ومارس هذا اللون من العذاب، من بعد معاوية ، عبيد الله بن زياد أمير العراق ليزيد بن معاوية ، ففي السنة ٦١ لما أقبل الإمام الحسين عليه السلام

الى كربلا ، كتب عبيدالله بن زياد ، إلى قائد جيشه عمر بن سعد، أن يحول بين الحسين وأصحابه، وبين الماء ، لا يذوقوا قطرة ، فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس نزلوا على الشريعة ، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، وصاح عبدالله بن أبي حصين الأزدي ، بالإمام الحسين : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء ، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً (الطبري ٥/٤١٢ وابن الأثير ٤/٥٣).

وقتل هشام بن عبدالملك ، عبد الصمد بن عبد الأعلى ، مؤدّب الوليد بن يزيد ، وأخاه عبد الرحمن بالعطش ، إذ أنّ عبد الصمد نظم شعراً يستعجل فيه ملك الوليد ، فغضب، وكتب الى الوليد يقول له : انّك قد اتّخذت عبد الصمد خدناً وأليفاً ومحدّثاً ونديماً ، وقد صحّ عندي أنّه على غير الإسلام ، فحقّق ذلك ما يقال فيك ، فاحمل عبد الصمد مع رسولي مذموماً مدحوراً ، فأشخصه الوليد الى هشام ، فأمر هشام بإنفاذه إلى يوسف بن عمر ، أمير العراق ، ومعه أخ له اسمه عبد الرحمن ، فبنى لهما يوسف بيتاً ، وجعلهما فيه ، وطيّن بابه ، وصيّر فيه كوّة ، يرمى إليهما الطعام منها ، ثم اعطشهما حتى هلكا (العيون والحدائق ٣/١١٦-١١٧).

وفي السنة ٢٢٣ تآمر بعض القواد على المعتصم ، وبايعوا العباس بن المأمون ، ولما حقّق المعتصم في الأمر ، اعترف له العباس بذلك ، فلما نزل المعتصم منبج ، وكان العباس جائعاً ، وهو معتقل في يد الإفشين ، قدّم إليه طعام كثير ، فأكل ، ثم منع عنه الماء ، وأدرج في مسح ، فمات (الطبري ٩/٧٦ وتجارب الأمم٦/٥٠١ وابن خلدون ٣/٢٦٥).

وكان عجيف بن عنبسة ، أحد القوّاد المتآمرين مع العباس بن المأمون على عمّه المعتصم، حبسه المعتصم عند محمد بن إبراهيم بن مصعب، فسأله المعتصم يوماً : يا محمد ، لم يمت عجيف ؟ فقال : يا سيّدي ، اليوم يموت ، ثم جاء إلى مضربه ، فقال لعجيف : يا أبا صالح ،

أي شيء تشتهي ؟ قال : اسفيذباج وحلوى فالوذج ، فأمر بأن يعمل له من كلّ طعامٌ ، فأكل ، وطلب الماء ، فمنع ، فلم يزل يطلب وهو يسوق ، حتى مات (الطبري ٩/٧٧) .

وفي السنة ٢٣٥ قتل المتوكل القائد إيتاخ الخزري ، بأن أمر أمير بغداد اسحاق بن إبراهيم المصعبي بقتله ، وعندما مرّ إيتاخ ببغداد ، عائداً من الحجّ ، في ثلثمائة من أصحابه وغلمانه ، استقبله اسحاق ، وعبر الجسر ، فوقف بإيتاخ على باب قصر خزيمة بن خازم ، في الجانب الشرقي من بغداد على دجلة ، وهو المنزل المعدّ لإيتاخ ، فنزل إيتاخ ودخل المنزل ، وقد فرشت له الدار ، ومنع غلمانه من دخولها معه ، إلاّ أربعة منهم ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشطّ ، وكسرت كلّ درجة من درجات قصر خزيمة ، ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ، ثم حمله اسحاق في حرّاقة، بعد أن أخذ سيفه ، فأدخل إلى دار اسحاق ، وقيّد بقيد ثقيل ، في عنقه ورجليه، ثمانين رطلاً ، وأخذ ابناه منصور ومظفّر ، وكاتباه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني ، فحبسوا ببغداد ، وكانت وظيفة إيتاخ في الحبس رغيفاً واحداً من الخبز وكوز ماء ، أمّا ابناه فكانت وظيفتهما خواناً فيه سبعة أرغفة وخمس غراف من الوان الطعام ، ومات إيتاخ في الحبس ، بأن اطعم ، فاستسقى ، فمنع الماء حتى ماء عطشاً ، وبقي ابناه في السجن حتى مات المتوكّل ، فأخرجهما المنتصر لما آل إليه الأمر في السنة ٢٤٧ فمات المظفّر بعد إطلاقه بثلاثة أشهر ، أما منصور فعاش بعده (الطبري ٩/١٦٨-١٧٠) .

وفي السنة ٢٣٦ كان محمد بن إبراهيم بن مصعب ، يلي فارس ، وكان متنكراً لابن أخيه محمد بن اسحاق بن إبراهيم ، فولي محمد بن اسحاق فارس ، فبعث خليفة له عليها ، الحسين بن اسماعيل ، وأمره بأن يحتال لقتل

عمّه ، فلما صار إلى فارس ، أهدى إلى محمد بن إبراهيم هدايا في النيروز ، من جملتها حلواء ، فأكل محمد منها ، ثم دخل عليه الحسين ، وقدّم له حلوى ، فأكل منها أيضاً ، فعطش ، فاستسقى ، فمنع الماء ، ورام أن يخرج ، فحيل بينه وبين الخروج ، فعاش يومين وليلتين ، فمات (الطبري (الطبري ٩/١٨٣-١٨٤) .

وبعث القاسم بن عبيدالله ، وزير المكتفي ، بالكاتب محمد بن غالب الأصبهاني ، إلى المسمعي بإصبهان ، وكتب إليه بإهلاكه ، فأطعمه المسمعي ، ومنع عنه الماء ، فمات عطشاً .

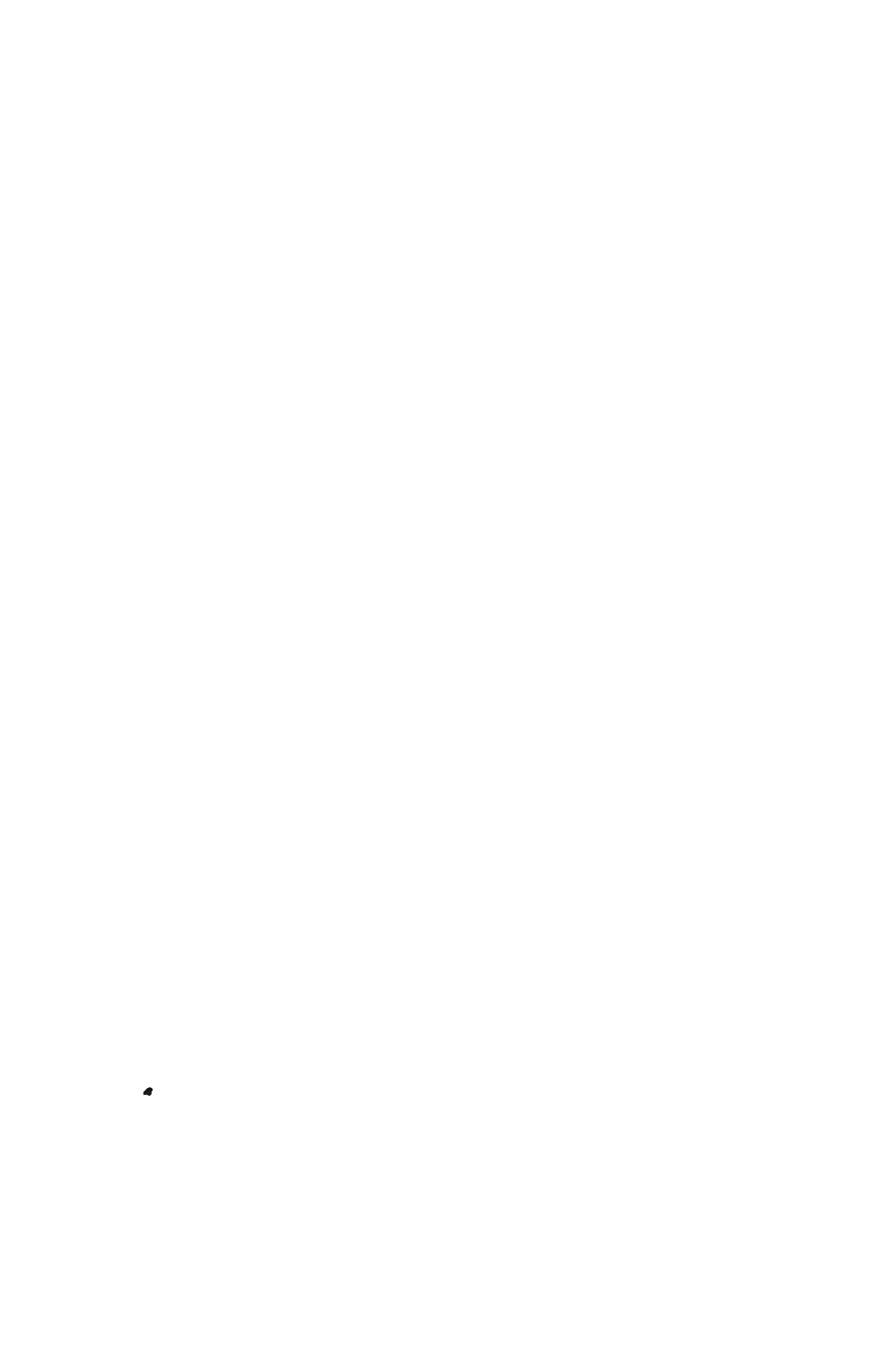
أقول : أبو عبدالله محمد بن غالب الأصبهاني الكاتب ، كان على ديوان الرسائل بالحضرة ، ثلاثين سنة ، واتّصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتضد ، وبولده القاسم بن عبيد الله ، وزير المعتضد والمكتفي ، ثم بلغ القاسم أنّ الإصبهاني يرشّح نفسه للوزارة ، فأوقع به وبأثنين معه من الكتّاب ، هما محمد بن بشار وابن منارة الكاتب وأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم الى البصرة ، على ما جاء في مروج الذهب ٢/٥٢٨ وسيّر الإصبهاني الى إصبهان ، على ما جاء في الوافي بالوفيات ٤/٣٠٨ وكتب الى المسعي بإهلاكه ، فأحضره مائدته ، وأطعمه كوامخ وسمكاً ، ثم أدخله بيتاً وأغلقه ، فمات عطشاً ، وذكر أحمد بن أبي طاهر ، في تاريخ بغداد ، أنّه قتله بالجوع والتدخين .

وفي السنة ٢٩٥ طالب الجند بمكّة ، بجائزة بيعة المقتدر ، وهاجوا بمنى ، فقاتلهم أمير مكّة عجّ بن حاج ، وقتل منهم جماعة ، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبي عدنان ربيعة بن محمد أحد أمراء القوافل ، وأصاب الحاجّ المنصرفين من مكة ، في طريقهم ، من القطع ، والعطش ، أمر غليظ ، حتى مات منهم من العطش جماعة ، وذكر

أن بعضهم كان يبول في كفّه ويشربه (الطبري ١٠/ ١٣٩ وابن الأثير ٨/ ١١- ١٢).

ولما توفّي الصاحب بن عباد ، وزير فخر الدولة البويهي ، سنة ٣٨٥ وزّر بعده أبو العباس الضبيّ ، وأبو علي بن حمولة ، فأخذا في مصادرة الناس ، وانفذا أبا بكر بن رافع إلى استراباذ ونواحيها ، فجمع الوجوه، وأرباب الأموال ، وأخر الإذن لهم حتى تعالى النهار ، واشتدّ الحرّ ، ثم اطعمهم طعاماً أكثر ملحه ، ومنعهم الماء عليه وبعده ، وقدّم إليهم الدواة والكاغد ، وطالبهم ، بكتب خطوطهم بما يصحّحونه ، ولم يزل يستام عليهم ، وهم يتلهّفون عطشاً ، إلى أن التزموا له عشرة آلاف ألف درهم . (معجم الأدباء ١/ ٧١- ٧٢).

وفي السنة ٤٠٣ ورد الخبر بأنّ أبا فلتيه ابن القويّ ، سبق الحاج الى واقصة ، في ستمائة رجل ، فنزح الماء من مصانع البرمكي ، والريّان ، وغوّرها، وطرح في الآبار الحنظل ، وأقام يرصد ورود الحاج ، فلما وردوا العقبة ، اعتقلهم ، ومنعهم الإجتياز ، وطالبهم بخمسين ألف دينار ، فامتنعوا، وبلغ منهم العطش كلّ مبلغ ، فهجم عليهم ، واحتوى على الجمال والأموال والأعمال ، وهلك من الحاج خمسة عشر ألف إنسان ، فخرج علي بن مزيد ، أمير الكوفة في طلب المعتدين ، فلحق بهم وقد قاربوا البصرة ، فأوقع بهم ، وقتل كثيراً منهم ، وأسر أبا فليته بن القويّ ، والأشتر ، وأربعة عشر رجلاً من وجوه بني خفاجة ، واستعاد من الأموال ما أمكن استعادته ، وعاد إلى الكوفة ، وبعث بالأسرى إلى بغداد ، فشهروا ، وأودعوا الحبس ، ثم أجيعوا ، وأطعموا المالح ، وتركوا على دجلة ، يشاهدون الماء ، وماتوا عطشاً هناك . (المنتظم ٧/ ٢٦٠- ٢٦١).



الفصل الثاني

التعذيب بالجوع

لما قتل محمد بن عبدالله بن الحسن العلوي بالمدينة في السنة ١٤٥ عاث فيها جند المنصور ، فوثب سودان أهل المدينة فقتلوا بعض الجند ، وطردوا باقيهم ، واجتمع سودان المدينة ، وقلّدوا امرهم واحداً منهم اسمه (أويتوا) ومنحوه لقب أمير المؤمنين ، ثم تفرّق عنه أصحابه، فحبس ، وأثقل بالحديد ، ومنع عنه الطعام ، فمات جوعاً (العيون والحدائق ٣/ ٢٥٠) .

وكانت سياسة صاحب الزنج في البلاد التي يفتحها القتل والإستئصال ، فكان يقتل حتى النساء والأطفال والشيوخ (مروج الذهب ٢/ ٤٧٠) وكان ما صنعه المهلّبي ، أحد قوّاده بالبصرة ، مضرب المثل ، حيث اشتهر من بعد استباحة صاحب الزنج البصرة ، المثل المشهور : بعد خراب البصرة ، فإنَّ المهلّبي ، بعد أن فتح البصرة وقتل من قتل، وأحرق ما أحرق ، ونهب ما نهب ، جمع الباقين في الجامع ، ووضع فيهم السيف ، فمن ناج ، ومن قتيل ، ومن غريق ، واختفى كثير من الناجين في الدور والآبار ، فكانوا يظهرون بالليل ، فيأخذون الكلاب والسنانير والفيران . فيأكلونها، فأفنوها، حتى لم يقدروا منها على شيء ، فكانوا إذا مات الواحد منهم ، أكلوه ، ويراعى بعضهم موت بعض ، ومن قدر منهم على صاحبه ، قتله وأكله ، وذكر أنّ امرأة منهم ، كانت تنازع ، وحضرتها اختها، وقد احتوشوها ينتظرون موتها ليأكلوها ، فلما ماتت عجلوا عليها فقطعوها ، وأكلوها ، ورأوا اختها تبكي

فسألوها عن سبب بكائها ، فقالت : إنّهم تقاسموا لحم أختها ، فلم يعطوها منها شيئاً ، إلاّ رأسها (مروج الذهب ٢/٤٧٨- ٤٧٩) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل الراضي ، وزيره ابن مقلة بالجوع ، بأن قطع عنه الخبز ، فمات في حبسه بدار الخلافة ، ودفن حيث مات، وكان قبل قطع الخبز عنه ، قد قطع يده ولسانه (تجارب الأمم ١/٣٨٩- ٣٩٠) .

وفي السنة ٣٦٤ مرض الوزير ابن بقيّة ، وزير بختيار البويهي ، فبادر أبو نصر بن السراج ، أحد المتصرّفين، فضمن لبختيار من جهة ابن بقيّة أموالاً ، ثم عوفي ابن بقيّة ، وبلغه ما حصل ، فأمر ابن الراعي ، وهو احد اتباعه ، أن يضمن ابن السراج ، فضمنه بمائة ألف دينار ، وتسلّمه ، وبسط عليه المكاره ، وأصناف العذاب ، وحبسه في صندوق، ومنع عنه الطعام ، فمات أقبح ميتة (تجارب الأمم ٢/٣٥٨- ٣٥٩) .

وفي السنة ٤٧٨ عشقت فتاة ببغداد ، جاراً لأهلها ، وأحسّ بها أبوها ، فأراد قتلها ، فهربت ، ثم اخذها وحبسها في داره ، في بيت ، وسدّ عليها الباب ، حتى ماتت جوعاً (التنظيم ٩/١٦- ١٧) .

وفي السنة ٤٨٠ قبض الخضر بن إبراهيم ، ملك ما وراء النهر ، على أبي المعالي محمد بن محمد الحسيني ، الملقّب بالمرتضى ، طمعاً في أمواله ، ومنع عنه الطعام ، حتى مات جوعاً ، ثم قتل ابنه من بعده (المنتظم ٩/٤١ والوافي بالوفيات ١/١٤٣) .

أقول : جاء في المنتظم ٩/٤١ ان ابا المعالي هذا ، كان يرجع إلى عقل كامل، وفضل وافر ، ورأي صائب، حدّث ، وصنّف ، وكانت له دنيا وافرة ، وكان ينفذ زكاته إلى جميع البلدان ، ويصرف أمواله في البرّ ، بعث اليه ملك ما وراء النهر : إنّي أريد أن أحضر بستانك ، فقال للرسول : لا سبيل إلى ذلك ، لأنّي عمرته من المال الحلال ، ليجتمع فيه عندي أهل

الدين ، فلا أمكّنه من الشرب فيه ، فغضب الأمير ، وعاود الطلب ، فأعاد الجواب ، فقبض عليه ، واستولى على أمواله وأملاكه ، ثم منع عن الطعام حتى مات .

وفي السنة ٥٢٨ خرج شمس الملوك صاحب دمشق للصيد ، فحاول إيليا غلام طغتكين جدّ شمس الملوك، أن يغتاله، وضربه بالسيف ضربتين، فلم تعمل فيه ، وقبض عليه شمس الملوك وقتله ، وقتل معه آخرين ، ثم اتّهم أخاه سونج بأنّه وراء المؤامرة، فتركه في بيت ، وسدّ عليه الباب فمات جوعاً (عيون التواريخ ٢٨٣ـ ٢٨٤) .

وفي السنة ٦١٧ اعتقل الملك الأشرف ، الأمير عماد الدين المشطوب ، وألقاه في جبّ ، فمات بالقمّل والجوع (الذيل على الروضتين ص ١٢١) .

وفي السنة ٧١٠ حبس الملك الناصر ، الأمير سلار ، ومنع عنه الطعام ، فمات جوعاً ، بعد أن أكل أخفافه (بدائع الزهور ١/١٥٥ وفوات الوفيات ٢/٨٧)



الفصل الثالث

التعذيب بالجوع والعطش

لما عزم الوليد على أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، وأن يعهد إلى ولده ، أطاعه كثير من الأشراف ، طوعاً وكرهاً ، وامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال له : في أعناقنا بيعة لسليمان ، وصمّم ، فطيّن عليه الوليد ، أي أنّه أدخله حجرة ، وسّد جميع منافذها بالطين ، ثم شفع فيه بعد ثلاث ، فأدركوه وقد مالت عنقه . (تاريخ الخلفاء ٢٣٠) .

وذكر إدريس بن محمد بن يحيى ، أنّ الرشيد ، قتل جدّه يحيى بن عبد الله ، في الحبس ، بالجوع والعطش . (مقاتل الطالبيّين ٤٨٣) .

ولما اعتقل المعتصم ، الإفشين ، في السنة ٢٢٥ بنى له سجناً خاصّاً ، مقدار مجلس الرجل ، وأمر المعتصم بمنع الطعام عنه ، فكان يعطى في كل يوم رغيفاً ، حتى مات ، فأخذ إلى دار إيتاخ ، وصلبوه ، ثم طرح بباب العامّة ، مع خشبته ، ثم أحرق ، وطرح الرماد في دجلة (الطبري ١١٤/٩) .

وبعث المعتصم إيتاخ ، إلى الافشين ، وقال : قل له ، يا عدوّ الله ، فعلتَ ، وصنعتَ ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟ .

فقال الإفشين لإيتاخ : يا أبا منصور ، قد ذهبت بمثل هذه الرسالة ، إلى عجيف بن عنبسة ، فقال : يا أبا الحسن ، قد ذهبتُ بمثل هذه الرسالة

إلى علّي بن هشام ، فقال لي : أنظر من يأتيك بها ، وأنا أقول لك الآن : أنظر من يأتيك بها .

فما مرّت إلا أيّام قلائل ، حتى حبس إيتاخ ، وقتل (لطائف المعارف ١٤٣) .

أقول : الأفشين ، بفتح أوّله ، وبكسره ، لقب ملوك أشروسنة ، أحد أقاليم ما وراء النهر ، كما أنّ كسري لقب ملوك فارس ، وقيصر لقب ملوك الروم ، وخاقان لقب ملوك الترك ، وقد لقّب به الإفشين لأنّ آباءه كانوا ملوك أشر وسنة ، وهو أبو الحسن خيذر بن كاوس بن خانا خرّه بن خرّابغره ، أسر هو وأبوه في أيّام المأمون ، في حملة عسكرية قادها أحمد بن أبي خالد وزير المأمون ، بأمر منه على بلاد ما وراء النهر ، وحمل خيذر وأبوه إلى المأمون ، فأسلم خيذر ، واتّصل بالمعتصم لما كان أميراً في عهد أخيه المأمون ، فآختصّه ، وقوّده ، ولما اضطربت أحوال مصر ، وكان المعتصم يليها للمأمون ، ويبعث إليها نائباً ، سيّر إليها الأفشين في السنة **٢١٥** فحارب الثائرين بها ، وقهرهم ، ولما استخلف المعتصم ، عقد له في السنة **٢٢٠** على الجبال ، وولّاه حرب الثائر الفارسي بابك الخرمي الذي كان قد بدأ بثورته منذ السنة **٢٠١** وكانت ثورته تقوى وتتّسع سنة بعد سنة ، حتى أصبحت تهدّد الدولة بأعظم الأخطار ، فجدّ الإفشين في محاربته ، وظفر به ، وحمله إلى سامراء أسيراً ، حيث جرى أعدامه باحتفال عظيم ، ولما بلغ المعتصم ظفر الأفشين ببابك ، أخذ يبعث إليه ، من يوم فصل من برزند ، إلى أن وافى سامراء ، في كلّ يوم فرساً وخلعة ، ولما وافى سامراء ، ألبسه المعتصم التاج ، وقلّده وشاحين من الجوهر ، ووصله بعشرين ألف ألف درهم ، وعقد له على السند ، وأدخل إليه الشعراء فآمتدحوه ، وفي ديوان أبي تمام قصيدة من ستة وثلاثين بيتاً ، امتدح بها الأفشين ، وذكر أسلافه ، ووصفه بفحل المشرق ، قال :

بذّ الجلاد البذّ فهو دفين | ما إنْ به إلّا الوحوش قطين
قد كان عذرة مغربٍ فاْفتضّها | بالسيف فحل المشرق الأفشين
فأعادها تعوي الثعالب وسطها | ولقد ترى بالأمس وهي عرين
لاقاهم ملك حباه بالعلى | خرّا وخانا خرّة الميمون

وذكره أبو تمام في قصيدة أخرى ، امتدح بها أبا دلف ، فقال :

وقد علم الأفشين وهو الذي به | يصان رداء الملك من كفّ جاذب

وذكره في قصيدة أخرى ، تحدّث فيها عن ثورة بابك ، فقال :

فرماه بالإفشين بالنجم الذي | صدع الدجى صدع الرداء البالي

وأثنى في قصيدة أخرى على شجاعته ورأيه في الحرب ، فقال :

وقد لبس الأفشين قسطلة الوغى | محشّاً بفصل السيف غير مواكل
وجرّد من آرائه حين أضرمت | له الحرب حدّاً مثل حدّ المفاصل
وسارت به بين القنابل والقنا | عزائم كانت كالقنا والقنابل

ورافق الأفشين المعتصم في فتح عمورية ، ولما انكشفت مؤامرة بعض القوّاد على المعتصم ، من أجل خلعه واستخلاف ابن أخيه العبّاس بن المأمون بدلاً منه ، لم يأتمن على العباس غير الأفشين ، فإنّه أسلمه إليه ، فحبسه أيّاماً ، ثم قتله ، وبلغت منزلة الأفشين لدى المعتصم ، لما تزوّج ابنه الحسن بن الأفشين ، باترنجة بنت آشناس، أن أعرس بها في قصر المعتصم ، وحضر عرسه عامّة أهل سامراء ، وكان الخليفة المعتصم بنفسه يباشر تفقّد من حضرها ، وهذا شيء لم يصنعه الخليفة مع أحد من الناس ، وكان الأفشين خشن المواجهة ، وإذا سكر عربد ، وكانت مواقفه في نصرة الدولة العبّاسية ، والعناية الفائقة التي نالها من المعتصم . والعطايا الجزيلة التي أفاضها عليه ، زادت في خشونته وكبريائه ، فأثار حفيظة جماعة من رجال الدولة ، وحاشية الخليفة ، على رأسهم الأمير عبد الله بن طاهر ، وقاضي القضاة

أحمد بن أبي دؤاد ، وهما من العقل والدراية ، عناية المعتصم بهما ، بالموضع الذي لا يرقى إليه أحد ، وانضاف إليهما الوزير محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات ، وجماعة من القوّاد ، فأوهموا المعتصم إنّه يريد الخروج على الدولة ، فأمر باعتقاله ، وحبس في الجوسق ، محبس الأمراء وكبار رجال الدولة ، ثم بنى له حبساً خاصاً مرتفعاً ، أشبه شيء بالمنارة ، وجعل له في وسطها مقدار مجلسه ، وكان الرجال يدورون حولها ، يتناوبون على حراسته ، وحوكم الأفشين محاكمة علنية ، كان قضاته فيها خصومه ، وكان المحقّق الذي استجوبه هو قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، ورئيس المحكمة الوزير ابن الزيات ، والمستمعون جماعة من كبار القوّاد والكتّاب ، وقد حفظ لنا التاريخ ما جريات تلك المحاكمة ، ولم يقم ضدّه من الأدلة ما يستوجب الحكم الذي صدر عليه بالإعدام ، ولكن لما كان خصومه هم قضاته ، فقد كان القرار معروفاً ، وليس عجيباً أن يرد الأفشين هذا المورد ، فإنّ ارتفاعه إلى الدرجة التي آرتفع إليها ، كانت تؤذن بهذا الإنحدار ، شأنه شأن البرامكة من قبله وغيرهم من الوزراء وكبار رجال الدولة ، وقد أثبت المؤرّخون نصوص الأسئلة التي وجهت للأفشين كما حفظ لنا أجوبته عليها، وكان أوّل ما سئل عنه ، انّه كان قد ضرب إمام جامع في أشروسنة ومؤذناً ألف سوط ، فاعترف بأنّه أمر بضربهما ، واحتّج لنفسه بأنّه كان بينه وبين ملوك السغد عهداً وشرطاً أن يترك كلّ قوم على دينهم ، وقد وثب هذان الرجلان على بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة ، فأخرجاها ، واتّخذا من المكان مسجداً ، فضربهما لتعدّيهما ، واتّهم بأنّه وجد في بيته كتابٌ محلّى بالذهب والجوهر والديباج ، فيه ما يخالف اعتقاد المسلمين من الكفر بالله ، وكان جوابه ، إنّ هذا الكتاب ورثه عن آبائه ، فيه أدب من آداب العجم ، فكان يستمتع منه بالأدب ، ويترك ما سوى ذلك ، وقد وصل إليه من أسلافه ، وهو محلّى ، فلم تضطره الحاجة إلى تجريده من حليه ، وهو أشبه بكتاب كليلة ودمنة ،والاحتفاظ به لا يخرج من احتفظ به من الإسلام ، وشهد

عليه الموبذ ، بأنّه يأكل المخنوقة ، وكان جوابه إنّ هذا الموبذ مجوسيّ ، فهل هو عدل مقبول الشهادة عند المسلمين ؟ فقالوا : لا ، قال : فما معنى قبولكم شهادة من لا تعدّلونه ولا تثقون به ، وذكر عنه أنّ أتباعه في أشروسنة ، يكتبون ليه ما ترجمته : إلى إله الآلهة من عبده فلان ، فاعترف بذلك ، وقال : إنّ هؤلاء القوم جرت عادتهم أن يكتبوا بذلك ألى أبي وجدّي ، وأليّ قبل أن أدخل في الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسي دونهم ، فتفسد عليّ طاعتهم ، وآدّعى المازيار ، أنّ أخا الأفشين ، كتب ألى أخيه (أخي المازيار) يدعوه للمخالفة والخلع ، لكي يتوجّه إليه الأفشين ، فيتّفقان على قلع الإسلام وإعادة المجوسية ، وكان جواب الأفشين : إنّ هذه دعوى على أخي وعلى أخي المازيار ، فهي دعوى لا تجب عليّ ، وكانت آخر التهم الموجّهة اليه ، للإستدلال على كفره ، أنّه لم يختن ، وكان جوابه : إنّه لو فرضنا أنّ ذلك كان صحيحاً ، فإنّ إغفال الختان ، لا يعني الخروج من الإسلام ، وإنّي خفت أن أقطع ذلك من جسدي فأموت ، فقيل له : أنت تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، وتخوض المعارك ، وتجزع من قطع قلفة ؟ فأجاب : تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها ، وهذا شيء أستجلبه ، فلا آمن معه خروج نفسي ، هذا وقد ظهر من بعد ذلك انّه كان مختوناً ، ولكنّ كبرياءه ، واعتداده بنفسه ، منعه من دفع التهمة ، خشية أنّ يكلفه قضاته بأن يكشف عن عورته ، فيكون ذلك سبّة عليه ، وكان الأفشين طيلة المرافعة ، رابط الجأش ، حاضر الذهن ، رغم علمه بما ينتظره ، وأجوبته التي أجاب بها في المرافعة ، تنطق برباطة جأشه ، وحضور ذهنه ، ولما خاشنه اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، صاحب الشرطة ، التفت إليه ، وقال له : يا أبا الحسن ، هذه سُورة قرأها عجيف على علي بن هشام ، وانت تقرؤها علّي ، فآنظر غداً من يقرأها عليك ، أراد بأنّ رجال الدولة لما أرادوا قتل عليّ بن هشام ، بعثوا إليه بعجيف ، ثم قتلوا عجيفاً ، وهم الآن يريدون قتله (الأفشين) فبعثوا بك إليّ ، وسوف يقتلونك من بعد ذلك ، ولما زجره القاضي أحمد بن ابي دؤاد ، قال له الأفشين : أنت

يا أبا عبد اله ، ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه على عاتقك ، حتى تقتل به جماعة ، وعندما أنهى القاضي استجواب الأفشين ، وأصدر حكمه بأن قال للقائد بغا : عليك به ، وضرب بغابيده على منطقة الأفشين ، قال الأفشين : قد كنتُ أتوقّع هذا منكم قبل اليوم ، ولما أعيد إلى محبسه ، بعث إلى المعتصم برسالة ، قال فيها : يا أمير المؤمنين ، إنّك أحسنت إليّ ، وشرّفتني، وأوطأت الرجال عقبى ، ثم قبلت فيّ كلاماً لم يتحقّق عندك ، ولم تتدّبره بعقلك كيف يكون ، وإنّما مثلي ومثلك ، مثل رجل ربّى عجلاً له ، حتى أسمنه وكبر ، وحسنت حاله ، وكان له أصحاب آشتهوا أن يأكلوا من لحمه ، فعرضوا له بذبح العجل ، فلم يجبهم إلى ذلك ، فاتّفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : لم تربّي هذا الاسد ، هذا سبع ، وقد كبر ، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه ، فقال لهم : ويحكم هذا عجل بقر ، ما هو سبع ، فقالوا : هذا سبع ، سل عنه من شئت ، وتقدّموا إلى جميع من يعرفونه ، أن يقولوا : هذا سبع ، فكلّما سأل الرجل إنساناً عنه ، قال له : هذا أسد ، هذا سبع ، فأمر بالعجل ، فذبح ، وأنا ذلك العجل ، كيف أقدر أن أكون أسداً ، الله ، الله في أمري ، وأسأل الله أن يعطف قلبك عليّ ، ولم تنجع الرسالة في المعتصم فإنّ خصوم الأفشين ، كانوا قد أفسدوا رأي المعتصم فيه ، فأمر بمنع الطعام عنه ، فمات جوعاً ، وحمل ميتاً إلى بيت إيتاخ ، ثم أخرج فصلب عارياً ، ثم أحرق وذرّي رماده في دجلة ، وكان ذلك في السنة ٢٢٦ ، وكما كان للشعراء ، مواقف في مدح الأفشين ، لما كان الخليفة راضياً عنه ، كانت لهم معه مواقف أخرى غيرها لما غضب عليه ، وحبسه ، واستأصله ، وبعد أن كان « فحل المشرق » و « تضيء المكرمات إذا بدا » وكان « نجماً يصدع الدجي » وكان « به يصان رداء الملك من كفّ جاذب » قال فيه أبو تمام :

جالت بخيذر جولة المقدار   فأحلّه الطغيان داربوار

كم نعمة لله كانت عنده فكأنها في غربة وإسار
مازال سرّ الكفر بين ضلوعه حتى آصطلى حرّ الزناد الواري
صلّى لها حيّاً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجّار
قد كان بوّأه الخليفة جانباً من قلبه حرماً على الأقدار
فإذا ابن كافرة يسّر بكفره وجداً كوجد فرزدق بنوار

ومن جملة ما عذّب به ابن الزيات لما اعتقل في السنة ٢٣٣ أنه سوهر ، ومنع من النوم ، وكان ينخس بمسلّة ، ثم أدخل في تنّور من خشب فيه مسامير حديد قيام ، فمكث أيّاماً ، ثم بطح وضرب بطنه خمسين مقرعة ، ثم قلب فضرب على آسته مثلها ، ومات وهو يضرب ، وهم لا يعلمون ، ولم يأكل طول مدّة حبسه سوى رغيف . (الطبري ٩/١٦٠) .

في السنة ٢٥٥ طالب الجند المعتزّ بأرزاقهم ، فلم يجد ما يعطيهم ، فدخل عليه بعض خلفاء القوّاد ، وجرّوا برجليه إلى باب الحجرة ، وتناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرّق من مواضع ، وآثار الدم على منكبيه ، وأقاموه في الشمس في وقت شديد الحرّ فظلّ يرفع قدماً ويضع أخرى من حرارة الموضع ، وأخذ بعضهم يلطمه وهو يتّقي بيده ، ثم أدخلوه سرداباً ومنع الطعام والشراب ، حتى مات وهو ابن ٢٤ سنة (الطبري ٩/٣٩٠) .

وفي السنة ٢٨٩ واقع أبو سعيد القرمطي ، بني ضبّة ، وظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيماً جمعهم فيه ، وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فمكثوا شهراً ، ثم فتح عليهم ، فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، قد تغذّوا بلحوم الموتى ، فخصاهم ، وخلّاهم ، فمات أكثرهم (أتّعاظ الحنفا ١٦٤) .

وذكر صاحب العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٢٠٥ أنّ عمرو بن الليث

الصفّار مات في حبسه في السنة ٢٨٩ بالجوع والعطش ، فإنّ الناس اشتغلوا بيوم بيعة المكتفي وأهملوا أمر تقديم الغذاء لعمرو ، فمات جوعاً .

وأحسّ القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وزير المكتفي ، أنّ الحسين بن عمرو ، كاتب المكتفي قبل الخلافة ، اتّفق مع فارس ، داية المكتفي ، على استيزار إبراهيم بن حمدان الشيرازي ، وعلى أن تكون الدواوين جميعها ألى الحسين بن عمرو ، وأن يعزل القاسم من الوزارة ، فتوصّل القاسم إلى المكتفي ، فأرضاه ، وتسلّم الحسين بن عمرو ، وإبراهيم الشيرازي ، واستصفى أموالهما ، ثم أنفذهما إلى الأهواز ، فجعلا هناك في بيت ، وسدّ ، ومنع من دخول الماء والطعام إليهما ، حتى ماتا ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ٣/١٧١ .

وبلغ الوزير علي بن عيسى ، وزير المقتدر في السنة ٣١٥ ، أنّ في بغداد رجلاً شيرازيّاً، على مذهب القرامطة ، وأنّه يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره ، وسأله ، فآعترف ، وقال : صحبت أبا طاهر بعد أن صحّ عندي أنّه على الحقّ ، وأنت وصاحبك كفّار ، تأخذون ما ليس لكم ، فقال له : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم ، فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال له : أنتِ بهذا العقل تدبّر الوزارة ؟ كيف تطمع منّي أن أسلم قوماً مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم ، لا أفعل ذلك ، فأمر به ، فضرب ضرباً شديداً ، ومنع الطعام والشراب ، فمات بعد ثلاثة أيّام (ابن الأثير ٨/١٧٤) .

أقول : ذكر ابن الجوزي في المنتظم ٦/٢١٠ أنّ الشيرازي هذا ، صفع ، وضرب بالمقارع ، وقيّد ، وغلّ ، وجعل في فمه سلسلة ، وحبس ، فلم يأكل ولم يشرب ثلاثاً ، فمات .

وأمر الحاكم الفاطمي ، صاحب مصر ، فسدّت حجرة من حجر

قصره ، على جماعة من الجواري فيهنّ اثنتان من محظياته (النجوم الزاهرة ٦٣) .

وفي السنة ٣٨٩ قتل زهمان بن هندي ، الذي كان صاحب خانقين ، بالجوع والعطش ، وسبب ذلك : أنّ أبا الفتح محمد بن عناز ، احتال على زهمان فاعتقله هو وأولاده الثلاثة دلف ، ومقداد ، وهندي ، وسجنهم في قلعة البردان ، وبعد مدّة ، ثار أولاد زهمان في القلعة ، وكسروا قيودهم ، وحاولوا الفتك بالموكلّين ، فتجّمع عليهم حماة القلعة ، وقتلوا الأولاد الثلاثة بحضرة أبيهم ، وأخذوا الأب زهمان إلى بيت ، وسدّوا عليه بابه ، وأبقوا كوّة كانوا يلقون إليه منها قرصاً من الشعير ، وقليل ماء ، فبقي أياماً ومات (تاريخ الصابي ٨/٣٣٩) .

وروى التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ٥ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ رقم القصة ٥/١٣١ قصّة عن أعرابي شيخ حاول أن يقتل رفيقاً له في الطريق ويستولي على ماله ، ولكنّ رفيقه أحسّ به، وحبسه في ناووس ، وتركه ، حتى مات جوعاً وعطشاً .

ولما آستولى محمد بن سعد ، المعروف بابن مردنيش ، على مرسية وأعمالها ، بالأندلس ، تنكرّ له أكثر رعيته ، فقتل من قوّاده جماعة بأنواع القتل ، ومنهم من بنى عليه في حائط وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ، إلى غير ذلك من ضروب القتل ، واستدعى النصارى الإفرنج ، وآستعان بهم في حكم رعيته المسلمين، ومات ابن مردنيش هذا ، وهو محاصر في مرسية ، حاصره الموحّدون في السنة ٥٦٧ . (المعجب للمراكشي ٣٢٢) .

وفي السنة ٥٨٧ تضافر قوم من أهالي حلب على الشيخ شهاب الدين السهروردي وآتّهموه بفساد العقيدة ، وكتبوا إلى السلطان صلاح الدين ، بأنّهم يخشون أن يفسد عقيدة الملك الظاهر ولده صاحب حلب، فكتب الناصر إلى

ولـده الظاهـر ، يأمـره بقتله، وشـدّد عليـه في ذلـك ، فخيـرّه في الميتـة التي يرتضيها ، فـاختار أن يحبس في مكـان ، ويمنع من الأكـل والشرب ، إلى أن يمـوت ، ففعل بـه ذلك . (شـذرات الذهب ٢٩٢/٤ وعيون الأنبـاء ١٦٧/٢ ومعجم الادباء ٢٧٠/٧) .

وكان السلطان محمد بن محمد بن محمد النصـري ، سلطان غرنـاطة ، المخلوع سنة ٧٠٨ والمقتول سنـة ٧١٠ عـظيم القسـوة ، اعتقـل طـائفـة من ممـاليك أبيـه ، فسجنهم في مطبق الأري بحمـراء غرنـاطـة ، وأقفـل عليهم الأبواب ، ومنعهم القوت ، فمكثـوا أيّامـاً يصرخـون من الجوع ، حتى خفتت أصـواتهم بعد أن اقتـات آخـرهم مـوتـاً من لحم من سبقـه ، وحملت الشفقـة حارساً كان برأس المطبق على أن طرح لهم خبزاً يسيراً ، تنغّص عليه أكله مع مباشرة بلواهم، ونمى إلى السلطان ذلك ، فأمر به ، فذبح على حافة الجبّ ، فسالت عليهم دماؤه (الاحاطة ٥٥٥ و٥٥٦) .

ولمـا اعتقل الملك النـاصر محمـد بن قلاوون ، في السنـة ٧١٠ الأمير سلار ، أمر أن يبني عليـه أربعة حيـطان في مجلسه ، وألّا يـطعم ولا يسقى ، فبقي سبعة أيام لا يطعم ولا يسقي ، وهو يستغيث من الجوع ، ثم أرسل إليـه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة بسفر الطعام ، ففرح ، ولما كشفوها كان في أحـد الأطبـاق ذهب ، وفي الثاني فضّـة ، وفي الثـالث لؤلؤ وجـواهـر ، وبقي على حالته هذه اثنى عشر يوماً ومات ، فجاءوا إليه فوجدوه قد أكل ساق خفّه ، وقد أخذ السرموجة (الحذاء) وحطّها في فيه ، وعضّ عليها بأسنانـه ، وهو ميت . (النجوم الزاهرة ١٨/٩) .

وفي السنة ٧١٠ مات الأمير بكتـوت بدر الدين الفتاح ، من كبار الأمـراء بمصـر ، في سجن الإسكندريـة ، وكان مـوته بـالجوع والعـطش ، وكـان قـد اختصّ بالمظفر بيبرس لما تسلطن ، وسار معه إلى الصعيد ، ولما عاد النـاصر محمـد بن قلاوون إلى السلطنـة ، وقتل بيبـرس ، قـدم بكتـوت على النـاصـر

طائعاً ، فأكرمه ، ثم قبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، وترك أحد عشر يوماً بلا مأكول ولا مشروب ، فمات (الدرر الكامنة ٢/٢٣) .

وفي السنة ٧١٠ اعتقل السلطان الملك محمد بن قلاوون ، الأمير برلغي الاشرفي ، وضيّق عليه ، ومنع من دخول الطعام والشراب إليه ، حتى يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدّة الجوع ،ثم مات (النجوم الزاهرة ٩/١٧ و٢١٦) .

ولما استولى تيمورلنك على هراة ، حبس سلطانها السلطان غياث الدين بن السلطان حسين،ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً وعطشاً (اعلام النبلاء ٢/٤٨٩) .



الباب السادس عشر

القتل بصنوف العذاب

يحتوي هذا الباب، على أخبار القتل الذي تمّ بألوان من العذاب، غير ما سبق أن فصّلناه من القتل بالسيف، وبأنواع السلاح الأخرى، وبالنار، وبكتم النَفَس.

ويشتمل هذا الباب، على أربعة عشر فصلاً:

الفصل الأول: القتل بالتفزيع.

الفصل الثاني: القتل بالبرد.

الفصل الثالث: القتل بالفصد.

الفصل الرابع: القتل بقصف الظهر.

الفصل الخامس: القتل ببقر البطن.

الفصل السادس: القتل بدقّ المسامير في الآذان.

الفصل السابع: القتل بطرح الإنسان للسباع.

الفصل الثامن: القتل بالطرح من شاهق.

الفصل التاسع: القتل بتحطيم الرأس.

الفصل العاشر: القتل بتمزيق البدن.

الفصل الحادي عشر: القتل بتقطيع الأوصال.

الفصل الثاني عشر: القتل والتعذيب بالسلخ.

الفصل الثالث عشر: القتل بالنشر بالمنشار.

الفصل الرابع عشر: القتل بألوان أخرى من العذاب.



الفصـل الأول

القتل بالتفزيع

ويحصل بتخويف المعذّب ، والتهويل عليه ، وإحضاره في الوقت الذي يعذّب فيه غيره من الناس .

ومورست هذه العقوبة ، على فاطمة ابنة يعقوب بن الفضـل الهاشمي ، وعلى خديجة زوجة يعقوب ، فإنَّ المهدي العباسي اتّهمهما بالزندقة ، وفُـزِّعتا بأن ضرب على رأسيهما بشيء يقال له : الرعبوب ، فماتتا فزعـاً . (الطبـري ١٩١/٨).

ولمـا سيطر أحمـد بن طولـون على مصر ، كـان على البريـد بها شقيـر الخادم، فاتّفق شقير مع أحمد بن المدبّر، عامل الخراج بها، وسعياً باحمد بن طولون إلى الخليفة ، وبلغ احمد ذلك ، فاعتقل شقيراً ، وأحضـره، وأمر بأن يجلد ، فأخذه الذعر ، فمات (المكافأة ١١٤).

وقـد مارس المحسّن بن الفـرات في السنـة ٣١٢ ذلـك على محمـد بن نصر ، وكيل أبي الحسن علي بن عيسى بن الجرّاح ، فإنّه أدخل إلى ديوانه ، فـرأى مـا يلحق النـاس من المكـاره بحضـرة المحسّن، فمـات من الفــزع . (تجارب الأمم ١٣٢/١).

الفصـل الثانـي

القتـل بالبـرد

ومن ألـوان العذاب ، أن يعـرّى المعذّب ، ويصبّ عليـه الماء البـارد ، في الشتاء ، أو أن يحرم من الدثار ، ويترك في الجوّ البارد حتى يموت .

وأوّل من مارس هذا النوع من العذاب ، على ما بلغنا ، الـوليد بن عبـد الملك الأموي ، فإنّه في السنة ٨٨ أمر بهدم حجر أزواج الرسـول صلوات الله عليـه ، وإضـافتهـا إلى المسجـد ، فلمـا شـرع في ذلـك ، غضب خبيب بن عبدالله بن الزبير ، وصاح : اليوم محيت آية من كتاب الله تعالى ، يريد بذلك الآية الكريمة : إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤ م الحجرات ٤٩)، فكتب بذلـك صاحب البـريد إلى الـوليد ، فـأمر الـوليد بـأن يجلد خبيب مائة سوط ، وأن يصب على رأسه قربة ماء بارد ، فضـرب في يوم بارد ، وصبّ على رأسه الماء ، فمات (العيون والحدائق ٣/ ٤).

وفي السنة ٢٣٦ توفّي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي فجأة ، وكان في عسكره بالكرخ ، قد عقد له على اذربيجان وأرمينية ، يـريد السفـر إليها ، فمات فجأة لبس أحد خفّيه ، ومدّ الآخر ليلبسه، فسقط ميتاً ، فـولّى المتوكـل ابنـه يوسف بن محمـد ما كـان وليه أبـوه من الحرب وأضـاف إليـه الخـراج ، فشخص إلى عمله، ووجّـه عمّالـه، وفي السنة ٢٣٧ قبض على أحـد بطارقـة ارمينيـة ، وقيّـده وبعث بـه إلى سـامـراء ، فـاجتمـع عليـه بـطارقـة أرمينيـة ، وحصروه ، وقتلوه ومن قاتل من جنده ، أمّا من لم يقاتـل، فقالـوا لهم: ضعوا

ثيابكم ، وانجوا عرايا ، فطرحوا ثيابهم ، ونجوا عراة حفاة ، فمات أكثرهم من البرد ، ونجا بعضهم وقد سقطت أصابعهم . (الطبري ٩/١٨٧) .

وفي السنة ٢٥٢ خلع المعتز أخاه المؤيّد من ولاية العهد ، وقيّده ، وضربه أربعين مقرعة ، وحبسه ، وقتله بالبرد ، بأن وضعه في ثلّاجة ، حيث أجلسه في حجرة ، ونضّدت عليه حجارة الثلج ، فجمد برداً ، ومات (الطبري ٩/٣٦٢ وابن الأثير ٧/١٧٢) .

أقول : وقد عذّب المعتز عند خلعه وقتله ، بعكس ما عذّب به أخاه ، فإنّه حقن بماء مغلّي ، فورم جوفه ، ومات (مروج الذهب ٢/٤٦٢) . أما الشريشي شارح مقامات الحريري ، فذكر أنّ المعتز لما خلع أدخل حمّاماً وأغلق عليه فمات من حرّه (شرح المقامات الحريرية ١/٢٢٦) ، أما صاحب تاريخ الخلفاء ، فذكر أنّ الأتراك هجموا على المعتز ، وجرّوا برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، وهم يلطمون وجهه ، ويقولون له إخلع نفسك ، فخلع نفسه ، وبعد خمس ليال من خلعه ، أخذه الأتراك فأدخلوه الحمّام ، ومنعوه الماء ، ثم سقوه ماء بثلج ، فسقط ميتاً (تاريخ الخلفاء ٣٦٠) .

وذكر الشريشي في كتابه : شرح المقامات الحريرية ١/٢٢٦ أنّ ابن المعتز ، لما قبض عليه المقتدر ، أمر به فرمي في صهريج فيه ماء ، فمات من شدّة البرد ، وقال : إنّ من العجائب أنّ أباه المعتز ، لما خلع عن الملك ، أدخل حمّاماً ، وأغلق عليه ، فمات من حرّه .

وفي السنة ٤٠٣ قتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير بالبرد ، تآمر عليه قوّاده ، وذلك إنّه كان عنيفاً معهم ، يقتل على الذنب اليسير ، فتآمروا عليه واعتقلوه ونصبوا ولده مكانه ، وحملوه إلى قلعة جناشك ، وتركوه حتى إذا دخل إلى المرحاض أخذوا ثيابه ، وتركوه ، وكان الزمان شتاءً ، والبرد

شـديداً ، فجعـل يستغيث ، ويصيح : أعـطوني ولوجـلّ دابّـة ، فلم يفعلوا ، فمات من شدّة البرد . (ابن الأثير ٩/٢٣٩ وفيات الأعيان ٤/٨١).

وفي السنة ٥١٤ خرج جـوسلين الإفرنجي صـاحب الرهـا ، فأغـار على النقرة والأحص ، وقتل ، وسبى ،وأحرق، ثم قصد تلّ باشـر ، وصنع بهـا كما صنـع بالنقـرة والأحص ، وأخذ المشـايخ والعجـائـز والضعفـاء ، فنـزع عنهم ثيابهم، وتركهم في البرد عراة ، فهلكوا بأجمعهم (أعلام النبلاء ١/٤٣٧).

وفي السنـة ٥٣٤ قبض الـوزيـر البـر وجـردي ، على ثـابت بن حميـد المستـوفي فحبسه في سـرداب بهمذان في الشتـاء بـطاق قميص ، فمـات من البرد ، وأخذ من ماله ثلثمائة ألف دينار. (المنتظم ١٠/٨٧).



الفصل الثالث

القتل بالفصد

والعذاب بالفصد ، من أخف ألوان العذاب ، وأقلّها أذى ، ولا يتأتّى إلاّ بمزيد من العناية .

وممن اختار القتل بالفصد ونزف الدم ، عبد يغوث بن صلاءة بن ربيعة ، من قحطان ، قائد قومه من بني الحارث ، فإنّه أسر في بعض الوقائع ، وخيّر كيف يرغب أن يموت ، فاختار أن يشرب الخمر صرفاً ، ويقطع عرقه الأكحل ، فمات نزفاً . (الأعلام ٤/٣٣٧) .

ولما أراد الخليفة المعتضد ، أن يقتل أستاذه ونديمه ، الفيلسوف أبا العبّاس احمد بن الطيّب السرخسي ، في السنة ٢٨٦ ، بعث إليه يقول : لك سالف خدمة ، فاختر أيّ قتلة تحبّ أن أقتلك ؟ فاختار أن يفصد ، ويترك فصاده من دون شدّ ، فقتل بتلك القتلة (الوافي بالوفيات ٧/٦) .

وغضب زيادة الله بن الأغلب ، صاحب إفريقية (ت ٣٠٤) ، على طبيبه إسحاق بن عمران ، الملقّب بسمّ ساعة ، فأمر به ففصد في ذراعيه جميعاً ، وسال دمه حتى مات ، ثم صلبه على جذع ، فطال مقامه مصلوباً حتى عشّش في جوفه صقر لطول مقامه (طبقات الأطباء والحكماء لأبن جلجل ٨٥- ٨٦) .

وفي السنة ٦٦٩ قتل عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي ، من الفلاسفة

القائلين بوحدة الوجود ، ونسبت إليه أقوال مخالفة للشريعة ، فصد بمكّة ، وترك دمه يجري، حتى مات نزفاً . (الأعلام ٤/ ٥١).

ولما اعتقل السلطان علي بن عثمان المريني ، سلطان المغرب ، أخاه عمر ، وأحضره إلى فاس في السنة ٧٣٤ قتله فصداً وخنقاً . (الاعلام ٥/ ٢١٤ ونفح الطيب ٥/ ١٥٥ـ ١٥٦).

الفصل الرابع

القتل بقصف الظهر

في السنة ١٢٦ تسلّم يوسف بن عمر الثقفي ، أمير العراق لهشام وللوليد بن يزيد، خالد بن عبدالله القسري ، سلفه في حكم العراق ، وعذّبه ، وقتله بأن وضع قدميه بين خشبتين ،وعصرهما حتى انقصفتا، ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه ، وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقصف صلبه مات ، وهو في كلّ ذلك لا يتأوّه ، ولا ينطق (وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٩) .

وفي السنة ٦٨٣ قتل السلطان أحمد بن هولاكو ، بقصف ظهره (الحوادث الجامعة ٤٣٦) .

أقول : تسلطن أحمد عند وفاة أخيه أباقا بن هولاكو ، في السنة ٦٨٠ ، وكان اسمه تكودار ، فلما تسلطن أعلن إسلامه ، وتسمّى بأحمد . فتغيّر عليه بعض قوّاده لما أسلم ، وخرج عليه أرغون بن أباقا أخيه ، وكان أرغون على خراسان ، فانتصر أحمد ، وأسر أرغون ، ولكنّه أهمل التوثّق منه ، فأطلقه بعض القوّاد ، وقصدوا أحمد ، ففرّ منهم ، وقبضوا عليه ، وقتلوه ، فكانت سنّه لما قتل بضعاً وعشرين سنة . (تاريخ أبي الفداء ٤ / ١٦ـ ١٧ وشذرات الذهب ٥ / ٣٨١) .

الفصـل الخامـس

القتل ببقر البطن

البقر : الفتح ، والشق ، والتـوسيع، ويصـرف إلى شقّ البطن ، والبقيـر من النوق : التي شقّ بطنها عن ولدها .

وأوّل مـا بلغنا عن هـذا اللون من العذاب ، مـارسه عبيـدالله بن زياد ، بميثم التمّـار ،أحد رجال الشيعة ، إذ أمر به فعلّق على خشبـة ، ثم أمر بـه أن يلجم ، ليحـول بينه وبين الكـلام ، وفي اليوم الثـالث ، أمر بـه فبقرت بـطنـه بحربة ، فسال أنفه وفمه دماً ، ومات. (تاريخ الكوفة ٢٨٤ـ ٢٨٧).

وأغار الجحّاف وأصحابه على بني تغلب ، فقتل الرجـال ، وبقر بـطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملاً ، راجع تفصيـل ذلك في هـذا الكتاب في الباب التاسع عشر « المرأة » الفصل الخامس « الوان أخرى من القتل ».

ومـارس هـذا اللون من العـذاب ، من بعـده ، أسـد القسـري ، أميـر خراسان ، فإنّه بعث إلـى أهالي التبوشكـان جنداً ، بقيـادة الكرمـاني ، فنزلـوا على حكمــه ، فحكم ببقــر بــطون خمسين منهم ، وألقــاهم في نهــر بلخ (الطبري ٧/ ٣٣٧).

وفي السنة ١٣٠ تصدّى ابنـا جمانـة المراديـان باليمن ، لعبد الملك بن محمد بن عطيـة ، أحد قـوّاد مروان الجعـدي ، وقتلاه ، فقصـدهم الوليـد بن عروة ، ابن أخي عبد الملك ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون النساء ،

وقتل الصبيان ، وحرّق بالنار من قدر عليه منهم (ابن الأثير ٥/٣٩١-٣٩٢-٤٠٢).

وفي السنة ٣١٥ هجم قوم من جند مرداويج ، عليه ، وكان في الحمّام ، فقاتلهم بكرنيب فضّة كان في يده ، فشقّ بعض الأتراك المهاجمين بطنه ، ولما خرجت حشوته ، ظنّ أنّه قتله ، فلما خرج إلى أصحابه ، قالوا له : اين رأسه ؟ وعادوا لحزّ رأسه ، فوجدوه قد قام بين سريرين في الحمّام ، وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيده ، وكسر جامة الحمّام ، وأعانه قيّم الحمام ، وهمّ بالخروج من ذلك الموضع إلى سطح الحمّام ، فحزّوا رأسه (تجارب الأمم ١/١٦٣).

وقتل الحاكم الفاطمي ، بمصر ، ركابياً له ، بحربة في يده ، وتولّى شقّ بطنه بيده (النجوم الزاهرة ٥٨).

وفي السنة ٦٢٠ قتل جنديّان أخوان، ببغداد طبيب الخليفة الناصر ، واسمه صاعد بن هبة الله ، فأخذا إلى موضع الجريمة وشقّ بطناهما ، وصلبا (تاريخ الحكماء ٢١٣-٢١٤).

الفصل السادس

القتل بدقّ المسامير في الآذان

ومن ألوان العذاب التي تدلّ على القسوة ، دق المسامير أو الأوتاد في الآذان .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب، على ما بلغنا عمرو بن الليث الصفّار ، فإنّه انتبه ذات ليلة ، فوجد أحد غلمانه ، من الحراس ، واقفاً وقد أغفى ، فجعل مرفقه على صماخ أذنه ، وغمز عليه حتى قتله، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي في القصة رقم ٣/ ٦٦) .

وعذّب ابنُ السلار ، الموفّق ، بأن دقّ في أذنه مسماراً ، فقتله ، وتفصيل القصة أنّ أبا الحسن علي بن السلار ، الملقّب بالملك العادل ، وزير الظافر الفاطمي ، كان قبل الوزارة ، من آحاد الأجناد ، فدخل يوماً إلى الموفّق ، أبي الكرم التنيسي ، وكان يتولّى الديوان ، فشكا إليه من غرامة ألزم بها ، فقال له الموفّق : إنَّ كلامك هذا ما يدخل في اذني ، فحقدها عليه ، وطلبه لما استوزر ، حتى ظفر به ، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل ، وأمر به فألقي على جنبه ، وطرح اللوح تحت أذنه ، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى ، وصار كلما صرخ يقول له : دخل كلامي في أذنك أم لا ؟ حتى مات . (وفيات الأعيان ٣/ ٤١٧).

وكان الأمير سيف الدين الناصري (ت ٧٣٨) مشدّ الدواوين بمصر ، يعذّب الناس بضرب الأوتاد في آذانهم . (الوافي بالوفيات ٩/ ٣٤٨).

الفصل السابع

القتل بطرح الإنسان للسباع

كان هذا اللون من العذاب ، يمارس منذ أقدم الأزمنة ، بطرح الأسير للسباع ، تفترسه ، أو للكلاب تنهشه ، أو للفيلة ، تعذّبه أو تقتله .

وأقدم ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، ما كان يجري في حفلات الرومان التي يجمعون فيها بين الحيوانات المفترسة ، وبين الأسرى .

أما في العهد الإسلامي ، فإنَّ أوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، الحجّاج بن يوسف الثقفي ، السيء الصيت ، فإنَّه حبس الزاهد ، ابراهيم بن يزيد التيمي ، ومنع عنه الطعام، ثم أرسل عليه الكلاب في السجن تنهشه ، حتى مات (اللباب ١/ ١٩٠).

ويروى أنّ الرشيد ، قتل يحيى بن عبدالله العلوي ، بأن أجاع السباع ثم طرحه إليها ، فأكلته (مقاتل الطالبيّين ٤٨٢) .

وجيء للمعتصم ، برجل قد رمي ببدعة ، فأمر به فألقي للسباع ، (مروج الذهب ٢/ ٤٤٥).

وأمر بحكم ، أمير الأمراء ، بأن يطرح أربعة اشخاص ، للسباع ، فطرحوا إليها في البركة التي بناها بالنجمي ، ببغداد في الجانب الغربي . (الأوراق للصولي ، اخبار الراضي والمتّقي ١٤٤) .

وغضب المعتضد على أحد وزرائه ، لما ظهر عليه أنّه تعشّق فتاة ، فأغرى بعض الشهود ، فشهدوا بأنّه قد تزوّجها ، فأمر المعتضد بصلب الشهود ، وأن يوضع الوزير في جلد ثور طريّ السلخ ، وأن يضرب بالمزارب حتى يختلط عظمه بلحمه ، ثم مر أن يرمي للسباع ، فألقي إلى النمور ، فأكلت لحمه ، ولعقت دمه (تحفة المجالس للسيوطي ٣١١ - ٣١٤) .

وفي السنة ٣٦٧ حمل ابن بقيّة ، وزير عزّ الدولة بختيار ، إلى عضد الدولة ، وكان نازلاً بالزعفرانية ، فشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح بباب حرب إلى الفيلة ، وأضريت عليه ، فقتلته ، وصلب على شاطىء دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلى الجانب الغربي بحضرة البيمارستان العضدي (تجارب الأمم ٢ / ٣٨٠ ووفيات الاعيان ٥ / ١١٩) .

وفي السنة ٣٦٩ أخذ عضد الدولة ، عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي ، أسيراً ، وكان قد قصد البصرة ليستولي عليها ، فثار به أصحاب عضد الدولة ، وأسروه وشهر بالبصرة ، وعوقب ، ثم أنفذ إلى بغداد ، فشهر منصوباً على نقنق في سفينة ، وعلى رأسه برنس ، ثم طرح الى الفيلة ، فخبطته ،وصلب إلى جانب ابن بقيّة . (تجارب الامم ٢ / ٤١٤) .

وذكر التنوخي ، في نشوار المحاضرة ، في القصّة المرقمة ٨/٩٢ أنّ الفيل في الهند ، يقوم مقام الجلّاد ، فإذا أرادر الملك قتل إنسان ، سلّمه إلى الفيل ، فيكلّمه الفيّال في أن يقتله ، فيقتله بألوان من القتل ، منها : أنّه ربما لفّ خرطومه على رجل الرجل ، ويضع إحدى يديه على ساق الرجل الأخرى ، ثم يعتمد عليه ، فإذا هو قد خرق الرجل بنصفين ، من أوّله إلى آخره ، وربما ترك الرجل ، وآستعرضه بالعرض ، ثم وضع يده على بطنه ، فيسحقه .

ووصف ابن بطوطة ، كيفية حصول ذلك ، فذكر أنّ ثمة فيلة تدرّب على ذلك ، وتكسى أنيابها حدائد مسنونة ، تشبه سكك الحرث ، ولها أطراف

كالسكاكين ، ويركب الفيّال على الفيل ، فإذا رمي بالرجل بين يديه ، لفّ خرطومه عليه ، ورمى به في الهواء ، ثم يتلقّفه بنابيه ، ويطرحه بعد ذلك بين يديه ، ويجعل يده على صدره ، ويفعل به ما يأمره به الفيّال ، على حسب ما أمره به السلطان ، فإن أمره بتقطيعه ، قطّعه الفيل قطعاً بتلك الحدائد ، وإن أمر بتركه ، تركه مطروحاً ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠١) .

وفي السنة ٤٤٩ توجّه السلطان طغرلبك السلجوقي ، إلى نصيبين ، وبعث هزارسب في ألف من جنده ، فحارب الأعراب ، وقتل منهم ، وأسر ، وحمل الأسرى إلى السلطان ، فلما أحضروا بين يديه ، قال لهم : هل وطئت لكم أرضاً ، أو أخذت لكم بلداً ؟ قالوا: لا ، قال : فَلِمِ أتيتم لحربي ؟ ، وأحضر لهم الفيل فقتلهم جميعاً ، إلّا صبياً أمردَ امتنع الفيل عن قتله ، فعفا عنه السلطان . (ابن الاثير ٩/٦٢٨) .

وفي السنة ٤٨٨ جرح السلطان بركياروق ، جرحه سجزيّ كان سترياً على بابه ، فأخذ الجارح ، وأقرّ على رجلين آخرين ، فأحضرا ، وقرّرا ، فاعترفا ، ولم يقرّا على من أمرهما بذلك ، فترك أحدهما تحت يد الفيل ، ثم قتلوا . (التنظيم ٩/٨٦ و٨٧ والكامل لابن الاثير ١٠/٢٥١ و٢٥٢) .

ولما خالف الأمير عين الملك ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، وانكسر جيشه ، ووقع أسيراً في يد السلطان ، أحضره السلطان بعد المغرب ، وجيء باثنين وستّين رجلاً من كبار أصحاب عين الملك ، وجيء بالفيلة ، فطرحوا بين أيديها ، فجعلت تقطّعهم بالحدائد الموضوعة على أنيابها ، وترمي بعضهم إلى الهواء، ثم تتلقّفه ، والأبواق ، والأنقار (النقّارات) والطبول ، تضرب عند ذلك ، وعين الملك ، واقف يعاين مقتلهم ، ويطرح من أشلائهم عليه ، ثم أعيد إلى محبسه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١١٠) .

وحدث أن تآمر ابن أخت الوزير خواجه جهان ، مع أمراء آخرين ، على قتل خاله ، والفرار إلى الشريف الثائر ببلاد المعبر ، وانكشف أمرهم ، فبعث بهم الوزير إلى السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، فأفرد السلطان ابن اخت الوزير عن رفاقه وبعث به إلى خاله ، أمّا الباقون فطرحوا للفيلة «المعلّمة قتل الناس فقتلتهم» أما ابن أخت الوزير ، فإنّ خاله أمر به فطرح للفيلة ، ثم سلخ جلده ، وحشاه تبناً (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠١ و١٦٩) .

وفي السنة ٧٤١ أفسد المعازبة ، بالتهائم ، في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، وقتل منهم عدّة مستكثرة ، ورمى بعضهم للفيلة ، وغرّق الباقين ، في البحر ، ثم آل أمرهم ألى أن شيّخ عليهم آمرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم (الضوء اللؤلؤية ٢/٦٩) .

وفي السنة ٧٤٥ مات زين الدين البدوي ، وهو أموي النسب ، ولد سنة ٦٨٥ وذكر عنه أنّه كان بالمستنصرية ببغداد ، واتّهمه ملك التتار بمكاتبة المصريين ، فألقاه وآخر من أصحابه إلى الكلاب ، فأكلت الكلاب رفيقه ، ولم تؤذه ، فأطلقوه ، ثم قدم دمشق ، واتّفقت له كائنة ، فسجن بقلعة دمشق ، وكان الشيخ ابن تيميّة قد سجن فيها ، وأقام مسجوناً بعده خمس سنين ثم أطلق (الدرر الكامنة ٣/٢٥٧ و٢٥٨) .

وفي السنة ٨٠٣ حصر تيمورلنك دمشق ، وانتشرت عساكره في ظاهرها ، تتخطّف الناس ، وكان تيمور يلقي من ظفر به تحت أرجل الفيلة (شذرات الذهب ٧/٦٤) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل تيمورلنك الأمير سودون ، قريب الظاهر برقوق ، وكان نائب السلطنة بالشام ، فلما استولى تيمورلنك على دمشق ، أحضره ، ووبخه لأنّه قتل رسول تيمورلنك إليه ، ثم أمر بتعذيبه ، وأمر بإلقائه تحت الفيلة فقتل ولم يتعدّ الثلاثين من عمره (الضوء اللامع ٣/٢٨٤) .

ولما ثار الأمير علي قلي خان زمان ، على السلطان أكبر ، سلطان الهند ، وحاربه أكبر ، وآنتصر عليه ، أمر بالاسرى من جيش قلي خان ، فطرحوا للفيلة ، فمزقتهم ، وكانت هذه عادة متّبعة في الهند . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٩) .

وذكر أنّ السلطان جهانكير سلطان الهند ، كان يتلهّى ، بأن يحضر بعض الرجال ، ثم يطلق عليهم السبع ، ولا يبرح المكان حتى يظفر برؤية الرجل مقطعاً إرباً . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٨٩) .

وروى القبطان هوكز الانكليزي ، أنّ السلطان جهانكير ، سلطان الهند ١٠١٤ - ١٠٣٧ (١٦٠٥ - ١٦٢٧ م) كان شديد القسوة ، وكان مما يسرّ له أن يرى الأفيال ، وهي تقطّع المحكوم عليهم إرباً . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٨٩) .

وكان سنتاجي ، مستشار دولة الماهراتا في الهند ، قوي الشخصية شديد التمسّك بالنظام ، وكان يأمر بمن ارتكب أقلّ هفوة ، فيلقى تحت أرجل الفيلة . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٦٢) .

الفصل الثامن

القتل بالطرح من شاهق

التعذيب بالطرح من شاهق ، لون من ألوان العذاب التي مارسها المتسلطون من القديم ، وأوّل ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ما صنعه النعمان ، أحد ملوك العرب ، بسنمّار ، فقد بنى له قصراً لا مثيل له ، وخشي النعمان أن يبني مثله لغيره ، فأمر به فألقي من أعلى القصر، فقال الناس ، في مقابلة الحسنة بالسيئة : جازاه جزاء سنمّار ، وذهبت مثلاً .

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، عبيد الله بن زياد ، فإنّه رمى قيس بن مسهر ، من أعلى القصر ، فتقطّع (تاريخ الكوفة ٢٧٣) .

أقول : لما قصد الحسين العراق في السنة ٦٠ بعث في مقدمته قيس بن مسهر الصيداوي رسولاً ، فأخذ وحمل إلى ابن زياد ، فقال له عبيد الله بن زياد : إصعد إلى القصر ، وسبّ الكذّاب بن الكذّاب ، فصعد ، وقال : أيّها الناس ، إنّ الحسين بن علي ، خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، فأجيبوه ، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه ، فأمر به عبيد الله فألقي من أعلى القصر ، فتقطّع ومات ، وعلم الحسين بخبره من مجمع بن عبد الله العائذي . من أهل الكوفة ، لما أخبره بحقيقة حال أهل الكوفة ، فقال : أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم ، يستمال ودّهم ، وتستخلص نصيحتهم ، فهم إلب واحد عليك ، وأمّا سائر الناس بعد ، فإنّ افئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك ، أمّا رسولك

قيس بن مسهر ، فقد أخذه الحصين بن تميم ، فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلّى عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد، فألقي من طمار القصر (الطبري ٥/٤٠٥).

وظفر عبيد الله بن زياد ، في السنة ٦٠ برسول آخر بعث به الحسين إلى الكوفة ، لما قصد العراق ، وهو أخوه من الرضاعة ، عبد الله بن بقطر ، فأخذه الحصين بن تميم بالقادسية ، وبعث به إلى ابن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعد فوق القصر ، والعن الكذّاب بن الكذّاب ، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي ، فصعد ، فلما أشرف على الناس ، قال : أيّها الناس ، إنّي رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، لتنصروه ، وتؤازروه ، على ابن سميّة الدعيّ ، فأمر به عبيد الله ، فألقي من فوق القصر إلى الأرض ، فكسرت عظامه ، وبقي به رمق ، فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي ، فذبحه ، فلما عيب ذلك عليه ، قال : إنّما أردت أن أريحه (الطبري ٥/٣٩٨) .

ولما أسر عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل ، أحضره أمامه ، وقال له : قتلني الله أن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام ، ثم أمر به فأصعدوه إلى أعلى القصر ، حيث رمي به من شاهق ، فقال فيه الشاعر : (مقاتل الطالبيين ١٠٧ و١٠٨وابن الاثير ٤/٣٥ و٣٦) .

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وآبن عقيل
إلى بطلٍ قد هشّم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل

وكان عبيد الله بن زياد ، إذا غضب على رجل ، ألقاه من فوق قصر الكوفة . (أنساب الاشراف ٤/٢/٨٤) .

وقدم ابن عائشة (المغنّي) من عند الوليد بن يزيد بالشام ، فدعا به

إبراهيم بن هشام المخزومي ، أمير المدينة ، وسأله المقام عنده ، فأجاب ، فلما أخذوا في شربهم ، أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهنّ ، فقال لخادمه ، إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته ، فآرم به ، فلما قام ليبول ، رمى به الخادم من فوق السطح ، فمات . (الاغاني ٢٣٦/٢) . والوافي بالوفيات ١٨٢/٣) .

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، من أقسى الناس قلباً ، غضب على غلام له ، وهو جالس في غرفة بإصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها ألى أسفل ، ففعل به ذلك ، فسقط ، وتعلّق بداربزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسك بها ، فقطعت ، وخرّ الغلام يهوي ، حتى بلغ الأرض ، فمات . (الاغاني ٢٣٢/١٢ ومقاتل الطالبيين ١٦٣) .

وفي السنة ٢٥٠ رمي أبو العبر محمد بن أحمد العباسي من فوق سطح ، فقتل ، وكان شديد الميل على العلويين والهجاء لهم ، قتل بقصر ابن هبيرة ، وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك ، فسمعه قوم من الشيعة يتنقّص علياً عليه السلام ، فرموا به من فوق سطح فمات (معجم الادباء ٢٧١/٦) .

وطولب محمد بن جعفر بن الحجّاج ، ونصب على دقل ، وجعل في رأس الدقل بكرة ، فيها حبل ، وشدّت يدا ابن الحجّاج في الحبل ، ورفع إلى أعلى الدقل ، ثم أرسل مرّة واحدة فسقط على الشخص القائم بتعذيبه ، فقتله (الوزراء للصابي ١٣٨) .

وفي السنة ٣١٦ استولى أسفار الديلمي على طبرستان ، ثم استولى على قزوين وآذى أهلها ، فدعوا عليه في الصحراء ، فسمع مؤذن الجامع يؤذّن ، فأمر به فألقي من المنارة إلى الأرض . (ابن الأثير ١٩٣/٨) .

وفي السنة ٣٤٢ اتّهم صاحب قلعة سميرم ، طبّاخاً خاصاً بالمرزبان

صاحب أذربيجان ، وكان معتقلاً عنده ، فأمر بالطبّاخ ، فرمي من قلّة القلعة ، فهلك (تجارب الأمم ٢/١٥١) .

وفي السنة ٣٨٢ أوجس أبو علي بن مروان ، من أهالي ميافارقين شرّاً ، وكانوا قد استطالوا على أصحابه ، فأمسك عنهم إلى يوم العيد ، فخرجوا إلى الصحراء ، فلما تكاملوا خارج البلد ، أخذ أبا الصقر شيخ البلد وألقاه من أعلى السور ، وقبض على من كان معه ، وأغلق أبواب البلد ، وأمر أهل ميافارقين ، أن ينصرفوا حيث شاءوا ، ولم يمكّنهم من العودة ألى البلدة ، فذهبوا كلّ مذهب (ابن الاثير ٩/٧٢) .

ولما حاصر أبو الفضل بن العميد، قلعة خست ، بنواحي نيسابور ، جدّ المحصورون في محاربته ، فأسر منهم خمسين رجلاً ، وأراد أن يقتلهم قتلة يرهب بها من في القلعة ، فأمر بالأسارى ، فرمي بهم من رأس الجبل الذي عليه القلعة ،فكان الواحدمنهم يصل إلى القرار قطعاً ، راجع التفصيل في القصة ٣٩٧ من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، وكيف نجا من هؤلاء غلام ما بقل وجهه ، رماه من الجبل مرتين فلم يلحق به مكروه .

وفي السنة ٤٩٠ فتح الصليبيون القدس ، فجمعوا اليهود في الكنيس وأحرقوهم ، أمّا المسلمون فقد قتلوا منهم سبعين ألفاً ، رموا قسماً منهم من أعالي البروج والبيوت ، وذبحوا الباقين . (خطط الشام ١/٢٨٢) .

وفي السنة ٥٠٧ تسلطن بحلب ، ألب أرسلان بن رضوان بن تتش السلجوقي ، فاستأصل الباطنية ، واستصفى أموالهم ، ورمى قسماً منهم من أعلى القلعة (اعلام النبلاء ١/٤١٥) .

وفي السنة ٥٢٩ اتّهم الامير حسن بن الحافظ الفاطمي أحد الأستاذين من خدم أبيه الحافظ ، بالتآمر عليه ، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر الغربي ورمي به فقتل (خطط المقريزي ٢/١٨) .

وفي السنة ٥٣٨ أخذ ببغداد رجل يقال أنّه فسق بصبي ، فحبس في جبٍّ ، ثم رقي إلى رأس منارة سعادة، ثم رمي به إلى الأرض ، فهلك (المنتظم ١٠/١٠٨) .

وفي السنة ٥٥٠ ثار أهالي غزنة على سيف الدين الغوري ، رغم إحسانه إليهم ، وأسروه ، وصلبوه ، بعد أن سوّدوا وجهه ، وأشهروه راكباً على بقرة ، فتجّهز علاء الدين الحسين ، ملك الغور ، أخو سيف الدين ، وقصد غزنة ، وفتحها عنوة ، وأخذ الذين أعانوا على أخيه ، فعاقبهم بألوان من العقوبات ، وألقى بعضهم من رؤوس الجبال (ابن الاثير ١١/١٦٤ - ١٧٠) .

وذكر ابن الأبّار ، في تحفة القادم ، أنّ إبراهيم بن أحمد بن همشك (ت ٥٧٢) ، كان قد ملك في الفتنة جيّان ، وشقورة، وكثيراً من أعمال غرب الأندلس ، وكان يعذّب الناس بالتعليق ، والتحريق ، ولا يتناهى عن منكر فعله من رميهم بالمجانيق ، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق ، فقال فيه الشاعر : (الوافي بالوفيات ١/٢١٤) .

هَمَشْكُ ضَم من حر ... فين من همّ وشكّ
فعين الدين والدنيا ... لإمرته أسىً تبكي

وإبراهيم هذا ، هو إبراهيم بن أحمد بن مفرّج ، وكان مفرّج نصرانياً من قشتالة ، أسلم على يد أحد بني هود ، وكانت إحدى أذنيه مقطوعة ، فكان الأسبان ، إذا رأوه في المعركة ، عرفوه من أذنه المقطوعة ، وقالوا بالاسبانيّة: همشك ، أي المقطوع الأذن ، وآتّصل إبراهيم بيحيى بن غانية ، وآستقلّ بحصن شقوبش ، وتغلّب على شقورة ، وصاهر محمد بن مردنيش ، تزوّج آبنته ، ثم خدم الموحّدين ، وقدم مراكش في السنة ٥٧١ وأقام بمكناس حتى مات ، وكان جّباراً قاسياً ، عظيم العبث بالخلق ، يحرقهم بالنار ، ويطرحهم

من الشواهق ، لزيادة التفصيل راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من هذا الكتاب . (الاعلام ١٠/٥) .

ولما استولى الصليبيّون على بيت المقدس ، ارتكبوا جرائم لم يسبق لها نظير، دفعهم إليها التعصّب الأعمى ، إذ كانوا يكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت والبروج ، ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ، ويجرّونهم في الساحات ، ثم يقتلونهم (خطط الشام ١/٢٨٢) .

في السنة ٦٤٢ قبض بدمشق على قاضي القضاة أبي حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل ، الملقب برفيع الدين ، وحمل إلى بعلبك على بغل بغير أكاف ، ثم بعث به إلى مغارة في جبل لبنان ، من ناحية الساحل ، وأرسل إليه شاهدا عدل ببيع أملاكه ، وأوقف على رأس القلعة ، فقال : دعوني حتى أصلّي ركعتين ، فأطال ، فرفسه داود سيّاف النقمة ، فوقع ، فما وصل إلى الماء ، إلّا وقد تقطّع (شذرات الذهب ٥/٢١٥) .

وعزم السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، على الإنتقال من دهلي ، فاشترى من أهليها جميعاً دورهم ، ومنازلهم ، وأمرهم بالإنتقال عنها ، وعيّن لهم موعداً ثلاثة أيام ، وبعد انتهاء المهلة ، أمر بالبحث عمّن بقي من أهليها ، فوجد عبيده في أزقتها رجلين ، أحدهما مقعد ، والآخر أعمى ، فأتوه بهما فأمر بالمقعد فرمي به في المنجنيق ، وأمر أن يجرّ الاعمى من دهلي إلى دولة آباد ، مسيرة أربعين يوماً ، فتمزّق في الطريق ، ووصل منه رجله (رحلة ابن بطوطة طبعة صادر ٤٧٩) .

وفي السنة ٩٧٨ حبس الزيديّون في السجن بحصن حب باليمن ، قاضياً رومياً (عثمانياً) وشفلوتاً حبجيّاً ، وكان موضع حبسهما قريباً من مخزن البارود ، فحاولا إتلاف البارود ، وعمدا إلى هرّة ، فربطا في ذنبها فتيلة في

آخرها (شقاقة) وأشعلوا الشقاقة ، وألقوا بالهرّة في مخزن البارود ، فآحترق ، وهدّ جانباً من القلعة ، وأدرك صاحب القلعة إنّ ذلـك كان من صنعهما، فأمـر بهمـا ، فكتّفـا ، ثم ألقى بهمـا من أعلى الحصن ، فتكسّـرت عـظامهمـا ، وتمزّقت أشلاؤهما (البرق اليماني ٤٣٩) .

وفي عهـد السلطان أكبر شـاه ، سلطان الهند (حكمـه ٩٦٣ ـ ١١٤) ، ارتكب أدهم خـان ، ابن مربّيتـه ، جريمـة قتـل شمس الـدين ، رئيس وزراء أكبر ، أمام السلطان ، فـأمر بـأن يحمل وأن يـرمي به من أعلى البنـاء ، فقتله (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٦) .

الفصل التاسع

القتل بتحطيم الرأس

ويحصل بكسر عظام الرأس ، حتى ينتثر الدماغ ، إمّا بضرب الرأس بالأرض ، أو بتحطيمه بالحجارة ، وهذا اللون من العذاب ، يدلّ على قسوة بالغة ، وهو لون قليل الممارسة .

وأوّل ما بلغنا عنه ، إنّ قوماً من كرمان ، يقال لهم القفص والبلوص كانوا يمارسون تحطيم رؤوس أسراهم ، بعد الاستيلاء على موجوداتهم ، ذكر ذلك المقدسي (ت ٣٨٠) في أحسن التقاسيم (ص ٤٨٨ و٤٨٩) فقال : إنّ في بلاد كرمان ، قوماً يقال لهم القفص ، لا خلاق لهم ، وجوههم وحشة ، وقلوبهم قاسية ، لا يبقون على أحد ، ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار ، كما تقتل الحيّات ، تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ، ويضربونه بالحجارة حتى ينصدع ، وقد سألتهم عن ذلك ، فقالوا : لا تفسد سيوفنا ، ولا يفلت منهم أحد ، إلّا ما ندر ، وكان البلوص أشدّ منهم ، حتى أبادهم عضد الدولة ، وأنكى في هؤلاء أيضاً ، وهم إذا أسروا الرجل ، أمروه بالعدو (الركض) معهم نحو عشرين فرسخاً ، حافي القدم ، جائع الكبد ، وسمعت من جماعة من التجّار : إنّ هؤلاء عندهم أنّ ما يظفرون به من أموال التجّار ، حقّ لهم ، لأنّهم لا يزكّون أموالهم .

ووصف الوزير أبو شجاع الروذراوري (ت ٤٨٨) في كتابه ذيل تجارب الأمم (ص ٥٨) كيفيّة تخلّص عضد الدولة من القفص والبلوص ، فقال :

إنّ عضد الدولة حين أوغل في بلاد كرمان ، في السنة ٣٦٤ لتنظيفها من القفص والبلوص ، انتهى إليه إنّ قوماً منهم بيوتهم من وراء جبل ، بحيث لا يمكن الوصول إليهم ، إلّا بعد سلوك مضيق إذا وقف فيه عدد قليل منهم ، منع عسكراً كثيراً ، فلما أيس من الوصول إليها بالقوّة ، أعمل الفكر في الحيلة ، وراسلهم ، بأنّي لا أنصرف عنكم إلّا بإتاوة ، فقالوا : ما لنا مال نؤدّيه إليك ، فقال : أنتم أصحاب صيد ، وأريد من كلّ بيت كلباً ، فهان عليهم ذلك ، فأنفذ من عدّ بيوتهم ، فأخذ منهم كلاباً بعددها ، ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ، ويبصبص له ، وحوله ، ويحتكّ به ، ويألف بيته ، حتى أنّه إذا أفلت من فراسخ كثيرة ، عاد إلى مربضه ، فأمر أن يشدّ في أعناقها حلق النفط الأبيض ، وتجتمع عند مضيق الجبل ، ثم تضرب النار في النفط ، ويخلى سبيلها ، ويتبعها العسكر ، ففعلوا ذلك ، وأسرعت الكلاب عدواً ، وأحسّ القوم بركوب العسكر ، فلقوهم في المضيق ، وطلب كلّ كلب صاحبه ، لائذاً من حرق النار ، فكلما احتكّ برجل سرت النار إليه ، وأفرجوا عن الطريق ، والكلاب تتبعهم ، وتعدّت النار إليهم ، فاحترق عدد كثير منهم ، وهجمت الكلاب على البيوت ، فخلا أهلها ، وأسرع العسكر وراءهم ، ووضعوا السيف فيهم ، وآستأصلوا شأفتهم .

وفي السنة ٦٠٢ ، قتل ابن الدباغ ، ببغداد ، أمّه ، وسبب ذلك أنّها كتبت له داراً ، فطلب منها الكتاب ، فلم تسلمه إليه ، فظلّ يضرب رأسها بالأرض حتى ماتت ، فأخذ ، وتسلّمه الشحنة ، وحمل إلى باب الأميرية ببغداد ، وضرب رأسه بالأرض ، وهو يستغيث ، حتى مات (الجامع المختصر ١٦٧) .

وبلغ السلطان قطب الدين ، سلطان الهند (ت ٦٠٧) أنّ بعض الأمراء ، على الخلاف عليه ، وتولية ابن أخيه خضر ، وهو صبيّ له عشرة أعوام ، فأمسك قطب الدين بالصبيّ ، وضرب برأسه الحجارة ، حتى نثر دماغه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٤٣/٢) .

الفصل العاشر

القتل بتمزيق البدن

ويتمّ هذا اللون من العذاب ، بأن يربط البدن ، من طرفيه ، ثم يجذب كلّ طرف إلى جهة ، جذباً عنيفاً ، فتتمزّق أوصال البدن تبعاً لقوّة الجذب .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، طاهر بن الحسين ، القائد المعروف ، فإنّ حمزة الخارجي ، دخل في السنة ١٨٠ إلى بوشنج ، وهي بلدة طاهر بن الحسين ، فانتهى إلى مكتب فيه ثلاثون غلاماً ، فقتلهم ، مع معلّمهم ، فغضب طاهر ، وكان يلي بوشنج ، فأتى بلدة فيها قعدة الخوارج ، فقتلهم ، وكان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما ، ثم يرسلهما ، فتذهب كلّ شجرة بجزء منه (ابن الاثير ٦/١٥١) .

وكان من جملة ألوان العذاب التي يعذّب بها إبراهيم بن محمد بن همشك ، صاحب شقورة ، رعاياه ، أن يربط الواحد مهم إلى أغصان شجرتين مضموتين ، ثم يطلقهما ، فتذهب أغصان كلّ شجرة بقسم من الاعضاء .

أقول : ذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب ، إبراهيم هذا ، في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة (٣٠٥ ـ ٣١١) وقال عنه : إنه كان رئيساً ، جريئاً ، شجاعاً ، مقداماً ، شديد الحزم ، سديد الرأي ، عارفاً بتدبير الحروب ، حمي الأنف ، عظيم السطوة ، مرتكباً للعظائم ، وكان جبّاراً

قاسياً ، فظّاً ، غليظاً ، شديد النكال ، عظيم الجرأة ، والعبث بالخلق ، كان يعذّب ، ويحرق بالنار ، ويقذف الناس من الشواهق والأبراج ، ويخرج الأعصاب والرباطات عن الظهور ، وكان يضم أغصان الشجر العادي ، بعضها إلى بعض ، ويربط الإنسان بينها ، ثم يطلقها ، فيذهب كلّ غصن بقسم من الأعضاء ، وفي السنة ٥٥٦ حصر غرناطة ، وفتحها عنوة ، وأسر من جندها جماعة ، فأفحش فيهم المثلة ، بمرأى من إخواتهم المحصورين ، ثم نهد إليه جيش من مراكش، فطرده عن غرناطة، ثم حاربه صهره الأمير محمد بن مردنيش ، بعد أن طلّق آبنته ، فآنكسر ابراهيم ، ولاذ بالموحّدين في السنة ٥٦٥ وأقام بمكناسة إلى أن مات .

وأمر هولاكو المغولي ، بالملك الناصر يوسف الأيّوبي ، صاحب حلب فجمعت له نخلتان ، وربط بينهما ، ثم أطلقتا ، فراحت كلّ نخلة بشطر منه (الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي ٢/١٣٦) .

وكان والي القاهرة علاء الدين البرواني ، المتوفى سنة ٧٤٠ ظالماً عسوفاً ، وكان يعلّق الرجل بيديه، ويعلّق الأثقال في رجليه ، فتنخلع أعضاؤه ويموت (النجوم الزاهرة ٩/٣٢٣) .

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، بعض الأشقياء الفجّار في كركوك بالعراق ، في السنة ١٣٧٩ (١٩٥٩ م) فربطوا قوماً من أهالي البلدة ، كل اسير ألى سيّارتين سارتا في آتّجاهين مختلفين ، فذهبت كلّ سيّارة بشطر من البدن .

الفصل الحادي عشر

القتل بتقطيع الاوصال

العذاب بتقطيع الأوصال بالسكّين ، من أشدّ أنواع العذاب ، وأقواها دلالة على القسوة .

وقد مارس هنا اللون من العذاب ، سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب ، عامل البصرة للمنصور العبّاسي ، لما قتل عبد الله بن المقفّع ، فإنّه أمر بتنور فسجر ، ثم أمر بابن المقفّع فقطّعت أوصاله عضواً عضواً ، وألقاها في التّنور وهو ينظر ، حتى أتى على جميع جسده (وفيات الاعيان ٢/١٥١ - ١٥٣) .

أقول : قتل سفيان بن معاوية ، عامل البصرة للمنصور ، عبد الله بن المقفّع ، أمره بذلك المنصور العبّاسي ، والسبب في ذلك إنّه كتب كتاب الأمان لعبد الله بن علي ، عمّ المنصور ، لما لجأ عبد الله إلى أخويه عيسى وسليمان بالبصرة ، وكان ابن المقفّع يكتب لهما ، فكان من جملة ما أثبته في الأمان : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله ، أو أبطن غير ما أظهر ، أو تأوّل في شيء من شروط هذا الأمان ، فنساؤه طوالق ، ودوابّه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار ، والمسلمون في حلّ من بيعته ، فاشتدّ ذلك على المنصور لما وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب الأمان ؟ فقيل له : عبد الله بن المقفّع كاتب عمّيك عيسى وسليمان ، فكتب المنصور الى عامله بالبصرة سفيان بن عيينة ، يأمره بقتله ، وكان سفيان واجداً على ابن المقفّع ، لأنّه كان يعبث

به ، ويضحك منه دائماً ، معتمداً على صلته بعمّي الخليفة ، وكان ابن المقفّع قد عبث به مرّة ، فغضب منه وافترى عليه ، فردّ عليه ابن المقفع رداً فاحشاً ، وقال له : يا ابن المغتلمة ، فلم يتمكّن منه سفيان ، لأنّه كان ممتنعاً ومعتصماً بعيسى وسليمان ولدي علي العباسيين ، عمّي المنصور ، فلما كاتبه المنصور في أمره ، عزم على قتله ، وآستأذن عليه جماعة من أهل البصرة ، فأذن لابن المقفّع قبلهم ، وعدل به إلى حجرة في دهليزه ، وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فأدخل ابن المقفّع الحجرة ، وسفيان ينتظره فيها ، وعنده غلمانه ، وتنّورنار يسجر ، فقال له سفيان : أمّي مغتلمة ، إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد ، ثم قطع أعضاءه عضواً عضواً ، وألقاها في النار ، وهو ينظر إليها ، حتى أتى على جميع جسده ، وأطبق التنور عليه ، وخرج إلى الناس ، فلما فرغ مجلس سفيان ، ولم يخرج ابن المقفع ، مضى غلامه وأخبر عيسى وأخاه سليمان بحال سيده ، فخاصما سفيان ، فحجد دخوله إليه ، وشكياه إلى المنصور ، فتراخى في مساءلته ، وضاع دمه (شرح نهج البلاغة ٨/ ٢٦٩ و٢٧٠) .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، خرج على الرشيد ، ولبس البياض ، وتغلّب على بلاد ما وراء النهر ، وذلك في السنة ١٩٠ وحاربه عامل خراسان ، علي بن عيسى بن ماهان ، فكان الظفر لرافع ، فخرج إليه الرشيد في السنة ١٩٣ ، فلما بلغ طوس ، اشتدّ به المرض ، وأدخل عليه أخو رافع أسيراً ، ومعه آخر من قرابته ، فدعا الرشيد بقصّاب ، وقال له : لا تشحذ مديتك، وفصّله عضواً عضواً ، وعجّل لئلا يحضرني أجلي ، وعضو من أعضائه في جسده ، ففصّله ثم جعله أشلاء، فقال له : عدّ ما فصّلت منه ، فأذا هو أربعة عشر عضواً ، راجع التفصيل في كتا ب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة٣٥٨ .

وفي السنة ٢٨٢ قتل أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، صاحب

مصر والشام ، بدمشق ، تآمر عليه بعض خدمه ، وذبحوه وهو نائم ، وقبض على جميع من ساهم في فعل القتل ، فمنهم من قتل وصلب ، ومنهم من شرحوا لحم أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش خمارويه (مروج الذهب ٢/٥٠٦) .

وبعث الحاكم الفاطمي في السنة ٣٩٧ جيشاً بقيادة قائده ينال الطويل ، لقتال الثائر أبي ركوة ، فانتصر أبو ركوة ، وأسر ينال الطويل ، فأحضره ، وقال له : آلعن الحاكم، فبصق ينال في وجه أبي ركوة ، فأمر به أبو ركوة فقطع إرباً إرباً . (النجوم الزاهرة ٤/٢١٦) .

وفي السنة ٥٠٠ تقدّم أحد الباطنية ، للوزير فخر الملك بن نظام الملك ، وناوله قصّة ، ثم ضربه بسكين ، فقتله ، **فأخذ الباطني ، وفصّل على قبر فخر الملك ، عضواً ، عضواً** . (النجوم الزاهرة ٥/١٩٤) .

وفي السنة ٥٦٦ لما توفّي المستنجد ، وبويع ولده المستضيء ، استدعي وزير المستنجد أبو جعفر بن البلدي ، للمبايعة ، فلما دخل إلى دار الخلافة ، صرف إلى موضع ، وقطع قطعاً ، وألقي في دجلة . (ابن الأثير ١١/٣٦٢) .

وفي السنة ٦٥٢ جرت محاربة بين أصحاب الشيخ عديّ بن مسافر (اليزيديّة) وبين أصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ،وانتصر أصحاب بدر الدين لؤلؤ ، وقتل من أصحاب الشيخ عديّ جماعة ، وأسر جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مائة ، وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم ، وتعليقها على أبواب الموصل (الحوادث الجامعة ٢٧٢).

وفي السنة ٧٤٨ جيء إلى أرنون شاه الناصري ، بدمشق، بنصراني رمى مسلماً بسهم فقتله ، فأمر بتفصيل القاتل ، فقطعت يداه من كتفيه ، ورجلاه من فخذيه ، وحزّ رأسه ، وحملت أعضاؤه على أعواد ، وطيف بها ، فارتعب

الناس من ذلك ، وقال الصفدي : (الوافي بالوفيات ٣٥٣/٨) .

لله أرغون شاه كم للمهابة حصّل
وكم بسيف سطاه من ذي ضلالٍ تنصّل
ومجمل الرعب خلّى بعض النصارى مفصّل

وفي السنة ٧٨٢ قبض على الأمير خليل بن عرام ، نائب الإسكندرية ، وأحضر إلى القاهرة ، فسجن ، وحضر والي القاهرة ، وعاقبه طول الليل ، وعصره في كعابه ، ثم أحضر أمام الأتابكي برقوق ، فحمل على حمار إلى القلعة ، وجرّد من ثيابه ، وضرب بالمقارع ، ستّة وثمانين شيباً ، ثم أنّ الأتابكي برقوق رسم بتسميره،عقوبة له لقتله الأمير بركة ، وهو يقول : ما قتلته إلّا بأمر برقوق ، ولكنّ المرسوم سرق منّي ، ودقّت المسامير الحديد في كفوفه ، وأركبوا على جمل ، ونزلوا به من القلعة ، وطيف به ، فلما وصل إلى باب السلسلة ، أحاط به مماليك الأمير بركة ، وأنزلوه عن الجمل ، وقطعوه بالسيوف ، فقطع بعضهم رأسه ، ومنهم من شقّ بطنه وأخرج قلبه ، وجعل يمضغه بأسنانه ، وبعضهم قطع أذنيه وأكلهما . (بدائع الزهور ٢٧٥/٢/١) .

وفي السنة ٨٥٠ حاصر جهان شاه بغداد ، وفتحها ، فاستسلم له حاكم بغداد شيخوبك وأمراءه ، وكان جهان شاه يحقد عليهم لأنّهم قتلوا الأمير بايزيد بسطام جاكيري وآخرين معه من أصحابه ، فأمر جهان شاه بقتلهم جميعاً ، وأمر بتسليم شيخوبك ، وجلّاده المعروف بابن العربية ، إلى نساء الأمير بايزيد ، فعذّبنهما بأن سحبنهما على الشوك ، وقطّعن لحومهما بالسكاكين حتى ماتا ، كما تمّ قتل باقي الأمراء شرّ قتلة (التاريخ الغياثي ٢٨٦) .

الفصل الثاني عشر

القتل والتعذيب بالسلخ

السَلْخ : (بفتح السين) كشط الجلد .
والسِلْخ : (بكسر السين) جلد المسلوخ .

والتعـذيب بسلخ الجلد ، من أشد ألـوان العذاب ، وقـد مارسـه أنـاس عظيمو القسوة .

وأول ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب ، ما ذكره صاحب أنساب الاشـراف ٥/٢٣٩ عما عـذّب به ابن كـامـل ، أحـد قـوّاد المختـار الثقفي ، زياد بن رقاد الجنبي ، أحـد من شارك في مقـاتلة الحسين وأصابـه في معركـة الطفّ في السنة ٦٠ ، وكان زياد هـذا قد رمى فتى من آل الحسين، كـانت يده على جبهته ، فأثبت يده في جبهته، ثم رماه بسهم آخر ، ففلق قلبـه ، ثم عاد فنزع أسهمه منه ، وهو ميت فبعث إليه المختار ، قائده ابن كامل في جماعـة ، فأحاطوا بداره ، فخرج إليهم مشهراً سيفه ، فقال ابن كامل : لا تضـربوه ، ولا تطعنوه ، ولكن أرموه بالنبل والحجارة ، ففعلوا ذلك حتى سقط ، ودعا لـه ابن كامل بنار فأحرقه بها ، ويقال أنـه سلخ جلده وهو حيّ ، حتـى مات (أنسـاب الاشراف ٥/٢٣٩) .

وممنّ سلخ جلده ، أبو نخيلة الراجز ، دسّ إليه المنصور العبّاسي ، أن ينظم شعراً في تقديم المهدي لولاية عهده ، وتنحية عيسى بن مـوسى ، فنظم رجزاً ، ودخل على المنصور وعيسى بن موسى حاضر ، وأنشده :

دونـك عـبـد الـلـه أهـل ذاكـا خـلافـة الله الـتـي أعـطاكـا
إنّـا تـنـظّرنـا لـهـا أبـاكـا ثـم انـتـظرنـا بـعـده إيّـاكـا
أسـنـد إلـى مـحـمـد عـصـاكـا فـآبنك مـا آسـترعـيتـه كفـاكـا

ثم أنشده رجزاً آخر منه :

لـيس ولـيّ عـهـدهـا بـالأسـعـد عيسى فـزحلقهـا إلى مـحـمّـد
فـقـد رضينـا بـالهـمـام الأمـرد فـردّه مـنـك رداءً يـرتـدي
وبـادر الـبـيـعـة ورد الـحـشّـد حـتـى تـؤدّى من يـد إلـى يـدِ

فلما أنشدها المنصور ، سرّ وفرح ، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم على الريّ ، فخرج ألى الريّ لأخذها ، فوجّه إليه عيسى بن موسى مولى له اسمه قطري ، فظفر به بساوة ، دخل عليه وهو في بيت خمار ، وقد ثمل ، وقال له ، وقد أضجعه ليذبحه : يا ابن الموسة ، هذا أوان صرّ الجندب ، ثم ذبحه ، وسلخ وجهه ، وهرب غلمانه بماله ودوا به (الهفوات النادرة ٨٥ - ٨٩ والأوراق للصولي ٣١٤) .

أقول : إن كان الذبح قبل السلخ ، فالقصة يشملها بحث المثلة ، وإن كان السلخ قبل الذبح فهي داخلة في هذا الباب .

وقد وصف لنا التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، كيفية سلخ الجلد ، وفقاً لما مارسه المعتضد في قرطاس ، أحد رماة صاحب الزنج وهو رامٍ بالسهم ، مشتهرٍ بإصابته ، ومن آسمه اشتقّت القرطسة ، أي الإصابة الدقيقة ، يقال : رماه فقرطسه ، وقد رمى قرطاس ، الموفّق ، والد المعتضد بسهم فأصاب ثندوءته ، وقال له : خذها منّي وأنا قرطاس ، فذهبت مثلاً ، وحمل الموفق صريعاً في حدّ التلف ، ونزع السهم مقطّناً، فبقي الزجّ في مكانه ، وجمّع ، وانتفخ ، وأمّد (جمع مِدّة) وأجمع الأطباء على بطّ الجرح ، والموفق لا يمكّنهم ، ثم احتالوا عليه فبطوه ، ونجا الموفق ، فلم

يـزل المعتضـد ، ابن المـوفق يجهـد نفسـه ، حتى وقـع قـرطـاس في يـده ، فأخذه ، فقدّ من أصابعه الخمس أوتاراً ، بأن قلع أظفاره ، وسلخ جلد أصابع كفّه من رؤوسها ، إلى أكتـافه ، وعبـر بها صلبـه وكتفيه ، ألى آخـر أصـابعـه الأخـرى ، وجلد بني آدم غليظ ، فخرج لـه ذلك ، فـأمر بـأن تفتـل أوتـاراً ، وصلب بها قرطاس راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضـرة ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٥ رقم القصة ١ /ـ٧٨ .

وفي السنة ٣٤١ أسـر معبد بن حـرز الزنـاتي بـالمغـرب ، وجيء بـه إلى المنصورية ، وطيف به وبآبنـه ، وقد أشهـرا ، وقطعت يـدا ولده ورجـلاه وهو يـرى ذلك في بـاب أبي الربيـع ، ثم صلب ، أمّا معبـد فقد سلخ جلده وهـو حيّ ، فلم يتحـرّك ، وحشي جلده تبنـاً (العيـون والحـدائق ج ٤ و ٢٨ ص ١٩٥) . (ت

وأحضر المعزّ لـدين الله الفاطمي (ت٣٦٥)، أبـا بكر النـابلسي، وقال لـه : بلغنا أنّـك قلت إذا كان مـع المسلم عشـرة أسهم ، وجب أن يـرمي في الروم سهماً واحدا ، وفينا تسعـة ، فقال : لم أقـل ذلك ، فـظن أنّه رجـع عن قوله ، وقال له : كيف قلت؟ قال: قلت إذا كان معه عشرة أسهم ، وجب عليه أن يرميكم بتسعة ، ويرميكم بالعاشر أيضاً ، فأمر به ، فشهر في اليوم الأوّل ، وضـرب بالسيـاط في اليوم الثـاني ، وأخرج في اليـوم الثالث ، فسلخ جلده ، فمات (المنتظم ٧/٨٢) .

وفي السنة ٣٨٦ عصى أهل صور على الحاكم الفاطمي ، وأقرّوا عليهم رجـلًا ملّاحـاً اسمـه عـلاقـة ، فقصـده جيش من مصـر ، بقيـادة أبي عبـدالله الحسين الحمـداني ، فاستنجـد علاقـة بملك الروم ، فسيّـر إليه عـدّة مراكب مشحونة بـالرجـال ، فالتقـوا بمراكب المسلمين على صـور ، فانهـزم الروم ، وملك المسلمـون البلد ، بعد أن قتـل منهم كثير ، وملك الفـاطميّـون البلد ،

وأخذ علاقة أسيراً ، فحمل الى مصر ، حيث سلخ ، وصلب بها (ابن الأثير ٩/ ١٢٠ـ ١٢١).

أقول : الذي في ذيل تجارب الأمم ص ٢٢٦ إنَّ ما تقدّم حدث في السنة ٣٨١.

وكان جبق التركماني ، قد استولى على حصن زياد ، من ترجمان ملك الروم ، وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر صاحبه رومي اسمه فرنجي كان يقطع الطريق ، ويكثر قتل المسلمين ، فهاداه جبق وصاحبه ، حتى وثق به ، فبعث إليه جبق أن يرسل اليه اصحابه ليستعين بهم في عمل ، فلما أرسلهم إليه أوثقهم ، وحملهم إلى الحصن ، وقال لأهل الحصن : والله ، لئن لم تسلّموا إليّ فرنجي ، لأضربنّ اعناق هؤلاء جميعاً ، ففتحوا له الحصن ، واسلموا إليه فرنجي ، فسلخه (ابن الأثير ١٠/ ٤٢٧ـ ٤٢٨).

وفي السنة ٤٩٤ قتل ابو المحاسن الدهستاني ، وزير السلطان بركياروق السلجوقي ، وكان الوزير قد قتل أبا سعيد الحداد ، فوثب عليه شاب أشقر قيل إنه من غلمان أبي سعيد الحدّاد، فجرحه عدّة جراحات ، وتركه بآخر رمق ، فأمر السلطان بركياروق ، بالغلام ، فسلخ وعلّق (النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧ وابن الأثير ١٠/ ٣٣٥).

وفي السنة ٥٠٠ حصر السلطان محمد السلجوقي ، قلعة شاه دز بأصبهان ، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وولده وكان من فيها من الباطنية ، يقطعون الطريق ، ويأخذون الأموال ، ويقتلون من قدروا عليه ، وفرضوا على جميع الناس ضرائب يؤدّونها ، ومشى أمرهم للخلف الحاصل بين السلاطين ، ودام ذلك اثنتي عشرة سنة ، ثم حصرها السلطان محمد حصراً شديداً ، واقتحم أصحابه القلعة ، بعد أن ظهر من الباطنية صبر عظيم ، وشجاعة زائدة ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فترك أسبوعاً ، ثم أمر به

فشهر في جميع البلد ، وسلخ جلده ، فتجلّد حتى مات ، وحشي جلده تبناً وحمل رأساهما إلى بغداد ، وألقت زوجته نفسها من القلعة (ابن الأثير ١٠/٤٣٣ - ٤٣٤ والمنتظم ٩/١٥١ وتاريخ الخلفاء ٤٢٩).

ولما توفّي بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل في السنة ٦٥٦ خلفه ولده الملك الصالح اسماعيل ، وتحالف مع الملك الظاهر ضد هولاكو ، فبعث اليه هولاكو في السنة ٦٦٠ جيشاً حاصر الموصل ، وفتحها ، وأخذ الملك الصالح إلى هولاكو ، فأمر به ، فسلخ وجهه وهو حيّ (الحوادث الجامعة ٣٣٧- ٣٤٦- ٣٤٧).

وثار (هاربلاديفا) في ولاية (ديفاجيري) على قطب الدين مبارك شاه (حكمه ٧١٦- ٧٢٠) فحاربه قطب الدين ، وأسره ، فسلخه حيّاً ، ثم قتله (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٥).

وممن مارس العذاب بسلخ الجلد ، القائد عماد الملك سرتيز الهندي ، مملوك السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥- ٧٥٠) وكان الأمير قيصر الرومي ، قد عصى على السلطان ، وتحصّن بسيوستان ، فحصره عماد الملك ، فطلب وأصحابه الأمان ، فأمّنهم ، ولما نزلوا على أمانه غدر بهم ، وأخذ قسماً منهم ، فسلخ جلودهم ، ثم حشاها تبناً ، وعلّقها على سور المدينة (رحلة ابن بطوطة ٢/٦و ٧).

ولما ثار الأمير كشلوخان ، أمير السند ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج لمحاربته ، فانكسر كشلوخان ، وقتل في المعركة ، ودخل السلطان مدينة قلتان ، وقبض على قاضيها كريم الدين ، وأمر بسلخه ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٨).

ولما ثار الأمير هلاجون ، بمدينة لاهور ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج إليه الوزير خواجه جهان ، فحاربه ، وكسره ،

ودخل مدينة لاهور ، فسلخ بعض اهلها ، وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل (مهذب رحلة ابن بطوطة ١٠٢/٢).

وخالف اهالي مدينة كمال بور ، على سلطان الهند محمد بن تغلق ، فحاربهم وزيره خواجه جهان ، ولما دخل الى المدينة ، أحضر بين يديه القاضي بها والخطيب ، وأمر بسلخ جلديهما ، فتوسّلا إليه أن يقتلهما بغير هذه القتلة، فقال لهما : بم استوجبتما القتل ؟ قالا : بمخالفتنا أمر السلطان ، فقال لهما : فكيف أخالف أنا أمره، وقد أمرني ان اقتلكما بهذه القتلة ؟ وقال للمتولّين لسلخهما : أحفروا لهما حفراً تحت وجهيهما، يتنفّسان فيها ، فإنّه إذا سلخا ـ والعياذ بالله ـ يطرحان على وجهيهما. (رحلة ابن بطوطة ـ طبع صادر ببيروت ، ص ٤٨٣).

وفي السنة ٨٢٤ قتل الشيخ عماد الدين علي النسيمي الصوفي ، بأن سلخ جلده ، وكانت التهمة الموجّهة اليه الزندقة ، هذه التهمة التي يحتجّ بها كلّ حاكم متسلّط ، لقتل خصومه السياسيّين ، أو من يخاف منه لسبب من الأسباب ، وكان النسيمي على علاقة بعلي باك ذي الغادر (ذي القدر) وأخيه ناصر الدين ، وعثمان قرايلوك ، وكان هؤلاء خصوم الملك الظاهر ، سلطان مصر والشام ، والظاهر أنّ السلطان أراد أن ينتقم منهم بقتل عماد الدين ، فأوعز بأن يحاكم أمام القضاة بحلب ، وتصدّى لأتّهامه ابن الشنقشي الحنفي ، فادّعى عليه بالزندقة ، فقال الأمير يشبك نائب السلطنة : إن أنت لم تثبت ما تقول ، فإنّي اقتلك ، فأحجم ونكص عند سماعه ذلك ، هذا والنسيمي يكرر التلفظ بالشهادتين ، وينفي التهمة الموجّهة إليه ، فحضر شهاب الدين بن هلال وأفتى في المجلس بأنّ النسيمي زنديق ، وأنّه يجب قتله ، وكتب بذلك فتوى ، فلم يوافقه القضاة على ذلك ، وامتنع الأمير يشبك من تأييد الفتوى ، وكتب إلى السلطان بقصّته ، فكتب إليه السلطان يأمره بأن يشهره بحلب سبعة أيام ، وينادي عليه ، ثم يسلخ جلده ، وتقطع اعضاؤه ويرسل قسم منها

لعلي بك ذي الغادر وأخيه ناصر الدين، وقسم لعثمان قرايلوك ، ففعل ذلك (أعلام النبلاء ٣/١٥ـ١٦).

وفي السنة ٨٥٨ أمر السلطان بفصل البدوي ، وابن عم له ، فضربا بالمقارع وسمّرا ، وسلخت جلودهما ، وحشيت (تبناً)، وكان فصل يقطع الطرق ، وكان شجاعاً شديد البأس ، وأعيا الحكام أمره ، ثم قدم بنفسه تائباً ، فأمّنه السلطان ، وأقام بالقاهرة مدّة ، كان الناس خلالها يتجمّعون للتفرج عليه ، فكان يضحك منهم ، ثم عاد إلى بلده ، فاحتال عليه الاستادار ، واستقدمه بالأمان ، وطلع به الى السلطان ومعه ابن عمّ له، فأمر بضربهما بالمقارع ، وتسميرهما ، وسلخهما ، وحشو جلديهما ، ففعل بهما ذلك كلّه، وطيف بهما الشرقية (الضوء اللامع ٦/١٧١).

ومن جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار ، في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر ، أن سلخ جلود جماعة من العربان (بدائع الزهور ٢/١١٦).

وفي السنة ٨٩٤ سلخت في القاهرة، جلود اثنين من أهل حلب ، أب وابنه ، وهما محمد بن الديوان ، وولده أحمد ، وسبب ذلك أنّ أحمد الإبن كان من أعيان الناس الرؤساء بحلب ، وكان من أخصاء سلطان مصر والشام ، فقيل عنه *إنّه كاتب السلطان العثماني في شيء من أخبار المملكة* ، وكانت الخصومة إذ ذاك على أشدّها بين السلطان العثماني وسلطان مصر والشام ، فأمر السلطان بهما فأحضرا الى القاهرة، وسلخت جلودهما (اعلام النبلاء ٣/٩٩ـ ١٠٠).

وفي السنة ٩٠٣ قبض في القاهرة على إنسان ينبش القبور ، ويسرق أكفان الموتى ، فأمر السلطان به ، فسلخ وجهه وهو حيّ ، إلى رقبته ، وأرخى على صدره ، فصار عظم رأسه ظاهراً ، وطيف به في القاهرة ، وعلّق بباب النصر حتى مات (بدائع الزهور ٢/٣٤١).

وكان الناصر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة ٩٠٤) ، مجنوناً ، أهديت له جارية ، فسلخها بيده ، وحشى جلدها تبناً ، لكي يظهر استاذيته في السلخ (شذرات الذهب ٢٣/٨).

وفي السنة ١٠٠٨ قتل إمام اليمن عامر بن علي ، بأن سلخ جلده ، إذ أسره الأتراك ، وأشهروه في كوكبان وشبام ، وأرسله علي بن شمس الدين ، أمير كوكبان مع جماعة من الترك إلى الكتخدا سنان في حمومة ، فأمر به الكتخدا ، فسلخ جلده ، وصبر ، فلم يسمع له أنين ولا شكوى ، الا قراءة قل هو الله أحد ، ثم أنّ سناناً ملأ جلده تبناً ، وحمله على جمل إلى الوزير حسن باشا في صنعاء ، فشهر جلده على الدهابر ، ودفن سائر جسمه بحمومة، ثم نقل إلى خمر (خلاصة الأثر ٢٦٤/٢).

الفصـل الثالـث عشر
القتـل بالنشر بالمنشـار

النشر : التفريق وهو خلاف الطي
والمنشار : وجمعه مناشير، آلة ذات اسنان ينشر بها الخشب ونحوه .
والنشارة : ما يسقط من الخشب عند النشر .

ونشـر الإنسان بـالمنشار ، لـون من ألـوان العـذاب ، يـدلّ على قسـوة بالغة .

وأقدم ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب ، ما رواه المؤرّخون عن مقتـل النبي زكريـا ، فإنّـه عندمـا قتل ولـده يحيى ، فرّ الى بستـان، ولجأ إلى شجرة فيها فنشر خصومه الشجرة ، وهو فيها ، فقتـل (الطبـري ١ /٦٠١ وابن الأثير ١ /٣٠٦) .

وفي السنـة ٧٢٣ بلغ السلطان غـازان ، أنّ الشيـخ محمـود ديـوان ، صاحب زاوية تبريز ، وكان عظيماً عند المغل مسموع الكلمة ، عمل سماعاً ، ورقص ، فجذب اليه شاباً من أولاد الملوك ، وألبسه طاقية كانت على رأسـه، وقال له : أعطيتك السلطنة ، فأمر السلطان بذلك الشاب ، فضـربت عنقه بين يديه ، وأحضر الشيخ محمود ، فلما رآه ، قال له : أهـلاً بالشيـخ الذي يـولّي المملكة بطاقية ، وأمر به فشدّ بين دفتين ، ونشر بالمنشـار الى نصفين (الدرر الكامنة ٥ /١١٣) .

وفي السنة٩٢٨ توفّي بالقاهرة خايربك الجركسي ، كافل حلب للسلطان

الغوري ، ثم نصبه السلطان سليم العثماني ، كافلاً بمصر لما فتحها ، ولما كان بحلب ، أحضر أمامه شخص من المفسدين ، فأمر به فنشر بدنه بالمنشار، فلقبه الحلبيون بالنشّار(اعلام النبلاء ٥/٤٢٩) .

الفصل الرابع عشر

القتل بألوان اخرى من العذاب

وقد سجل لنا التاريخ ، حوادث ، ذكر فيها قتل اشخاص بالعذاب ، ولكنه لم يذكر ألوانها وأصنافها ، وهي من الكثرة بحيث لا يتّسع مؤلّف لاستيعابها، ولكنّي اذكر في هذا البحث ، أمثلة منها .

أمر الحجّاج بن يوسف الثقفي ، بأحد عمّاله، وهو آزاد مرد بن الفرند ، فحمل إلى معد ، صاحب عذابه ، فدقّ يده ، ودهقه ، ودقّ ساقه ، وحمل على بغل معترضاً ، يدار به في الدروب ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٣٦-١٤٧ رقم القصة ١ /٦٩) .

وفي السنة ٩٧ قتل في العذاب ، جميع الرجال من آل الحجّاج الثقفي ، آل أبي عقيل ، منهم محمد بن القاسم الثقفي ، أمير السند ، والحكم بن أيّوب الثقفي ، وهو إبن عمّ الحجّاج ، كان الحجاج قد زوّجه أخته زينب ، وولّاه البصرة ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ، أمر صالح بن عبد الرحمن ، عامل واسط ، وكان الحجّاج قد قتل أخاه آدم ، أن يجمع آل الحجّاج جميعهم ، وأن يعرضهم على العذاب، فجمعهم ، وبسط عليهم العذاب ، حتى قتلهم جميعاً ، نالهم شؤم الحجّاج ، وكان الحكم ومحمد بن القاسم ، من جملة من مات تحت العذاب . (ابن الأثير ٤/٥٨٨ و ٥٨٩ والاعلام ٢/٢٩٤-٧/٢٢٥) .

وأمر يزيد بن عبد الملك ، بعزل عامل المدينة عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، وبسط العذاب عليه ، وسبب ذلك إنّه خطب فاطمة بنت الحسين الشهيد ، فردّته ، وقالت : لا أريد النكاح ، فألحّ عليها ، وحلف لئن لم تفعل سيجلدن أكبر بنيها ، وهو عبدالله بن الحسن ، في الخمر ، فكتبت الى يزيد بن عبد الملك تشكو أمرها ، فلما أخذ يزيد الكتاب ، وقرأه ، جعل يضرب بخيزرانة في يده ، وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحّاك ، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب، وأنا على فراشي ، ثم كتب إلى عبد الواحد بن عبدالله النضري، وهو بالطائف ، بأنّه قد ولّاه المدينة ، وأمره بأن يغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، وأن يعذّبه حتى يسمع صوته وهو على فراشه ، فلما ورد بريد دمشق ، ولم يدخل على ابن الضحّاك ، أوجس خيفة ، ودفع إلى حامل البريد ألف دينار ، فأخبره بكتاب الخليفة، فخرج ابن الضحاك الى الشام ، واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، وكلّم أخاه يزيداً ، فأبى أن يعفيه ، وردّه إلى المدينة ، حيث ألبسه النضري جبّة صوف ، وعذّبه وغرّمه (الطبري ٧/١٢ـ ١٤).

وفي السنة ١٢٦ اعتقل يوسف بن عمر ، عامل العراق، سلفه خالداً القسري، وبسط عليه العذاب ، وكان هشام قد عزل خالداً بيوسف بن عمر ، وأمره بأن يعذبه على ان لا يصل به إلى حدّ القتل ، فحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً ومعه أخوه اسماعيل ، وابنه يزيد ، وابن أخيه المنذر بن أسد الذي كان عاملاً على خراسان ، ولما قتل خالد القسري قال الشاعر (الطبري ٧/٢٥٤ـ ٢٥٦).

ألا إنَّ بحر الجود أصبح ساجياً أسير ثقيف موثقاً في السلاسل
فإن تسجنوا القيسي لم تسجنوا اسمه ولم تسجنوا معروفه في القبائل

وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين ، وعبد الملك أخاه على حمص ، فضرب الوليد يزيد بن عمر بن هبيرة مائة

سوط ، فلما قام الوليد بن يزيد ، هرب بنو القعقاع منه ، فعاذوا بقبر يزيد بن عبدالملك ، فبعث اليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان قد ولّاه قنسرين، فعذّبهم ، فمات الوليد وعبد الملك ورجلان معهما من آل القعقاع في العذاب (الطبري ٧/٢٣٧).

قال يوسف بن عمر الثقفي ، لهمّام بن يحيى : يا فاسق ، أخربت مهرجان قذق ، فقال : أنا لم أكن عليها ، وإنّما كنت على ماه دينار فلم يزل يوسف يعذّبه، ويقول له : أخربت مهرجان قذق ، حتى قتله . (المحاسن والمساوىء ١/١٤٣).

وكان سهيل بن سالم من أشراف اهل البصرة ، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب. (الأغاني ١٤/ ٣٣٠).

كان المتوكل يحقد على محمد بن عبد الملك الزيات أموراً، فلما ولي الخلافة ، قبض عليه وعذّبه في تنّور كان ابن الزيات قد اتّخذه لتعذيب من يريد تعذيبه ، وهو من خشب ، فيه مسامير من حديد ، أطرافها إلى داخل التنور ، وتمنع من في داخله من الحركة ، وكان ضيقاً بحيث أنّ الإنسان كان يمدّ يديه إلى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه ، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس فيه ، فبقي فيه أيّاماً ومات ، وكان ذلك في السنة ٢٣٣ (الكامل لابن الأثير ٦/٤٥٤ـ ٥٢٥ و٧/٢٩ـ ٤٣). راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة ١/٢ المحاورة التي جرت بين ابن الزيّات وهو في التنور ، وأحد أتباعه ، وراجع الطبري ٩/١٤٥ـ ١٦٠ ووفيات الأعيان ٥/١٠٠ ومروج الذهب ٢/٣٩٣).

وقال الموكّل بعذاب ابن الزيّات : كنت اخرج وأقفل عليه الباب، فيمدّ يديه جميعاً إلى السماء حتى يدقّ موضع كتفيه ، ثم يدخل التنّور ويجلس ، وفي التنّور مسامير حديد ، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذّب عليها ،

إذا أراد أن يستريح، قال المعذّب، فخاتلته يوماً، وأريته أنّي قد اقفلت عليه، ثم مكثت قليلاً، ودفعت الباب، فإذا هو قاعد، فقلت له: أراك تفعل هذا، فكنت إذا خرجت شددت خناقه، فما مكث بعد ذلك إلاّ أيّاماً حتى مات (المحاسن والمساوىء ٢/١٧٧.

أقول: لئيم يفخر بلؤمه.

وكان أبو عثمان الجاحظ ملازماً لابن الزيات، منحرفاً عن ابن أبي دؤاد، للعداوة بين الإثنين، ولما قبض على ابن الزيات، وعذّب في التنور، هرب الجاحظ، فقيل له: لم هربت؟ قال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنّور. (معجم الأدباء ٦/٥٧).

ولما قتل المتوكل، وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، بالعذاب في التنور، قال عبادة المخنث، نديم المتوكل: أردت أن تخبز في هذا التنور، فخبزت فيه، فضحك المتوكّل (الملح والنوادر للحصري ١٤).

وفي السنة ٢٣٦ ولي خوط واسمه عبد الواحد بن يحيى، مصر للمنتصر، وكانت مصر للمنتصر في حياة المتوكل، فأخذ في السنة ٢٣٧ عبد الحكم من آل عبد الحكم فعذّبه حتى مات في عذابه. (الولاة للكندي ٢٠٠).

واختلف المؤرخون في مقتل المعتز في السنة ٢٥٥ فمنهم من ذكر أنّه منع في حبسه من الطعام والشراب، فمات جوعاً، ومنهم من روى أنه حقن بالماء الحار المغلي، والأشهر أنه أدخل حماماً، كرهاً، وكان الحمّام محميّاً، وترك في الحمّام حتى مات، ومنهم من ذكر أنّه أخرج من الحمّام بعد أن كادت نفسه تتلف، ثم سقي شربة ماء مثلوج، فخمد من فوره. (مروج الذهب ٢/٤٦١-٤٦٢).

وذكر صاحب مروج الذهب، أنّ إسماعيل بن بلبل، وزير المعتضد عذّبه المعتضد بأنواع العذاب، وجُعل في عنقه غلّ فيه رمّانة حديد، والغلّ

والرمانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبّة صوف قد صبّرت في ودرك الأكارع ، وعلّق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات (مروج الذهب ٢/٤٩٦ ونشوار المحاضرة ١/٧٦).

وقبض المعتضد على شخص اتّهمه بسرقة عشر بدر ، كانت معدّة في منزل صاحب الجيش ، لتصرف في الجند ، فرفق به ، فأنكر ، فتهدده ، فأنكر، فضربه بالسوط ، والقلوس ، والمقارع ، والدرّة ، على ظهره وبطنه ، وقفاه ، ورأسه ، وأسفل رجليه ، وكعابه ، وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع فلم يقرّ ، فأمر بترفيهه ، وأطعمه ، فلما نام ، أيقظه سريعاً ، وقرّره ، فأقرّ ودلّه على موضع المال المسروق ، فأمر به فقبض على يديه ورجليه ، وأوثق ، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وأتي بقطن فحشي في أذنيه ، وفمه ، وخيشومه ، وأقبل ينفخ ، وخلّي عن يديه ورجليه من الوثاق ، وأمسك بالأيدي ، وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة ، وقد عظم جسمه ، وورمت سائر أعضائه ، وامتلأت عيناه وبرزتا ، حتى كاد أن ينشقّ، ثم أمر ففصد في عرقين فوق الحاجبين ، فأقبلت الريح تخرج مع الدم ولها صوت وصفير ، إلى أن خمد وتلف (مروج الذهب ٢/٥٠٧-٥٠٩).

وكان المعتضد ، يأمر بالرجل فيكتّف ، ويقيّد ، ويؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ، ويعظم جسمه ، ثم يسدّ الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين الذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع . (مروج الذهب ٢/٤٩٦).

وفي السنة ٢٨٢ ذبح أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، صاحب مصر والشام . بدمشق ، قتله خدمه ، وفرّوا ، فقبض عليهم ، وجيء بهم ، فقتلوا ، وصلبوا، ومنهم من رمي بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من

أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش . (مروج الذهب ٢/٥٠٦).

وصادر المحسّن بن الفرات ، أبا الحسن علي بن مأمون الإسكافي ، كاتب ابن الحواري ، على مائة ألف دينار ، وأدّى بعضها ، وتلف تحت العذاب (الوزراء للصابي ٥٠).

ولما اعتقل المحسّن بن الفرات ، ضرب حتى كاد يتلف ، وأوقع به نازوك المكروه حتى تدوّد بدنه ، ولم يبق فيه فضل لضرب . (وزراء ٦٩).

وكان قتل المقتدر، سبباً لسلامة أبي بكر بن قرابة من هلاك محتوم إذ أنّه في السنة ٣١٩ قبض المقتدر على أبي بكر محمد بن أحمد بن قرابة ، وعذّب عذاباً شديداً وجرى عليه من المكروه ما أشفى به على التلف ، فلما قتل المقتدر ، هرب من كان موكّلاً به وبقي معه غلامان عنيا به ، فأحضرا حدّاداً كسر قيوده ، وأطلقاه (تجارب الأمم ١/٢٣١).

وكان أوّل ما فعله القاهر لما استخلف في السنة ٣٢٠، أن صادر آل أخيه المقتدر ، وعذّبهم ، وضرب أمّ المقتدر ، حتى ماتت من جراء العذاب (تاريخ الخلفاء ٣٨٦).

وفي السنة ٣٣٣ ورد أبو الحسين البريدي ، الحضرة ، وسعى في ضمان البصرة ، فبلغ ذلك ابن أخيه أبا القاسم ، فانفذ إلى توزون مالاً ، فأقرّه على عمله ، فسعى أبو الحسين في خطبة كتابة توزون ، وبلغ ذلك ابن شيرزاد، فاعتقله ، وضرب بدار صافي مولى توزون ، ضرباً مبرّحاً ، وقرض لحم فخذيه بالمقاريض ، وانتزعت أظافره ، وعقد المستكفي مجلساً، حضره الفقهاء والقضاة ، وأحضر البريدي ، وبسط النطع ، وجرّد السيف ، وتليت فتوى سابقة بإباحة دمه ، وأبو الحسين يسمع، ورأسه مشدود ، ثم ضربت عنقه من غير أن يحتجّ لنفسه بحجّة (التكملة ١٤٥).

ولما ملك أبو القاسم البريدي البصرة ، صادر أبا جعفر الكرخي ، الملقّب بالجرو ، وسمّر يديه في حائط ، وهو قائم على كرسي ، فلما سمرّت يداه بالمسامير في الحائط ، نحيّ الكرسي من تحته ، وسلّت اظافيره ، وضرب لحمه بالقصب الفارسي (معجم البلدان ٤/٢٥٣) .

وفي السنة ٣٦٣ بعث ابن بقيّة، وزير بختيار ، محمد بن احمد الجرجرائي ، لكي يقبض على عامل البصرة ، ومحاسبته ، فلما وصل الجرجرائي إلى البصرة ، عقد لعاملها ضماناً جديداً ، فغضب ابن بقية ، وكتب إلى نائبه بالبصرة ، فقبض على الجرجرائي ، وعذّبه حتى مات (تجارب ٢/٣٢٣) .

وظهر في أيّام بختيار الديلمي ، رجل من أهل دير قنّى ، ذكيّ ، اسمه الحسين بن محمد القنّائي ويكنى بأبي قرّة ، تدرّج في التصرّف حتى استغنى ، وصارت له نعمة ضخمة ، حتى احتاج إليه وزير بختيار في شراء قضيم الكراع وضمان واسط ، وتكاثر حسّاده ، وخاصم كثيراً من الناس ، فاشتراه سهل بن بشر ضامن الأهواز من بختيار وادّى مبلغاً من المال، فسلّم أبو قرّة إلى رسوله الذي أخذه إلى الأهواز ، فأفرغ عليه سهل بن بشر العذاب ، وأنواع المكاره ، حتى قتله في السنة ٣٦٠ (تجارب الأمم ٢/٢٦٠- ٢٨٩) .

وفي السنة ٣٦٤ قبض ابن بقية الوزير ، على سهل بن بشر ضامن الأهواز ، وجدّ في مطالبته بالأموال ، وبسط عليه المكاره ، واستخرج منه كلّ ما أمكنه ، ثم قتله بالعذاب (تجارب الأمم ٢/٣٥٨) .

وفي السنة ٣٦٦ قبض مؤيد الدولة، على وزيره أبي الفتح بن العميد ، وسمل عينه الواحدة وقطع انفه ، وجزّ لحيته ، وقطع يديه ، وما زال يعرضه على أنواع العذاب ، حتى تلف . (وفيات الأعيان ٤/١٩٦ ومعجم الأدباء ٥/٣٤٩- ٣٥٠) .

وفي السنة ٣٦٦ أهلك ابن الراعي ، بأمر ابن بقيّة الوزير ، خلقاً ممن كان يتهمهم ، منهم المعروف بابن عروة ، وهو ابن أخت أبي قرّة ، وكان من وجوه العمّال ، ومنهم علي بن محمد الزطّي ، وكان إليه شرطة بغداد ، ومنهم المعروف بابن العروقي ، وكان إليه الشرطة بواسط ، وجماعة يجرون مجراهم . (تجارب الأمم ٢/٢٦٦) .

وفي السنة ٥٤٢ فتح الحسن صاحب إفريقية ، مدينة قابس ، وكانت لأمير اسمه رشيد ، توفّي واستولى على الأمر مولى من مواليه اسمه يوسف ، فظلم أهلها ، فشكوه الى الحسن صاحب افريقية ، فكاتبه ، فأرسل يوسف إلى رجار الإفرنجي صاحب صقلية ، وصار من أتباعه ، فقصد الحسن قابس ، وحصرها ، فثار أهل قابس بيوسف ، وسلّموا البلد إلى الحسن ، وأخذ يوسف أسيراً ، فقطعوا ذكره ، وجعلوه في فمه ، وبسطوا عليه الوان العذاب ، حتى مات (ابن الأثير ١١/ ١٢٠) .

وفي السنة ٥٧٣ وثب الباطنية بحلب ، بأبي صالح بن العجمي ، فقتلوه في الجامع ، وكان مقدّماً بحلب عند نور الدين محمود ، وعند أولاده ، وله أتباع وأنصار وعصبية ، فنسب أصحابه أمر قتله إلى سعد الدين كمشتكين ، وكان المتولّي لأمر دولة الملك الصالح صاحب حلب ، فمازال أصحاب ابن العجمي بالصالح ، يغرونه بكمشتكين ، حتى قبض عليه واعتقله ، وطالبه بتسليم قلعة حارم ، وكانت في يده ، فامتنع من كانوا بها من تسليمها ، فأمر الملك الصالح فسيّروا كمشتكين اليها معتقلاً ، وعذّب أمامهم ، وأصحابه يرونه ولا يرحمونه ، حتى مات في العذاب (اعلام النبلاء ٢/١١٣) .

وفي السنة ٥٧٥ قبض الخليفة الناصر ببغداد ، على صاحب المخزن ونائب الوزارة ظهير الدين منصور بن الحسين ، وعلى أصحابه وحواشيه وصادره ، وعذّبه إلى أن مات . (النجوم الزاهرة ٦/٨٥) .

وفي السنة ٦٦٦ اعتقل الملك الظاهر ، بولص الراهب ، الملقّب بالحبيس ، وعذّبه حتى مات ، وكان هذا الراهب منقطعاً في جبل حلوان ، وله مال يواسي به الفقراء من كلّ ملّة ، وكان يدخل إلى الحبوس ، وكلّ من عليه دين ، أدّاه عنه وأطلقه ، وكان بعض الناس يتحيّل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة ، أخذ معه اثنين، صورة أنّهما من رسل القاضي أو المتولّي ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : (يا أبونا، يا أبونا)، فيسأل : ما باله ؟ فيقولان : عليه دين ، أو اشتكت عليه زوجته، فيقول : على كم ؟ فيقولان : على ألفين ، أو أقل ، أو أكثر ، فيكتب له على شقفة (قصاصة ورق) ، إلى أحد الصيارف ، فيقبض المال ، وصرف في هذا السبيل أكثر من ستمائة ألف دينار ، وكان لا يأكل من هذا المال ، ولا يشرب ، بل أنّ النصارى يتصدّقون عليه بمؤونته ، فأفتى فقهاء الاسكندرية بقتله ، وعلّلوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين ، فقتل بالعذاب (فوات الوفيات ١/٢٣٣-٢٣٥).

وفي السنة ٦٧٣ هلك الأمير شهاب الدين أحمد بن جلدك ، وكان صارماً ، قطع من الأيدي والأرجل مالا يحصى كثرة ، وشنق ، ووسّط، فخافه البريء والسقيم (النجوم الزاهرة ٧/٢٤٥).

وفي السنة ٦٨٩ بعث سلطان مصر والشام ، جيشاً طرد ملك النوبة ، ونصب ملكاً لهم من قبله ، فلما عاد الجيش المصري ، عاد الملك المطرود ، واستولى على الحكم ، وقبض على الذي نصبه المصريّون ، فعرّاه من ثيابه ، وذبح ثوراً ، وقدّ جلده سيوراً، ولفّها عليه طرية ، وأقامه مع خشبة ، فيبست عليه تلك السيور ، فمات (تاريخ ابن الفرات ٨/٩٢).

وفي السنة ٦٩٣ قتل ابن السلعوس ، الوزير الكامل ، مدبّر الممالك شمس الدين محمد بن عثمان ، ولي الوزارة ، وتكبّر على الناس ، وآذاهم ، فعذّبه الشجاعي، وعاقبه إلى أن مات ، ومسكوا أقاربه وذويه ، فأصابتهم

النقمة جميعاً ، وكان قد انتن جسده من شدّة الضرب ، وقلع منه اللحم الميت (شذرات الذهب ٥/٤٢٢- ٤٢٤).

وفي السنة ٦٩٩ لما احتلّ السلطان غازان المغولي ، مدينة دمشق ، ونهبها ، أصاب القاضي تقي الدين المقدسي ، أذى كبير ، إذ أخرجه الجند المغول وعلى رأسه طاقية ، وعليه فروة ما تساوي خمسة دراهم ، وفي رقبته حبل ، فغاب إلى العشاء ، ثم عاد ، فسئل كيف عاد ، فقال : لقد أوقدوا لي ناراً ليعدموني فإذا بصوت وصياح ، فذهبوا، فنظرت فإذا أنا وحدي ، فرجعت إليكم ، (الدرر الكامنة ٢/٢٤٢).

وفي السنة ٧٠٤ بلغ الأمير سلار ، وكان قد حجر على السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنّ الوزير ذبيان الماوردي الشيخي ، أهدى للناصر ألفي دينار ، وكان محتاجاً إليها ، فاعتقل الوزير ذبيان ، وسجنه ، وصادره ، وعاقبه ، فمات في العذاب (الدرر الكامنة ٢/١٩٦) .

وفيالسنة ٧٤٠ قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، على ناظر الخاص النشو وهو عبد الوهاب بن فضل الله الملقب شرف الدين ، وعلى أخيه وأفراد عائلته ، وعرضهم على العذاب ، فماتت أمّه ، وأخوه المخلص ، في العذاب ، ثم مات النشو أيضاً ، أما أخوه الآخر فانتحر (الدررالكامنة ٣/٣٣ و ٣٤) .

وفي السنة ٧٤٢ مات بالعذاب ابراهيم بن أبي بكر بن شدّاد ، مقدّم الدولة ، وكان متمكناً في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، بحيث إنّه كان يتحدّث مع السلطان من دون واسطة ، وقبض عليه بعد وفاة الناصر ، وعذب فمات تحت العقوبة (الدر الكامنة ١/٢٢) .

وفي السنة ٧٤٥ قتل بالعذاب في السجن ، بالقاهرة ، مقدّم الدولة ،

خالد بن الزراد ، قبض عليه أغرلو وعاقبه حتى هلك ، وأخرج على لوح (الدرر الكامنة ٢ / ١٧١) .

وفي السنة ٧٤٩ قتل السلطان الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ، وقبض على نديمه الشيخ على الكسيح ، وضرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيماً ، وقلعت أسنانه وأضراسه ، ونوع له العذاب انواعاً حتى هلك (النجوم الزاهرة ١٠/١٩١) .

وفي السنة ٧٥٤ قبض السلطان المجاهد، على المشايخ بني زياد ، وكانوا ثلاثة نفر ، أحدهم مقطع لحج وأبين ، والثاني ناظر الجهات الدملئيّة ، والثالث ناظر الجباية والتغزية ، وكان لهم فضل ومكارم أخلاق ، وكان الناس يسمونهم برامكة الوقت ، فصادرهم السلطان مصادرة قبيحة ، حتى هلكوا في المصادرة (يعني هلكوا في العذاب) . (العقود اللؤلؤية ٢ / ٩٤) .

وفي السنة ٧٨٢ قبض الأتابكي برقوق بالقاهرة ، على الوزير تاج الدين الملكي وصادره ، وضربه ، ثم عاد فقبض عليه ثانياً ، وصادره، واستمرّ يعاقبه إلى أن مات تحت العقوبة (بدائع الزهور ١ /٢/ ٢٦٦).

وفي السنة ٧٨٣ قام شخص اسمه ابن القماح ومعه ولده ، وأقفالي ، بسرقة أموال القيسارية ، فأخذوا ، وآستعيدت المسروقات منهم ، وعذبوا بأنواع العذاب الاليم (بدائع الزهور ١ /٢/ ٣٠٠) .

وفي السنة ٧٨٣ قبض على الوزير كريم الدين بن مكانس ، وأخوته ، وأقاربه ، وحاشيته، وعذبوا بأنواع العذاب . (بدائع الزهور ١ /٢/ ٢٩٨) .

وفي السنة ٧٨٥ صادر الطواشي أمين الدين أهيف ، كاتبه عبد اللطيف بن محمد بن مؤمن ، مصادرة عنيفة ، فتوفي في المصادرة ، (يريد أنه تلف في العذاب). (العقود اللؤلؤية ٢ / ١٧٦) .

وفي السنة ٨٨٧ قتل بالعذاب أبو البركات مفتاح الحبشي الكمالي ،

اتّهم باختلاس أموال كان مؤتمناً عليها ، فتولى بدر الحبشي وزير جدّة تعذيبه حتى مات (الضوء اللامع ١٠/١٦٦) .

وفي السنة ٧٩٥ احتلّ تيمورلنك بغداد ، « ورمى على أهلها مال الأمان »، وطالب الناس بأموال أكثرمن طاقتهم ، وكان المتولّي لذلك شرف الدين البلقيني ، ومات خلق بالتعذيب والعقوبة ، وذكر أنّهم عذّبوا رجلًا ، فأشار لهم إلى موضع ، وقال لهم : احفروا ها هنا ، أراد أن يشغلهم بالحفر عن تعذيبه ، فحفروا ، فلم يجدوا شيئاً فعادوا ليعذبوه ، فأشار إلى موضع آخر ، فحضروا فوجدوا مالاً عظيماً ، فأخبروا تيمورلنك بذلك، فأحضروه، وسأله عن أصل المال، فقال: لا أعلم له أصلاً ، وإنّما أردت أن أشغلهم عن تعذيبي ، فأمر تيمورلنك بالكفّ عن تعذيب الناس(تاريخ الغياثي ١١٣و١١٤) .

أقول : جاء في أنباء الغمر ، وفي السلوك : إنّ الذين ماتوا تحت التعذيب من أهل بغداد في هذه السنة كانوا أكثر من ثلاثة آلاف ، أما ابن الفرات فذكر أنّهم كانوا فوق السبعمائة .

وفي السنة ٧٩٦ قبض على رجل من أعوان تيمورلنك ، في حلب وأحضر إلى القاهرة ، فرسم لوالي القاهرة بعقوبته ، فعاقبه بأنواع العذاب (نزهة النفوس ٣٧٨) .

وفي السنة ٨٠١ طلع إلى السلطان رجل أعجمي ، وهو جالس للحكم ، فجلس بجانب السلطان ، ومدّ يده إلى لحيته ، وسبه سباً قبيحاً ، فبادر النوّاب إليه و أقاموه ، وهو مستمر في السبّ ، فسلّم لوالي القاهرة ، فعاقبه ، حتى مات تحت العقوبة . (النجوم الزاهرة ١٢/٩٧).

ولما فتح تيمورلنك دمشق ، في السنة ٨٠٣ ، قسم البلد بين أمرائه ، فنزل كلّ أميرٍ في قسمه ، وأجرى على من فيه أنواع العذاب ، في الضرب والعصر ، والإحراق بالنار ، والتعليق منكوساً ، وغمّ الأنف بخرقة فيها تراب

ناعم ، كلّما تنفس دخل في أنفه ، حتى تكـاد نفسه تـزهق ، فكان الـرجل إذا أشرف على الهلاك يخلّى عنه حتى يستريح ، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعاً حتى كـان المعاقب يحسـد رفيقه الـذي هلك تحت العقوبـة ، على الموت . ورأى أهل دمشق ألواناً من العذاب لم يسمع بمثلها ، منها إنهم كانوا يأخذون الـرجل فيشدّ رأسه بحبلٍ ، ويلوي الحبل حتى يغوص في رأسه ، ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ، ويلويه بعصـاه ، حتى تنخلع الكتفان ، ومنهم من كـان يـربط ابهـام يـدي المعـذّب من وراء ظهـره ، ثم يلقيـه على ظهـره ويـذر في منخريه الرماد مسحـوقاً ، ولا يـزل يكرر عليـه العذاب حتى يمـوت ، ويعذب وهـو ميت مخافـة أن يتماوت ، ومنهم من كـان يعلّق بـابهـام يـديـه في سقف الـدار ، وتشعل النـار تحته ، ويـطول تعليقـه ، فـربمـا سقط فيهـا ، فيسحب منهـا ، ويتـرك على الأرض حتى يفيق ، ثم يعلّق ثـانيـاً . (النجـوم الـزاهـرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وفي السنـة ٨٠٣ أخذ شمس الـدين محمد بن حسن الفـارقي ، وعوقب (عذب) حتى مات ، وسبب ذلك ، إنّه لما فتح تيمورلنك دمشق ، صارت له وجـاهة عنـده ، فلما رحـل عن دمشق أخـذ وعـذّب ومـات (الضـوء الـلامـع ٧/٢٢١) .

وفي السنة ٨١١ قتل تحت العذاب ، فخر الدين ماجـد بن عبد الـرزاق القبـطي الاسكندري ، الـوزيـر ، وكـان أخـوه سعـد الـدين ابـراهيم ، نـاظـر الخاص ، ثم عزلا وسلّم فخر الدين إلى الاستادار ، فعاقبـه أشدّ عقـوبة حتى قتله (الضوء اللامع ٦/٢٣٤) .

أقول : ذكر صاحب بدائع الزهور ١/٢/٧٩٣ خبر مقتـل هذا الـرجل ، فقـال : في السنة ٨١١ « اشتـرى » الاستـادار جمـال الـدين ، من السلطان ، الصاحب فخر الدين بن غراب ، فاستصفى أمواله ، ثم قتله بالعذاب .

وفي السنة ٨٣٣ عذب أصبهان بن قرايوسف ، لما احتلّ الموصل ، قاضيها محمد بن طاهر الموصلي ، حتى هلك في العقوبة (أي العذاب) (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٧٩) .

وكان محمود باشا، والي مصر ، من ٩٦٨ - ٩٧٥ للسلطان سليمان العثماني ، ظالماً، عسوفاً، أراق دماء كثيرة جداً، بحيث إذا وصل إليه الصو باشي في الديوان ، وعرض عليه من معه من «المتهومين» يشير إليه بمروحة في يده ، أما إلى الصلب، أو التوسيط، أو رمي الرقبة ، أو الخازوق ، باشارات خاصّة، من غير أن يتكلم بلسانه (البرق اليماني ١٥٢) .

كانت وسائل التعذيب ، في عهد المماليك حكام العراق (١١٦٤ - ١٢٤٧) (١٧٥٠ - ١٨٣١ م) وسائل متنوعة ، أيسرها الضرب بالسياط حتى تتفجّر الدماء ، ورش الزيت المغلي على وجه الأسير ، وعلى عينيه حتى يموت ، أو كيّ صدغيه ، وبعض المواضع الحساسة من جسده ، وقد يوضع على وتد يدخل في أسفله ويمزّق أحشاءه ، أما الخنق فهو أيسر ما يكون ، وأما الإغراق فلم يكن سراً من أسرار دجلة (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٤٤) .

وفي السنة ١١٩٤ أصدر الوزير عبدي باشا ، سر عسكر أناطولي ، ووالي حلب، أمره ، بعزل أبي بكر اغا متسلم حلب ، وطلب حضوره ، فتثاقل ، ثم توجه نحوه ، فلما وصل إليه اعتقله ، وطالبه بأموال قال إنها في ذمته للدولة ، فباع أبو بكر أمواله وأثقاله كافّة ، وهو مسجون ، فلم يتخلّص ، فصار أقاربه وأصدقاؤه ، ومن بلوذ به ، يعينوه ، حتى أدّى ما فرضه الباشا عليه ، وآستمر محبوساً نيفاً وسبعين يوماً ، ثم نفاه الباشا إلى قلعة أرواد من اعمال طرابلس الشام ، وعيّن معه بيارق دالاتيه ، فقاموا به من الأوردي ، وتوجهوا لناحية اللاذقية ، وفي ذهابهم ، كانوا كلما مروا به على

قرية من قرى حلب ، وضعوا له الأغلال ، وعذّبوه ، وهددّوه بالقتـل ، وأهالي القرى « تترجّى فيه » وتبذل لأشقياء الدالاتية الدراهم ليكفـوا عنه ، واستمـرّوا على ذلك ألى أن وصلوا إلى قلعة أرواد ، بعـد أن رأى الموت عيـاناً ، مـرات عديدة ، وهو يستغيث ولا يغاث (اعلام النبلاء ٣/ ٣٥٥ و٣٥٦) .

الباب السابع عشر
الانتحار

النحر : أعلى الصدر ، وفي الأمثال العربية : وضعته بين سَحْري وَنَحْري.
والسَحْر : الرئة .
والنحر : إصابة النحر بالذبح .
والإنتحار : قتل الإنسان نفسه .

والإنتحار محرّم في جميع الأديان والشرائع، قال الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ (٢٩ م النساء ٤)، وقال النبي صلوات الله عليه : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه ، في نار جهنّم (لسان العرب : مادة وجأ) .

وقد انتحر رجل في أيّام النبيّ صلوات الله عليه ، فلم يصلّ عليه .

وفي قوانين العقوبات ، مواد مثبتة ، يعاقب بموجبها من أقدم على الإنتحار ، إذا سلم .

وكان العرب في الجاهلية ، يعتبرون الإنتحار خوراً وجبناً ، ويعيرون قوم من انتحر ، بإقدامه على الإنتحار .

روي أنّ الحكم بن الطفيل ، أخا عامر بن الطفيل ، ضعف في يوم ساحوق في الجاهلية ، وخشي أن يؤسر ، فانتحر . بأن جعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة، وشدّه ، ودلّى نفسه ، فاختنق ، فقال عروة بن الورد ، يعيّر قومه بذلك : (ابن الأثير ١/٦٤٤).

ونحن صبحنا عامراً في ديارها علالة أرماح وضرباً مذكّرا

بكـلّ رقيق الشفـرتين مهنّـد ولـدنٍ من الخطّي قد طرّ أسمرا
عجبت لهم إذ يخنقـون نفـوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أجـدرا

وفي السنـة ٣ في معركـة أحد ، كـان من بين من حـارب في صفـوف المسلمين رجـل يدعى قـزمان ، فقتـل وحده ثمـانية من المشـركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، وجرح في المعركة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، فقال له رجل من المسلمين ، لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فـأبشر ، فقـال : بم أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلاّ على أحساب قومي ، ولـولا ذلك ما قاتلت ، ولما اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته ، فقطع رواهشه ، فنـزفه الـدم ، فمات (الطبري ٢/٥٣١ والمعارف ١٦١) .

وفي السنة ١١ انتحر سلمـة بن عمير الحنفي ، بـأن حزّ حلقـومه بسيف نفسه ، فقطع أوداجه ، وسبب ذلك إنّ بني حنيفة ، ارتدّوا عن الإسلام ، بعد وفـاة النبي صلوات الله عليـه ، فبعث إليهم أبـو بكـر جيشـاً بقيـادة خـالـد بن الوليد ، فانتصر عليهم ، وقتل مسيلمة ، وجماعة ممن معه ، وصالـح الباقـون خالداً ، وكان سلمة بن عميـر ، يعارض في مفـاوضات الصلح ، ويقـول : لا تقبلوا الصلح ، فإنّ حصونكم حصينـة ، والطعـام كثير ، والشتـاء قد حضـر ، فخالفوه وعقـدوا الصلح ، فغضب واشتمل على سيف ، وأراد أن يـدخل على خالد ، ليفتك به ، وأحسّ به أصحابه ، وفتّشوه ، فـوجدوا السيف في ثيـابه ، فلعنـوه، وشتموه ، وأوثقـوه، وقالـوا له : إنّـك لو قتلت خـالداً لقتـل أصحابـه رجـالنا ، وسبـوا نساءنـا ، إذ يحسبـون أنّ عملك كـان بممالأة منّـا ، وطـردوه عنهم ، فانسلّ وعمد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرس ، واتّبعـوه ، فأدركوه في بعض الحـوائط (البساتين) فشـدّ عليهم بالسيف ، فـاكتنفوه بـالحجـارة ، فأجال السيف على حلقه ، فقطع أوداجه ، وسقط في بئر ، فمـات (الطبـري ٣/٢٩٩ـ ٣٠٠) .

وفي السنـة ٢٣ انتحر فيـروز أبو لؤلؤة ، الفـارسي النصـراني ، بعـد أن

طعن الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، أعدّ لجريمته خنجراً له رأسان نصابه في وسطه ، وكان عمر في صلاة الصبح ، يؤمّ المسلمين ، فطعنه ثلاث طعنات ، إحداها تحت سرّته ، خرقت الصفاق ، وهي التي قتلته ، وطعن معه في المسجد ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة ، وأقبل على القاتل رجل من بني تميم ، يقال له حكّان ، فألقى عليه رداءه ، ثم احتضنه ، فلما علم العلج أنّه مأخوذ ، طعن نفسه بخنجره ، فانتحر (العقد الفريد ٤/٢٧٢).

وانتحر في المدينة خمسون غلاماً من أبناء الصغد ، كان سعيد بن عثمان قد أخذهم من أهليهم رهناً على صلح عقدوه معه لما كان أميراً لمعاوية على خراسان ، فلما عزل عن خراسان ، لم يعد الغلمان الرهائن الى أهليهم ، بل أخذهم معه عبيداً أرقاء إلى المدينة ، وخلع عنهم كسوتهم ومناطقهم ، وألبسهم جباب صوف ، وألزمهم السواني والعمل الصعب ، فدخلوا عليه وفتكوا به ، ثم قتلوا أنفسهم (انساب الاشراف ٥/١١٧ـ ١١٩).

وفي السنة ٦٨ أغرق عبيدالله بن الحرّ الجعفي نفسه في الفرات، بعد أن تفرّق جمعه عنه ، في معركة ضارية .

أقول : عبيدالله بن الحرّ الجعفي ، كان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً ، واجتهاداً ، فلما قتل عثمان انحاز إلى معاوية لمطالبته بدم عثمان ، ثم حضر أمام الإمام علي في مرافعة ، فلامه عليّ على الإنحياز إلى خصمه ، فقال له : ايمنعني ذلك من عدلك ؟ قال : لا ، وحكم له ، فعاد إلى معاوية ، ثم اعتزل الجانبين ، ولما حكم المختار العراق طلبه ، وحبس امرأته ، فدخل بجماعة معه إلى الكوفة ، فكسر باب السجن ، وأخرج امرأته ، وجميع المحبوسات فيه ، وكان إذا وجد مالاً للسلطان ، أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، وكتب بما تسلّم وثيقة أعطاها لحاملي المال ، وتركهم وما بقي ليوصلوه إلى السلطان، وتمكّن منه مصعب بن الزبير لما حكم العراق

فحبسه ، وشفع فيه الأحنف وقوم من عشيرته ، فأطلقه ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فأكرمه ، وأعطاه ، وعاد إلى العراق لمحاربة المصعب ، فبعث إليه المصعب جيشاً كثيفاً أطبق عليه ، ورموه بالسهام حتى اثخنوه ، فركب سفينة توسّطت به الفرات ، فوثب إليه رجل عظيم الخلق قبض على يديه وهو جريح ، فتماسك معه ، وألقى نفسه معه في الماء فغرقا (ابن الأثير ٢٩٤/٤).

ومن لطيف ما يذكر ، إنَّ عبيدالله ، لما اطلقه المصعب ، بشفاعة الأحنف ، جاء إلى الأحنف ، وقال له : يا أبا بحر ، ما أدري كيف أكافئك ، إلّا أن أقتلك ، فتدخل أنت الجنّة شهيداً ، وأدخل أنا النار ، فضحك الأحنف ، وقال له : لا حاجة لي في مكافأتك يا ابن اخي (انساب الأشراف ٢٨٨/٥).

وفي السنة ٧٧ انتحر خالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي ، بأن ألقى نفسه وفرسه في دجلة ، وكان قد حارب شبيب الخارجي ، في معركة ضارية ، وقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزالة زوجة شبيب ، ثم انهزم أصحابه فتراجع حتى أشرف على دجلة ، فألقى نفسه فيها ، فانتحر غرقاً . (الاعلام ٣٣٩/٢).

وفي السنة ٨٥ انتحر عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، الثائر على الحجاج ، بأن القى نفسه من فوق قصر، فمات ، وكان عبد الرحمن قد خرج على الحجّاج في السنة ٨١ ، وأيّده الناس لظلم الحجّاج ، وخلعوا عبد الملك بن مروان ، فانفذ عبد الملك جيوشاً من الشام ، وبعد معارك دامية ، قتل فيها عشرات الألوف ، اندحر جيش العراق ، والتجأ عبد الرحمن وقسم من أصحابه إلى رتبيل ، ملك الترك ، فكتب الحجّاج إليه ، يطلب منه تسليم ابن الأشعث ، ويهدّده بأن يقصده في ألف ألف رجل ، إن لم يسلمه ، وبعث إليه عهوداً مختومة بختمه ، بجميع ما يطلب ، ورغّبه في أن لا يغزو بلاده

عشـر سنين ، يعفى فيها من الخـراج ، فغدر رتبيـل بابن الأشعث ، واعتقله ، وثلاثين من أصحابه وأهل بيته ، وألقى في اعناقهم الجـوامع والقيـود ، وبعث بهم إلى عمارة بن تميم ، قائد الحجّاج ، فلما قرب ابن الأشعث من عمـارة، ألقى نفسه من فوق قصر ، فمات ، وكـان معه في السلسلة رجـل يقال لـه أبو العبر ، فماتا جميعاً ، فـاحتز عمـارة رأسه ، وضـرب اعناق أصحـابه ، وبعث بالرؤوس إلى الحجّاج ، فبعث الحجاج بـرأس ابن الأشعث إلى عبد الملك ، فبعث به عبد الملك إلى عبد العزيز بمصر ، فقال الشاعر :

هيهـات مـوضـع جثّة من رأسهـا   رأس بـمصـر وجثّـة بـالـرخّـج

لـزيادة التفصيـل ، راجع الـطبـري ٦/٣٩٠و ٣٩١ واليعقـوبي ٢/٢٧٩ والأخبار الطوال ٣٢٠ .

وفي السنـة ٩١ قصد عبـد الـرحمن بن مسلم ، أخـو قتيبـة، الصغـد ، فصـالحه ملكهـا طـرخـون ، ودفـع اليـه مـالاً ورهنـاً ، فقـال الصغـد لملكهم طـرخون ، إنّـك رضيت بالـذلّ ، واستطبت الجـزية، فـلا حـاجـة لنـا بـك ، وخلعوه ، ونصبوا ملكاً آخر غيـره ، وحبسوا طـرخون ، فقـال طرخـون : ليس بعد سلب الملك إلاّ القتل ، فيكـون ذلك بيـدي ، أحبّ إليّ من أن يليه منّي غيري ، واتّكأ على سيفه ، حتى خرج من ظهره (الطبري ٦/٤٦٣ وابن الأثير ٤/٥٥٤).

وفي السنـة ١٢٦ انتحر عمـرو بن محمد بن القـاسم الثقفي ، بأن أخـذ سيفاً فاتّكأ عليه حتى خالط جوفه ، وكان عمـرو هذا عـاملاً على السنـد للوليد بن يـزيد ، فـأخذ محمـد بن عزان الكلبي فضـربه ، وبعث بـه إلى يوسف بن عمر ، أمير العـراق ، فضربـه وألزمـه مالاً عـظيماً ، يؤدّي منـه في كلّ جمعـة نجماً ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطـاً ، فضرب حتى جفّت يـده وبعض أصابعه ، فلما ولي منصور بن جمهور العراق ، ليزيد بن الـوليد ، ولى محمد بن عزان سجستان والسند ، فأتى سجستان ، وسـار إلى السند ، فـأخذ

عمرو بن محمد ، وأوثقه ، وجعل عليه حرساً يحرسونه ، وقـام إلى الصلاة ، فتنـاول عمرو ، من أحـد الحراس سيفـاً ، فاتّكـأ عليـه مسلولاً ، حتى خـالط جـوفه ، وتصـايح النـاس، فخرج ابن عـزان ، فقـال لـه : مـا دعـاك إلى مـا صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ بك ما بلغته من نفسك ، فلبث ثلاثاً ثم مات (الطبري ٧/٢٧٢) .

وكان أحد خلفاء بني أميّة ، قد اشترى جـارية ، كـان يتعشّقها شـابّ ، فاحتجبت عنه ، فكتب إلى الخليفـة ، يتوسّـل أن يمكّنه من رؤيـة الجاريـة ، وسماع غنائها ، ثم ليصنع به ما هـو صانـع ، فمكّنه من ذلـك ، حتى إذا غنّته ثلاثة أصوات ، طرح الشاب نفسه من المستشرف الذي كـان فيه ، فلم يصـل إلى الأرض إلّا أوصـالاً ، راجع تفصيـل القصّة في مصـارع العشـاق ٢/١٠١ـ ١٠٢ـ ٢١٥ـ ٢١٦) .

وذكـر ابن الكلبي أنّ فتى من بني حنيفـة ، تعشّق فتـاة ، وجنّ بهـا ، واحبّته الفتاة كذلك ، ونذر به الحيّ ، فحذروه ، وانذروه بـأنّه إن عـاد فسوف يقتلونه ، وجلس ذات ليلة ، بمعزل من الحيّ ، ومعـه قوسـه ، فخرجت إليـه حبيبتـه لتراه ، فـظنّها أحـد الفتيان جـاء إليه ليقتله فـرمـاهـا بسهم ، فقتلهـا ، فصـاحت رفيقتها ، فـركض الفتى إليها ، ورأى مـا جنت يـده ، فـوجـأ نفسـه بمشـاقصه حتى مـات ، راجع تفصيـل القصـة في مصـارع العشـاق ٢/١٤٣ـ ١٤٤ ، والعقد الفريد ٦/ ٤٧٠ـ ٤٧١ .

ولما قتل أبو جعفر المنصور في السنة ١٣٧ أبا مسلم الخراساني ، قطع رأسـه ، ورمى بـه إلى من بـالبـاب من قـوّاد أبي مسلم ، فهمّـوا أن يبسـطوا سيـوفهم على الناس ، ثم ردّهم عن ذلـك انقطاعهم وتغـرّبهم ، فانتحـر قسم منهم بسيوفهم ، وسكت الباقون . (الامامة والسياسة ٢/١٣٦) .

وفي السنة ١٤٢ انتحر اصبهبذ طبرستان ، بأن مصّ خاتماً لـه فيه سم ، فقتل نفسه ، وكان سبب ذلك أنّه نقض العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ،

فحاصروه ، فقال أبو الخصيب لأصحابه : اضربوني ، واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ، ولجأ إلى الأصبهبذ، وزعم أنّه عائذ به ، حتى أمنه ، ففتح باب الحصن للمسلمين ، فانتحر الأصبهبذ (ابن الأثير ٥/ ٥١٠ والطبري ٧/ ٥١٣).

وفي السنة ١٥٩ ظهر المقنع بخراسان ، واسمه حكيم ، وكان يتخذ وجهاً من الذهب يجعله على وجهه ،واجتمع إليه خلق كثير ، وكانوا يسجدون له في أيّ ناحية كانوا ، وكان يزعم أنّ روح الله حلّت فيه ، وحاربه الجيش العبّاسي ، فلما أيقن بالهزيمة ، جمع نساءه وأهله وأجّج ناراً عظيمة ، وقال : من أحبَّ أن يرتفع معي إلى السماء ، فليلق نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أهله وخواصّه ونسائه ، فاحترقوا ، ودخل العسكر القلعة، فوجدوها خالية خاوية . (ابن الأثير ٦/ ٣٨- ٣٩- ٥١- ٥٢).

أقول : الذي أورده الطبري ٨/ ١٣٥- ١٤٤- ١٤٥ إنَّ حكيم المقنّع ، خرج بخراسان في السنة ١٦١ وإنّه استغوى بشراً كثيراً ، وقوي ، وصار إلى ما وراء النهر ، وإنَّ المهدي سيّر اليه جيوشاً ، آخرها جيش بقيادة سعيد الحرشي ، فشدّد عليه الحصار ، فلما أيس من الظفر ، انتحر بأن شرب سمّاً، وسقاه نساءه وأهله، فمات وماتوا ،وإنَّ انتحاره حصل في السنة ١٦٣ .

وفي السنة ٢٢٣ لما تآمر العبّاس بن المأمون ، وبعض القوّاد على قتل المعتصم ، واستخلاف العبّاس ، كان من جملة المتآمرين قائد تركي أثير عند أشناس ، لا يحجب عنه في ليل ولا نهار ، كان قد تعهّد للمتآمرين بقتل أشناس، فلما افتضحت المؤامرة، اعتقل اشناس هذا التركّي ، وحبسه في بيت ، وطيّن عليه الباب ، فكان يلقي إليه في كلّ يوم رغيفاً وكوزماء ، فأتاه ولده في بعض أيّامه ، فكلّمه من وراء الحائط ، وقال له : يا بنيّ لو كنت تقدر لي على سكّين كنت أقدر أن اتخلّص من موضعي هذا ، فلم يزل ابنه يتلطّف في ذلك حتى أوصل إليه سكّيناً ، فقتل به نفسه . (الطبري ٩/ ٧٨).

وروى الجاحظ : إنَّه رافق محمد بن ابراهيم المصعبي ، من سامراء إلى بغداد ، في حرّاقته ، ونصب في الطريق ستارة ، وغنّته عوّادة ، ثم غنّته طنبوريّة ، وبعد أن انهت الصوت هتكت الستارة وألقت نفسها في الماء ، وكان على رأس محمد غلام جميل بيده مذبّة ، فألقى بنفسه في أثرها ، واعتنقا، ثم غاصا فلم يريا ، راجع التفصيل في وفيات الأعيان ٣/٤٧١-٤٧٢ ومصارع العشاق ١/١١٣-١١٤ وتحفة المجالس ٣٠٩-٣١٠).

وكان حنين بن اسحاق العبادي الطبيب ، طبيب المتوكل ، وإسرائيل بن زكريا الطيفوري ، طبيب الفتح بن خاقان ، فاختلفا أمام المتوكّل ، في موضوع الخمار وهل يضرّ المصاب بالخمار أن يجلس في الشمس أم لا ، فأثنى المتوكل على حنين ، فاغتاظ الطيفوري ، ودسّ لحنين ، واغرى الجاثليق والأساقفة ، فلعنوا حنين ، وقطعوا زنّاره ، وأمر المتوكّل أن لا يصل إليه دواء من عند حنين ، حتى يشرف عليه الطيفوري ، ويحضر عمله ، فانصرف حنين إلى منزله ، وانتحر بأن سقى نفسه سماً (تاريخ الحكماء ١٧٢).

وفي السنة ٢٨٥ أوقع صالح بن مدرك الطائي بالحاجّ ، بقاع الأجفر ، فقتل خلائق عظيمة من الحاجّ ، ومات منهم كثير بالعطش ، وسلب من الناس نحواً من ألفي ألف دينار (مروج الذهب ٢/٥١٦)، فخرج إليه أبو الأغرّ خليفة بن المبارك السلمي ، وظفر بصالح في فيد ، فأسره ، فجمع الأعراب ليستنقذوه ، فواقعهم أبو الأغر وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فأيس صالح من الخلاص ، وكان يدري ما ينتظره إذا وصل إلى بغداد ، فاستلب من أحد الغلمان سكيناً وقتل نفسه ، فاحضر أبو الأغر رأسه إلى مدينة السلام ، وأحضر معه رؤوساً أخرى ، وأربعة أساري هم بنو عمّ صالح بن مدرك فأدخلوا المطبق (مروج الذهب ٢/٥١٩).

ولما اعتقل صاحب الشامة ، رأس القرامطة ، في السنة ٢٩١ ، وحمل إلى بغداد ، كان يعرف ما ينتظره ، فحاول الإنتحار ، بأن عمد إلى سكرجة فكسرها ، وقطع بشظية منها بعض عروقه ، فخرج منه دم كثير ، فلما أطّلع على ذلك ، شدّ جرحه ، وترك حتى صلح وعادت إليه قوّته ، ثم احتفل بقتله ، وقتل أصحابه . (الطبري ١٠/١١٣).

أقول : راجع كيفية قتل صاحب الشامة ورفاقه ، في هذا الكتاب ، في الباب التاسع « التعذيب بالتعرّض للجوارح » الفصل الثاني « القسم الأوّل قطع الأطراف ».

وفي السنة ٣١١ لما عزل حامد بن العباس من وزارة المقتدر ، وصودر ، باع ضياعه ، وداره ، وخدمه ، وباع اخصّ خدمه به من نازوك ، بثلاثة آلاف دينار ، فالتفت الخادم إلى نازوك ، وقال له : إنّك لا تنتفع بي ، فلا تبتعني، فلم يقبل منه ، وآبتاعه ، فلما كان في تلك الليلة ، شرب الخادم زرنيخاً ، فمات من ساعته (المنتظم ٦/١٨٣- ١٨٤ وتكملة تاريخ الطبري ٣٦).

وفي السنة ٣١٥ قبض الوزير علي بن عيسى ، وزير المقتدر ، على رجل شيرازي ، ظهر أنّه يكاتب القرامطة ، فناظره الوزير بحضرة القاضي أبي عمر والقوّاد ، وقال الشيرازي : أنا صاحب أبي طاهر القرمطي ، وما صحبته إلّا لأنه على حقّ ، وأنت وصاحبك ومن يتبعكم، كفّار مبطلون ، ولا بد لله في أرضه من حجّة ، وإمام عدل ، فقال له علي بن عيسى : أصدقني عمن يكاتب القرمطي من أهل بغداد والكوفة ، فقال : ولِمَ أصدقك عن قوم مؤمنين، حتى أسلمهم إلى قوم كافرين فيقتلونهم ، لا أفعل ذلك أبداً ، فأمر بصفعه بحضرته ، وضربه بالمقارع ، وقيّده ، وغلّه بغلّ ثقيل ، وجعل في فمه سلسلة ، وأسلمه الى نازوك (صاحب الشرطة) وحبسه في المطبق ، فمات

بعد ثمانية أيام ، لأنّه امتنع من الطعام والشراب حتى مات (تجارب الامم ٧١٢/١).

وفي السنة ٣٣٤ قصد أبو يزيد الخارجي مدينة تونس ، فدخلها بالسيف ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، ونهب الأموال ، وهدم المساجد ، فانتحر الكثير من أهلها ، بأن رموا أنفسهم في البحر (ابن الأثير ٤٣١/٨).

وروى التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة ، في القصة المرقمة ٥٨/٥ ج ٥ ص ١٢٩- ١٣٤ قصّة فتى تعشّق أخته ، وفرّ بها إلى موضع لا يعرف فيه ، وماتت الأخت على أثر الولادة، فلما وضعها في قبرها ، أخرج سيفاً ، وأدخله في فؤاده فانتحر ، فمات ، ودفن معها في قبر واحد .

وفي السنة ٣٥١ استولى على طرسوس ، ابن الزيات ، وقطع خطبة سيف الدولة ، وخرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيّين لحرب الروم ، فأوقع به الدمستق ، وقتل جميع من معه ، وقتل أخاه أيضاً ، فلما وقف ابن الزيّات على ذلك ، لبس سلاحه ، واعتمّ، وخرج إلى روشن داره ، وكانت داره على شاطىء نهر ، ثم رمى بنفسه من داره الى النهر ، فغرق . (تجارب الأمم ١٩١/٢).

وفي السنة ٣٦٠ قتل يوسف بن بلكّين بافريقية أصحاب محمد بن الحسين الزناتي ، وجماعة من أهله وبني عمه ، وكان محمد قد عصى على المعزّ لدين الله بإفريقية ، وكثر جمعه ، فأمر المعزّ يوسف ، بالتخلّص منه ، فبادر إليه يوسف ، ولم يشعر به محمد ، إلاّ وهو داخل عليه ، فلما رآه محمد جردّ سيفه وانتحر به ، وقتل يوسف الباقين . (ابن الأثير ٦١٦/٨).

وانتحر الطبيب أبو الحسن محمد بن غسّان بن عبد الجبار الداري الصيدلاني البصري ، بأن أغرق نفسه في كرداب كلواذى ، ببغداد ، لاسباب اجتمعت عليه ، من صفر اليد ، وسوء الحال ، وجرب أكل بدنه ، وعشق

حرق قلبه ، وحيرة غرب معها عقله ، وخذل رأيه ، حتى جرّ إلى نفسه حينها بما أقدم عليه ، وكان ابن غسان فتى ، مليحاً ، ظريفاً ، حسن الأدب ، محذقاً فيما بين الأطبّاء ، وكان يعلّم الطب ، ويشارك في علوم الأوائل ، وخدم بصناعته ملوك بني بويه ، على الخصوص عضد الدولة فنا خسرو راجع الرسالة البغدادية للتوحيدي ٢٥٦ ـ ٢٥٨ وتاريخ الحكماء ٤٠٢) .

وكان القائد تبر ، أحد أمراء الدولة في عهد كافور الإخشيدي ، فلما قدم القائد جوهر من المغرب بالعساكر ، حاربه القائد تبر ، ولكنّه انهزم ، فكتب إليه جوهر ، يترضاه ، فلم يجب ، وأقام على الخلاف ، فسيّر إليه عسكراً حاربه ، فانكسر تبر ، وقبض عليه ، وأدخل إلى القاهرة ، مشهراً على فيل ، وسجن ، وفي السنة ٣٦٠ ضرب بالسياط ، وحبس عدّة من أصحابه بالمطبق في القيود ، فجرح نفسه ، ومات منتحراً . (خطط المقريزي ٤١٣/٢) .

وانتحر بتناول السمّ ، أبو أحمد بن أبي بكر بن حامد ، الكاتب ، الشاعر ، كان أبوه كاتب الأمير الساماني اسماعيل بن أحمد ، وزير الأمير أحمد بن اسماعيل (قتل سنة ٣٠١) ، فنشأ أبو أحمد ربيب نعمة ، وتأدّب ، وتظرّف ، ونظم فأجاد ، وولي ولايات ، وكان يتخرّق في تبذير ماله ، فتخرّق حاله ، وضاقت معيشته ، حتى قال : (التيمية ٦٤/٤ ـ ٦٩) .

قد قلت أذ مدحوا الحياة فأسرفوا   في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه   وفراق كلّ معاشر لا ينصف

ثم قتل نفسه بتناول السمّ ، فمات منتحراً .

وفي السنة ٣٦٩ انتحر المطهّر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة ، إذ أنفذه الملك عضد الدولة إلى البطيحة لاستئصال الحسن بن عمران ، بعد أن آستخلف على الوزارة أبا الريان حمد بن محمد الأصبهاني ، فلم يتمكن من

صاحب البطيحة ، وباءت خططه بالفشل ، فآعتكف في خيمته ، وأخذ سكّين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعاً وأدخل ذراعيه إلى باطن ثيابه فنزف دمه ، وأدركه خدمه والناس وفيه رمق ثم مات . (تجارب الأمم ٢/٤٠٩ - ٤١١) .

وفي السنة ٣٦٩ انتحرت الأميرة جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، تخلّصاً من حياة الذلّ والأسر التي ابتليت بها ، بأن ألقت نفسها في دجلة ، فغرقت ، راجع تفصيل ذلك في هذا الكتاب ، الباب التاسع عشر « المرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة » .

وفي السنة ٣٩٢ حارب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، جيبال ملك الهند ، فكسره ، وأسره ، وأطلقه بمال قرّره عليه ، فأدّاه ، وكان من عادة الهنود ، أنّهم أذا حصل أحد منهم في أيدي المسلمين أسيراً ، لم تنعقد له بعدها رئاسة ، فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصه ، حلق رأسه ، ثم ألقى نفسه في النار ، فآنتحر (ابن الأثير ٩/١٦٩ ، ١٧٠) .

وفي السنة ٣٩٢ توفي أبو الطيب الفرخان بن شيراز ، فأنفذ بهاء ، الدولة ، وزيره أبا غالب لحيازة ما خلّفه ، وكان للفرخان ثقة مجوسي ، عالم بما خلّف الفرخان ، فقبض عليه أبو غالب ، وعذّبه ، فانتحر بأن ذبح نفسه في الحمّام (ذيل تجارب الامم ٤١٤ - ٤١٧) .

وفي السنة ٣٩٥ حارب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، ملكاً إسمه بحيرا ، وآسم مملكته بهاطية ، وتقع وراء المولتان ، فآنكسر بحيرا ، فلما أيقن بالعطب ، أخرج خنجراً معه ، فقتل به نفسه (ابن الأثير ٩/١٨٥) .

وروى عبد الله بن عبد العزيز السامري ، إنّه مرّ وصديق له بدير هزقل ، وهو موئل للمصابين بعقولهم ، فوجدا فيه شاباً حسن الوجه ، مشدوداً بسلسلة إلى جدار ، فاستنطقاه ، فتلا عليهما أبياتاً ، تشير إلى أنّه صريع غرام ، ثم تلا عليهم أبياتاً أخرى ، كان البيت الأخير فيها :

إنّي على العهـد لم أنقض مـودّتهم   فليت شعـري بطول العهـد مـا فعلوا

فقـالا لـه : مـاتـوا ، فقـال : وأنـا ميت في أثـرهم ، ثم خنق نفسه بالسلسة ، فاندلع لسانه ، وندرت عناه ، ومات ، راجع تفصيل القصّة في مصارع العشاق ١/١٩ و٢٠ .

أقول : دير هِزْقِل (حزقيل) ما بين البصرة وعسكر مكرم (معجم البلدان ٢/٧٠٦) كان موئلاً للمصابين بعقولهم ، وقد ذكره دعبل في أبيات هجا بها أبا عبّاد ، وزير المأمون ، وكانت في أبي عبّاد حدّة ، قال :

أولى الأمـور بضيعـة وفسـاد   أمـر يـدبّـره أبـو عـبّـاد
يسـطو على كـتّـابـه بـدواتـه   فمضـمّـخ بـدم ونضـح مـداد
وكـأنّـه من ديـر هـزقـل مفلت   حَـرِدٌ يجـرّ سـلاسـل الأقيـاد

وفي السنة ٤٠١ حارب محمود بن سبكتكين ، ملك الغور ، وانتصر عليه ، فشرب الملك سمّاً كان معه فمات (ابن الاثير ٩/٢٢٢) .

وفي السنة ٤٠٧ غزا محمود بن سبكتكين الهند ، فحاصر كشمير ، فأسلم صاحبها على يده ، ثم حاصر حصن هو دب ، فأسلم صاحبه على يده ، ثم حاصر قلعة كلجند وفتحها فعمد كلجند إلى زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها (ابن الاثير ٩/٢٦٦) .

وفي السنة ٤١١ قتل الحاكم الفاطمي ، فنصبت أخته ستّ الملك ولده أبا الحسن علي ، مكان أبيه ، واعتقلت ولي العهد أبا القاسم ، في القصر ، وحمل إليه يوماً بطيخ ومعه سكّين ، فغرز السكين في سرّته ، ومات منتحراً (النجوم الزاهرة ٤/١٩٤) .

وفي السنة ٤١٢ قبض قرواش بن المقلّد صاحب الموصل ، على أبي القاسم المغربي الوزير ، وأطلقه ، وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد ، فقتل سليمان نفسه . (المنتظم ٨/٢) .

وروى المقريزي في خططه ٢٨٩/٢ إنّه في السنة ٤١٥ قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى ، فأقرّ بأنّه قتل الحاكم بأمر الله ، من جملة أربعة أنفس ، تفرّقوا في البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقيل له : لم قتلته ؟ فقال : غيرة لله وللإسلام ، فقيل له : كيف قتلته ؟ فأخرج سكيناً ، ضرب بها فؤاده ، فقتل نفسه ، وقال : هكذا قتلته ، فقطع رأسه وأنفذ به إلى الحضرة .

أقول : أورد المسبحي ، في أخبار مصر ، في السنة ٤١٥ هذا الخبر بتفصيل أوفى ، فذكر في الصفحة ٢٧ و٢٨ أنّه : ورد الخبر إلى مصر بأنّ الثائر الذي حصل بالصعيد الأعلى ، حصل في يد القائد الفاطمي حيدرة بن عقبايان ، وكان الثائر رجلاً شريفاً حسنياً ، فأقرّ بأنّه قتل الحاكم بأمر الله ، في جملة أربعة أنفس تفرّقوا في البلاد ، فمنهم من مضى إلى برقة ، ومنهم من مضى إلى العراق ، وإنّه أظهر له قطعة من جلد رأسه ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقال له حيدرة : ولم قتلته ؟ فقال : غرت لله وللإسلام ، فقال : وكيف قتلته ؟ فأخرج سكيناً ، فضرب بها فؤاد نفسه ، فقتل نفسه ، وقال : هكذا قتلته ، فقطع حيدرة رأسه ، وأنفذ الرأس إلى الحضرة ، مع ما وجده معه .

وفي السنة ٤٢٦ عصى أحمد ينالتكين ، نائب السلطان مسعود الغزنوي بالهند ، على السلطان ، فسيّر أليه جيشاً، فأنهزم ، وتحصّن في جزيرة ، فهاجمه الهنود ، وأوقعوا به ، وأخذوا ولداً له أسيراً ، فلما رأى أحمد ذلك ، قتل نفسه ، ومات منتحراً (ابن الاثير ٤٤١/٩ و٤٤٢) .

وفي السنة ٤٥٧ انتحر أبو نصر فتوح بن هلال اليفرني ، صاحب تاكرنا ، بالأندلس، وكان قد خلف أباه المتوفّى سنة ٤٤٩ وملك كذلك ريا ومالقة ، وثار عليه رجل من رعيته ، يدعى ابن يعقوب ، بإغراء من المعتضد بن عبّاد ، فاقتحم قصر أبي نصر ، وصاح مع جماعته بخلعه ،

والدعوة للمعتضد ، فألقى أبو نصر نفسه من علّية كان جالساً بها ، فوقع على صخرة ، فتكسّر ، ومات . (الاعلام ٥/٣٣٥) .

وفي السنة ٤٦٨ كان غلام يعرف بابن الروّاس ، من أهل الكرخ ببغداد ، يحبّ امرأة ، فماتت ، فحزن عليها ، فبقي لا يطعم الطعام ، وانتهى به الأمر ألى أن خنق نفسه (المنتظم ٨/٢٩٧) .

وكان مسلم بن قريش ، صاحب الموصل وحلب ، يستوفي من صاحب أنطاكية الإفرنجي ، إتاوة سنوية ، فلما ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، طالبه مسلم بالإتاوة ، فأجابه : إنّ سلفي كان نصرانياً يعطي الجزية ، وأنا مسلم لا جزية عليّ ، فحاربه مسلم بن قريش ، فانتصر سليمان ، وقتل مسلم في المعركة في السنة ٤٧٨ ، وحصر سليمان حلب ليستولي عليها ، فآمتنعت حلب عليه ، وكتب حافظها إلى الأمير تتش السلجوقي أن يحضر لتسلّمها ، فبلغ ذلك سليمان ، فقصدتتش ، وآشتبكا في معركة ، فلما رأى سليمان أنّ أصحابه قد فرّوا أنف من الهزيمة ، وأخرج سكيناً كان معه ، فقتل به نفسه ، ومات منتحراً (اعلام النبلاء ١/٣٥٨) .

وفي السنة ٥٠٠ انتحر الأمير قلج أرسلان ، صاحب الموصل وما حولها ، إذا أشتبك في معركة ضارية مع الأمير جاولي سقاوو ، فآنهزم عسكر قلج ، وثبت هو ، وعلم إنّه إن أسر فعل به فعل من لم يترك لصلح موضعاً ، فأقحم فرسه الخابور ، فغرق (ابن الاثير ١٠/٤٢٩ و٤٣٠) .

وفي السنة ٥٠٠ افتتح السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاهدز ، بالقرب من أصبهان ، وقتل صاحبها وولده ، فألقت زوجته نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة ، راجع التفصيل في كتابنا هذا ، في الباب التاسع عشر « المرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة » .

وفي السنة ٥١١ نزل ابن بديع ، رئيس حلب ، لمقابلة الأمير ايلغازي

بقلعة دوسر ، فهاجمه اثنان من الباطنية ، فقتلاه ، وقتلا أحد ولديه ، وقتلا من بعده ، وجرح ولده الآخر ، فحمل إلى القلعة ، فهاجمه باطني وقتله ، وقبض على الباطني ، وحمل ليقتل ، فرمى بنفسه إلى الماء ، وانتحر غرقاً (اعلام النبلاء ١/٤٢٧) .

وفي السنة ٥٢ أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، بآستئصال الباطنية ، وكانت للباطنية قرية من أعمال بيهق ، إسمها طرز ، ومقدّمهم بها الحسن بن سمين ، فقصدها العسكر ، وقتلوا كلّ من بها ، وهرب مقدّمهم الحسن ، وصعد منارة المسجد ، ثم ألقى بنفسه إلى الأرض (ابن الاثير ١٠/٦٣١ و٦٣٢) .

وفي السنة ٥٢١ إنتحر أبو القاسم محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي ، بمرو ، ذبح نفسه بيده ، وترك رقعة بخط يده فيها : هذا ما عملته أيدينا ، فلا يؤاخذ به غيرنا ، وكان أبوالقاسم هذا يلقّب شمس المشرق ، وكان الزمخشري يسميه : الجاحظ الثاني . (معجم الادباء ٧/١٤٦) .

وفي السنة ٥٢٣ خنق رجل يقال له ابن ناصر نفسه ، بحبل شدّه في السقف . (التنظيم ١٠/١٣) .

وفي السنة ٥٣٢ انتحر الأمير البقش السلاحي ، بأن غرّق نفسه في دجلة ، وكان نائباً عن السلطان في عدّة ممالك ، ثم غضب عليه السلطان ، فقبض عليه ، وحبسه بقلعة تكريت ، ثم أمر بقتله ، فانتحر . (ابن الاثير ١١/٦٥ و النجوم الزاهرة ٥/٢٦٢) .

وفي السنة ٥٣٩ حصل عبد المؤمن ، أمير الموحّدين ، بمدينة وهران ، بالمغرب ، ونزل تاشفين ، أمير المسلمين بظاهرها على البحر ، وفي ليلة ٢٧ رمضان ، صعد تاشفين إلى الربوة المطلة على البحر ، بأعلاها ثنّية يعمرها

المتعبّدون ، يريد التبرّك بذلك الموضع ، وبمن فيه من الصلحاء ، فحصره الموحّدون في ذلك الموضع ، وأحاطوا به ، وأحرقوا عليه باب الرباط ، فلما أيس تاشفين من النجاة من أيديهم ، ركب فرسه ، وآخترق النار ، ثم أقحمه الوادي ، فتردّى هو وفرسه من جرف عالٍ على الحجارة ، فمات منتحراً (ابن الأثير ١٠/ ٥٨٠ وفيات الأعيان ٧/ ١٢٦ والمعجب للمراكشي ٢٧١) .

وفي السنة ٥٥١ توفي خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنو شتكين ، وخلفه ولده أرسلان ، فقتل نفرا من أعمامه ، وسمل أخاً له ، فقتل الأخ المسمول نفسه منتحراً . (ابن الأثير ١١/ ٢٠٩) .

وفي السنة ٥٧٤ انتحر أحد المكارية في الحبس ببغداد ، وسبب ذلك إنّه أخذ ألف دينار ، تعود لرجل اكتراه ورفاقه من الموصل إلى بغداد ، فأخذ واعترف بالمال ، وأحضر منه تسعمائة وخمسين ديناراً ، وقال إنَّ الخمسين الباقية أخذها قريب له ، فقال صاحب المخزن : خذوا هذا فآحبسوه لنصلبه غداً ، فنهض المكاري في الليل ، وصلب نفسه . (المنتظم ١٠/ ٢٨٧) .

وفي السنة ٥٨٧ انتحر يعقوب الحلبي ربّان بطسه (نوع من السفن) ، وسبب ذلك ، إنّ ملك الانكتار (يريد ريكاردوس قلب الأسد ملك إنكلترا) وصل مع رجاله إلى عكّا ، وكان رجل زمانه شجاعة ، ومكراً ، وجلداً ، وصبراً ، فعظمت به قوّة الإفرنج المحاصرين لعكّا ، فأمر صلاح الدين الأيّوبي ، فجهّزت من بيروت ، بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدة والقوت ، وفيها سبعمائة مقاتل ، وسيّرت ألى عكّا ، فلقيها ملك انكتار ، فقاتلها ، وصبر من فيها ، فلما أيسوا من الخلاص ، عمد المقدّم بها ، واسمه يعقوب الحلبي ، مقدّم الجندارية ، ويعرف بغلام ابن شقتين ، فنزل إلى قعرها ، وخرقها خرقاً واسعاً ، وأغرقها بمن فيها وما فيها ، وانتحر هو وأصحابه غرقاً لئلّا يظفر الإفرنج بهم وبما معهم من الذخائر (ابن الاثير ١٢/ ٦٥) .

وفي السنة ٥٩٨ سعى رجل يعرف بابن عطيّة ، بابن ثناء البزّاز ، بأنّ لديه وديعة أودعها عنده أبو بكر بن العطّار ، الوزير ـ كان ـ للناصر وعزل وصودر ، فانكر ابن ثناء ، وحقّق في الأمر ، فظهر كذب الساعي ، ، فأطلق ابن ثناء ، واعتقل ابن عطية ، وحبس بباب النوبي ، فألقى نفسه في بئر ، فمات ، فصلب على باب داره . (الجامع المختصر ٨٢ و ٨٣) .

وفي السنة ٦٠٢ تجهزّ السلطان شهاب الدين الغوري ، لقتال بني كوكر بالهند ، وكانوا قد عصوا عليه ، وقطعوا الطريق ، وأخافوا السبيل ، ووافقهم قسم من الهنود على الخروج عن الطاعة ، فداهمهم شهاب الدين ، وكسرهم ، فقصدوا أجمة هناك ، وآجتمعوا ، وأضرموا ناراً ، وكان أحدهم يقول لصاحبه : لا تدع المسلمين يقتلونك ، ثم يلقي بنفسه في النار ، فيلقي صاحبه نفسه بعده ، فعمّهم الفناء قتلاً وحرقاً . (ابن الاثير ٢٠٨/١٢ ـ ٢١١) .

وفي السنة ٦٠٢ انتحر الفقيه تقي الدين عيسى بن يوسف العراقي الغرافي ، الضرير ، بأن شنق نفسه ، في حجرته بالمدرسة الأمينيّة ، وسبب ذلك ، إنّه سرق له مال ، فآتهم شخصاً كان يقرأ عليه ، ويقوده ، فأنكر ذلك الشخص التهمة ، وتعصّب عليه أقوام ، وقالوا هو ضرير فقير من اين له المال الذي ادّعى بأنّه سرق منه ، فزاد عليه الهمّ وشنق نفسه . (نكت الهميان ٢٢٣ و٢٢٤) .

وفي السنة ٦٠٤ صلب الرضيّ بن هرثمة ، نفسه ، بالمخزن المعمور ، وكان موكّلاً به على بقيّة مال قرّره على نفسه ، فأخرج ليلاً ، فسلّم إلى أهله (الجامع المختصر ٢٣٧) .

وفي السنة ٦٢٤ انتحر السلطان ناصر الدين قباجه ، مملوك علاء الدين الغوري ، صاحب السند والملتان وأوج ، قتل نفسه على أثر انكساره في

معركة حصلت بينه وبين التتميش ،وكان قد حكم منذ السنة ٦٠٢ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٦٠٢) .

وفي السنة ٦٤ حصر الجنود المصريون ، الإفرنج بدمياط ، وحاول الإفرنج التخلّص من الحصار بعدّة حملات ، وكانت جميعها فاشلة ، فقتل جميع فرسانهم ، إلاّ فارسين ، **فاقتحما النيل بخيلهما فغرقا** . وأسر من المحاربين نيفاً وعشرين ألف آدمي . وقتل سبعة آلاف . (النجوم الزاهرة ٦/٣٦٧) .

وفي السنة ٦٨٢ تضارب بالقاهرة مؤمن بن عجم العطّار ، مع والدته ، وبعد العشاء الآخرة « شنق روحه » (تاريخ ابن الفرات ٧/٢٦١) .

وفي السنة ٦٨٥ توفّي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الأزدي ، وخلّف ولدين هما محمد وعبد الله ، وكان محمد مفرطاً في السخاء ، لا يليق شيئاً ،ولا يخيّب قاصداً ،فتضعضع حاله ، وركبه دين كثير بعد وفاة أبيه ، فراجعه أحد الدائنين ، وأغلظ له في القول ، وكان قاعداً على باب داره ، فدخل إلى الدار من فوره ، وعمد إلى حبلٍ فشنق به نفسه (العقود اللؤلؤية ١/٢٤٤) .

وفي السنة ٦٨٦ طولب ببغداد نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ، ودوشخ ، على بقايا وجبت عليه ، فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه ، وخشي من العقاب ، قتل نفسه . (تاريخ العراق للعزاوي ١/٣٤١) .

وفي السنة ٦٨٩ انتحر القاضي ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسي المعروف بابن نوح ، شنق نفسه بعمامته ، وكان وكيل بيت المال ، وناظر الاوقاف بدمشق ، فسرق وخان ، فأمر السلطان بالكشف عما أكل ، وإعادته لبيت المال ، فضرب بالمقارع ، وحبس ، ثم طلب إلى مصر ،

فانتحر شنقاً . (تاريخ ابن الفرات ٨/٩٢) و (الوافي بالوفيات ٣/٢٣٧ - ٢٣٨ وشذرات الذهب ٥/٤١٠ و٤١١) .

وفي السنة ٧٠٣ اشتدّ حصار السلطان يوسف بن يعقوب المريني لمدينة تلمسان ، وكانت بحكم عثان بن يغمراسن ، من بني عبد الواد ، وضاق عثمان بالحصار ذرعاً ، فانتحر ، بأن وضع سمّاً في قدح من اللبن ، وشربه ، فمات ، تفادياً من معرّة غلبة الأعداء (ابن خلدون ٧/٩٥) .

وكان قراسنقر ، من الأمراء بمصر ، وحضر قتل الاشرف وشارك فيه ، فلما تسلطن الناصر أخو الاشرف ، خشي قراسنقر على نفسه ، وفرّ إلى السلطان محمد خدا بنده والد ابي سعيد ، سلطان العراق ، فأعطاه مدينة مراغة ، وتسمّى دمشق الصغيرة ، فلما مات محمد وولي ابنه أبو سعيد ، فرّ منه الأمير الدمرطاش إلى سلطان مصر ، فوقع الإتفاق على أن يعيد سلطان مصر الدمرطاش ، ويعيد أبو سعيد قراسنقر ، وبعث الملك الناصر برأس الدمرطاش ، فأمر أبو سعيد بحمل قراسنقر لسلطان مصر ، فمصّ قراسنقر خاتماً له فيه سمّ ، فمات (تاريخ العراق للعزاوي ١/٤٢٩) . وكان ذلك في السنة ٧٢٨ .

وفي السنة ٧٢١ قبض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١) على كريم الدين عبد الكريم ، ناظر الخاص ، ووكيل السلطان ، وعظيم دولته ، وصادره ، وأبقاه في الاعتقال أربعين يوماً ، ثم أطلقه ، وألزمه بأن يقيم في تربته بالقرافة ، ثم نفاه إلى الشوبك ، ثم نقله إلى القدس ، ثم أحضره إلى القاهرة ، ثم نفاه إلى أسوان ، ووجد هناك مشنوقاً بعمامته . (النجوم الزاهرة ٩/٧٥) .

وفي السنة ٧٣١ انتحر بمدينة دمشق شنقاً تقيّ الدين الاشقر محمد بن اسماعيل بن موسى الحسيني الشريف ، وسبب انتحاره أنّه ركبته الديون ،

فشنق نفسه ، وعلّق في عنقه ورقة بخطّه ذكر فيها إنّ الحامل له على ذلك خشيته من ضرب المقارع بسبب أصحاب الديون لأنهم كانوا هدّدوه بذلك (الدرر الكامنة ١٢/٤) .

ولما ولي السلطان محمد بن تغلق ، سلطنة الهند ، بعد موت أبيه ، امتنع الأمير بهاء الدين كشت آسب ، ابن اخت السلطان تغلق ، من بيعته ، فحاربه ، وانكسر الأمير ، والتجأ إلى ملك من ملوك الكفّار ، يعرف باسم (الراي كنبيلة)، والراي بالهندية تعني السلطان ، وهو من أكبر سلاطين الكفّار ، فطلبه منه السلطان ، فأبى أن يسلمه لأنّه التجأ إليه فحاربه السلطان محمد بن تغلق ، وحاصره، فلما قارب أن يؤخذ ، قال للأمير بهاء الدين : إنّ الحال قد بلغت ما تراه ، وأنا عازم على إهلاك نفسي وعيالي ومن يتبعني ، فاذهب أنت إلى السلطان فلان ، وسمّى له سلطاناً من الكفّار ، فأقم عنده ، فإنّه سيمنعك ، وبعث معه من أوصله إليه ، وأمر الراي كنبيلة ، بنار فأججت ، وأحرق فيها امتعته ، وقال لنسائه وبناته : إنّي أريد أن أقتل نفسي ، فمن ارادت موافقتي فلتفعل ، فكانت المرأة منهنّ، تغتسل ، وتدهن بالصندل، وتقبّل الأرض بين يديه ، وترمي بنفسها في النار ، حتى هلكن جميعاً ، وفعل مثل ذلك نساء امرائه ، ووزرائه، وأرباب دولته، ومن أراد من سائر النساء ، ثم اغتسل الراي ، وادّهن بالصندل، ولبس السلاح ما عدا الدرع ، وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه ، وخرجوا إلى عسكر السلطان، فقاتلوا ، حتى قتلوا جميعاً. (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٦-٩٧).

ووصف لنا الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته ، مراسيم الأحتفال بإحراق النساء الهندوسيات أنفسهنّ ، إذ ينتحرن لحاقاً بأزواجهنّ ، وبيّن إنَّ إحراق المرأة نفسها بعد زوجها ، أمر مندوب إليه ، غير واجب ، ولكنّ من أحرقت نفسها بعد زوجها ، أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ، ونسبوا إلى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها ، لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة ، لعدم

وفـائها ، ولكن لا تكـره على إحراق نفسهـا ، راجع تفصيـل عمليّـة الانتحـار بالاحتراق بالنار في هـذا الكتاب ، في البـاب التاسـع عشر « المـرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة » .

وذكـر ابن بـطوطـة في رحلتـه ، ٢/٢٢ ، إنَّ الهنـدوس في الهنـد ، ينتحرون غرقاً ، بالقاء أنفسهم في نهر الكنك ، وهو الذي إليه يحجّون ، وفيه يرمى برماد من يحرق بدنه منهم ، وهم يقولون إنَّ هذا النهر من الجنّـة.، وإذا جاء أحدهم ليغرق نفسه ، يقول لمن حضره : لا تظنّوا أنّي أغرق نفسي لأجل شيء من أمـور الدنيـا ، أو لقلة مـال ، وإنَّمـا قصـدي التقـرّب إلى كسـاي ، وكساي ، اسم الله عزّ وجل بلسانهم ، ثم يغرق نفسه ، فإذا مات ، أخرجوه ، وأحرقوه، ورموا برماده في النهر المذكور .

وفي السنة ٧٣٩ أمر السلطان الملك الناصر محمـد بن قلاوون بـاعتقال النشو ناظر الخاص ، وأفراد عائلته ، وكان أخوه مجد الدين رزق الله بن فضل الله ممن اعتقـل ، وسجن ببعض الخزائن ، وفي فجـر اليوم التـالي ، لما قـام عنه حارسـه ليصلّي الصبح ، أخـرج من حياصتـه سكيناً ، ووضعهـا في نحره فقطع أوردته، ومات (النجوم الزاهرة ٩/١٣٥) وقد أورد الخبر صـاحب الدرر الكامنة ٢/٢٠١ بتفصيـل أوفى إلا إنّه ذكـر أنّ انتحار مجـد الدين رزق الله بن فضل الله حصل في السنة ٧٤٠ فذكر أن مجد الدين اعتقل لما اعتقل أخوه ، وأخذه قوصـون نائب السلطان ، فـأنزلـه عنـده في القلعـة ، فـاغتنم غفلة من الموكّل به ، وأخذ سكيناً فنحر بها نفسه، فمـات، وكان ذلـك في السنة ٧٤٠ وكـان كثيراً مـا يقول لأخيـه النشو ، إن جـرت علينا نـائبة ، لا يـرحمنـا أحـد لمبالغتنا في نصح الملك ، ويشمت بنا النـاس ، وأنا ـ والله ـ إن وقـع ذلك لا امكّن أحداً من عقوبتي ، فكان كذلك .

وذكر ابن بطوطة ، إنَّه شاهد أحد أتباع سلطان مل جاوة ينتحـر أمامـه ، إذ رآه وبيده سكّين ، قد وضعه على رقبة نفسه ، وتكلّم بكلام كثير لم يفهمه،

ثم أمسك السكّين بيديه معاً ، وقطع عنق نفسه ، فوقع رأسه لحدّة السكّين ، وشدّة إمساكه ،| بالأرض ، قال فعجبت من شأنه ، وقال لي السلطان : أيفعل هذا أحد عندكم ؟ فقلت له : ما رأيت هذا قطّ ، فضحك، وقال : هؤلاء عبيدنا، يقتلون أنفسهم في محبّتنا، وأمر به فرفع وأحرق . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٢٤٣).

وفي السنة ٧٥٢ حاصر صاحب تلمسان، أبو ثابت ، من بني عبد الواد ، علي بن راشد ، من مغراوة ، بمدينة تنس ، ثم اقتحم جيشه المدينة ، فانتحر علي بن راشد ، بأن ذبح نفسه (ابن خلدون ٧/ ١٢٠).

وخرج القاضي جلال الدين الأفغاني ، وأتباعه من الأفغانيين ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ـ ٧٥٢)، واستولى على مدينة كنباية ، وعظم شأنه ، فأراد ثلاثة من كبراء أهل كنباية ، الإمتناع منه ، ومحاربته ، وهم ملك الحكماء ، وشمس الدين ، والناخداه الياس ، ولكنّ جلال الدين، تغلّب عليهم ، ودخل المدينة ، فاختفى الثلاثة في دار ، وخافوا أن يقبض عليهم ، وأن يعذّبوا ، فاتّفقوا على أن يقتلوا أنفسهم، وضرب كلّ واحد منهم صاحبه ، بقتارة ، فمات اثنان ، ولم يمت ملك الحكماء . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٧٢).

أقول : القتّارة : سلاح وصفه الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته ٢/١٦٣ فذكر أنّها تشبه سكّة الحرث ، يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه، ويفضل منها مقدار ذراعين ، وضربتها لا تبقي .

وفي السنة ٧٦٨ قتل نائب السلطنة يلبغا ، وكان قتله بأيدي مماليكه ، واتّهم السلطان الأشرف شعبان، بأنّ قتله كان بأمره ، وأقيم أسندمر أتابكاً ، فاتّفق معه مماليك يلبغا ، وركبوا على الأشرف، فحاربهم الأشرف وهزمهم ، وأقيم الأمير الجاي اليوسفي أتابكاً ، وهو زوج أمّ الأشرف، فاتفق موت أمّ

الأشرف ، فركب ألجاي اليوسفي على الأشرف ، فانكسر ألجاي ، فساق حتى رمى نفسه في البحر فغرق ، ومات منتحراً (الدرر الكامنة ٢/٢٨٨) .

أقول : أورد صاحب بدائع الزهور ١/٢/ ١١٩ إنَّ الأتابكي الجاي ، تحرّك في السنة ٧٧٥ على الملك الأشرف بالقاهرة، فحاربه السلطان، فانكسر الجاي ، وجاء إلى شاطىء نهر النيل ، واقتحمه بفرسه ، فغرقا معاً . وأيد صاحب النجوم الزاهرة ١١/١٢٩ ان الحركة حصلت في السنة ٧٧٥ وسمّى الأتابكي الجاي : الأمير سيف الدين اليوسفي .

وفي السنة ٧٦٩ انتحر الأمير سيف الدين قنق ، أحد أمراء المماليك بمصر ، إذ كان يحارب مع اليلبغاوية ، فلما انكسروا ساق قنق فرسه الى بركة الحبش ، ونزل بشاطىء البركة ، وبقي يشرب الماء ، ويستفّ الرمل، حتى مات . (النجوم الزاهرة ١١/١٠٣).

وفي السنة ٧٩٥ كان الأمير منطاش ملتجئاً إلى نعير بن حيار، فكبس نائب حلب على نعير ، وأسر أولاده ونساءه فطلب نعير من السلطان إطلاقهم ، على ان يسلم إليه منطاشاً ، فوافق السلطان ، فبعث اربعة من العبيد لاحضار منطاش ، فذهبوا إليه وأخذوا سيفه ، فاحسّ بالموضوع وقال : دعوني حتى أبول ، فلما وقف إلى الحائط ، أخرج من وسطه خنجراً ، وشقّ به بطنه . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٤٥٩).

وفي السنة ٨٠١ انتحر الفقيه عبد القادر الحنبلي ، بدمشق ، وكان شيخ زاوية الحمصي ، فنسب إليه إنّه خرّب كثيراً من أوقافها ، فطلب منه الحكّام كتاب الوقف ، فطلع خلوته في الشيخونية ، ليجيء بكتاب الوقف ، فشنق نفسه في الخلوة (الضوء اللامع ٤/٣٠٠).

وفي السنة ٨٠٢، حارب محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري ،

بمصر ، الأمير يلبغا الأحمدي ، فلما انكسر يلبغا، نزل الى البحر، فغرق بفرسه . (بدائع الزهور ١/٢/ ٥٨٦).

وفي السنة ٨٠٥ خرج ظاهر بن السلطان أحمد بن أويس على أبيه، وحاربه ، وكسره ، فاستعان الأب بقرا يوسف ، فاعانه ، فانكسر ظاهر ، فاقتحم بفرسه دجلة، وغرق . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٦٧٣).

ولما قبض تيمورلنك ، على السلطان بايزيد العثماني ، في السنة ٨٠٥ ، صنع له قفصاً من الحديد ، ووضعه فيه ، وصار يدخل به المدن ، ويعجّب عليه ، فما أطاق ذلك ، فابتلع فصّاً من حجر الماس، فمات وهو بالقفص الحديد (بدائع الزهور ١/٢/ ٦٦٠).

وفي السنة ٨٧٣ حاصر السلطان حسن بك المعروف بأوزون حسن ، السلطان حسن علي ، صاحب أذربيجان ، فلما عرف حسن علي أنّه مأخوذ ، عمد إلى سكّين فذبح بها نفسه ، فمات منتحراً ، وتفصيل ذلك : إنَّ جهان شاه ، لما قتل ، وسمعت امرأته بموته ، تحصّنت في قلعة النجق ، وكان فيها جملة خزائن ، فأرسلت جملة منها إلى حسن بك ، أوزون حسن واستعجلته على القدوم إلى قلعة النجق ، فوقعت الخزائن في يد حسن علي فقتل الرسل ، واستولى عليها ، وحاصر قلعة النجق ، وأغرى حرّاس القلعة بأن يخامروا على المرأة ، ففتحوا له أبواب القلعة ، وقبض على امرأة أبيه ، فأخذها حسن علي معه إلى تبريز ، حيث صلبها بثدييها ، فاستمرّت في العذاب ثلاثة أيّام حتى ماتت ، ولما سمع حسن بك ، بما صنعه حسن علي، وكان محاصراً بغداد ، ترك حصار بغداد ، وتوجّه إلى تبريز ، فحاصرها ، وفي اثناء الحصار فرّ قائدان من قوّاد حسن علي الى حسن بك ، والقائدان شاه علي ، وإبراهيم شاه ، فقبض حسن علي على أولادهما ونسائهما ، فقتلهم جميعاً ، كما قتل كلّ من كانت له علاقة بالقائدين ، ثم فرّ حسن علي من

تبريز إلى همدان ، فاتبعه حسن بك، ففرّ منه إلى جبل الوند ، فأرسل اليه من حصره هناك ، فلما عرف حسن علي أنّه مأخوذ ، أخرج سكيناً وذبح نفسه ، فمات ، وكانت مدّة حكمه سنة واحدة (التاريخ الغياثي ٣٢٦- ٣٣١) وذكر صاحب التاريخ الغياثي ، أنّ حسن علي هذا ، خلف أباه جهان شاه في حكم اذربيجان ، ففتح الخزائن ، وبذّر الأموال ، وكان من الحماقة بمكان ، ومن جملة حماقاته أنّه أمر أن لا تلبس النساء السراويل ، وإنَّ من كان مقرون الحاجبين ، عليه أن يحلق ما بينهما من الشعر ليظهرا مفروقين ، وكان يجمع النساء عاريات، ويجلس بينهنّ ، ويعمل ما تطيب له نفسه ، ويهتك ما يجب ستره (أي إنَّه يمارس الجنس بمحضر منهنّ)، وكان يأمر البنات بالرقص عاريات ثم يختار واحدة منهنّ ، وكان يختار من بنات امرائه ، ويتزوّج منهنّ عنوة ، بدون قيود ، ثم يتركهنّ إلى غيرهنّ .

وفي السنة ٨٨١ انتحر قانم قشير نائب السلطنة بالإسكندرية ، بأن شنق نفسه ، وذلك لما كثر التشكّي منه ، وطلب دواداره للتحقيق ، فانتحر (الضوء اللامع ٦/ ٢٠٠).

وفي السنة ٩٠٥ إنتحر زين الدين خطّاب بن محمد الكوكبي ، بأن شنق نفسه بخلوته بالضيائية ، وسبب ذلك إنَّه أحسّ بضعف، فحسب أنّه سيموت ، فأوصى بمبلغ من الذهب له كميّة جيّدة ، فلما برأ من مرضه ندم على تصرّفه ، وانتحر بأن شنق نفسه (شذرات الذهب ٨/ ٢٦- ٢٧).

وفي السنة ٩٢٢ انتحر أبو الفتح محمد بن عبد الرحيم الواعظ المصري ، وكان انتحاره بالسمّ ، وسبب ذلك إنَّه تزوّج امرأة زويلية ، فافتتن بها ، حتى باع كتبه ، وصرف ثمنها عليها ، ثم خالعها ، وندم ، وأراد مراجعتها، فأبت عليه إلاّ بخمسين ديناراً ، فلم يقدر إلاّ على ثلاثين ، فبعث بالثلاثين اليها ، وبعث معها سماً قاتلاً ، وقال : إن لم تقبلي الثلاثين ، وإلاّ

شربت هذا السمّ ، فلم تقبل ، فشرب السمّ، ومات (شذرات الذهب ١١٨/٨).

وفي السنة ١٠١٠ انتحر عبد الرحمن بن عتيق الحضرمي ، وزير الشريف حسن أمير مكّة ، بأن طعن نفسه بجنبيّة (خنجر) وهو في سجنه ، وكان عبد الرحمن قد تسلّط على المملكة في عهد الشريف حسن ، وظلم ، وجار ، وصادر ، واعتدى ، فلما توفّي الشريف حسن ، وخلفه ولده أبو طالب، أمر باعتقال عبد الرحمن ، فاعتقل، ومكث في حبسه يومين، ثم طعن نفسه بالجنبيّة ، وشقّ بطنه فمات ، فألقي في درب جدّة في حفرة صغيرة ، بلا غسل، ولا تكفين ، ولا صلاة ، ورمت عليه العامّة الحجارة فوارته (خلاصة الأثر ٢/ ٣٦١-٣٦٢).

وفي السنة ١٠٤٨ حاصر السلطان مراد الرابع العثماني، بغداد، وكان حاكمها الإيراني بكتاش خان ، فاستسلم ، وكتب الى اتباعه بالإستسلام وإخلاء بغداد ، ولكنّ المعركة استمرّت ولم يبق له من جنده البالغ عددهم ثلاثين ألفاً إلاّ ثلثمائة، فانتحر (تاريخ العراق للعزاوي ٤/ ٢١٠-٢٣٢).

وفي السنة ١٠٥٦ انتحر أبو السعود بن أحمد الدمشقي المعروف بابن الكاتب ، بأن أكل سبعة دراهم من الأفيون ، فمات ولم يفد فيه علاج ، وكان سبب انتحاره أنّه فشل في حبّه فآثر الموت على الحياة (خلاصة الاثر ١/ ١١٨) .

وفي السنة ١٠٧٩ انتحر الشيخ مصطفى بن سعد الدين الجباوي الدمشقي ، بأن دخل إلى خلوته بالجامع الأموي ، وأقفل بابها ، وخلع ثيابه ، ووضع في عنقه حبلاً ، وشنق نفسه (خلاصة الأثر ٤/ ٣٧٥) .

وفي السنة ١١١٠(١٦٩٨ م) هاجم الجيش الهندوسي (الماهراتا) في الهند ، بعض ولايات السلطان أورنك زيب عالمكير محي الدين أعظم شاه ،

سلطان الهند ، فحاربهم القائد قاسم خان ، فانكسر جيشه ، وانتحر قاسم خان من أجل هزيمته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٦١ و١٦٢) .

وفي السنة ١١٩١ هجم عرب مصر علي الامير ذي الفقاربك ، وعرّوه ، فهرب ، فلحقوا به وأردوا قتله ، فألقى بنفسه إلى البحر (النيل) بفرسه ، فغرق ، ومات منتحراً (الجبرتي ١/٥٠٤) .

وفي السنة ١١٩١ حصلت في حلوان بالقطر المصري ، معركة بين المماليك ، وانكسر أصحاب الأمير مراد بك، ونهب وطاقهم ، فما كان من الأمير محمد بك طبل ، إلّا أن أقحم فرسه النهر (النيل) فغرق ، ومات منتحراً (الجبرتي ١/٥٠٥) .

وفي السنة ١٢٠٥ (١٧٩٠ م) توفيّ الأمير محمد باشا المجاهد ، صاحب الجزائر ، فخلفه الخزناجي حسن ، فأصبح حسن باشا ، وبعد أن تمت بيعته ، أصدر أمره باعتقال علي أغا ، الذي كان يزاحمه في طلب الولاية ، فاعتقل ، وحبس في مطهّرة (حمّام أو كنيف) ثم نقل إلى القلعة ، حيث وجد مذبوحاً ، قيل إنّه قتل نفسه ، وقيل إنّ حسن باشا أمر بقتله (مذكرات الزهار ٥١ و٥٢) .

وفي السنة ١٢٩٣ إتّفق كبار رجال الدولة العثمانية ، وخلعوا السلطان عبد العزيز وبايعوا بدلاً ولي عهده مراد ، فٱستخلف بٱسم السلطان مراد الخامس ، وبعد خلع عبد العزيز بستّة أيام ، وجد في غرفته وقد فارقته الحياة ، وإلى جانبه مقراض قرض به شرايين ذراعه ، فمات منتحراً (اعيان القرن الثالث عشر ١١٥) .

وفي السنة ١٣٣٤ هـ (١٩٢٩ م) انتحر عبد المحسن السعدون ، رئيس الوزراء في العراق ، إثر جلسة عاصفةٍ في مجلس النوّاب ، ضايقه فيها بعض النوّاب ، واتهموه بالإهمال في العمل لما فيه مصلحة العراق ، والتساهل

في حقوق العراق تجاه الحكومة البريطانية التي كانت ذات تاثير قويّ في أدارة الأمور بالعراق ، فانزعج ، وارتجل خطبة ، قال فيها : إنّ الإستقلال يؤخذ ولا يعطى ، وهو لا يؤخذ بالكلام ، وإنّما يؤخذ بالحسام ، فآعتبر السفير البريطاني هذا القول ، تحريضاً على الثورة ، وآعتبر صدوره في البرلمان ، من رئيس وزراء مسؤول ، خرقاً للإتفاقيات المنعقدة بين العراق وبريطانيا ، وعنّفه تعنيفاً قاسياً ، وكان عبد المحسن مرهف الحسّ ، عظيم الاعتداد بكرامته ، فآنتحر ، بأن أطلق الرصاص على قلبه ، وكنت إذ ذاك كاتباً في المجلس النيابي ، وتلميذاً في كلّية الحقوق ، وكنت حاضراً خطبته الأخيرة في المجلس ، كما كنت من جملة من حضر تشييع جنازته من داره الشاطئية إلى حيث دفن في مقبرة الكيلاني ، وحضرت من بعد ذلك ، حفلة التأبين التي أقيمت له في جامع الكيلاني ، وحضرها عشرات ألوف من الناس .

وفي السنة ١٣٧٨ (١٩٥٨ م) انتحر رئيس وزراء العراق ، نوري السعيد ، وكان قد آستتر لما حصل انقلاب الضبّاط بزعامة عبد الكريم قاسم ، فلما سمع بمقتل ولده الوحيد ، أراد أن يبارح بغداد ، وبارح مأواه في عباءة وحجاب ، وفي أحد الشوارع ، ظهر من تحت العباءةمن ثيابه ، ما دلّ على أنّه رجل ، فلما حوصر ، وأيس من الإفلات ، أطلق على نفسه الرصاص ، فمات منتحراً . (اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق ١٤١) .

وآخر من بلغنا خبر انتحاره ، ممن ساهم في حركة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، النقيب عبد الستّار سبع العبوسي ، الذي قام بمذبحة قصر رحاب ببغداد ، حيث كان أوّل من وجّه رشّاشه إلى ساكني القصر أفراد العائلة المالكة ، وكانوا قد جمعوا في زاوية من زوايا حديقة القصر وضمّ إليهم خدمهم ، فقتلهم بأجمعهم ، وكان فيهم نساء وعجائز وأطفال ، وكان قد نقل إلى البصرة ، وذكر عن كيفية انتحاره إنّه دخل ألى داره ، وأوصى أن يعدوا له

الغذاء . ثم صعد إلى حجرة في الطابق الثاني ، وأطلق على نفسه الرصاص ، فمـات منتحـراً . (أســرار مقتـل العـائلة المـالكـة في العـراق ١٢٦ - ١٣٢ و١٤٣) .

انتحار الحيوان

الإنتحـار غير مقصـور على الإنسان وحـده ، وإنّما شـركه فيـه الحيـوان أيضاً ، إذا طغى به الحزن على فراق إلفه ، وما أكثر ما بلغنـا من القصص عن انتحار الخيل حزناً على فراق أصحابها .

وكـان آخـر هـذه القصص ، مـا قـرأنـاه في صحيفـة الاهـرام ، في السبعينات ، عن حصان انتحر ، حزنـاً على وفاة صـاحبه البـدوي ، وكانت أمّ الحصان قد ماتت بعد نتاجه بقليل ، فعني به صـاحبه عنـاية عـظيمة ، وقضى الحصان مع البدوي أربع سنوات ، ثم سقط البدوي مريضاً ، فكـان الحصان يقف خارج خيمة صـاحبه ، فلمـا مات البـدوي ودفن ، تسلّق الحصان تـلاً ، وأبقى بنفسه إلى وهدة ، فمات .

وذكـر محمد بن هـارون ، أنّ أبـاه اشتـري زوج بطّ ، ثم أخـذ الـذكـر فذبحه ، فجعلت الأنثى تضطرب تحت المكبّة ، حتى كادت أن تقتل نفسها ، فـرفع عنهـا المكّبة ، فجـاءت إلى حيث ذبح ذكـرها ، فلم تـزل تضطرب في دمائه حتى ماتت (مصارع العشاق ٢ / ٢٩١) .

وحـدّثني السيـد عبـد الكـريم بن الحـاج عبـد الحسين الأزري ، وهــو سياسيّ عراقي مثقف ، أنّه عندما كان تلميذاً يطلب العلم في إحدى جامعـات لندن ، كان قد اقتنى كلبة ، فألفته ، ولما أراد العودة إلى بغـداد ، بعد انتهـاء

دراسته ، بعث بالكلية إلى المستشفى لقتلها ، فتعجّبت من قـوله وسـألته عن السبب الذي دفعه إلى إسلامها للقتل ، فقال: إنّ هذا الجنس من الكـلاب ، يـألف صاحبـه إلفة شـديدة ، بحيث أنّـه أذا فارقـه انقطع عن الـطعـام ، حتى يموت جوعاً وحزناً ، فيكون تعجيل الأطبّاء بقتله رحمة له .

وذكر بعض أصحاب المعرفة بطبائع احيوان ، إنّ أجنـاساً من الـطيور ، تموت من الحزن ، إذا فقدت إلفها .

وكان للربيع بن بدر كلب قد ربّـاه ، فلما مـات الربيـع ، ودفن ، جعل الكلب يتضرّب على قبره حتى مات .

وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية ، وكان يحسن صحبتها ، فلمـا مات عامر ، لزمت الكلاب قبره حتى ماتت عنده ، وتفرّق عنه الأهل والأقارب (فضل الكلاب على من لبس الثياب ١٠) .

وروى الراوون قصّة كلب انتحر من أجل سلامة صاحبه ، فقد ذكروا أنّ ملكاً من ملوك أرمينية ، كان له كلب ربّـاه ، وكان لا يفـارقه حيث كـان ، وإذا كان وقت طعامه ، أطعم الكلب مما يأكل ، وخرج يوماً إلى بعض متنزّهـاته ، وأوصى أن يكون ضمن ما يطعمه في ذلـك اليوم ثـريدة لبن ، وصنـع الطبـاخ الثريدة ، واشتغل عنها ، فجاء أفعى ، وكرع من اللبن ، ومجّ في الثريـدة من سمّـه ، والكلب رابض لا يقـدر على ردّه ، إذ لا حيلة للكلب في الأفعى ولا في الحيّـة ، فلما قـدم الملك ، كانت الثـريدة أوّل مـا قدّم إليـه ، ولمـا مـدّ الملك يـده إليها ، نبـح الكلب ، فلم يفهم الملك عنه شيئـاً ، ورمى إليه من الثريدة شيئاً ، فلم يقربه ، وألحّ الكلب في نباحه ، فضجر منه الملك ، وأمـر بتنحيتـه ، فوثب الكلب إلى وسط المـائدة ، وكـرع من اللبن ، فسقط ميتـاً ، وعندئذ أدرك الملك أنّ كلبـه قتل نفسـه ، في سبيل سـلامته (فضـل الكلاب على من لبس الثياب ١٦ ـ ١٨) .

وسواء كانت القصة حقيقية أو مصنوعة ، فإنّ الكلب معروف بالوفاء والإخلاص ، ولذلك قال الشاعر البدوي ، في مدح أحد خلفاء بني العبّاس :

أنت كالكلب في حفاظك للودّ وكالتيس في قراع الخطوب

وذكر صاحب المنتظم ٨/ ٢٨٠ أنّه كانت للفقيه الامام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (٣٧٦ - ٤٦٥) فرس ، ركبها عشرين سنة ، ولم يركب غيرها ، فلما توفيّ ، عافت العلف بعد وفاته ، وتلفت بعد أسبوع .

الباب الثامن عشر

المثلة

المثلة : بفتح الميم وضمّها وسكون الثاء ، في اللغة : التنكيل وفي الاصطلاح: التشويه، بقطع الأطراف، أو سمل العين، أو جدع الأنف، أو صلم الأذن ، أو جبّ الذكر ، وما أشبه ذلك ، وإنّما سمّيت مثلة ، لأنّها تنزل بالإنسان فتجعله مثالاً يرتدع به غيره .

والمثلة محرّمة في جميع الشرائع والقوانين ، وقد نهى النبي صلوات الله عليه ، عنها في مواطن عدّة ، وكان إذا بعث سريّة لقتال ، أوصاهم ، فقال : لا تمثّلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً (العقد الفريد ١ /١٢٨) .

وكان أبو بكر الصدّيق ، يكرّر الوصية على أمراء جيوشه : أن لا يمثّلوا ، ولا يخونوا ، ولا يغلوا ، ولا يغدروا ، ولا يقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا آمرأة ، ولا راهباً (الطبري ٣ /٢٢٧) .

وجيء اليه مرّة ، برأس بنان ، بطريق الشام ، فأنكر ذلك ، وقال : أيستنّون بفارس والروم ، لا يحمل إليّ رأس ، وإنّما يكتفى بالكتاب والخبر (تاريخ الخلفاء ٩٩) .

وبلغ أبا بكر أنّ عامله علي اليمامة ، عاقب مغنّية غنّت بهجو المسلمين ، بقطع يدها ، وقلع ثنيّتها ، فكتب إليه : إن كانت ممن يدعي الاسلام ، كان عليك أن تؤدّبها بأدب وتعزير دون المثلة، وإن كانت ذمّية ،

فلعمري أنّ ما صفحت عنه من الشرك ، أعظم ، وإيّاك والمثلة في الناس ، فإنّها مأثم ومنفرة ، إلا في قصاص (تاريخ الخلفاء ٩٧) .

ومن وصية الفاروق عمر لسلمة بن قيس الاشجعي ، لما أمّره على جيش : لا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً (الطبري ٤/ ١٨٧) .

وكان أمير المؤمنين علي ، يأمر قوّاده في كلّ موطن يلقون فيه عدوّاً ، فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا آمرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم (الطبري ٥/ ١٠ و١١) .

ولما جرح الإمام علي ، أوصى ولده الحسن ، وقال في آخر وصيته : واما عبد الرحمن ـ أي الذي قتله ـ فإن عشتُ فسأرى فيه رأيي ، وإن متُّ ، فضربة بضربة ، ولا يمثّلن به أحد ، فإني سمعت رسول الله ينهى عن المثلة ، ولو بالكلب العقور .

وكان النبي صلوات الله عليه ، ينهى عن التحريش بين البهائم (البصائر والذخائر ١/ ٢٥٧) وينهى عن آتّخاذ شيء فيه الروح غرضاً .

وكان من جملة الوصايا التي أوصى بها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، عبد الرحمن بن نعيم ، عامله على خراسان : لا تجرّ الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدّ الشفرة على رأس الذبيحة (الطبري ٦/ ٥٧٢) .

وأورد الجاحظ في كتابه « البخلاء » بحثاً عمّن يحتال للمثلة ببدنه ، ويتّخذ من المثلة ببدنه ، أو ببدن ولده الطفل ، وسيلة للحصول على المال ، قال :

ومنهم من يحتال للصبّي حين يولد ، بأن يعميه ، أو يجعله أعشم ، أو أعضد ، ليسأل الناس به أهله ، وربما جاءت به أمّه وأبوه ، ليتولّى ذلك منه بالغرم الثقيل ، لأنّه يصير حينئذ عقدة وغلّة ، فأما أن يكتسبا به ، وإما أن يكرياه بكراء معلوم ، وربما أكريا أولادهم ممن يمضي إلى إفريقية ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم ، فإن كان ثقة مليئاً ، وإلاّ أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً (البخلاء ٤٩ و٥٠) .

وقد قرأتُ ، وسمعتُ ، أحاديث كثيرة ، عن أشخاص يحتالون ، فيزمنون أنفسهم ، بقطع أصابعهم ، أو إتلاف إحدى العينين ، بقصد التخلّص من الخدمة العسكرية ، وكان ذلك يحصل في عهد حكم العثمانيين للبلدان العربية ، لأنّ الذي كان يجنّد في ذلك الحين ، مصيره ـ في الغالب ـ الموت بعد معاناة أشدّ ألوان العذاب من الجوع والمرض وتقلّبات الطقس من حرّ وبرد ، وكان البعض منهم يحتال على الهيأة الفاحصة بأدّعاء الصمم ، وفطن أعضاء الهيأة لهذه الحيلة ، فإذا قدم عليهم المتصامم ، وجّهوا إليه أسئلة ، فيتظاهر بأنّه لا يسمع ، فيشيرون إليه بأن يخرج متظاهرين أمامه بأنّهم صدّقوا آدّعاءه ، فإذا التفت ليخرج ، رموا على حين فجأة ريالاً مجيدياً على الأرض ، فيلتفت المتصامم بحركة عكسية ، وينكشف كذبه في ادّعائه .

ويشتمل هذا الباب من المثلة ، على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ألوان من المثلة .
الفصل الثاني : المثلة بسحب الجثّة .
الفصل الثالث : المثلة بصلب الجثّة .

الفصل الأول

ألوان من المثلة

وأوّل مثلة ، حصلت في الإسلام ، جرت في موقعة أحد ، فإنّ هند ، أمّ معاوية ، والنسوة اللواتي معها ، مثّلن بالقتلى من المسلمين ، فجدعن أنوفهم ، وصلمن آذانهم ، واتّخذت هند منها خدماً وقلائد ، وبقرت هند بطن حمزة ، عمّ النبيّ صلوات الله عليه ، وأخرجت كبده ، فلاكتها ، ثم لفظتها (الاغاني ١٥/١٩٧) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/٢٧١ و١٥/١٢ : لما قتل حمزة عمّ النبيّ صلوات الله عليه ، جاءت إليه هند بنت عتبة ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، فمثّلت به ، قطعت مذاكيره ، وجدعت أنفه ، وقطعت أذنيه ، ثم جعلت ذلك مسكتين (سوارين) ومعضدين (دملجين) وخدمتين (خلخالين) حتى قدمت بذلك مكّة ، وأمرت نساء قريش ممن كنّ معها بالمثلة وبجدع أنوف وآذان من قتل من المسلمين في موقعة أحد ، فلم تبق امرأة ، إلّا وعليها معضدان ومسكتان وخدمتان .

أقول : وبذلك سمّيت هند ، آكلة الأكباد ، وكانت تعيّر بذلك ، ويعيّر به ابنها معاوية ، يقال له : ابن آكلة الأكباد ، راجع في هذا الكتاب ، الباب الأول «الشتيمة» الفصل الثالث «المعايرة» القسم الخامس «المعايرة بالأبوين» الفقرة ب «المعايرة بالامّ» .

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد روى ثمامة بن أشرس أنّه رأى قاصّاً يحدّث الناس بمقتل حمزة ، فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة ، استخرجتها ، ولاكتها ، ولم تزدردها ، فقال النبيّ صلوات الله عليه : لو آزدردتها ما مسّتها النار ، ثم رفع القاصّ يديه إلى السماء ، وقال : اللّهم أطعمنا من كبد حمزة . (العقد الفريد ٦/١٥٦) .

والظاهر إنّ معاوية بن أبي سفيان ، ورث عن والدته هذه الخصلة ، وهي الرغبة في المثلة ، بحيث اضطر عبد الله بن عامر بن كريز ، إلى أن يلقي عمامته على جثّة صديق له ، من أصحاب علّي ، قتل في إحدى معارك صفّين ، حماية له من أن يمثّل به ، وذلك الصديق ، هو عبد الله بن بديل ، وكان قد هجم يضرب الناس بسيفه ، يريد معاوية ، وصمد نحوه ، فلما آقترب منه ، نادى معاوية أصحابه ، ويلكم ، الصخر والحجارة ، إذ عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالصخر والحجارة ، حتى اثخنوه ، فسقط ، فقتلوه ، فجاء معاوية وعبد الله بن عامر ، فوقفا عليه ، فألقي عبد الله بن عامر عمامته على وجه عبد الله ، وترحّم عليه ، وكان له أخاً صديقاً من قبل ، فقال معاوية : اكشفوا عن وجهه ، فقال عبد الله : لا والله ، لا يمثّل به وفيّ روح ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه ، فإنّا لا نمثل به ، قد وهبناه لك (شرح نهج البلاغة ٥/١٩٦ و١٩٧) .

ومن المثلة قطع الرأس وحمله من موضع إلى موضع ، وأوّل رأس حمل في الاسلام ، رأس بنان الرومي ، بطريق الشام ، كان قائد الجيش الرومي الذي حارب المسلمين ، وقتل بنان في المعركة ، فقطع رأسه ، وحمل إلى أبي بكر الصديق ، فغضب ، وقال : أيستنون بفارس والروم ؟ لا يحمل إلّي رأس ، وإنّما يكتفي بالكتاب والخبر .

أمّا أوّل رأس حمل في الإسلام لرجل مسلم ، فهو رأس محمد بن أبي بكر الصدّيق ، أمير مصر ، قتله معاوية بن حديج بالاتّفاق مع عمرو بن

العاص ، وحمل رأسه إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق .

وقد وصف المؤرخون كيفية قتله قالوا : في السنة ٣٨ قتل محمد بن أبي بكر الصديق ، عامل الإمام علي على مصر ، قتله معاوية بن حديج ، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ، أسره وقد كاد يموت عطشاً ، فطلب محمد أن يسقى ماءً ، فأبى عليه معاوية ، وقال له : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ، حتى تسقى من الحميم والغساق ، أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقك بالنار ، ثم قتله ، ووضعه في جيفة حمار ، ثم أحرقه ، وذكر بعض المؤرخين أنّ محمداً كان ما يزال حيّاً عندما أحرق في جوف الحمار ، وبعث معاوية بن حديج سليماً مولاه ، بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر ألى المدينة ، ومعه قميص محمد ، فدخل به دار عثمان ، فاجتمع آل عثمان من الرجال والنساء ، وأظهروا السرور بقتله ، وأمرت « أمّ المؤمنين » أم حبيبة بنت أبي سفيان ، بكبش فشوي ، وبعثت به إلى أمّ المؤمنين عائشة ، تقول لها : هكذا شوي أخوك ، فجزعت عائشة على أخيها محمد جزعاً شديداً ، وقنتت في دبر الصلاة ، تدعو على معاوية وعمرو بن العاص ، وأخذت عيال محمد إليها ، ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواءً حتى توفيت ، ولما بلغ السيدة أسماء ، أم محمد ، خبر قتل أبنها ، وإنّه أحرق بالنار ، قامت الى مسجدها تصلّي ، وكظمت غيظها ، حتى شخب ثديها دماً ، ولما بلغ معاوية خبر قتل محمد ، أظهر الفرح والسرور ، وبلغ علياً قتل محمد وسرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، وما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب ، جزعي عليه ، كان لي ربيباً ، وكنت أعدّه ولداً ، وكان بي برّاً ، وكان ابن أخي ، فعلى مثله نحزن ، وعند الله نحتسبه ، ولما وافى معاوية بن حديج المدينة ، قامت إليه نائلة امرأة عثمان ، وقبّلت رجلة ، وقالت له : بك أدركت ثاري من آبن الخثعمية ، تعني محمد بن أبي بكر (مروج الذهب ١/٤٠٦ والولاة للكندي ٣٠ و٣١ وابن الأثير ٣/٣٥٧) .

ولما قتل عبيد الله بن زياد ، عامل الكوفة ليزيد بن معاوية ، مسلم بن عقيل ، في السنة ٦١ أمر بجثته فصلبت ، وأمر برأسه فقطع ، وبعث به إلى دمشق ، فكان أوّل قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأوّل رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق (مروج الذهب ٤٦/٢) .

ومن أشدّ ألوان المثلة إيلاماً ، ما قام به قتله الحسين عليه السلام ، في وقعة الطفّ ، إذ أوطؤا الخيل صدره وظهره ، ثم قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه ، ونصبوها على رؤوس الرماح ، إلى الكوفة ، ثم إلى دمشق ، وحمل معها نساء الحسين وبناته وأطفاله ، وتفصيل ذلك : إنّ الحسين لما ورد الطف ، في آثنين وسبعين رجلاً ، سيّر إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف ، وكتب إليه : إذا قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فلما قتل الحسين وأصحابه ، انتدب عمر بن سعد منهم عشرة ، فداسوا بالخيل بدن الحسين ، حتى رضوا صدره وظهره ، وقطعت رؤوس القتلى ، وسلبوا ما كان عليهم من الثياب ، وتركت جثثهم عارية ، ومالوا على ثقل الحسين ، ومتاعه ، فنهبوه ، ومالوا على النساء ، وكانت المرأة منهم تنازع ثوبها عن ظهرها ، حتى تغلب عليه ، فيذهب به منها ، وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى ابن زياد من ساعته ، وأقام بعد المذبحة يومين ، ثم آرتحل إلى الكوفةومعه رؤوس القتلى على أطراف الرماح ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ، ومن كان معه من الصبيان ، فآجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ، ولطمن خدودهنّ ، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال على ابن زياد ، فأبدى ابن زياد للنساء والاطفال من التشفّي والشماتة ، ما لم يكن عجيباً من أصله الدنس ، وطينته الخبيثة ، فإنّه خاطب النساء والأطفال بقوله : الحمد لله الذي فضحكم ، وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ، ثم وجّه كلامه إلى حدى الفتيات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت الفتاة ،

وقـالت لـه : لعمـري لقـد قتلت كهلي ، **وأبــرت أهلي** ، **وقـطعت فــرعي** ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هـذا فقد اشتفيت ، ونصب عبيـد الله بن زياد ، رأس الحسين بـالكوفـة ، وداروا به فيهـا ، ثم سـرح رأس الحسين ، ورؤوس أصحـابه ، مـع نساء الحسين وبنـاته وأطفـاله ألى يـزيد بن معـاوية بـدمشق ، للتفصيـل راجع الـطبري ٥/٤٠٠ ـ ٤٧٠ وابن الاثيـر ٤/٤٦ ـ ٩٤ واليعقـوبي ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٦ الاخبار الطوال ٢٣١ ـ ٢٦١ ومروج الذهب ٢/٤١ ـ ٤٧ .

ولمـا قتل الحسين عليـه السـلام ، صعـد عبيـد الله بن زيـاد المنبـر ، وقـال : الحمـد لله الـذي أظهـر الحق وأهله ، ونصـر أميـر المؤمنين يـزيـد وحـزبه ، وقتـل الكذّاب بن الكـذّاب ، الحسين بن علي وشيعته ، فلم يفـرغ من مقـاله ، حتى وثب إليـه عبـد الله بن عفيف الأزدي ، فقـال لـه : يـا ابن مرجانة ، إنّ الكذّاب بن الكذّاب هو أنت وأبـوك ، والذي ولّاك وأبـوه ، فقال عبيـد الله بن زياد عليّ بـه ، فوثب فتيـة من الأزد ، فـانتـزعـوه من الشـرط ، وأخـذوه إلى أهله ، فأرسـل عبيد الله إليـه من أتـاه بـه ، فقتله ، وصلبـه في السبخة (الطبري ٥/٤٥٨ و٤٥٩) .

ولمـا هلك يـزيـد بن معـاويـة ، خـاف عبيـدالله بن زيـاد على نفســه بالبصرة ، فـاستجار بمسعـود بن عمرو الأزدي ، فـأجاره ، وأشخص معـه من أوصله إلى مـأمنـه في الشـام ، فلمـا خـرج عبيـدالله من البصـرة ، استخلف عليهـا ، مسعود بن عمـرو الأزدي ، فخرج إلى القصـر فدخله ، فـأبت عليـه تميم ، فقال مسعود : استخلفني عبيدالله ولا أدع ذلك أبداً ، وصعد المنبر ، فـدخلت المسجـد عصـابـة فقتلت مسعـوداً حسبتـه عبيــدالله ، ومثلت بـه ، فـاتهمت الأزد بني تميم ، واتّهمت تميم الخوارج ، وأبت الأزد إلّا أن يـودي مسعـود عشر ديـات ، فتحمّلت تميم منها واحـدة ، وتحمّل الـوسـطاء التسـع البـاقيات ، وكـان إصـرار الأزد على عشـر ديـات ، لأنّهم وجـدوا في مسعـود مثلة . (أنساب الأشراب ٤/٢/ ٩٨) .

ولما قتل عبيد الله بن زياد ، إنصرف عمير بن الحباب السلمي ، وأخذ يغير على كلب ، فأمّرت كلب حميد بن حريث بن بحدل ، فلحق قوماً من قيس ، كانوا مع عمير فقتلهم ، وقطع آذانهم ، ونظمها في خيط ، ومضى بها إلى الشام . (أنساب الاشراف ٣٠٨/٥ و٣٠٩) .

وفي السنة ٦٦ وقعت بالبصرة معركة بين أنصار المختار الثقفي ، وأنصار ابن الزبير ، فأصيب في المعركة سويد بن رئاب ، وعقبة بن عشيرة الشنّي ، قتله رجل من تميم ، وقتل التميمي ، فولغ أخو عقبة في دم التميمي وقال : ثأري (الطبري ٦٨/٦) .

وكان خولّى بن يزيد الاصبحي ، القادم برأس الحسين بعد قتله ، فبعث إليه المختار قائدين من قوّاده لإحضاره ، فاختبأ في مخرجه (الكنيف) ، فطلبوه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا عليه ، فوجدوا على رأسه قوصرة ، فأخرجوه ، وأقبل المختار حين بلغه أخذه ، فقتله إلى جانب منزله ، ثم أمر به فأحرق ، فلم يبرح حتى صار رماداً (انساب الاشراف ٢٣٨/٥) .

وفي السنة ٦٧ لما انتصر مصعب بن الزبير ، بالكوفة ، وقتل المختارين أبي عبيد الثقفي ، أمر بكفّ المختار فقطعت ، ثم سمّرت بمسمار من حديد ألى جنب المسجد ، فما زالت هناك ، حتى جاء الحجّاج بن يوسف الثقفي أميراً على العراق ، ونظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفّ المختار ، فأمر بنزعها (الطبري ٩٣/٦ ـ ١١٠) .

وأمر مصعب ، فآحتزّ رأس المختار ، ووجّه به إلى عبد الله بن الزبير ، فوافى حامله مكّة بعد العشاء الآخرة ، فأتى المسجد ، وعبد الله يصلّي ، فجلس الرسول ينتظره ، فلم يزل يصلّي إلى وقت السحر ، ثم آنفتل من

صلاته ، فدنا منه ، وناوله كتاب الفتح ، فقرأه ثم نادى غلامه ، وقال له : أمسكه معك ، فقال له الرسول: يا أمير المؤمنين ، هذا الرأس معي ، قال : فما تريد ؟ قال : جائزتي ، قال : خذ الرأس الذي جئت به جائزتك ، فآنصرف الرسول خائباً (الاخبار الطوال ٣٠٨) .

وفي السنة ٦٧ في المعركة بين البصريّين بقيادة المصعب ، والكوفيّين بقيادة قوّاد المختار ، قال معاوية بن قرّة ، قاضي البصرة : انتهيت الى رجل من جند المختار ، فأدخلت سنان الرمح في عينيه ، فأخذت أخضخض عينه بسنان الرمح ، فإنّ هؤلاء كانوا عندنا ، أحلّ دماء من الترك والديلم (الطبري ٦/٩٧) .

وفي السنة ٧٢ كتب عبد الملك بن مروان ، لعبد الله بن خازم ، أمير خراسان لابن الزبير ، وعرض عليه إمارة خراسان سبع سنين ، إن بايعه وترك ابن الزبير ، فأبى ، فكتب عبد الملك إلى بكيرين وشاح أمير مرو ، يعرض عليه إمارة خراسان ، ويحرّضه على الخروج على ابن خازم ، فخلع بكير ابن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك ، فأقبل إليه ابن خازم ، إلى مرو ، وجرت بينهما معركة ، فقتل ابن خازم ، وحمل على بغل ، وقد شدوا في مذاكيره حبلاً وحجراً ، وعدلوه به على البغل (الطبري ٦/١٧٦ و١٧٧) .

ولما قتل المصعب بن الزبير ، بعث عبد الملك برأسه إلى الكوفة ، ثم بعث به إلى عبد العزيز بن مروان بمصر ، فترحّم عليه ، وردّه إلى الشام ، فنصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام ، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجة عبد الملك ، أمّ ولده يزيد ، وغسلته ، وطيّبته ، ودفنته ، وقالت : أما رضيتم بأن صنعتم ما صنعتم ، حتى تطوفوا به ، وتنصبوه في المدن ، هذا بغيٌ . (انساب الاشراف ٥/ ٣٥٠ و٣٥١) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير ، في المعركة ، في السنة ٧٣ ، تصرّف

الحجّاج بن يوسف الثقفي ، تصرّفاً بادي الخزاية ، فقد جاء إلى مسجد الكعبة ، وبرك على جثّة عبد الله ، وقطع عنقه بيده ، فقد جبن عن مواجهته حيّاً ، فبادر باحتزاز رأسه ميتاً . (العقد الفريد ٤/٤١٨) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير في المعركة، وقتل معه جمع من انصاره منهم عبد الله بن صفوان ، بعث الحجّاج برؤوسهم إلى المدينة ، فنصبوها للناس ، فجعلوا يقرّبون رأس ابن صفوان إلى رأس ابن الزبير ، كأنّه يسارّه ، ويلعبون بذلك . (العقد الفريد ٤/٤١٦) .

ولما قاتل المهلّب بن أبي صفرة ، الخوارج ، في يوم سلّى وسلّبرى ، وقتل رأس الخوارج عبيد الله بن بشير بن الماحوز ، أمر المهلّب برأس ابن الماحوز فقطع ، ووجّه بالرأس أحد الأزد إلى الحارث بن عبد الله ، عامل البصرة لابن الزبير ، فلما وصل الأزدي حامل الرأس ، إلى كربج (موضع قرب سوق الأهواز) لقيه أخوة عبيد الله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي ، بنو بشير بن الماحوز ، فقالوا له ما الخبر ؟ فقال لهم - وهو لا يعرفهم - قتل الله ابن الماحوز المارق ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه ، فقتلوه ، وأخذوا رأس أخيهم فدفنوه (شرح نهج البلاغة ٤/١٥٨ و١٥٩) .

وفي السنة ٩٦ أراد قتيبة بن مسلم ، أمير خرسان وما وراء النهر ، أن يخلع سليمان بن عبدالملك ، فلم يجبه جنده إلى ذلك ، وحاربوه ، فقتلوه ، وقتلوا معه أحد عشر رجلاً من بني مسلم ، منهم سبعة لصلب مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم ، فأخذهم وكيع بن أبي سود وصلبهم ، وقطع رؤوسهم ، وحملها إلى دمشق ، فعرضت الرؤوس على سليمان بن عبد الملك فأمر بدفنها (الطبري ٦/٥١٨ و٥١٩) .

ولما حارب نصر بن سيار ، أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني الأزدي ، وقتل جديع في المعركة ، أخذه نصر وصلبه، وصلبه إلى جانبه سمكة (الطبري ٧/ ٣٧٠) .

وفي السنة ١٢١ قتل نصر بن سيار ، كور صول سلطان الترك ، جاء أتباعه بأبنيته فأحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وخدّدوا وجوههم ، وطفقوا يبكون عليه ، فلما أمسى نصر ، وأراد الرحلة ، بعث إلى جثّة كوصول بقارورة نفط ، وأشعل فيها النار ، لئلا يحملوا عظامه ، وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله (الطبري ٧/١٧٥) .

وفي السنة ١٢١ سار نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، إلى الشاش ، فأغار عليه الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيّار ، فرمي رأس الأخرم بالمنجنيق ، إلى معسكر الترك ، فلما رأوه ضجّوا ضجْة عظيمة ، ثم آرتحلوا منهزمين (الطبري ٧/١٧٥) .

وفي السنة ١٢١ قتل عبد الملك بن قطن الفهري ، زياد بن عمرو اللخمي ، ومثّل به بأن صلبه وصلب معه خنزيراً ، وفي السنة ١٢٣ قتل عبد الملك بن قطن ، وصلب وصلبوا معه على يمينه خنزيراً وعلى يساره كلباً (نفح الطيب ١/١٩- ٢٠) .

أقول : ولي عبد الملك بن قطن الفهري الأندلس في السنة ١١٤ وكان ظالماً جائراً ، وعزل في السنة ١١٦ بعقبة بن الحجّاج، ثم وثب عبد الملك بعقبة في السنة ١٢١ فخلعه واستقرّ موضعه ، ولما هاج البربر بإفريقية ، وانتصروا على الجند الأموي ، التجأ عامل إفريقية كلثوم بن عمرو القشيري ومعه جنده ، إلى مدينة سبتة ، فحصره البربر فيها حصراً شديداً ، حتى أكلوا الكلاب والجلود ، فاستغاثوا بإخوانهم من عرب الأندلس ، فتثاقل عنهم عامل الأندلس عبد الملك ، لخوفه على سلطانه منهم ، فأشفق عليهم زياد بن عمرو اللخمي وأرسل اليهم مركبين مشحونين ميرة، فأمسكت الميرة أرماقهم ، فلما بلغ عبد الملك ما صنعه زياد ، أحضره ، وضربه سبعمائة سوط ، وسمل عينيه، ثم قتله ، وصلبه ، وصلب معه كلباً ، واتّفق أنّ بربر الأندلس، لما

بلغهم انتصار بربر إفريقية ، انتفضوا على العرب بالأندلس ، ونصبوا لهم إماماً ، وحاربوا ابن قطن ، فلما أحسّ ابن قطن بقوّة البربر ، وخاف أن يلقى منهم ما لقي جند افريقية ، راسل الجند العرب المحصورين بسبتة ، واستعان بهم على البربر في الأندلس ، وكان كلثوم عامل إفريقية ، قد مات ، فسارع بلج بن بشر القشيري، قائد الجند ، وسار بجنده لمعونة عبد الملك ، فلما وافوه أحسن إليهم ، وشرط عليهم أن يحاربوا البربر ، فإذا فرغوا من حربهم ، بارحوا الأندلس ، فأجابوه ، وعاهدوه على ذلك ، وكان البربر في جموع عظيمة ، فقارعوهم ، وظفروا بالبربر ، واستأصلوهم ، وعادوا بغنائم عظيمة ، ولما طالبهم ابن قطن بالخروج من الأندلس ، تعلّلوا عليه ، وذكّروه بما صنع بهم ، لما كانوا محصورين بسبتة ، وبما صنعه بالرجل الذي اغاثهم ، وانحاز إليهم جيش عبد الملك بن قطن ، فأخرجوا عبد الملك وهو شيخ كبير في التسعين ، كأنّ فرخ نعامة ، فقتلوه وصلبوه في السنة **١٢٣** على رأس القنطرة ، بقرطبة ، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً (نفح الطيب ١ / ١٩- ٢٢) .

وفي السنة **١٢٢** مثّل يوسف بن عمر الثقفي ، عامل العراق للأمويين، بجثّة الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ، فقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، بالكوفة ، وكان هشام بن عبد الملك ، بعث زيداً إلى الكوفة ، فاجتمع الشيعة اليه ، وبايعه منهم أربعون ألفاً ، وقالوا له : نحن نضرب عنك بأسيافنا ، وحلفوا له الأيمان المغلظة ، وجاء إليه مسلمة بن كهيل ، فقال لزيد : أنشدك الله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً، قال : فكم بايع جدّك ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : فكم بقي معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتك الله أنت خير أم جدّك ؟ قال : جدّي ، قال : فهذا القرن خير أم ذلك القرن ؟ قال : ذلك القرن، قال : افتطمع أن يفي لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ؟ وكتب اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، يصدّه عن الخروج ، فلم يصغ إليه ، وأمر أصحابه بالإستعداد ، وألحّ يوسف بن عمر ، عامل العراق ،

في البحث عنه ، فخاف أن يؤخذ ، وتعجّل في خروجه ، فلما خرج كان مجموع من وافاه مائتين وثمانية عشر رجلاً ، واشتبك مع جند الشام في عدّة معارك ، في داخل الكوفة ، كان الظفر فيها له ، وحمل نابل بن فروة العبسي ، من أهل الشام ، على نصر بن خزيمة ، من اصحاب زيد ، فضربه بالسيف فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ولم يلبث نصر أن مات ، وحمي الوطيس فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري ، بين يدي زيد قتالاً شديداً حتى قتل ، ثم رمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فثبت في دماغه ، فأحضروا له طبيباً ، فانتزع النصل ، فلما نزع منه النصل مات، فدفنه أصحابه في نهر يعقوب ، سكر أصحابه الماء ، ودفنوه، ثم أجروا الماء ، فدلّ يوسف على قبره ، فاستخرجه ، وقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق وزياد النهدي، وبعث الرأس الى هشام ، فعلّق على باب دمشق ، ثم أرسل الى المدينة ، وبقي البدن مصلوباً ، إلى أن مات هشام ، وولي الوليد بن يزيد ، فأمر به فانزل وأحرق (ابن الأثير ٥/٢٢٩-٢٤٧).

ولما قتل الوليد بن يزيد في السنة ١٢٦ ، أقبل ابو الأسد ، مولى خالد القسري ، فسلخ من جلد الوليد قدر الكفّ ، وأخذها إلى يزيد بن خالد القسري ، وكان يزيد محبوساً في عسكر الوليد (الطبري ٧/ ٢٥٠).

ولما قتل الوليد ، احضر رأسه الى خلفه ابن عمّه ، يزيد بن الوليد ، فأمر بأن ينصب الرأس على رمح ، وطافوا به في مدينة دمشق ، وأدخلوه في دار أبيه ، فصاح النساء وأهل البلد ، ثم ردّوه إلى يزيد (الطبري ٧/٢٥١ والعيون والحدائق ٣/١٤٤).

ونبش عبدالله بن علي العباسي ، عمّ السفاح والمنصور ، قبور الموتى من بني أميّة ، وقد وردت أخبار نبش هذه القبور في عدّة كتب ، فجمعتها ، ووحدّتها ، وقد نبش قبر معاوية بن أبي سفيان ، فلم يجد فيه إلا خيطاً مثل

الهباء ، ونبش قبر يزيد بن معاوية ، فوجد فيه عظماً واحداً ، ووجد في لحده خطّاً أسود كأنّما خطّ بالرماد بالطول في لحده ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان ، فلم يجد فيه إلَّا شؤون رأسه ، ونبش قبر الوليد بن عبد الملك ، فما وجد في قبره قليلاً ولا كثيراً ، ونبش قبر سليمان بن عبد الملك ، فلم يجد فيه إلَّا صلبه وأضلاعه ورأسه ، فاحرقها ، وانتهى إلى قبر هشام بن عبد الملك ، فاستخرجه صحيحاً ، ما فقد منه إلَّا خرمة أنفه ، فضرب الجثّة ثمانين سوطاً ، ثم أحرقها ، ثم تتبّع قبور بني أميّة في جميع البلدان ، فأحرق ما وجد فيها (ابن الأثير ٥/٤٣٠ والعيون والحدائق ٣/٢٠٦- ٢٠٧ ووفيات الأعيان ٦/١٠٩- ١١٠ ومروج الذهب ٢/١٦٣).

ولما فتح عبدالله بن علي العباسي ، الشام ، نبشت قبور بني أمية ، في دمشق وغيرها ، وأحرقت بالنار ، ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبد العزيز ، في دير سمعان ، اعترافاً بفضله وتقواه (خطط الشام ١/١٧٣).

وكان التتر الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية في القرن السابع ، لا يكتفون بقتل من قاتلهم ، وإنما كانوا ينبشون قبور من دفن من الملوك ، ويحرقون رممهم ، صنعوا ذلك برمّة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ، نبشوها من قبره بقلعة ازدهن وأحرقوها ، وكذلك صنعوا برمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، فإنّهم نبشوا قبره ، وأخرجوا عظامه وأحرقوها (تاريخ ابي الفدا ٣/١٥٠).

ولما أراد المنصور أن يعقد لابنه المهدي احب ان تقول الشعراء في ذلك فانشده أبو نخيلة أرجوزة ، فوصله ، وهرب ابو نخيلة ، من عيسى بن موسى وخرج يريد خراسان ، فجرّد عيسى خلفه، مولى له يقال له : قطري ، ومعه عدّة من مواليه ، فلحقه في طريق خراسان ، وكتّفه، وأضجعه، فلما وضع السكّين على أوداجه ، قال له : يا ابن اللخناء ، ألست القائل :

علقت معالقها وصرّ الجندب

ثم ذبحه وسلخ وجهه ، وألقى جسمه الى النسور . (الأغاني ٢٠ / ٣٩٠و٤٢٢) .

واتّهم المهدي ، صالح بن عبد القدوس ، الشاعر الحكيم ، بالزندقة، وضربه بالسيف ، بيده ، فشطره شطرين، وعلّق بضعة أيّام للناس ، ثم دفن (معجم الأدباء ٤ / ٢٦٨) .

وفي السنة ١٦٩ بلغ الخليفة العباسي ، أنّ واضح بن عبدالله المنصوري الخصي ، أمير مصر ، أعان إدريس العلوي على النفوذ الى المغرب ، فأحضر واضحاً إلى بغداد، وقتل وصلب. (النجوم الزاهرة ٢ / ٤١) .

ولما انتهت المعركة بين جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان ، وجيش المأمون، بقيادة طاهر بن الحسين، وقتل علي بن عيسى بن ماهان ، وجيء برأسه إلى طاهر ، جاءوا من بعد ذلك بجثّته ، محمولة على خشبة على حمار ، وقد شدّت يداه إلى رجليه ، فأمر به طاهر، فلفّ في لبد ، وألقى في بئر . (الطبري ٨ / ٣٩٤) .

وفي السنة ٢١٤ دخل أبو اسحاق بن الرشيد (المعتصم) مصر ، وكان يليها لأخيه المأمون ، وبعث في طلب اثنين اشعلا فيها الفتنة ، فأحضرهما ، وهما عبدالله بن حليس ، وعبد السلام بن أبي الماضي ، فقيّدهما ، وسجنهما ، وأقامهما للناس ، ثم قتلهما ، وصلبهما فقال معلّى الطائي ، يصف حالهما على المشنقة : (الولاة للكندي ١٨٨- ١٨٩) .

إنَّ الحليسيّ غدا سابقاً ... في حلبة الجسرين قد قَصَّبا
على طمرٍ ماله أرّجل ... من صنعة النجّار قد شذّبا
وليس يدري عند إلجامه ... من أثغر الطرف ومن لبّبا
مسمّر الخلق أمون الشوى ... يأنف أن يأكل أو يشربا

ولـو سـرى لـيـلتـه كـلّهـا ... مـا جـاوز الجسـر ولا قـرّبـا
لـو كـان من بعض نخيـل القـرى ... كـان أبـو القـاسم قـد أرطبـا
كـسـا أبـو اسـحـاق أوداجـه ... أبيض لا يعتـب من أغـضبـا
وقـد سقى عبـد السـلام الـردى ... فـكـيـف بـالله إذا جـرّبـا

ولما قتل المأمون عليّ بن هشام في السنة ٢١٧ ، طيف برأس علي في العراق ، وخراسان ، والشام ، ومصر ، ثم ألقي في البحر (ابن الأثير ٦/٤٢١).

أقول : راجع في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب (القتل) ، الفصل الأول (القتل بالسيف) ، القسم الأول (القتل فتكاً)، قصّة قتل عليّ بن هشام ، وقد أدرجنا ما ورد في الرقعة التي علّقت عليه لما قتل ، توضح سبب قتله .

وكان العباس بن الفضل ، المعروف بابن بربر ، المقيم بصقلية ، كثير الغزو في البرّ والبحر ، وظفر أسطوله في إحدى المعارك البحرية مع الروم ، فاستولى على مائة سفينة تحمل نجدات لمدينة سرقسطة ، وكان شديد الوطأة على الروم ، وتوفّي في السنة ٢٤٧ في موضع قريب من مدينة سرقسطة ، فدفن حيث مات ، فنبش الروم قبره ، وأخرجوا جثته ، وأحرقوها (الاعلام ٤/٣٨).

وفي السنة ٢٥٩ دخل يعقوب بن الليث الصفّار ، نيسابور ، وحبس جميع آل طاهر ، وأرسل وفداً إلى الخليفة ببغداد يطلب ضمّ خراسان الى عمله ، وبعث معهم رأساً على قناة ، علّقت عليه رقعة فيها : هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجي بهراة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث (الطبري ٩/٥٠٧).

وكان الزنج الثائرون ، اتباع الورزنيني ، بالبطائح ، في العراق ، إذا

انتهت المعركة تقاسموا لحوم القتلى من خصومهم ، وتهادوها بينهم (الطبري ٩/ ٤٩٤).

وفي يوم من أيّام المعارك بين الجيش العباسي ، وأتباع صاحب الزنج ، أسر من الزنج بطهيثا ، أحمد بن موسى بن البصري ، المعروف بالقلوص ، وكان من أجلّاء قوّاد الزنج ، وكان مثخناً بالجراح ، فمات ، فأمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ، ونصبه على جسر واسط (شرح نهج البلاغة ٨/ ١٧٦- ١٧٧).

وفي إحدى المعارك بين الموفّق أبي أحمد وبين صاحب الزنج ، قتل من الزنج خلق كثير ، وأسر منهم جماعة ، فأمر أبو العباس (المعتضد فيما بعد) فعلّقت رؤوس المقتولين في الشذا (السفن الصغيرة) وصلب الأسرى أحياء فيها ، واعترض بهم مدينتهم إرهاباً لأصحابهم، واتصل بأبي أحمد أنّ صاحب الزنج موّه على أصحابه ، وقال لهم : إنَّ هذه الرؤوس المعلّقة في الشذا ، هي مثل (تماثيل) وليست رؤوس قتلى ، فأمر أبو أحمد بالرؤوس فجمعت ، ورماها بالمنجنيق إلى صاحب الزنج ، فلما سقطت عندهم ، ورأى أصحابه رؤوس قتلاهم، علا بكاؤهم وصراخهم (شرح نهج البلاغة ٨/ ١٨٩).

وفي إحدى المعارك مع صاحب الزنج ، جاء البشير إلى أبي أحمد ، بأنّ صاحب الزنج قد قتل ، ووافاه بشير آخر ، ومعه كفّ زعم أنّها كفّ صاحب الزنج ، ثم جاءه غلام من غلمان لؤلؤ ، يركض ومعه رأس صاحب الزنج ، فألقاه بين يديه ، فعرضه الموفق على من كان حاضراً عنده من قوّاد الزنج المستأمنين ، فعرفوه ، وشهدوا أنّه رأس صاحب الزنج ، فأمر برفع الرأس على قناة ، ونصبه بين يديه ، ثم انصرف إلى الموفّقية ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة ، وسليمان بن جامع ، والهمذاني ، من كبار قوّاد صاحب الزنج ، مصلوبين أحياءً في شذاتين عن جانبيه ، حتى وافى قصره بالموفّقية ، ثم بعث بالرأس مع ولده أبي العباس

(المعتضد) إلى بغداد ، فدخل المدينة ، ومعه رأس صاحب الزنج بين يديه على قناة (شرح نهج البلاغة ٨/ ٢١٠- ٢١٢) .

وفي السنة ٢٧٢ كانت للزنج حركة بواسط ، وصاحوا : انكلاي يا منصور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وكان انكلاي وآخرون من كبار قوّاد صاحب الزنج وهم المهلّبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخرون معهم من قوّاد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبدالله بن طاهر بمدينة السلام ، فكتب الموفّق فيهم ، إلى فتح أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستّة ، فدخل إليهم فتح ، فجعل يخرج الأوّل ، فالأوّل منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطرحت أجسادهم فيها ، وسدّ رأسها ، ووجّه برؤوسهم إلى الموفّق ، ثم ورد كتاب من الموفّق بصلب جثثهم ، فأخرجوها من البالوعة ، وقد انتفخت ، وتغيّرت روائحها ، وتقشّر بعض جلودها ، فحملوا في المحامل ، وصلب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي، وثلاثة بالجانب الغربي ، وكان صلبهم بحضرة الأمير محمد بن طاهر وهو راكب . (الطبري ١٠/ ١١) .

وأنكر المعتضد ، أمراً ، من أسود كان يعمل مع الصنّاع ، فأحضره ، وساءله ، فاعترف له بأنّه كان يعمل في أتاتين الآجرّ (كور الطابوق)، واجتاز به رجلٌ ، فوجده يحمل دنانير ، فأمسكه وكمّ فاه ورماه في نقرة الأتّون ، وأخذ دنانيره ، فأمر به المعتضد ، فضربت عنقه ، ورميت جثّته في الأتّون (الأذكياء ٤٢) .

وفي السنة ٢٨٧ خرج العباس بن عمرو الغنوي على رأس جيش من البصرة لقتال القرامطة ، فلقيهم أبو سعيد القرمطي ، فاستأسر العباس ، وأسر من أصحابه سبعمائة رجل ، فلما كان من الغد أحضر الجنّابيّ الأسرى، فقتلهم جميعاً ، ثم امر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم ، ثم منّ على العباس الغنوي ، وأطلقه وحده وبعثه برسالة إلى المعتضد . (الطبري ١٠/ ٧٧- ٧٩) .

أقول : للاطلاع على القصّة مفصّلة ، وعلى الرسالة ، راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلّف ج ٤ ص ١٣٠- ١٣٢ رقم القصة ٤/٦٢ .

وفي السنة ٣٠٣ خرج الحسين بن حمدان على المقتدر ، وقطع الحمل ، فحاربه مؤنس المظفر ، وأسره ، وأدخله إلى بغداد مشهراً ، حيث أودع الحبس في دار الخلافة ، فتحرّك أحد أولاد الحسين ، وجمع جمعاً ، وحاصر آمد ، فأوقع به مستحفظها ، وقتله، وأنفذ رأسه الى الحضرة (أي بغداد) (ابن الأثير ٨/٩٢- ٩٤) .

وفي السنة ٣٠٤ خرج على السلطان ، خالد بن محمد المادرائي ، وكان يتولّى الخراج بكرمان ، وسار منها إلى شيراز يريد التغلّب على فارس ، فخرج إليه بدر الحمامي ، فحاربه ، وقتله ، وحمل رأسه الى بغداد، وطيف به (ابن الأثير ٨/١٠٦) .

وفي السنة ٣٠٩ لما قتل الحلاّج ، ضرب ألف سوط ، ثم قطعت أطرافه ، ثم قطعت عنقه ، ثم أحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة (المنتظم ٦/١٦٣) .

وهويت جارية للوزير علي بن عيسى ، غلاماً للشاعر أبي بكر بن العلاف الضرير ، ففطن بهما ، فقتلا جميعاً، وسلخا ، وحشيت جلودهما تبناً ، فرثى ابن العلاف غلامه بقصيدته المشهورة ، وكنى عنه بالهرّ ، ومطلعها : (النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٠) .

يا هرّ فارقتنا ولم تَعُدِ   وكنتَ منّا بمنزل الولد

وفي السنة ٣٣١ استقدم الأمير نوح الساماني ، محمد بن أحمد النسفي البردهي ، وكان قد طعن عليه عنده ، فقتله ، وصلبه ، فسرق من الجذع ، ولم يعلم من سرقه (ابن الأثير ٨/٤٠٤) .

وفي السنة ٣٣٦ قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد النزناتي البربري ، الثائر بإفريقية ، وكان قد عظم أمره ، واستولى على رقادة والقيروان وسوسة ، وحصر باغاية ، ثم تراجع، وحصر في قلعة كتامة ، ثم حمل الى المنصور جريحاً ، فمات من جراحه ، فأمر المنصور فصنع له قفص ، وسلخ جلده ، وحشي تبناً ، وجعلوا معه قردين يلعبان عليه (ابن الأثير ٨/٤٢٢ـ ٤٤١).

وفي السنة ٣٤١ دخل الأعراب إلى الجامع بالمحوّل ، وأخذوا ثياب الناس، ثم قصدوا الحارثيّة ، وقتلوا ونهبوا ، فأخذ شحنة العراق أكثرهم ، وقطع رؤوسهم، وبنى بها قبّة عند الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ، ليعتبر بهم كلّ مفسد (تاريخ العراق للعزاوي ١/٣٤١).

وفي السنة ٣٧٧ سار المنصور بن يوسف صاحب إفريقية ، إلى كتامة ، لأنّ داعيةً فاطمياً جاء إليهم ، ودعاهم إلى محاربة المنصور ، فقابلهم في مدينة سطيف ، فاقتتلوا اقتتالاً عظيماً ، فانهزمت كتامة ، وهرب أبو الفهم ، الداعية الفاطمي إلى جبل وعر ، فيه قوم يقال لهم بنو إبراهيم ، فأرسل اليهم المنصور يتهددهم إن لم يسلموه ، فقالوا : هو ضيفنا، ولا نسلمه ، ولكن أرسل أنت فخذه ، ونحن لا نمنعه ، فأرسل فأخذه ، وضربه ضرباً شديداً ، ثم قتله ، وسلخه ، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه ، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة (ابن الأثير ٩/٥٣ـ ٥٤).

وفي السنة ٣٨٠ هاجم باد الكردي ، الموصل ، ونشبت معركة بينه وبين الحمدانيين ، أصحاب الموصل ، فسقط باد عن فرسه ، وانكسرت ترقوته ، وقتل، فصلب الحمدانيّون بدنه على باب دار الإمارة بالموصل، فثار العامّة بالموصل ، وقالوا : هذا رجل غازٍ فلا تحلّ المثلة به ، فحطّ، وكفّن، وصلّي عليه ، ودفن ، وظهر من محبّة العامة له بعد هلاكه شيء طريف (ابن الأثير ٩/٧٠ـ ٧١ وذيل تجارب الأمم ١٧٦ـ ١٧٨).

وفي السنة **٣٩٥** أمر الحاكم الفاطمي ، بالقاضي الحسين بن علي بن النعمان بن حيون وبأبي الطاهر المغازلي ، وبمؤذّن القصر ، فضربت أعناقهم ، وأحرقت جثثهم عند باب الفتوح ، وكان سبب قتله القاضي أنّه ملأ عينه ويده ، وشرط عليه أن يعفّ عن أموال الناس، ثم وجد عليه خيانة ، فقتله ، (أخبار القضاة **٥٩٦ـ ٥٩٩**) .

وفي السنة **٤٠٢** قتل حباسة بن ماكسن الصنهاجي ، وكان شجاعاً، بهمة من البهم ، في موقعة خارج قرطبة، بين البربر وبين الموالي العامريين ، ولما قتل احتزّوا رأسه ، وعجلوا به إلى قصر السلطان ، وأسلموا جسده للعامّة ، فجرّوه في الطرقات والأسواق ، وقطعوا بعض أعضائه، ثم أوقدوا له ناراً ، وأحرقوه (الاحاطة **٤٩٤ـ ٤٩٥**) .

وفي السنة **٤١٤** في يوم النفر الأول بمكّة ، وقد فرغ الإمام من الصلاة ، فنهض رجلٌ من مصر ، بأحدى يديه سيف مسلول ، وبالأخرى دبّوس، وقصد الحجر الأسود ، فضرب الحجر ثلاث مرات ، وهو يقول : إلى متى يعبد الحجر الأسود ؟ فثار به رجل فقتله بخنجر ، وقطّعه الناس وأحرقوه ، وقتلوا ممن اتّهم بمصاحبة جماعة، وأحرقوهم . (ابن الأثير **٣٣٢/٩ـ ٣٣٣**) .

وفي السنة **٤٥١** قتل القائد التركي أرسلان البساسيري ، وقطع رأسه ، وحمل إلى دار السلطان ، فأمر بحمله إلى دار الخلافة ، فنظّف ، وغسل ، وجعل على قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي ، وكان البساسيري من أعظم قوّاد الدولة العباسية في عهد القائم ، فأفسد بينه وبين الخليفة ، المدعو رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، فبارح البساسيري بغداد ، ثم دخلها فاتحاً باسم المستنصر الخليفة الفاطمي ، ولما استولى البساسيري على بغداد أحسن الى الناس ، وأجرى الجرايات على المتفقّهة ، ولم يتعصّب لمذهب ، على خلاف رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان شديد التعصّب على الشيعة ، حتى إنّه قتل بعضهم من أجل التشيّع ، وأفرد البساسيري لوالدة القائم داراً ،

وكانت قد قاربت التسعين . واعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجرى لها جراية ، فلما عاد السلطان طغرل بك الى بغداد سيّر جيوشاً لقتال البساسيري ، فقاتل حتى قتل ، وحمل رأسه إلى دار السلطان، فأمر بحمله إلى دار الخلافة ، فنظّف، وغسل ، وجعل على قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي (ابن الأثير ٩/ ٦٤٠- ٦٤٩).

ولما قتل الوزير نظام الملك في السنة ٤٨٥ اتّهم أصحابه تاج الملك ، مستوفي السلطان ، بأنّه هو المحرّض على قتله ، وبينما كان تاج الملك يستعدّ ليكون وزيراً للسلطان ملكشاه خلفاً لنظام الملك، هجم عليه جماعة من أتباع نظام الملك ، فقتلوه ، وفصّلوه أجزاء ، وحملت إلى بغداد إحدى أصابعه ، وكان عمره حين قتل سبعاً وأربعين سنة (**ابن الأثير ١٠ /٢١٦**).

وفي السنة ٤٩٢ قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين بنيسابور ، فاتّهم العامة أبا البركات الثعلبي بأنّه سعى في قتله ، فوثبوا به فقتلوه ، وأكلوا لحمه (ابن الأثير ١٠/ ٢٩١).

وفي السنة ٥٠٠ فتح السلطان محمد السلجوقي قلعة شاه دز ، وعذب صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، بسلخ جلده وهو حيّ ، وقتل معه ولده ، وأمر بحمل رأسي الأب والإبن إلى بغداد (ابن الاثير ١٠/ ٤٣٣ - ٤٣٤) .

وفي السنة ٥٢٩ وقعت بدايمرج ، معركة بين الخليفة المسترشد ، والسلطان مسعود السلجوقي ، فانكسر جيش المسترشد وأسر ، وأنزل في خيمة ، وغفل عنه حرّاسه ، فدخل عليه أربعة وعشرون رجلاً ، قيل أنّهم باطنيّة ، وقتلوه ، ووجد في جسده ما يزيد على عشرين جرحاً كما أنّهم مثّلوا به فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه ، وتركوه عرياناً ، وقتلوا معه نفراً من أصحابه . (ابن الاثير ١١/ ٢٧) .

وفي السنة **٥٣٦** توفّي إبراهيم السهاوي ، مقدّم الإسماعيلية ، فأحرقه ولد عباس صاحب الريّ ، في تابوته (ابن الاثير ١١/ ٨٩) .

وفي السنة **٥٦٩** حصلت معركة بين جيش الخليفة ، وبين ابن سنكا ، ابن أخي الأمير شملة ، صاحب خوزستان ، فظفر جيش الخليفة ، وأسر ابن سنكا ، ثم قتل ، وحمل رأسه ألى بغداد ، فعلّق بباب النوبي (ابن الاثير ٤٠٩/١١) .

وفي السنة **٥٧٤** كبس بالكرخ على رجل يقال له أبو السعادات ابن قرايا ، كان ينشد على الدكاكين ، وكان من الرفّض (أي الشيعة) فأخذ، فقطع لسانه ، بكرة يوم الجمعة ، وقطعت يده ، ثم حطّ إلى الشطّ ليحمل إلى المارستان ، فضربه العوام بالآجر في الطريق ، فهرب إلى الشطّ ، فجعل يسبح وهم يضربونه حتى مات ، ثم أخرجوه وأحرقوه ، ورمي باقيه إلى الماء (المنتظم ١٠/ ٢٨٦) .

وفي السنة **٥٩٠** اشتبك خوارزم شاه علاء الدين تكش ، والسلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن ملكشاه السلجوقي ، في معركة عنيفة ، وكان طغرل شجاعاً ، فحمل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه ، وقتلوه ، وحمل رأسه إلى خوارزم شاه ، فسيّره الى بغداد ، حيث نصب بباب النوبي ، عدّة أيّام (ابن الاثير ١٢/ ١٠٧ و١٠٨) .

وفي السنة **٥٩١** كان نائب الوزارة ببغداد مؤيّد الدين ابن القصّاب ، قد استولى على خوزستان ، ثم سار منها إلى ميسان ، ثم آستولى على كرمان شاهان ، ثم همذان ، فخرقان ، فمزدغان ، فساوه ، فآوه ، وآستقرّ في الريّ ، ثم توفيّ في همذان ، وآشتبك جيشه مع جيش خوارزم شاه ، فآنكسر جيش الخليفة ، وعاد خوارزم شاه فملك همذان ، ونبش الوزير من قبره ، وقطع رأسه ، وسيّره إلى خوارزم ، وآدّعى أنّه قتله في المعركة (ابن الاثير ١٢/ ١٠٨ ـ ١١٢) .

وفي السنة ٦٠٣ اختلف شابان ببغداد ، وجرى بينهما كلام بسبب امرأة مغنّية ، فجرح احدهما الآخر ، وبقي المجروح ليلة ومات ، فقبض على الجارح ، وأخذه أخو المجروح وجماعة من إنسبائه إلى قراح ابن رزين ، وقتلوه هناك ضرباً بالسيوف ، ثم وطئوه بالخيل ، وبقي أربعة أيام ملقى ، لا يؤذن لأهله في دفنه (الجامع المختصر ١٩٩ ، ٢٠٠) .

وفي السنة ٦٥٨ استولى التتار على ميافارقين ، وقتلوا ملكها السلطان الملك الكامل محمد بن المظفّر غازي بن العادل ، وقطعوا رأسه ، وحملوه على رمح ، وطيف به البلاد ، ومرّوا به على حلب وحماة ، ووصلوا به إلى دمشق ، فطافوا به بالمغاني والطبول ، وعلّق الرأس في شبكة بسور باب الفراديس ، إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين ، فدفن بمشهد الحسين (تاريخ ابي الفدا ٢٠٣/٣) .

ورفع أحمد بن بقا الشربدار الواسطي ، على الصاحب علاء الدين ، فحبسه ، ثم أشهره ، وفي آخر النهار قطع رأسه ، ووضع مكانه رأس معز بلحيته ، وطيف به، وأحرق العوام جثّته ، ورفع رأسه على خشبة ، وطيف به (الحوادث الجامعة ٤٠١) .

وفي السنة ٦٦٢ قبض ببغداد على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري ، وأخرج مكتوفاً راجلاً إلى ظاهر بغداد ، حيث حوكم في خيمة هناك ، وقتل ، وأخذ ابن الدواتدار مرارته ، وطيف برأسه على خشبة ، ونهبت داره (تاريخ العراق للعزاوي ٢٤٧/١) .

وكان مجد الملك ، قد رفع على الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ، ثم تغيّر الحال بموت السلطان ، فآعتقل مجد الملك ، وسلّم إلى الصاحب علاء الدين ، فتولّى ابن أخيه شرف الدين هارون قتله ، وحملت أطرافه إلى البلاد ، وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد ، وشوي الخربنديّة لحمه ، وأكلوا منه ، وشربوا الخمر في قحف رأسه (الحوادث الجامعة ٤١٩) .

وفي السنة ٦٨٦ دخلت العرب في يوم جمعة إلى الجامع بالمحوّل ، فأخذوا ثياب كل من كان فيه ، ثم قصدوا ناحية الحارثية وكبسوها ليلاً ، وأخذوا ما قدروا عليه ، وقتلوا جماعة من أهلها ، فلم يزل شحنة بغداد يفحص عنهم ، حتى ظفر بأكثرهم ، وضرب أعناقهم ، وبنى رؤوسهم في قبّة الجسر ، وجعل وجوههم ظاهرة ، ليعتبر بها كلّ مفسد (الحوادث الجامعة ٤٥٢) .

وفي السنة ٦٩٣ ، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حصلت بالقاهرة ، فتنة بين الأمراء ، وانتهت بقتل الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، وطيف برأسه في القاهرة ومصر ، وكان الرأس على رمح ، وطاف به المشاعلية ، وجبوا عليه القاهرة ، ومصر ، والشوارع ، والأزقّة ، والطرقات ، ويقال أنّ بعض أهل مصر ، دفع إلى المشاعلية جملة فضّة ، حتى أخذ منهم الرأس ، ودخل به إلى بيته ، وضربه بالمداس ، وبعض الناس صفعوا الرأس في الطرقات ، وفعل الناس به ما أرادوا من ضرب وصفع وسبّ ، وكان مع المشاعلية برنية لتحصيل ما يجبي من الناس على رأس الشجاعي ، وأنّ البرنية ملئت ثلاث مرّات ، وكان سبب كره الناس للشجاعي ، لسوء أفعاله ، وظلمه ، ومصادراته ، وعسفه (تاريخ ابن الفرات ١٨٢/٨ و١٨٣) .

وفي السنة ٦٩٣ توجّه شمس الدين محمد السكورجي ، إلى السلطان كيخاتو ، وأخبره بمظالم الأمير بايدو ، فغضب على بايدو وأمر بحبسه ، ثم كلّم فيه فأطلقه ، وفي السنة ٦٩٤ قتل كيخاتو ، وتسلطن بايدو فكان أوّل ما فعله أن بعث أميراً إلى بغداد فقبض عى محمد السكورجي ، وأبيه ، وأخيه ، وعمّه ، وجميع أهل بيته وأصحابه ، ونهب أموالهم وجميع ما في دورهم ، وحمل محمداً إلى بايدو ، حيث قتل ، وقطّعت أعضاؤه ، وحمل رأسه ألى بغداد ، مع يديه ، وعلّقت على الجسر (تاريخ العراق للعزاوي ٣٥٧/١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥) .

وفي السنة ٦٩٤ قتل فخر الدين مظفّر بن الطراح ، من رجال العصر المغولي في العراق ، كان صدر واسط والبصرة ، ثم صدر الحلّة والكوفة والسيب ، ثم قبض عليه ، وحبس في بغداد ، وقتل ، وطيف برأسه في شوارع واسط ، وعلّق على جسرها . (الاعلام ١٦٣/٨) .

وفي السنة ٧٠٢ كانت معركة بين جيش التاتار ، وجيش السلطان محمد بن قلاوون ، صاحب مصر والشام ، وانكسر التاتار ، وقتل منهم كثير ، وجيء بالأسرى إلى القاهرة ، وعددهم ألف وستمائة أسير، وقد علّق في عنق كلّ واحد منهم ، رأس أحد القتلى من التتار ، كما حمل أمامهم ألف رأس على ألف رمح ، وكانت طبولهم أمامهم مخرّقة (النجوم الزاهرة ١٦٧/٨) .

وفي السنة ٧١٦ اتّهم الوزير رشيد الدولة فضل الله ، وزير السلطان خربندا بأنّه أساء تطبيب السلطان ، فأدّى ذلك إلى موته ، فقتل الوزير ، وفصلت أعضاؤه ، وبعثوا إلى كلّ بلد بعضو ، وأحرقوا بقية جسده ، وحمل رأسه إلى تبريز ، ونودي عليه : هذا رأس اليهودي الملحد (الدرر الكامنة ٣١٥/٣) .

وولّى السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، غياث الدين بهادور ، على بورة ، وشرط عليه أن يصرف إليه ولده رهينة عنده ، فلم يبعث ولده ، فبعث إليه جيشاً ، فقتلوه وسلخوا جلده ، وحشوه بالتبن ، وطافوا به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٩٦/٢) .

ولما قبض السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، على الأمير بهاء الدين كشت آسب ، وهو إبن أخت السلطان تغلق ، والد محمد ، قتله ، وأمر فحشي جلده بالتبن ، وطيف به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٩٧/٢ و٩٨) .

وفي السنة ٧٤٨ توفّي الأمير شجاع آغرلو ، من أمراء المماليك بمصر ،

وكـان ظالماً، حتى إنّـه قتل في مـدّة أربعين يـومـاً ، واحـداً وثـلاثين أميـراً ، فاعتقل ، وقتل ، وقام الحرافيش في القاهـرة ومصر ، بنبش قبـره ، وأخرجـوا جثّتـه ، ومثّلوا بهـا ، ونـوّعـوا بـه المثلة والنكـال ، فغضب السلطان ، وأمـر الأوشاقية ، فقتلوا منهم ، وقطعوا ، فكان الأمير آغرلو مشؤوماً في حياتـه وبعد مماته (الوافي بالوفيات ٩/٢٩٥ و٢٩٦) .

وفي السنة ٧٦٣ قتل السلطان أبو عبد الله محمد بن اسماعيـل بن فرج النصري، صاحب غرناطة ، وكان قـد لجأ إلى صـاحب قشتالة ، فقتله ، وقتل أصحـابه الثلثمـائة، وقـطع رؤوسهم ، وبعث بها إلى غـرناطـة ، حيث نصبت على سور قلعة الحمراء (الاحاطة ٤٠٦ ـ ٤١٢ و٥٣١ ـ ٥٤٠) .

وفي السنة ٧٧٦ مثّل بجثة الوزير الأديب الأريب الشاعر لسان الـدين بن الخطيب ، إذ تآمر عليه خصومه في غـرناطـة ، ووافقهم صاحب المغـرب ، فحبس ، وخنق في حبسه ، ثم أخذت جثّته من الغد ، فـأضرمت فيهـا النار ، فآحترق شعره وبشرته ، راجع التفصيل في هذا الكتاب في الباب الثاني عشر : القتل بكتم النفس ، الفصل الأول : القتل خنقاً .

وفي السنة ٨٦١ دخل شخص إلى خيمة المولى علي المشعشـع ، وحزّ رأسـه ، وأخـذت جثّتـه ، فسلخت ، وحشيت تبنـاً ، وأرسلت إلى بغـداد ، وحمل الرأس إلى جهان شاه (تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ١٥٠) .

وفي السنة ٨٠٣ أرسل تيمورلنك إلى أمير حلب ، رسولاً ، وكان الأمير سودون نائب السلطنة بدمشق ، موجوداً هنـاك ، فعمد إلى الـرسول فقتله قبـل أن يدلي برسـالته ، وضـرب رأسه على رؤوس الأشهـاد ، فلما بلغ تيمـور أنّ رسـوله قـد قتل ، هـاجم حلب ، وآستولى عليهـا ، وآسـرف جيشـه في قتـل الـرجـال والنسـاء ، ولجـأ كثيـر إلى المسـاجـد ، فقتلوا فيهـا ، حتى صـارت المسـاجد كـالمجازر من كثرة القتلى ، وصارت الأرض لا تـوطأ إلّا على جثّـة

إنسان ، وبنى من رؤوس القتلى عشرة مآذن ، دور كل مأذنة عشرون ذراعاً ، وصعودها في الهواء مثل ذلك ، وجعلوا الوجوه فيها بارزة ، وتركوا أشلاء القتلى تنهشها الكلاب ، وكان عدّة من قتل من أهل حلب ، نحواً من عشرين ألف إنسان ، هذا فضلاً عمّن هلك تحت الأرجل عند آقتحام أبواب المدينة ، أو من هلك من الجوع والعطش (اعلام النبلاء ٢/٤٩٤ ـ ٤٩٨) .

وفي السنة ٨٣٩ قتل الأمير عثمان بن قطلوبك التركماني ، صاحب دياربكر وآمد وماردين ، ويعرف بقرايلوك ، وكان قتله أثناء آشتباكه في معركة مع الأمير اسكندر بن قرايوسف ، وكانت المعركة خارج أرز الروم (أرضروم) فألقى قرايلوك بنفسه إلى الخندق ، فوقع على حجر شدخ دماغه فمات ، فعمد إسكندر إلى رأس قرايلوك ورأسي ولديه ، ورؤوس ثلاثة من امرائه ، فقطعها ، وبعث بها إلى السلطان الاشرف ، فطيف بها في القاهرة ، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام (الضوء اللامع ٥/١٣٦) .

وفي السنة ٨٦٦ عقد لحمزة بن غيث مجلس في بيت الدوادار ، حضره القضاة ونظروافي التهم الموجّهة إليه وهي أخذ الأموال ، وآرتكاب المحّرمات وضرب الفضّة الزغل ، فحكم القاضي المالكي بقتله ، وأنفذ بقية القضاة الحكم ، وآودع المقشرة ، وسلخ جلده ، وحشي تبناً ، وطيف به من الغد على جمل بشوارع القاهرة ، وحمل إلى بلاد الريف ، وطيف به في القرى والبلاد (الضوء اللامع ٣/١٦٦) .

وفي السنة ٨٧٢ قتل جهان شاه بن قرايوسف ، وخلفه ولده حسن علي ، فظلم الناس ، وأساء التصرّف ، وقبض على زوجة أبيه فعلّقها من ثدييها حتى ماتت ، فقصده حسن بيك ، واشتبك معه في معركة ، فأنفل جيش حسن علي ، وفر إلى باكو ، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمذان ، وآعتقله أصحاب حسن بيك ، وأحس بما ينتظره فآنتحر بأن ذبح نفسه بموسى ، وعندئذ « قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره ، وحطّوه في فمه » وجاءوا

برأسه إلى حسن بيك ، وقطعوا جسده أربع قطع ، وعلّقوها على ابواب همذان ، على كل باب قطعة (تاريخ الغياثي ٣٨٠ و٣٨١) .

وفي السنة ٩٢٦ عصر الأمير جان بردي الغزالي ، والي دمشق للعثمانيين ، على السلطان ، فجهز السلطان سليمان إليه جيشاً حاربه بباب دمشق ، وانكسر جان بردي وقتل ، فجهز القائد التركي فرهاد باشا ، رأس الغزالي ، ومعه الف اذن من آذان القتلى إلى السلطان (خطط الشام ٢/٣٣٤) .

وفي الشدة ٩٨٦ كان العثمانيون قد آستولوا على تونس ، وتوغلوا في المغرب ، فآستنجد المتوكّل أبو عبد الله محمد السعدي ، صاحب المغرب ، بالبرتغال ، ونشبت معركة بين العثمانيين من جهة ، وسلطان المغرب والبرتغال من جهة ، فآنتصر العثمانيون إنتصاراً مؤزراً ، وغرق المتوكّل صاحب المغرب ، وسباستيان عظيم البرتغال ، في نهر وادي المخازن ، فأخرج المتوكلّ من الماء ، وسلخ جلده وحشي تبناً ، وطيف به في بلاد المغرب ، ولهذا لقبته العامّة : المسلوخ (الاعلام ٧/١١٧).

وفي السنة ٩٩٧ قتل بخاري ، شهاب الدين عبد الله بن محمود الخراساني الفقيه الامامي وجرى قتله على التشيّع ، وأحرق جسده في ميدانها (الاعلام ٤/٢٧٩) .

وفي السنة ١١٥١ وقعت معركة بين الجند العثماني بقيادة أحمد باشا ، والي بغداد ، وبين عشيرة المنتفق بقيادة سعدون أمير المنتفق ، فقبض على سعدون ، وقتل ، وقطع رأسه ، وحشي تبناً ، ووضع في صندوق ، وأرسل إلى اسطنبول (تاريخ العراق للعزاوي ٥/٢٥٨) .

وفي السنة ١٢٠٦ هجم أهل حلب ، على بطّال أغا نوري ، ومحمد اغا ، وعلى عسكره ، فانهزم إلى خارج حلب ، وحصر عينتاب خمسة

أشهر ، وآل أمره إلى أن قتل ، وحمل رأسه ورؤوس أربعة وعشرين من العصاة إلى اصطنبول (خطط السام ٣/ ٩) .

وفي السنة ١٢١٩ علّقوا بالقاهرة ثلاثة رؤوس ، بباب زويلة ، لا يدري أحد من هم (الجبرتي ٣/ ٤١) .

وفي السنة ١٢٢٢ لما قتل جماعة من الجيش الإنكليزي ، بمدينة رشيد في الديار المصرية ، قطعوا آذان القتلى ، ودبغوها ، وملّحوها ، ووضعوها في صندوق ، وسيّروها إلى اصطنبول على طريق الشام (الجبرتي ٣/ ١٩٧ و١٩٨) .

وفي السنة ١٢٤٧ ثار أهل دمشق ، على واليها محمد سليم باشا ، وحصروه في القلعة ، وقتلوه ، وقتلوا معه حاشيته ومنهم خاله ، وكخيته ، والسلحدار ، والقابجي ، والخزندار ، والمهردار ، وعرّوا جثثهم ، وحملوها إلى باب القلعة ، وألقوها على الأرض ، ليراها الناس ، ثم قطعوا رأس الوالي ورأس خاله ، وداروا بهما ، ليعرضوهما على الناس ويربحوا الدراهم ، فحطّوا رأس الوزير على درجة باب الكنيسة ، ولم يرفعوه حتى حضر شيخ حارة النصارى ، وأعطاهم دراهم ، فحملوه ، ووضعوه على باب الدير الكبير ، وأخذوا منهم دراهم ، وهكذا لمّوا دراهم من حارات كثيرة (مذكرات تاريخية ٣١ و٣٢) .

وفي السنة ١٢٥٠ انتقضت طرابلس (الشام) على حكم ابراهيم باشا ، ثم أخضعها ، وأمر فقتل من أعيانها ثلاثة عشر شخصاً ، وتركت جثثهم في الشوارع ثلاثة أيّام (مذكرات تاريخية ١٤) .

وفي السنة ١٣٠١ (١٨٨٤ م) قتل أبو الاحرار مدحت باشا ، من العظماء المصلحين في العالم ، قتل خنقاً في سجنه بالطائف ، وقطع رأسه ، ووضع في صندوق وحمل إلى السلطان عبد الحميد الثاني ، سلطان تركيا (مشاهير الشرق ١/ ٤٨٠) .

الفصل الثاني

المثلة بسحب الجثّث

ومن ألوان المثلة ، سحب جثث القتلى والموتى ، والبغداديّون ، يسمونه : السحل .

وأوّل ما ظهرت هذه المثلة القبيحة بدمشق ، ثم انتقلت منها إلى بغداد .

ومما يبعث على الأسى ، إنّ هذا اللون من المثلة ، مازال قسم من عامة بغداد يمارسونها .

وأوّل ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة، ما صنع بيوسف بن عمر ، الذي كان أمير العراقين للوليد بن يزيد ، فلما قتل الوليد ، هرب يوسف من العراق ، وورد البلقاء فاستخفى بها ، ولبس زيّ النساء ، وجلس بين نسائه ، وبلغ يزيد بن الوليد خبره ، فبعث اليه من وجده بهذا الزيّ بين نسائه ، فأخذ ، وحبس ، بدمشق ، ولما ظهر أمر مروان بن الأمويّ ، الملقّب بمروان الحمار ، عمد يزيد بن خالد القسري إلى السجن ، فأخرج يوسف بن عمر ، وقتله إنتقاماً لأبيه خالد الذي قتله يوسف ، ولما قطعت عنق يوسف ، شدّوا في رجله حبلاً طويلاً ، وجعل الصبيان يجرّونه في شارع دمشق، فتمرّ به المرأة ، فترى جسداً صغيراً ، وكان قصير القامة جداً ، فتقول : في أيّ شيء قتل هذا الصبي المسكين .

وقال بعضهم : رأيت يوسف بن عمر ، وفي مذاكيره حبل ، وهو يجرّ

في دمشق ، ثم رأيت بعد ذلك ، يزيد بن خالد القسري ، قاتله ، وفي مذاكيره حبل ، وهو يجرّ في ذلك الموضع (وفيات الاعيان ١١١/٧ و١١٢) .

ولما قتل الأمين ببغداد ، في السنة ١٩٨ ، قطع رأسه ، وعلّق على حائط بستان ، وسحبت جثّته ببغداد ، وهي مربوطة بحبل (تاريخ الخلفاء ٣٠٠) ، فقال في ذلك ابراهيم بن المهدي : (الطبري ٤٩٨/٨) .

لم يكفه أن حزّ أوداجه ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوصاله في شطن يفني مدى السائر

وفي السنة ٢٠١ قتل محمد بن أبي خالد ، في معركة بينه وبين جيش المأمون ، وكان زهير بن المسيّب ، أحد قوّاد المأمون ، محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد ، فأخرج زهير من الحبس ، وذبح ، وطيف برأسه ، ثم أخذ جسده ، وربط في رجليه بحبل ، وطيف به في بغداد ، ومرّوا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، وطيف به في الكرخ ، ثم طرحوه ليلاً في دجلة . (الطبري ٥٤٨/٨) .

ولما بويع المستضيء ، في السنة ٥٦٦ ، استدعي ابن البلدي ، الذي كان وزيراً للمستنجد ، ليبايع ، فلما حضر ، عدل به إلى مكان ضربت فيه عنقه ، وأخرج ، فرمي على مزبلة بباب المراتب ، ثم سُحب وألقي في دجلة (الفخري ٣١٨ وابن الاثير ٣٦٢/١١) .

وفي السنة ٥٧٦قبض على ظهير الدين بن العطّار ، وزيرالخليفة ، ووكّل به في داره ، ثم نقل إلى التاج ، ووكّل به ، وطولب ، ثم أخرج ميتاً على رأس حمّال ، فغمز به بعض الناس ، فثار به العامّة ، فألقوه عن رأس الحمّال ، وكشفوا سوءته ، وشدّوا فيها حبلاً ، وسحبوه في البلد ، وكانوا يضعون في يده مغرفة ، يعني أنها قلم ، وقد غمسوها في العذرة ، ويقولون :

وقّع لنا يا مولانا ، ألى غير هذا من الأفعال الشنيعة (ابن الأثير ١١/٤٥٩ و٤٦٠) .

وأضاف ابن الأثير إلى ما تقدّم قوله : هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم ، وكفّه عن أموالهم وأعراضهم .

وفي السنة ٥٩٧ وثب أهل باب البصرة على حامي محلّتهم المعروف بابن الضراب ، فقتلوه ، وقتلوا معه أربعة نفر ، وسحبوهم ، ثم ألقوهم في دجلة ، فقبض حاجب باب النوبي الشريف أبو جعفر بن الناعم ، على جماعة من أهل المحلة ، وعاقبهم، وألزمهم بمال قرره عليهم . (الجامع المختصر ٤٦).

وفي السنة ٦٠٠ هلك ببغداد ، نائب الشرطة ، بباب النوبي ، بدار الخلافة ، واسمه ابو منصور بن الطحّان ، وكان ظالماً ، فلما صلّي عليه بالمدرسة النظامية ، اجتمع خلق كثير ، واعلنوا بلعنه ، وهمّوا بسحبه . (الجامع المختصر ١٣٢).

وفي السنة ٦٠٤ قتل ابو الغنائم ، نصر بن ساوا النصراني ، الناظر في أعمال دجيل ، وقطعت أطرافه ، وصلب ، ثم أنزل وسحبت جثّته في محلاّت بغداد ، ثم أحرق . (الجامع المختصر ٢١٩ـ ٢٢٠).

وفي السنة ٦٨١ أحضر ببغداد ، عبد يشوع ، ويعقوب ، وكانا قد رفعا على الصاحب علاء الدين ، صاحب الديوان ، فطيف بهما في بغداد ، عريانين، والعوّام يصفعونهم ، ويضربونهم بالآجر ، ثم قتلا بقيّة اليوم ، وجرّ العوام جثّتيهما ، وأحرقوهما بباب قلاية النصارى (الحوادث الجامعة ٤٢٢).

وفي السنة ٦٩٠ قبض ببغداد ، على مهذّب الدولة ، أخي سعد الدولة الماشعيري ، وطولب بالأموال ، وضرب ، ثم طعن بالسكاكين والسيوف ، وكان في الديوان نجّار ، فضربه بفأس ، عدّة ضربات، ثم قطع إرباً إرباً ،

وتناهبه العوّام ، وتعمّم نفّاط بمصرانه ، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ، ثم أحرق بباب جامع الخليفة (جامع سوق الغزل ، وبابه من جهة المنارة التي ما زالت قائمة الى الآن)، وسلخ رأسه ، وحشي تبناً ، وطيف به في جانبي بغداد ، وحمل إلى واسط ، وعلّق على جسرها . (تاريخ العراق للعزاوي ١ / ٣٥٠).

وفي السنة ٦٩٠ قتل من اليهود ، شاب يعرف بابن فلالة ، وقطعت أعضاؤه ، وشدّ العوام في سوءته حبلاً ، وطافوا به سحباً في دروب بغداد . (الحوادث الجامعة ٤٦٥).

وكان الأمير بهادر ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، واشترك في قتل ولده الملك الأشرف خليل سنة ٦٩٣، فقتله مماليك الأشرف، هو والأمير جمال الدين آقوش ، ثم ربط في رجل كلّ واحد منهما حبل ، وجرّا من دار النيابة بالقلعة الى المجارير بالكيمان . (خطط القريزي ٢ /٦٧).

ولما عاد السلطان أبو العباس المريني ، في السنة ٧٨٩ إلى سرير ملكه ، قبض على ابن أبي عامر ، وكان يحقد عليه تصرّفات أجراها معه ، بعد خلعه ، وكلمات صدرت عنه في حقّه ، فاعتقله ، وامتحنه بالضرب بالسياط ، إلى أن مات تحت الضرب ، ولما حمل إلى داره ميتاً ، وأخذ أهله في تجهيزه ليدفن ، أمر السلطان بأن يسحب في نواحي البلد ، فحمل من نعشه ، وربط في رجله حبل ، وسحب في سائر المدينة، ثم ألقي على بعض المزابل (ابن خلدون ٥ / ٣٦٠).

وشكا الدمشقيون ، إلى الباب العالي (السلطان العثماني) ، من مظالم الدفتر دار فتحي افندي ، فأمر السلطان، فأحضر إلى اصطنبول ، فأخذ يمنح المنائح ، حتى أدخلوا على السلطان شخصاً آخر بدلاً منه ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل ، أما فتحي افندي فأعادوه إلى دمشق ، فعاد إلى ظلمه ، فعاودوا

الشكوى ، فورد الأمر بقطع رأسه ، فقطع رأسه ، وجرّت جثّته في شوارع المدينة ، وترك للكلاب تنهشه ، ومثّل ببعض أعوانه ، وصودرت أمواله (خطط الشام ٢/ ٢٩٨) .

وفي السنة ١٢٥٠ هرب من سجن القلعة بدمشق ، شخص اسمه عبد المحسن ، وأخذ يقطع الطريق . فنصبوا عليه الأرصاد ، وحصروه في داره ، فراماهم، حتى أصيب، فأخرجوه جريحاً من الدار ، وذبحوه، ثم ربطوا في رجله حبلاً ، وسحبوه، حتى رموه أمام باب السراي ، وظلّ مطروحاً يومين (مذكرات تاريخية ١٤٣) .

ولما قتل الأمير عبد الاله ، في بغداد ، في حادث السنة ١٩٥٨م قامت فئة من العامّة بتسلّم جثته ، وربطوها ، بالحبل ، وسحبوها ، ثم علّقت أمام وزارة الدفاع ، ثم احرقت . (أسرار مقتل العائلة الحاكمة في العراق ١٣٤ـ ١٣٦) .

وآخر ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة ، ما صنعه بعض أفراد من العامة ، ببغداد ، بجثة نوري السعيد ، رئيس الوزراء بالعراق ، فإنّه لما حصل أنقلاب السنة ١٩٥٨ على يد عبد الكريم قاسم ، أحد الضباط ، استتر نوري ، وبلغه خبر مقتل ولده الوحيد وهو مستتر ، ولما أوشك أن يعتقل ، انتحر، فتصدّى قوم من العامّة ، وربطوا في جثّته حبلاً ، وسحبوها في شوارع بغداد .

الفصـل الثالث

المثلة بصلب الجثة

ومن ألـوان المثلة ، صلب جثـة القتيـل بعـد قتله ، وهـذا اللون من المثلة ، يكـاد يكون عـامّاً في جميـع الأوقـات ، وفي جميـع البلدان، وكـان المقصود بصلب الجثّة ، أن يطّلع الناس على أنّ المصلوب قد مات وانتهى ، لئلا تكثر بشأنه الأقاويل ، وتختلف في مصيـره الآراء ، ذلك لأنّ العـامّة ، مـا دام لهم رأي في المقتول ، فهم يتصوّرون له مصيراً وفق أمانيهم ، كما حصل في موضوع الحلّاج ، فإنّـه قتل ، وصلب ، وأحـرق ، وذرّي رماده ، وحصـل ذلك أمام عشـرات الألوف من النـاس، ولكنّ كثيراً منهم ، استقـرّ في أذهانهم أنه لم يقتل ، وانّما قتل شخص آخر غيره يشبهه ، وأعجب من ذلك ، إنَّ عبد الكريم قاسم ، الضابط الذي قام بانقلاب السنة ١٩٥٨ في العـراق ، قتل في السنة ١٩٦٣ رمياً بالرصاص ، وعرضت جثّته على شاشة التلفزيون ، وبالـرغم من ذلك ، فإنَّ بعض العامّة من الناس في بغداد ، كانوا إلى أمد قريب، على قناعة تامّة ، بأنّه ما زال حيّاً ، وأنّـه شوهـد في الوقت الفـلاني ، في الموضـع الفلاني .

وعلى أنّ المثلة بصلب الجثث ، أمـر يدلّ على لؤم قـدرة ، وينبىء عن نقص في المروءة . فإنَّ بعض المتسلّطين القسـاة ، زادوا في الطنبـور نغمة ، وبالغوا في إظهار لؤم قدرتهم ، كما صنع الحجّاج ، بجثّة عبدالله بن الزبير ، فإنَّه صلب مع جثّته جيفة كلب ، وكما صنـع مسلمة بن عبـد الملك بيزيـد بن

المهلّب ، فإنّه صلب مع جثّته جيفة خنزير ، وفاق هؤلاء جميعاً في التصرّف المخزي ، زياد بن أبيه ، فإنّه كان يقتل النساء ويصلبهنّ ولم يكتف بذلك ، فزاد بأن أخذ يصلبهنّ عاريات .

وكانت النساء تشترك في حروب الخوارج ، إلى أن قام زياد بصلب المرأة عارية بعد قتلها ، فلم تخرج النساء إلاّ بعد زياد ، وكنّ إذا طولبن بالخروج قلن : لولا التعرية لسارعنا (العقد الفريد ١/٢٢١-٢٢٢) .

وأسرت هذيل ، يوم الرجيع ، الأنصاريّين خبيب بن عديّ ، وابن الدثنة ، فصلبوهما بالتنعيم .

وصلب عبيد الله بن زياد ، بسوق الكوفة ، مسلم بن عقيل ، وهانيء بن عروة المرادي .

ولما استباح مسلم بن عقبة ، قائد الجيش الأموي ، المدينة ، وقتل رجالها ، خرج منها يريد مكّة ، فمات في الطريق ، ودفن ، فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه ، فنبشت قبره ، واحرقت جثّته ، ومزّقت أكفانه ، وعلّقتها على شجرة هناك ، فكان كلّ من يمرّ بالأكفان ، يرجمها بالحجارة . (الامامة والسياسة ٢/٩) .

ولما قتل عبدالله بن الزبير ، بعث الحجّاج برأسه الى عبد الملك ، وصلب جثّته منكوسة ، وصل معه كلباً ميتاً (أنساب الأشراف ٥/٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٤) .

وصلب يوسف بن عمر ، عامل هشام بن عبد الملك على العراق ، زيد بن علي بن الحسين ، وبقي معلّقاً أربعة أعوام ، ثم أنزل وأحرق .

ويحيى بن زيد بن علي ، صلب بالجوزجان ، في أيّام الوليد بن يزيد ، وأنزله أبو مسلم الخراساني ، وصلّى عليه ، وواراه ، وأخذ كلّ من خرج إلى قتاله ، فقتله .

وصلب مسلمة بن عبد الملك ، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، بجسر بابل ، وعلّق معه خنزيراً وسمكة وزقّ خمر (الغيث المسجم ٢/١٨٢) .

ولما أخرج أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، من السجن ، أمر بجثة عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن مروان ، فصلبت منكوسة على باب الجابية بدمشق . (العقد الفريد ٤/٤٦٧) .

وفي السنة ١٢٣ عبر بلج بجيش أمويّ ، إلى الأندلس ، فقبض على عبد الملك بن قطن الفهري ، أمير الأندلس ، وصلبه بقرطبة ، وصلب معه كلباً وخنزيراً ، ذلك لأنّه أراد الاستقلال بالأندلس ، وصلب زياد بن عمرو اللخمي بعد أن سمله ، وصلب عن يساره كلباً (نفح الطيب ٣/١٩-٢١) .

ولما بويع مروان الحمار ، وقدم دمشق ، نبش قبر يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلبه (العقد الفريد ٤/٤٦٦) .

وفي السنة ١٢٩ حارب نصر بن سيار أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني ، فقتل جديع في المعركة ، فأخذه نصر وصلبه وصلب الى جانبه سمكة ، يعني أنّ جديع أزدي ، والأزد يعيّرون بأنّهم ملّاحون . (الطبري ٧/٣٧٠) .

وصلب مروان الحمار الأموي ، يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، على باب الفراديس ، بدمشق (الغيث المسجم ٢/١٨٢) .

وحمل صالح بن عبد القدوس إلى المهدي ، متّهماً بالزندقة ، وساءله فتبرّأ ممّا اتّهم به ، فاستنشده ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى غيّه كذى الضنى صار إلى نكسه

فقال : نحكم فيك بحكمك على نفسك ، فأنت لا تترك أخلاقك ، ثم

أمر به فقتل وصلب على الجسر . (وفيات الأعيان ٢ / ٤٩٢) .

ولما قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي ، أمر برأسه فنصب على الجسر الأوسط ، وقطعت جثته إلى قطعتين ، صلب قطعة على الجسر الأعلى ، وقطعة على الجسر الأسفل . (الطبري ٨/٢٩٦) .

أقول : كان في بغداد في ذلك العهد ، ثلاثة جسور ، الجسر الأعلى ، وهو جسر الشماسية ، يربط بين الشماسيّة (الصليخ) في الجانب الشرقي ، والقطيعة الزبيدية في الجانب الغربي ، والجسر الأوسط ، ويربط بين باب الطاق (الصرّافيّة) في الجانب الشرقي وبين محلّة البيمارستان العضدي (المنطقة) في الجانب الغربي ، وقد حلّ محلّه جسر الصرّافيّة الحديد ، والجسر الأسفل ، وهو الجسر الذي يربط بين سوق الثلاثاء بالجانب الشرقي (منطقة المدرسة المستنصرية) وبين الجانب الغربي وقد حلّ محلّه الآن جسر المأمون .

وفي السنة ١٩٨ حصلت وقعة الربض بقرطبة، حيث كره القرطبيون الحَكَم الأموي ، ، وثاروا عليه ، وحصروه في قصره ، فحاربهم ، فانهزموا ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر منهم جماعة ، فاختار من الأسرى ثلثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكّسين (ابن الأثير ٦/ ٢٩٩ـ ٣٠٠) .

وفي السنة ٢٢١ أحضر امام المعتصم ، الثائر الفارسي بابك الخرمي ، فأمر به فقطعت أطرافه ، ثم قطع رأسه ، وصلبت جثّته على خشبة ، ثم أحرقت ، وسمّي الموضع الذي صلبت جثته فيه « خشبة بابك » ، وأخذ عبدالله ، أخو بابك الى بغداد حيث قتل مثل قتلة أخيه ، وصلب بدنه على الجسر ببغداد ، فقالت سكن ، جارية محمود الوراق : (المستطرف من أخبار الجواري ٣٣) .

كبابك وأخيه إذ سما لهما ... بباتر للشوى في الجيد خلّاس
فذاك بالجسر نصب للعيون وذا ... بسرّ مرّا على سامي الذرى راسي

للتفصيل في مقتل بابك ، راجع نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٤٧-١٤٨ رقم القصة ٧٤).

وفي السنة ٢٢٤ أحضر أمام المعتصم الثائر الفارسي المازيار بن قارن ، صاحب طبرستان ، فضرب أربعمائة سوط ، فمات ، وصلب إلى جانب خشبة بابك (الطبري ٩/ ١٠٠ و١٠٤ وتجارب الأمم ٦/ ٥١٦) .

وفي السنة ٢٥٢ خرج بالإسكندرية من أرض مصر ، جابر بن الوليد المدلجي ، وجمع جمعاً ، ولحق به أبو حرملة فرج النوبي ، وكان رجلاً فاتكاً ، ثم أسر أبو حرملة ، وأدخل الفسطاط مع جماعة من الأسرى ، وحبس ، ومات في الحبس ، وأخرج فصلب بالمصلّى (الولاة للكندي ٢٠٦-٢٠٩) .

وفي السنة ٣١٧ لما خلع المقتدر ، ونصب أخوه القاهر ، انتقض امر القاهر بهجوم الرجّالة على الصحن التسعيني بدار الخلافة ، فصلبوا نازوك وعجيباً خادمه على خشب الستارة . (التكملة ٦٠) .

وفي السنة ٣٦٧ بعث عضد الدولة ، إلى بختيار ، يطالبه بتسليم ابن بقيّة ، فسمله بختيار ، ثم بعث به إلى عضد الدولة ، وسمل معه صاحبه المعروف بابن الراعي (تجارب الأمم ٢/ ٣٧٧) وحمل ابن بقيّة مسمولاً إلى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية ، فأشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح إلى الفيلة ، وأضريت عليه ، فقتلته شرّ قتلة ، وصلب على شاطىء دجلة ، على رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلى الجانب الغربي . (ابن الأثير ٨/ ٦٨٩ وتجارب الأمم ٢/ ٣٨٠) .

وفي السنة ٣٦٨ حصر جيش عضد الدولة مدينة ميافارقين ، وفتحها بالأمان ، واستثني من الأمان قاضي البلدة وغلاماً يعرف بابن الطبري ، كانا أثناء الحصار يسرفان في شتم عضد الدولة ، فلما أخذا ، ضربت رقبتاهما وصلبا على البرج الذي كانا يظهران عليه ويشتمان (تجارب الأمم ٢/ ٣٩٠) .

وفي السنة ٣٨١ حدثت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ ، وباب البصرة ، واستظهر أهل باب البصرة ، وخرقوا أعلام السلطان ، فقتل يومئذٍ جماعة اتّهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القنطرة . (المنتظم ٧/١٦٣-١٦٤) .

وفي السنة ٤٢٠ ورد رئيس العيّارين أبو يعلى بن الموصلي ، وكانت داره بدرب رياح ، ومعه جماعة من العيّارين ، الى الكرخ ، وأظهروا أنهم جاءوا لخدمة السلطان ، فثار بهم أهل الكرخ ، فقتلوا ، وصلبوا (المنتظم ٨/٤٥) .

وفي السنة ٤٤٣ ظهر عيّار يعرف بالطقطقي من أهل درزيجان ، حضر ديوان الخلافة ، واستتيب وجرى منه في معاملة أهل الكرخ ، وتتبّعهم في المحالّ وقتلهم على الأتصال ، ما عظمت به البلوى ، فقطع رجلين وصلبهما على حائط باب القلاّئين ، وقتل قبلهما ثلاثة وقطع رؤوسهم ، ورمى بها إلى أهل الكرخ ، وقال : تغدّوا برؤوس (باجة) ، ومضى إلى درب الزعفراني وطالب أهله بمائة ألف دينار (المنتظم ٨/١٥٠) . وفي السنة ٤٤٤ كبس الطقطقي طاق الحراني ، وهو من محلاّت الكرخ ، وقتل رجلين ، وقطع رأسيهما ، وحملهما إلى القلاّئين ، فنصبهما على حائط المسجد المستجدّ (المنتظم ٨/١٥٤) .

وفي السنة ٤٤٨ تقدّم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً على الشيعة ، إلى صاحب المعونة ببغداد ابن النسوي ، بقتل أبي عبدالله بن الجلاّب ، شيخ البزّازين بباب الطاق ، بتهمة التظاهر بالرفض (أي التشيّع) فقتله ، وصلبه على باب دكانه (المنتظم ٨/١٧٢ - ١٧٣) .

وفي السنة ٥٢١ قبض الآمر الفاطمي ، بمصر ، على وزيره الملقب بالمأمون وقتله وصلبه بظاهر القاهرة مع خمسة من أخوته . (وفيات الأعيان ٥/٢٩٩) .

وفي السنة ٥٣٠ قبض الراشد العباسي على ابن الهاروني ، وتقدم إلى

أبي الكرم الوالي بقتله ، فقتل في الرحبة ، وصلب على خشبة قصيرة، ومثّل به العوام . (المنتظم ١٠/٥٦).

ولما قتل أبو الغنائم نصر بن ساوا النصراني، الناظر في اعمال دجيل ، في السنة ٦٠٤ بعد أن قطعت أطرافه، صلب أوّلاً ، وطيف به في محالّ بغداد مسحوباً، ثم أحرق . وكان سبب قتله أتّهامه بأنّه توصل في قتل الأمير تتامش بالسمّ. (الجامع المختصر ٢١٩- ٢٢٠).

وفي السنة ٧٥٠ زوّر الأميران سيف الدين الجينبغا نائب السلطان في طرابلس الشام ، والأمير فخر الدين أياز ، أمراً من سلطان مصر ، باعتقال نائب الشام أرغون شاه ، واعتقلاه بمعاونة الأمراء وقتلاه ، ثم ورد كتاب من سلطان مصر بانكار ذلك ، ومعه أمر بالقبض على الأميرين الجينبغا وإياز وقتلهما توسيطاً ، فتجرّدت العساكر اليهما ، واعتقلا ، وأنزلا من القلعة ، إلى سوق الخيل ، ووسّطوهما ، وعلّقت اشلاؤهما على الخشب بالحبال في البكر ، على وادي بردا بسوق الخيل (الوافي بالوفيات ٩/٣٥٦- ٣٥٧).

وفي السنة ١٢٢٧ (١٨١٢م) ثار محمد باي ، بوهران ، على الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، فبعث اليه الأمير جيشاً بقيادة عمر اغا ، فقبض على محمد باي وعذّبه وقتله ، وسلخ جلدة رأسه ، وحشاها قطناً ، وبعث بالرأس إلى الأمير في الجزائر ، فأمر بأن ينصب الرأس على عمود يركز فوق باب البلد ، وظلّ هناك عدّة سنين (مذكرات الزهار ١٠٧).

ولما تولّى علي باشا ، إمارة الجزائر ، في السنة ١٢٣٢ ، تحرّك عليه العسكر فأخمد ثورتهم ، وقتل منهم جماعة ، ثم جعل له من بينهم جواسيس ، يتلقّطون له الأخبار ، وقتل منهم خلقاً كثيراً بيده ، ونفى بعضهم ، وأخرج منهم في يوم من الأيّام بعثاً ، وجعل فيه كلّ من رآه شيطاناً ، ثم بعث في أثرهم من قام بتصفيتهم ، فمنهم من قتلوه ، ومنهم من نفوه ، ثم تحرّك العسكر عليه مرة ثانية، ونادوا بخلعه ، وولّوا شاوش الحملة (القائد) مكانه ،

ولكن القـائد امتنـع ، فأجبـروه ، ونصبوا لـه وزراء ، فحـاربهم علي بـاشـا ، وانتصر عليهم ، فتفرّقوا، وهربوا ، فمنهم من لحقه أتباع علي باشـا ، وقتلوه، ومنهم من قبضوا عليه حيّاً ، وجاءوا به إلى علي باشـا ، فقتله بيده ، وكـان لا يخلع سلاحه أبداً ، ويحمل في وسـطه سيفاً معلقـاً ومسدّسين ، فـإذا جيء له بتركي ، قتله بالمسدس ، وفي بعض الأحيان يجهـز عليه بـالسيف ، ثم يجرّه الزبانية لموضع البناء ، فيبنون عليه بالجدار (مذكرات الزهار ١٣٦ـ ١٣٧) .

وفي السنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) ثار السيـد محمد التيجني ، في ضـواحي وهران ، وجمع حـوله العـرب ، وأراد أن ينزع الملك من التـرك ، فجرّد اليـه والي وهران جيشاً ، وقتل التيجني وأتباعه في المعركـة ، وبعثوا بـرأسه وسيفـه إلى أمير الجزائر حسين باشا ، فأمر بأن يجعـل الرأس على عمـود يركـز قبالـة الباب الجديد (مذكرات الزهار ١٥٩ـ ١٦٠) .

وفي السنـة ١٣٦٥ (١٩٤٥م) قتل في إيـطاليا بنيتـو مـوسـوليني الملقب بـالدوجي ، حكم ايـطاليا اربعـاً وعشـرين سنـة، من ١٩٢٢ إلى ١٩٤٥ وعلّق قتلته جثّته منكّسة من الرجلين .

الباب التاسع عشر

المرأة

جاء الإسلام بالعدل والرحمة ، والسلام والمودّة ، وبرعاية خاصّة للمرأة ، إذ منع من التعرّض لها بأي لون من ألوان الأذى ، وكنى النبي صلوات الله عليه ، عن النساء ، فقال : رفقاً بالقوارير ، ومن أقواله : خيركم خيركم للنساء ، استوصوا بالنساء خيراً ، ما أكرم النساء إلّا كريم ، وما أهانهنّ إلا لئيم .

وكان صلوات الله عليه ، إذا دخلت عليه آبنته فاطمة ، أخذ بيدها ورحّب بها ، وأجلسها في مجلسه ، وإذا دخل عليها، قامت إليه ، ورحّبت به ،وأخذت يده فقبّلتها (العقد الفريد ٣/٢٣١) .

وكانت وصيّته صلوات الله عليه ، لكل سريّة يبعث بها إلى الحرب : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا آمرأة ولا وليداً (العقد الفريد ١/١٢٨) .

ولما جيء إلى النبي صلوات الله عليه ، بسفانة بنت حاتم الطائي ، قالت له : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلّي عنّي ، ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإنّ أبي سيّد قومه ، كان يفكّ العاني ، ويحمي الذمار ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يطلب إليه طالبٌ قطّ حاجةً فردّه ، أنا ابنة حاتم طيء ، فقال النبيّ

صلوات الله عليه : يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميّاً لترحّمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق (خزانة الادب ١/٤٩٤) .

وخلفه أبو بكر الصدّيق ، فكان يوصي أمراء جيوشه : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا آمرأة (الطبري ٣/٢٢٧) .

وخلفه عمر الفاروق، فكان إذا عقد لأحد من قوّاده ، لواءً ، أوصاه قائلاً : لا تعتدوا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا هرماً ، ولا آمرأة ، ولا وليداً . (العقد الفريد ١/١٢٨) .

وكان الإمام علي بن طالب يوصي قوّاده في كل موطن يلقون فيه عدوّاً ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم ألى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتموه في معسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن اعراضكم ، وسببن امراءكم وصلحاءكم (اسماء المغتالين ١٦٢ والامامة والسياسة ١/١٣٨) .

ولما انتهت وقعة الجمل ، في السنة ٣٦ ، أنزل الإمام علي ، عائشة ، في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، أعظم دار بالبصرة ، ثم دخل عليها يزورها ، فرأته صفية ابنة الحارث زوجة عبد الله بن خلف ، وكان زوجها قد قتل في الوقعة مع عائشة ، وقتل أخوه عثمان مع عليّ ، فواجهته صفّية مختمرة تبكي ، وقالت له : يا عليّ ، يا قاتل الأحبّة ، يا مفرّق الجمع ، أيتم الله بنيك منك ، فلم يردّ عليها شيئاً سوى أنّه قال لعائشة ، لما جلس عندها : جبهتنا صفيّة ، أما أنّي لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم .

وسمع الإمام علّي ، أحد أصحابه وهو يتوعّد صفّية ، فغضب ، وقال : صه ، لا تهتكنّ ستراً ، ولا تدخلنّ داراً ، ولا تهيجنّ امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسفّهن أمراءكم ، وصلحاءكم ، فإنّهنّ ضعاف ، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ ، وإنّهن لمشركات ، فكيف إذن وهنّ مسلمات ، وإنّ الرجل ليكافىء المرأة ، ويتناولها بالضرب ، فيعيّر بذلك عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحمد أنّه عرض لامرأة ، فأنكّل به (الطبري ٤/٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، وابن الأثير ٣/٢٥٦و٢٥٧) .

وتعرّض اثنان من الأزد للسيدة عائشة ، بعد انتهاء حرب الجمل ، فقال لها أحدهما : جزيت عنّا أمّنا عقوقاً ، وقال الثاني : يا أمّنا توبي لقد أخطأت ، فبلغ ذلك الإمام علّياً ، فضرب كلّ واحد منهما مائة سوط (الطبري ٤/٥٤٠ وابن الاثير ٣/٢٥٧) .

لما قتل ابراهيم بن الاشتر، عبيداللّه بن زياد، واحتوى على ما في عسكره ، بعثت إليه هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري ، امرأة عبيد الله بن زياد ، وشكت أليه انتهاب ما كان معها من مالها ، فقال لها : كم ذهب لك ؟ قالت : خمسون ألف درهم ، فأمر لها بمائة ألف درهم ، ووجّه معها مائة فارس من عشيرتها يبذرقونها ، حتى أوصلوها إلى أبيها بالبصرة . (الأخبار الطوال ٢٩٦) .

ودخلت بنت أسامة بن زيد ، على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقام لها ، ومشى إليها ، ثم أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلاّ قضاها . (تاريخ الخلفاء ٢٣٩) .

ولما أسر الإفشين بابك الخرمي ، أطلق من أسره كثيراً من الصبيان المسلمين ، والنساء المسلمات ، ولما نزل بابك أسيراً ، رآه هؤلاء الاسرى ، فلطموا على وجوههم ، وصاحوا ، وبكوا ، حتى آرتفعت أصواتهم ، فقال

لهم الإفشين : أنتم بالأمس تقولون أسرنا ، واليوم تبكـون عليه ، عليكم لعنة الله ، فقالوا : إنّه كان يحسن إلينا (الطبري ٩/ ٥٠) .

ولما فتح البساسيري بغداد في السنة ٤٥٠ وأسر الخليفة القـائم ، كتبت والدة الخليفة، إلى البساسيري من مكان كانت مستترةً فيه ، رقعة تشرح فيهـا ما لحقها من الأذى ، والضرر ، والفقر ، حتى أنّ القـوت يتعذّر عليهـا ، وهي جارية أرمنيّة ، قد ناهزت التسعين ، وآحدودبت ، فأحضـرها ، وأفـرد لها داراً في الحريم الطاهري ، وأعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجرى عليها في كلّ يوم أثنى عشر رطلاً خبزاً ، وأربعة أرطال لحماً . (المنتظم ٨/ ٢٠١) .

هذه صفحة رائعة ، من مكارم الاخلاق ، تقابلها صفحة مـرّوعة مخـزية من تصرفات أوذيت فيها المرأة ، قتلاً ، أو تعذيباً ، أو إهانة ، أورد منها على سبيل المثال ، ثلاث صور ، الأولى : ما صنعه عبيد الله بن زياد ، فـإنّه أخـذ عروة بن أديّة ، أحد العبّاد الزهّاد ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلبه ، ثم قطع رأسه وبعث به الى ابنته ، فجاءت الفتاة وجثّة أبيها مطروحة بين يـدي ابن زياد ، لتأخذها فتدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت على دينه ؟ فقالت له : كيف لا أكون على دينه ، وما رأيت قطّ خيراً منه ، فأمر بها ابن زياد فقتلت مع أبيها (انساب الاشراف ٤/ ٢/ ٨٨ و٨٩) ، والثانية ما صنعه شمر بن الجوشن في موقعة الطفّ التي قتل فيها الإمام أبو عبد الله الحسين وأنصاره ، وكان من أنصـاره رجل من كلب ، خـاض المعركـة دفاعـاً عن الحسين ، فسقط قتيلاً ، فخرجت امرأتهُ تمشي ، حتى جلست عند رأسه ، تمسح عن وجهـه التراب ، وتقـول : هنيئاً لـك الجنّة ، فقـال شمر بن ذي الجـوشن لغلام يسمّى رستم : اضـرب رأسها بـالعمود ، فضـربها بـه فمـاتت مكـانهـا (الـطبـري ٥/ ٤٣٨) والثـالثة : مـا صنعـه المصعب بن الـزبيـر ، لمـا انتصـر على المختـار الثقفي وقتله ، فـإنّـه أحضـر زوجـة المختـار ، وهي عمـرة بنت النعمـان بن بشيـر الأنصاري ، وطالبها بأن تبرأ من زوجها ، فـأبت ، وقالت متعجّبـة : كيف تبرأ

الحرّة من زوجها ؟ فأمر بها فقتلت (الاغاني ٢٢٨/٩) ، وأنا لا أعلّق على ما صنعه عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن ، فإنّهما كلبان من الكلاب ، وما صنعاه غير مستغرب لما جبلت عليه طينتهما الخبيثة وأصلهما الخسيس ، ولكنّي أعجب لما صنعه المصعب ، وقد كان من جبلة غير جبلة ذينك اللئيمين .

ولعبيد الله بن زياد ، مع المرأة ، موقف آخر يبعث على التقزّز والغثيان ، فإنّه بعد أن قتل الحسين وأولاده ، وأهل بيته ، ومن كان معه ، وجيء إليه برؤوسهم ، وبنساء الحسين وبناته وأطفاله سبايا ، وأدخلن عليه ، تحرّكت فيه جبلته الدنسة ، وطبيعته اللئيمة ، وخاطب النساء والاطفال قائلاً لهم : الحمد لله الذي فضحكم ، وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ، ثم وجّه كلامه ألى إحدى الفتيات الأسيرات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت ، وقالت له : لعمري ، لقد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت (الطبري ٤٥٧/٥) .

أقول : رحم الله الرصافي حيث قال :

دع الاناسيّ وانسبني لغيرهم ... إن شئت للشاء أو إن شئت للبقر
فإنّ في البشر الزاهي بخلقته ... من قد أنفت به أنّي من البشر

وقد أورد لنا المؤرخون تفصيل ما صنعه مصعب بن الزبير ، بعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، زوجة المختار ، فإنّه بعد أن قتل زوجها ، أحضرها ، وقال لها : ما تقولين في المختار ؟ .

فقالت : ما علمته إلّا مسلماً .

فحبسها ، وكتب إلى أخيه عبدالله ، فأمره بقتلها ، فأخرجها إلى ما بين الحيرة والكوفة ، وأمر رجلاً من الشرط ، اسمه مطر ، فضربها بالسيف ،

ثلاث ضربات ، وهي تصيح : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه .

فرفع رجل يده ولطم مطر ، وقال له : يا ابن الزانية ، عذّبتها ، فقطعت نَفَسها . وتشحّطت عمرة ، وماتت . (أنساب الاشراف ٥/٢٦٣ و٢٦٤ ، والطبري ٦/١١٢ والاخبار الطوال ٣٠٩ والاغاني ٩/٢٢٨ وتاريخ الكوفة ٣٠٧ و٣٠٨ وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٤) .

ولما قتل مصعب بن الزبير ، عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري ، زوجة المختار بن أبي عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه ، وأعظموه ، لأنّه أتى بما نهى رسول الله صلوات الله عليه عنه في نساء المشركين ، فكيف بالمسلمة ، فقال عمر بن أبي ربيعة : (العقد الفريد ٦/١١٨) .

إنّ من أعظم الكبائر عندي ... قتل حسناء غادة عطبول

قتلت باطلاً على غير ذنب ... إنّ لله درّها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرّ الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : (الطبري ٦/١١٣) .

أتى راكبٌ بالأمر ذي النبأ العجب ... بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب

بقتل فتاةٍ ذات دلٍ ستيرة ... مهَذّبة الأخلاق والخيم والنسب

فلا هنأت آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحرب

كأنّهم إذ أبرزوها وقطّعت ... بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

وقد أفردت الأخبار المتعلّقة بتعذيب المرأة في هذا الباب ، وقسمته إلى خمسة عشر فصلاً :

الفصل الأوّل : أوّل من عذّب النساء في الإسلام .

الفصل الثاني : قتل المرأة بالسيف .

الفصل الأوّل

أوّل من عذّب النساء في الاسلام

وأوّل من عـذّب النساء في الإسـلام معاويـة بن أبي سفيان ، فـإنّـه لمـا صالح الحسن ، اشترط على نفسه أن لا يؤاخذ أحداً من أصحـاب عليّ ، بما كان منه قبـل المصالحـة ، فلما تمكّن ، واستتبّ لـه الأمر ، تتبّـع من كان من أنصـار عليّ ، ففـرّ منـه عمـرو بن الحمق الخـزاعي ، فـأذكى عليــه العيـون والأرصاد ، واعتقل امرأته ، وحبسهـا في سجن بدمشق ، ثم أمسـك بعمرو ، فقتله ، وقطع رأسه ، وأمر أحد أعوانه ، بأن يدخـل على المرأة في سجنهـا ، وأن يضـع رأس زوجها في حجـرهـا (بـلاغـات النسـاء ٦٤ والـديـارات ١٧٩ و١٨٠) .

وكان النعمان بن بشيـر الأنصاري ، على حمص ، وكـان قد بـايع لابن الـزبير ، فلمـا بلغه خبـر واقعة مـرج راهط ، خرج من حمص مـع أهله يـريد المـدينة ، وأصبـح أهل حمص ، فـطلبه أحـد الكـلاعيّين يقـال لـه عمـرو بن الخليّ ، ومعه غوغاء ، فلحقوه ، فقتلوه سنة ٦٥ وألقوا بـرأسه في حجـر ابنته أم أبـان بنت النعمان ، فقـالت نائلة زوجـة النعمان : ألقـوا الرأس إليّ ، فـأنا أحقّ به ، فألقي في حجرها (انساب الاشراف ١٤٧/٥) .

وسار هشام بن عبد الملك ، على سنّة معاوية بن أبي سفيان ، في وضع الرأس المقطوعة ، في حجر المـرأة المفجوعـة ، أذ أمر بـرأس الإمام زيـد بن

علي بن الحسين ، فوضع في حجر والدته ربطه بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية .

فقابل عامر بن اسماعيل ، قائد الجيش العبّاسي ، ذلك ، بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار ، آخر الحكّام الامويّين ، في حجر آبنته (بلاغات النساء ١٤٥) .

ولما قتل المستعين العبّاسي ، أمر المعتزّ فوضع رأسه ، بين يدي جاريته التي كان يتحظّاها (الديارات ١٧٠) .

وفي السنة ٤٥٩ قتل القائد الحبشي سعيد بن نجاح الأحول ، علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن ، وأسر زوجته السيدة أسماء بنت شهاب الصليحيّة ، وعذّبها بأن أركبها في هودج ، وجعل أمام الهودج رأس زوجها ، ورأس أخ لزوجها قتل معه ، وبقيت الملكة أسماء في أسر الأحول سنة كاملة في زبيد ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلّقان أمام طاقة دارها ، ثم أنقذها ولدها من الأسر . (أعلام النساء ١/٤٢١ و٤٢٢) .

وفي النساء ٥٤٣ قتل الحافظ الفاطمي ، وزيره رضوان ، وبعث برأسه إلى زوجة رضوان ، فوضع في حجرها ، فقالت : هكذا يكون الرجال (ابن الاثير ١١/٤٩) .

الفصل الثاني

قتل المرأة بالسيف

كان القتل بالسيف ، مقصوراً على الرجال ، ولـذلك ، فـإنّ مصعب بن الـزبير ، لمـا قتل عمـرة بنت النعمان بن بشيـر الأنصـاري ، بـالسيف ، أنكـر النـاس ذلـك وأعـظمـوه وآعتبـره عمـر بن أبي ربيعـة المخـزومي « من أكبـر الكبـائر » ، ولمـا قتلت جاريـة ببغداد ، في السنـة ٥٤٩ سيّـدتهـا ، ذكـر ابن الجوزي في المنتظم ١٠/١٥٩ أنّهـا أخرجت إلى الـرحبة ، وقتلت « كمـا يقتل الرجال » ، أي أنّ عنقها قطع بالسيف ، مما يـدلّ على أنّ قتل المـرأة بالسيف كان منكراً عند الناس.

إلا أنّ التـاريـخ سجّـل لنـا أسمـاء أشخـاص ، فـاضت فيهم القسـوة ، فمارسوا أعمال قتل النساء ، منهم زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله ، فحازا بذلك لعنة التاريخ على كرّ الزمان .

ويروي لنا التاريخ ، أنّ زياد بن أبيه ، قتل عدداً من النسـاء كالشجـاء ، وحمـادة الصفريـة (الحيوان للجـاحظ ٥/٥٨٩ و٥٩٠) أخذ الشجّـاء ، فقطع يـديها ورجليهـا ، ثم قتلها (الحيـوان ٥/٥٨٩) ، ولم يكتف بقطع الأطـراف والقتـل ، فـدفعتـه القسـوة إلى صلبهنّ عـاريـات (العقـد الفـريـد ١/٢٢١ و٢٢٢) . وكان يشتمهنّ ، عندما يباشر قتلهنّ ، فكنّ يجنبه إجابات جارحة .

قال زياد لامـرأة من الخوارج ، وقـد أمر بقتلهـا : أما والله ، لأحصـدنّكم حصداً ، ولأفنينّكم عدّاً ، فقالت له : كـلا ، والله ، إنّ القتل ليـزرعنا ، فلمـا

همّ بقتلها ، تسترت بثوبها ، فقال لها : أتتسترين وقد هتك الله سترك ، وأهلك قومك ؟ فقالت : إي والله ، أتستّر ، ولكنّ الله أبدي عورة أمّك على لسانك ، أذ أقررتَ بأنّ أبا سفيان زنى بها ، ثم قتلت (بلاغات النساء ١٤٣) .

وولي بعد زياد ، ولده عبيد الله ، فكان مثلاً لوالده ، في القسوة والفسولة والبغي ، فقد أخذ عبيد الله بن زياد ، عروة بن أديّة ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر أن يصلب على باب داره ، فصلب ، ثم قطع رأسه ، وبعث به إلى ابنته ، فجاءت الإبنة وجثّة أبيها مطروحة بين يدي ابن زياد ، لتأخذها فتدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت على دينه ؟ فقالت : كيف لا أكون على دينه ، وما رأيت قطّ خيراً منه ،فأمر بها فقتلت مع أبيها . (انساب الاشراف ٤/٢/٨٨ و٨٩) .

وكان عبيد الله بن زياد ، يتلذّذ بتعذيب النساء ، وقطع أطرافهن بمحضر منه ، وقد جيء إليه بأمرأة ، فقطع رجلها ، وقال لها : كيف ترين ؟ فقالت : إنّ في الفكر في هول المطلع ، لشغلاً عن حديدتكم هذه ، ثم أمر فقطعت رجلها الأخرى ، وجذبت، فوضعت يدها على فرجها ، فقال : لتسترينه ، فقالت له : لكنّ سميّة أمّك ، لم تكن تستره (بلاغات النساء ١٣٤) .

وقتل عبيد الله بن زياد ، الدلجاء من بني حرام بن يربوع . وكانت من مجتهدات الخوارج ، فلما طلبها ليقتلها ، قيل لها : إنّ الله قد وسّع على المؤمنين في التقيّة ، فآستتري ، فأبت ، فوجّه إليها عبيد الله ، فأحضرها ، وقطع يديها ، ورجليها ، وطرحها في وسط السوق . (اعلام النساء ١/١١٩) .

وفي السنة ٧٢ بعث خالد بن عبد الله بن أسيد ، أمير البصرة لعبد الملك بن مروان ، أخاه عبد العزيز لقتال الخوارج ، فآلتحم جنده بجند

الخوارج يقودهم صالح بن مخراف ، وانفلّ جيش البصرة ، وقتل مقاتل بن مسمع ، وسبيت امرأة عبد العزيز إبنة المنذر بن الجارود ، وأقيمت عند الخوارج فيمن يزيد ، وكانت جميلة ، فبلغت مائة ألف درهم ، فغار رجل من قومها ، كان من رؤوس الخوارج ، يقال له أبو الحديد الشني ، فصاح بهم : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة ، إلاّ قد فتنتكم ، وضربها بسيفه ، فقطع عنقها ، فقال ابن قيس الرقيات : (الطبري ٦/١٦٨ - ١٧٣) .

عبد العزيز فضحت جيشك كلّهم ... وتركتهم صرعى بكلّ سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه ... وملّحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتل ... إذ رحت منتهك القوي بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم ... فارجع بعارٍ في الحياة طويل
ونسيت عرسك أذ تقادسبيّة ... تبكي العيون برنّةٍ وعويل

وفي السنة ٧٤ سار حسان بن النعمان ، عامل إفريقية لعبد الملك بن مروان ، فقصد ملكة البربر بجبال أوراس، وتسمّى الكاهنة ، فالتقى الجيشان في معركة ضارية ، وكثر القتل حتى ظنّ الناس إنّه الفناء ، ثم آنتصر المسلمون ، وآنهزم البربر ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وانهزمت الكاهنة ، ثم أدركت فقتلت (ابن الأثير ٤/٣٧٢) .

وفي السنة ١٠٥ نشبت معركة بين مسعود بن أبي زينب العبدي ، وكان قد استولى على البحرين واليمامة ، وبين سفيان بن عمر العقيلي أمير اليمامة ، فقتل مسعود ، وقتلت أخته زينب في المعركة . (ابن الاثير ٥/١١٩) .

ولما قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين ، بالكوفة ، قتل يوسف بن عمر امرأة زيد بالحيرة . (مروج الذهب ٢/١٩٥) .

وفي السنة ١١٩ وقعت معركة بين خاقان ملك الترك ، وأسد بن عبد الله القسري عامل خراسان ، في منطقة الجوزجان ، فانكسر خاقان ،

وفـرّ ، وأراد الخصيّ أن يحمل امـرأة خاقـان ، فأعجلوه عن ذلـك ، فـطعنهـا بخنجر ، فوجدها جند المسلمين وهي تتحرك . (الطبري ١٢٤/٧) .

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، شديد القسـوة ، غضب على أحد أقاربه ، وهو عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طـالب ، فقتله ، ثم دعا بامرأة ابن المسور ، وكلّمها بشيء ، فراجعتـه ، فأمـر بقتلها ، فقتلت (مقاتل الطالبيين ١٦٠) .

وكـانت عبدة بنت عبـدالله بن يزيـد بن معـاويـة، تحت هشـام بن عبـد الملك ، وأسرها عبـدالله بن علي العباسي ، وكـان معها من الجـوهر ، مـا لا يدرى ما هو ، ومعها درع من اليواقيت والجوهر منسوج بـالذهب ، وهـو بدنـة عبدة المشهورة التي وصلت إلى زبيدة ، فألبستها بوران في عـرس المأمـون ، وكان عبدالله بن علي قد أطلقها بعـدما أخـذ ما معهـا من الجوهـر ، فقال لـه أصحـابـه : مـا صنعت ؟ أدنى ما يكـون ، أن يبعث إليهـا أبـو جعفـر (أي المنصور)، فتخبره بما أخذت منها ، فيأخذه منك ، اقتلها، فبعث في أثرها ، فلحقها الرسول ، فقالت له : مه ؟ فقـال : أمرنـا بقتلك ، قالت : هـذا أهون عليّ ، ونزلت فشدّت درعها ، من تحت قدميهـا ، وكمّيها ، وذبحت (مصـارع العشاق ٢/ ١٥١ـ ١٥٢) .

أقول : عبدة ، هذه ، زوجة هشام بن عبد الملك ، قتلها العباسّيـون ، لما اجتاحوا الشام ، وهي صـاحبة بـدنة عبـدة المشهورة التي أهـداها الـرشيد لزوجته ابنة عمّه زبيدة لما بنى بها ، وأهدتهـا أمّ جعفر زبيـدة ، لبوران ، لمـا بنى بها المأمون ، والبدنة ثوب كـالمعطف ، مغـطّى باللؤلؤ والجـواهر ، على اختلاف اشكالها ، وقد أبصـرت عدّة منهـا في طهران في معـرض الجواهـر ، مـطرّزة باللؤلؤ ، في قبـو البنك المـركزي الإيـراني ، راجـع الـديـارات ١٥٦ وتاريخ بغداد لابن طيفور ١١٤ .

وسألت أمينة بنت خضير : ما فعل محمد ؟ (تريد محمد بن عبدالله النفس الزكية) فقيل لها : قتل .

قالت : فما فعل ابن خضير ؟ (تريد أخاها إبراهيم) .

فقيل لها ؛ قتل ، فخرّت ساجدة .

فقال لها زوجها : أتسجدين، وقد قتل أخوك ؟

قالت : نعم ، أليس لم يفرّ ، ولم يؤسر (الطبري ٧/٦٠٥) .

أقول : إبراهيم بن خضير ، هو إبراهيم بن مصعب بن مصعب بن الزبير ، كان من أقوى انصار محمد بن عبداللّه النفس الزكية ، لما خرج على المنصور ، وكان ابراهيم صاحب شرطة محمد ، وكان شجاعاً ذا نكاية ، وقتل في المعركة (العيون والحدائق ٣/٢٤٤) .

وروى عليّ بن يقطين ، أنّ موسى الهادي، كان جالساً ذات ليلة ، فجاء خادم فساره بشيء ، فنهض ، ثم جاء وهو يتنفّس ، ومعه خادم يحمل طبقاً مغطّى بمنديل ، فقال للخادم أرفع المنديل ، وإذا على الطبق رأسا جاريتين لم ير أحسن منهما وجهاً وشعراً فاعظم الحاضرون ذلك ، فقال : بلغني أنّهما تحابّا ، فوكلّت بهما هذا الخادم ليرفع إليّ أخبارهما ، فجاءني ، فأخبرني بأنهما قد اجتمعتا فوجدتهما كذلك ، نائمتين في لحاف واحد ، فقتلتهما ، ثم قال : يا غلام ارفع ، ورجع إلى حديثه كأن لم يصنع شيئاً . (الطبري : ٨/٢٢١-٢٢٢ تحفة المجالس ٩٣-٩٤) .

وقتل الشاعر ديك الجنّ ، عبد السلام بن رغبان (١٦١- ٢٣٥) . حبيبته وردة ، لما اتّهمها ، فضربها بالسيف ، فقتلها ، ثم علم من بعد ذلك أنّه اتّهمها ظلماً ، فقض باقي حياته يرثيها ، ومن جملة أقواله لما ندم :

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها

فو حقّ نعليها ، وما وطيء الحصى شيء أعزّ عليّ من نعليها
ما كان قتليها لأنّي لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود اليها

راجع القصّة مفصلة في الأغاني ١٤/٥٥-٥٦ .

وفي السنة ٢٥٢ أمر المعتز ، بقتل المستعين ، فقتله سعيد بن صالح ، قيل أنّه شدّ في رجله حجراً ، وألقاه في الماء ، وقيل انّهم قتلوه ، وقتلوا دايته معه ، لأنّها كانت في رفقته، فلما علوه بالسيف ، صاحت ، فقتلوها معه (الطبري ٩/٣٦٣-٣٦٤) .

ودعا عبد العزيز بن أبي دلف بجارية كان يرى الدنيا بعينها ، فضرب عنقها ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : مخافة أن أموت في حبّها فتبقى هي بعدي تحت غيري (البصائر والذخائر ١/١٠٩) .

وفي السنة ٢٦٩ رمى أحد غلمان إبراهيم الخليجي امرأة بسهم ، فقتلها ، فهاج العامّة ببغداد ، ووثبوا عليه ونهبوا منزله ودوابه ، وأخذوا غلمانه ، أمّا هو ففرّ (الطبري ٩/٦١٣) .

وفي السنة ٢٨٠ استبدّ أمية بن عبد الغافر ، بمدينة إشبيلية ، وكان يليها للأمير عبدالله المرواني ، فثار عليه الإشبيليّون ، وحاربوه، فاستمات ، وقتل حرمه ، وعقر دوابه ، وأحرق موجوده ، وقاتل حتى قتل (ابن خلدون ٩/٣٨١) .

وفي السنة ٢٨٣ وثب الجند البربر والمغاربة على أمير مصر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وطلبوا منه أن يتنازل عن الإمارة ، لكي يتولّى عمّه مكانه ، فعمد جيش إلى عمّه الذي أرادوا تأميره، فقتله وقتل عمّاً له آخر معه ، ورمى برأسيهما اليهم ، فهجم الجند على جيش وقتلوه وقتلوا أمّه ،

وانتهبوا داره ومدينة مصر وأحرقوها ، وأمّروا عليهم هارون بن خمارويه . (الطبري ١٠/٤٥-٤٦).

وقتل إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (ت ٢٨٩)، كثيراً من أصحابه ، وكتابه ، وحجابه ، واثنين من أبنائه، وثمانية من أخوته، وقتل سائر نسائه، وجميع بناته فعزله المعتضد عن إفريقية، فرحل إلى صقلية، ومات بها . (الإعلام ١/٢٢).

وفي السنة ٣٣٤ قبض على امرأة قبضت على صبي ، وشوته في التنور ، وهو حيّ ، وأكلت بعضه ، وأقرّت بذلك ، وذكرت أنّ شدّة الجوع حملها على ذلك ، فحبست، ثم أخرجت ، وضربت عنقها ، ووجدت امرأة اخرى قد اخذت صبيّة فشقّتها نصفين وطبخت نصفها سكباجاً ، والنصف الآخر بماء وملح ، فدخل الديلم وذبحوها، ثم وجدت ثالثة قد شوت صبيّاً وأكلت بعضه ، فقتلت. (المنتظم ٦/٣٤٤).

وكان محمد بن مسافر ، صاحب قلعة سميران ، قبيح السيرة ، شريراً، ظالماً ، أوحش حتى أولاده ، ففرّ منه ولده وهسوذان ، إلى أخيه المرزبان بقلعة الطرم ، وأراد الأب محمد أن يفرّق بين الأخوين ، فلم يتمكّن ، ولما استولى المرزبان على أذربيجان استدعى في السنة ٣٣٩ أباه محمد بن مسافر ، وأخاه وهسوذان ، وصدّرا أباهما ، ووقفا بين يديه ، ثم قصد المرزبان الريّ ، وحارب ركن الدولة البويهي ، فانكسر جيش المرزبان وأسر ، وعاد فلّ عسكره إلى محمد بن مسافر ، فعقدوا له الرياسة ، فعاد إلى قبيح سيرته ، فوثب عليه الجند ، فالتجأ إلى ولده وهسوذان ، فأخذ وهسوذان أباه ، واعتقله في قلعة شيسجان ، وضيّق عليه حتى مات ، ثم تخلّص المرزبان من الحبس ، وعاد إلى حكم اذربيجان، ومات في السنة ٣٤٦ فحكم بعده ولده جستان ، فأخذ وهسوذان في التضريب بين أولاد أخيه ، وتفريق كلمتهم ، وفي السنة ٣٤٩ التجأ جستان وناصر ، ومعهما أمّ جستان،

إلى عمّهما وهسوذان ، بعد أن توثّقوا منه بالأيمان الغليظة والعهود ، فلما حصلوا في قبضته نكث ، وحبسهم، ثم قتلهما ، وقتل أمّ جستان أيضاً ، كما قتل جميع حاشيتهما ، ومن يقرب منهما ، ففرّ أخوهما إبراهيم بن المرزبان ، والتجأ الى ركن الدولة الذي بعث معه جيشاً أعاده إلى حكم أذربيجان (تجارب الأمم ٢/٣١ـ ٣٢ـ ١٣٥ـ ١٦٧ـ ٢١٩ـ ٢٢٠ وابن الأثير ٨/٥٣١).

وقبض الوزير أبو الفضل الشيرازي ، وزير بختيار البويهي ، على ابي طاهر الحسين بن الحسن ، عامل البصرة ، وسلّمه إلى مستخرج كان أبو طاهر قد وتره فنالته منه مكاره عظيمة حتى قتله ، وقتل أخاه، وأقاربه، وزوجته (تجارب الأمم ٢/٢٩٥).

وفي السنة ٣٨٨ قتل أبو نصر بن بختيار ، صمصام الدولة بن عضد الدولة وقال : هذه سنّة سنّها أبوك ، يشير إلى أنّ أباه عضد الدولة قتل أبن عمّه بختيار والد أبي نصر.

وسلّمت والدة صمصام الدولة إلى قائد ديلمي اسمه لشكرستان كور فقتلها ، وبنى عليها دكّة في داره ، فلما ملك بهاء الدولة فارس ، أخرجها ودفنها في تربة بني بويه . (ابن الأثير ٩/١٤٣ ذيل تجارب الأمم ٣/٣١٥).

وفي السنة ٤٠٦ تحرّك على الأمير باديس بن المنصور بن بلكّين، عمّه حماد بن بلكّين ، فبعث اليه أخا حمّاد ، واسمه إبراهيم بن بلكّين ، لكي يصلح امره ، فاتّفق حمّاد وإبراهيم ، وجاهرا باديس بالخلاف ، وسفكا الدماء ، وقتلا الأطفال، وأحرقا الزروع والمساكن ، وسبيا النساء ، وحدث أن فرّ إلى باديس جماعة من جند قلعة حمّاد ، وكان فيها أخوه إبراهيم ، فأخذ إبراهيم أبناءهم ، وذبحهم على صدور أمّهاتهم ، فقيل إنّه ذبح منهم بيده ستّين طفلاً ، فلما فرغ من الأطفال ، ذبح الأمّهات (ابن الأثير ٩/٢٥٤).

وفي السنة ٤٠٧ غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، الهند ، وحصر

قلعة كلجند ، وكلجند من أعيان الهنود وشياطينهم ، فاقتتلا ، فانفلّ جيش كلجند ، وقتل منهم قريباً من خمسين ألفاً ، فعمد كلجند إلى زوجته فقتلها ، ثم قتل إنفسه بعدها (ابن الأثير ٩/ ٢٦٦).

وفي السنة ٤٦٧ قتل السلطان ملكشاه السلجوقي، عمّته كوهرخاتون ، اتهمها بالتحريض عليه . (اعلام النساء ٤ /٢٦٧).

وفي السنة ٤٧٥ وجدت امرأة مقتولة ملقاة في درب الدوابّ ، وظهر أن قاتلها رجل أعرج ، أقرّ بأنّه في تلك الليلة جمع بين هذه المرأة وبين رجل ، وأنّها أخذت من الرجل قراريط ، وأنّ الأعرج طالبها بأجره ، فقالت : خذ ما تريد ، فوقع عليها ، ثم قتلها ، وأخذ ما معها من الحلي والدنانير ، فحبس ثم قتل . (المنتظم ٩/ ٣).

ولما مات السلطان ملكشاه، استفحل أمر الباطنية بأصبهان ، وفتش الناس مواضع بحثاً عن أشخاص مفقودين فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير ، فأزالوها، فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلاً ، فقتلوا المرأة ، وأخربوا الدار والمحلّة . (المنتظم ٩/ ١٢٠- ١٢١).

وفي السنة ٤٩٥ قتل غلام امرأة سيّده لفرط هواه لها وغيرته عليها ، وأمكنه أن يهرب ، فلم يفعل ، وأخذ يصيح : يا معشر الناس ، أما فيكم من يقتلني ،فحمل إلى باب النوبي ، ثم أحضر زوج المرأة معه إلى رحبة الجامع ، وأعطي سيفاً ، فضرب به رأس القاتل ، وأبانه أذرعاً في ضربة واحدة (المنتظم ٩/ ١٣٢).

وفي السنة ٥٠٠ قتلت أميرة زوجة عيسى بن تغلب ، قتلها ابن أبي هشام ، وسبب ذلك إنّ قلعة تكريت كانت بيد رافع بن الحسين بن مقن العقيلي ،ولما توفّي خلفه ابن أخيه خميس بن مقن، ولما توفّي خميس خلفه ولده أبو غشام ، وفي السنة ٤٤٤ وثب عيسى بن خميس بن مقن ، على ابن أخيه

أبي غشام ، فحبسه ، وملك القلعة ، وتوفّي عيسى ، فخافت زوجته أميـرة أن يعود أبو غشام فيملك القلعة ، فقتلته ، واستنابت في القلعة رجلاً سلّمهـا إلى رجـال السلطان ، وخرجت أميـرة الى الموصـل ، فقتلها ابن أبي غشـام بـأبيـه (ابن الأثير ١٠/٤١٩- ٤٢٠).

وفي السنـة ٥٠٤ في أيّام الأمـر الفاطمي ، قصـد بردويـل الإفـرنجي ، صـاحب القـدس ، مصـراً ، فـدخـل الفـرمـا وأحـرقهـا ، وأحـرق جـامعهـا ومساجدها ، وقتل بهـا رجلاً مقعـداً ، وذبح ابنتـه على صدره، ثم رحـل وهو مريض ، فهلك في طريقه قبل وصـوله إلى العـريش ، فشقّ أصحابـه بطنـه ، ورموا حشوته هناك فهي ترجم الى اليوم (وفيات الأعيان ٥/٣٠١).

وفي السنة ٥٠٩ قصد جند السلطان محمد السلجوقي مدينة كفرطـاب ، وكانت في يد الفرنج ، فلما اشتدّ الحصار على الفرنج ، ورأوا الهلاك ، قتلوا أولادهم ونسـاءهم ، وأحـرقـوا أمـوالهم ، ودخـل جنـد السلطان البلد عنـوة ، وأسروا صاحبها وقتلوه (ابن الأثير ١٠/ ٥١٠).

وفي السنـة ٥٣٦ هاجم الخـطا من سكان مـا وراء النهـر السلطان سنجر ، وسبب ذلك إنَّ السلطان سنجر ، كان قـد هاجم خـوارزم ، وفتحها ، وقتـل احد أولاد خـوارزم شاه اتسـز بن محمد ، فـأراد خـوارزم شـاه أن ينتقم منه ، فراسل الخطا ، وتزوّج منهم ، وأغراهم بقصد مملكة السلطان سنجـر ، فقصدوا السلطان ، وحصلت معركة ، فانهزم السلطان سنجر ، وقتل من جيشه مـائة ألف قتيـل ، منهم أحد عشـر ألفاً كلّهم صـاحب عمامـة ، وأربعـة الآف امرأة. (ابن الأثير ١١/٨١).

وفي السنة ٥٤٩ قتلت جارية امرأةٍ ، سيّـدتها ، فـأخرجت الجـارية إلى الـرحبة ، وقتلهـا زوج المرأة بحضـرة الناس ، كمـا يقتل الـرجـال (المنتـظم ١٠/١٥٩).

وفي السنة ٥٥٦ أقيمت البيّنة على خواجكي صاحب مدينة شارستان ، أنّه قتل زوجته ظلماً وعدواناً وأخذ مالها ، فقتل بها . (ابن الأثير ١١/٢٧٨) .

وفي السنة ٥٥٦ قتل الملك الصالح طلائع بن رزّيك ، وزير العاضد الفاطمي ، تصدّى له قوم بالسكاكين في دهليز القصر ، واتّهم الصالح ، عمّة العاضد ، بأنّها المحرّضة على قتله ، فطلبها من العاضد ، فبعث بها إليه ، فقتلها (ابن الأثير ١١/٢٧٤) .

وفي السنة ٥٦٨ توفّي خوارزم شاه أرسلان ، فخلفه ولده سلطان شاه محمود ، فحاربه أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، وانتصر عليه ، فهرب سلطان شاه ، وأخذت أمّه ، فقتلها علاء الدين تكش . (ابن الأثير ١١/٣٧٧-٣٧٨) .

وفي السنة ٦٥٦ لما فتح هولاكو بغداد ، وقبض على الخليفة المستعصم وأولاده ، وجميع أفراد السلالة العباسية ، قرر هولاكو أن يقرض النسل العباسي ، فأمر الخليفة أن يفرز من نساء دار الخلافة ، جميع النساء اللواتي باشرهن هو وبنوه ، وأن يعزلهن عن غيرهنّ ، ففعل، فكنّ سبعمائة امرأة ، فأخرجهنّ ومعهنّ ثلثمائة خادم (خصي)، وقال الدكتور مصطفى جواد رحمه الله تعليقاً على هذا الخبر : المفهوم أنّ هولاكو أمر بقتل جميع الجواري اللواتي باشرهنّ رجال بني العباس من الأسرة المالكة ، لئلا يكنّ - كلًا أو بعضاً - حوامل بأبناء يصلحون للخلافة ، وهو يريد قرضها بالكليّة (موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج ٢ ص ٣٤٢) أقول : أنا في شكّ من صحة عدد النسوة اللواتي قتلن ، وإن كنت على يقين من وقوع القتل ، وكذلك جرى الحال فيما يتعلّق بالأمراء العباسيين ، من أعمام الخليفة وانسبائه ، وكانوا في دارين من دار الخلافة ، دار الصخر ، ودار الشجرة ، فكان اتباع هولاكو يخرجونهم واحداً واحداً ، فيخرج بأولاده وجواريه، فيحمل إلى مقبرة الخلّال (الشيخ الخلاني) وقتلوا جميعاً عن آخرهم (موسوعة

العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج ٢ ص ٣٣٦).

وفي السنة ٦٦٦ قتلت ببغداد امرأة تسمى عروس خاتون ، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي ، شحنة بغداد ، اسمه حسين اغا ، وسبب ذلك أنّها هويت غلاماً أمرد مليحاً ، فلما عرف بذلك ، أراد قتله ، فأبى الشحنة ذلك ، وقال : يقتلان جميعاً ، أو يستبقيان بعد أخذ الحدّ منهما ، فأخرج الغلام الى ظاهر السور ، وضرب له وتد في الأرض فأقعد عليه فمات ، ثم قدّم المرأة ، وقتلها بيده ، وهو يبكي أسفاً عليها (الحوادث الجامعة ٣٦١).

ووصف ابن بطوطة في رحلته ٢/٢٢٣- ٢٢٤ قسوة السلطان غياث الدين الدامغاني ، سلطان بلاد المعبر ، ووحشيته ، فإنه كان يأمر بالأسرى ، فيركّزون على أعواد قائمة ، فتخترق أجسادهم ، ثم يأمر بذبح نسائهم ، وتعلّق رؤوسهنّ على الأعواد التي تحمل أزواجهنّ ، ثم يأمر بذبح أولادهنّ في حجورهنّ .

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد ، سلطان العراق، عن بضع وثلاثين سنة ، واتّهمت زوجته بغداد خاتون بنت الأمير جويان ، بأنّها سمّته في منديل الجماع ، أي أنّها اتهمت بأنّها وضعت له سمّاً في المنديل الذي تمسّح به بعد الجماع ، فقتلت .

وفي السنة ٧٨١ رسم السلطان بضرب اعناق جماعة من النصارى ، رجال ونساء ، لأنّهم اسلموا ثم ارتدّوا ،فضربت اعناقهم تحت شباك المدرسة الصالحية بالقاهرة ، فانكر الناس ما فعلوه من ضرب اعناق النساء بين الرجال . (بدائع الزهور ١/٢/ ٢٥٠).

وفي السنة ٨٠٢ لما فتح تيمورلنك حلب ، لجأ النساء والأطفال إلى الجوامع والمساجد ، فلم يجدهم ذلك ، كما قتل كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل ، وفي الطرقات ، ولما استولى على دمشق، صنع بها أعظم مما صنع بحلب (الضوء اللامع ٣/٤٦- ٤٨).

وفي السنة ٨٠٣ لما فتح تيمورلنك بغداد ، فرض على كلّ واحد من عسكره أن يحضر له رأسين ، فكان الواحد منهم إذا عجز عن احضار رأسين ، يقطع رأس امرأة ، ويزيل شعرها ، ويقدّم الرأس (تاريخ الغياثي ١٢٥- ١٢٧) .

وفي السنة ٨١٤ اتّهم السلطان الملك الناصر بن برقوق ، زوجته خوند بنت صرق ، بأنّ لها علاقة بأحمد بن الطبلاوي ، فقطع عنقها ووضعه تحت طبق مغطّى وأحضر ابن الطبلاوي ، وأجلسه ثم كشف له عن الرأس ، وقال له : هل تعرف هذه ؟ ثم قام إليه ، وضرب عنقه بيده ، وأمر أن يدفنا في قبر واحد . (بدائع الزهور ١/٢/ ٨١٥) .

وفي السنة ٨٦١ قتل داروغة يزد ، واسمه قنبر الخزرجي ، من اتباع جهان شاه ، زوجته وابنته وابنه ، بأن قطع رؤوسهم ، وأخذها في مخلاة ، ووضعها أمام جهان شاه ، وقال له : هذا جزاء من يواظب في خدمتك ، وسبب ذلك أنّ بيربوداق بن جهان شاه ، لما دخل مدينة يزد ، عيّن فيها محصلاً اسمه ساتلمش الشيرجي ، فعسف أهلها ، وكان قنبر داروغة يزد في خدمة جهان شاه والدبيربوداق ، ففسق الشيرجي بزوجة قنبر وبابنه وابنته ، فلما حضر قنبر الى يزد بلغه الخبر ، فعمد إلى امرأته وابنه وابنته ، فقطع رؤوسهم ، ووضعها في مخلاة ، وأخذها إلى جهان شاه ووضع الرؤوس أمامه ، وحدّثه بالقصّة، فغضب جهان شاه ، وطلب من ولده بيربوداق أن يبعث إليه بساتلمش، فأبى، فكان ذلك من الأسباب التي أدّت بجهان شاه إلى أن حصر ولده بيربوداق ببغداد ، ثم قتله (التاريخ الغياثي ٢٩٠- ٢٩١ و ٣١٥) .

وفي السنة ٨٧٣ قتل حسن علي بن جهان شاه ، زوجة أبيه، في تبريز ، بأن علّقها من ثدييها ، فظلّت ثلاثة أيّام ، ثم ماتت ، وبلغ ذلك أوزون حسن بك ، وكان يحاصر بغداد ، فترك حصارها ، وقصد حسن علي في تبريز ،

وحصره فيها ، وفي اثناء الحصار ، فرّ قائدان من قوّاده ، إلى أوزون حسن بك ، فقبض حسن علي على أولادهما ونسائهما وقتلهم جميعاً ، كما قتل كلّ من له علاقة بالقائدين المذكورين (التاريخ الغياثي ٣٢٦- ٣٣١) .

وقتل السلطان أبو سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، الأميرة كوهرشاد بيكم أغا ، زوجة شاه رخ وجدّة يادكارميرزا (اعلام النساء ٤/ ٢٦٨) .

أقول : وفي السنة ٨٧٣ أسر حسن الطويل (أوزون حسن)، السلطان أبا سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، فأسلمه إلى يادكار ميرزا ، فقتله قصاصاً عن جدته كوهر شاد (تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٢٣٣) .

وفي السنة ٩٨٥ مات الشاه اسماعيل الثاني بن طهماسب ، فاتّهمت أخته الأميرة بري جان خانم بأنّها دسّت له السمّ ، فقتلت (تراجم الأعيان ٢/ ٥٩) .

وفي السنة ١٠٠٠ (١٥٩١ م)، طلب اكبر شاه ، سلطان الهند ، من حكومات الدكن ، أن تعترف له بالسيادة ، فرفضوا طلبه ، فسيّر اليهم جيشاً بقيادة ولده مراد وقائده خان الخانات ابن بيرام ، فحاصرا مدينة أحمد ناجور ، وقامت بأمر الدفاع عن المدينة ، الأميرة المسلمة ، شاندي بيبي ، إحدى أميرات بيجابور ، وأبدت شجاعة ومهارة عظيمة ، وانتهت الحملة بالمصالحة ، وتنازلت الأميرة عن الحكم ، لأخيها الصغير ، الأمير بهادر نظام شاه ، ثم انتقض الصلح ، ونشبت في السنة ١٠٠٦ (١٥٩٧ م) معركة جديدة ، أسر فيها الأمير بهادر ، فعادت الأميرة المسلمة شاندي بيبي للدفاع عن أحمد ناجور ، ولكنّها اتّهمت بالخيانة ، فاعدمت ، وعندئذٍ لم تثبت المدينة على الدفاع ، فسقط في أيدي المغول . (الإسلام والدول اللإسلامية في الهند ٨٣- ٨٤) .

وذكر مندليس ، أحد السيّاح الأوروبّيين ، عن والي أحمد آباد ، إنَّه كان من القسوة بحيث إنَّه دعا راقصتين ، لترقصان في حفلة أقامها ، فتأخّرتا ، فأحضرهما قسراً ، وقطع رأسيهما أمام أضيافه ، وكان هذا الوالي القاسي ، يلي ولاية احمد آباد بالهند ، للشاه جهان ، مدة حكمه ١٠٣٨ـ ١٠٦٩ (١٦٢٨ـ ١٦٥٨ م). (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٠٣ـ ١٠٤).

وفي السنة ١١٦٨ (١٧٥٤م) قتل المير مهنا ، أباه الميرناصر ، حاكم بندرريق ، وهي بليدة تقع شمالي مدينة أبو شهر ، لكي يحل محلّه ، ولما عنّفته أمّه على قتل أبيه ، أمر بقتلها ، فقتلت (رحلة نيبور ٢/١٤٧).

وفي السنة ١٢٠١ وقعت بالقاهرة حادثة لشخص من الأجناد اسمه اسماعيل كاشف أبو الشراميط ، وكان هذا الرجل يسيء معاملة مماليكه ، فتآمروا عليه ، وقام اثنان من مماليكه بقتله ، فصرخت زوجته، ونزلت اليهم ، فقتلاها ، وقتلا جاريتها معها ، واجتمع الناس وحضر الوالي ، فأطلقا عليه الرصاص ، ثم فرّا ، فتعقّبهما الوالي ، وقبض عليهما ، وقتلهما على رأس العطفة التي تقع فيها الدار التي حصلت فيها الجريمة (الجبرتي ٢/١١).

وفي السنة ١٢١٤ لما استعرت الحرب بين الجيش الأفرنسي ، والمماليك وأهل القاهرة ، كان رجل مغربيّ يلقب بالجيلاني ، له اتباع مغاربة ، فعل أفعالاً قبيحة ، إذ كان يكبس البيوت مع جماعة من العوّام فيقتلون من يجدون فيها ، وينهبون الدار ، ويسبون النساء ويسلبونهنّ ما عليهنّ من الحلي والثياب ، ومنهم من يقطع رأس البنيّة الصغيرة طمعاً فيما على رأسها وشعرها من الذهب (الجبرتي ٢/٣٢٧).

الفصل الثالث

قتل المرأة خنقاً

اتّهم ابن الدمينة (ت ١٣٠) امرأته ، فطرح على وجهها قطيفة ، وجلس عليها حتى قتلها (الاغاني ٩٦/١٧) .

وذكر أبو الأزهر المهلّب بن عيسى ، إنّه خنق جارية عبد الله بن علي العباسي ، عمّ المنصور ، وكان المنصور قد حبس عمّه عند أبي الأزهر هذا ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مدّه على الفراش ، وأخذ الجارية ليخنقها ، فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ، ويده تحت جنبها ، كالمتعانقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما . (مروج الذهب ٢٤١/٢) .

وفي السنة ٤٩٣ نشبت معركة ضارية بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان محمد ، فانكسر وزيره مؤيّد الملك عبيد الله بن نظام الملك وأحضر عند السلطان بركياروق ، وكان مؤيّد الملك ، لما ورد صحبة السلطان محمد إلى الريّ ، وجد فيها زبيدة خاتون ، والدة السلطان بركياروق ، قد تخلّفت بعد آبنها فأخذها ، وسجنها ، ورفعها ألى القلعة ، وأمر بها فخنقت ، فلما أسره السلطان بركياروق ، قتله بيده ، وظلّ ملقى على الأرض عدّة أيّام ،

حتى أذن في دفنه ، فحمل إلى تربة أبيه بأصبهـان ، فدفن معـه . (ابن الاثير ١٠/٢٨٨ و٣٠٤) .

وفي السنـة ٦٦١ أقـرّ زوجـان ، بـأنّهمـا كـانـا يحتـالان على النســاء ويخنقـانهنّ ، من أجل حليهنّ، فخنقت المـرأة ، وجعلت في جوالق، وسمـرّ زوجهـا في خشبـة ، وفي اليـوم الثـاني خنق بحبـل (الـذيــل على الـروضتين ٢٢٢) .

وفي السنـة ٨٠١ قصد تيمـورلنك بغـداد ، فتشّـوش السلطان أحمـد بن أويس ملك العـراق ، فأخـذ في قتل أمـرائه وقـوّاده ورجالـه ، حتى قتل أكثـر الخدم ، والحرم الـذين كانـوا عنده ، قتلهم بيـده وألقاهم في دجلة ، وكـانت خالته وفا خاتون ، وهي بمثابة أمّه ، لأنّها هي التي ربّته ، فتشـوّش منها أيضـاً وقتلهـا بأن وضعهـا وبعض الحريم في قـارب ، بحجّة إرسـالهم إلى واسط ، وأغرق القارب في وسط دجلة ، فغرقوا بأجمعهم (التاريخ الغياثي ١٢١) .

وفي السنة ٨٤١ بلغ الأمير أصبهان ، سلطان العراق ، أنّ ميـرزا علي ، ابن أخي قرايوسف ، وزاهد ، وقطلوبك ، قد تآمروا عليه ، فقبض عليهم ، وأمـر بقتلهم ، وقتل ميـرزا علي ، وأولاده جميعـاً ، حتى الأطفـال الـذين في المهد ، وكانت بلقيس بـاشا ، بنت ميـرزا علي ، تحت أصبهان ، فلمـا قتلوا بكت ، وصاحت ، فأمر بخنقها ، فخنقت (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٩٩) .

وفي السنة ٨٦٩ بعث جهان شاه ، إلى ولده بير بوداق صـاحب بغداد ، أن يعني بزوجته ،فآستاء من هذه الوصيّة ،ولما تقدّم جهان شاه لحصار بغدد ، أمر بير بوداق بخنق زوجته ، وكانت طول نهارها وليلهـا مشغولـة بتلاوة القـرآن والصلاة ، فخنقت ، ولما قتـل بير بـوداق زوجته ، قـام كلّ امـرائه والمقـرّبين منـه ، فقتـل كـلّ منهم نسـاءه تـأسّيـا بسيّـدهم . (التـاريـخ الغيـاثي ٣١٩ ، ٣٢٠) .

وفي السنـة ١٢١٦ لما رحـل الإفـرنسيـون عن مصـر ، وعـادت السلطة للعثمانيين ، طلبت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرّج مع الفرنسيس ، بمعينين من طرف الوزيـر ، فحضروا إلى دار أمّهـا بالجـودرية بعـد المغرب ، وأحضـروها ووالدها ، فسـألوهـا عما كـانت تفعله ، فقالت : إنّي تبت من ذلـك ، فقالـوا لـوالدهـا : ما تقـول أنت ؟ فقال : أقـول إنّي بريء منهـا ، فكسروا رقبتهـا ، وكـذلك المـرأة التي تسمى « هوى » التي كـانت تزوّجت نقـولا القبـطان ، ثم أقـامت بالقلعـة ، وهربت بمتـاعها ، وطلبهـا الفرنسـاوية ، وفتّش عليهـا عبـد العال، فلما دخل المسلمون (العثمـانية) وحضـر زوجها مـع من حضر، وهـو اسماعيل كاشف ، المعروف بالشامي ، أمّنها ، وطمّنها ، وأقامت معه أيّـاماً ، فـآستأذن الـوزير في قتلهـا ، فأذن لـه ، فخنقها في ذلـك اليوم أيضـاً ، ومعها جـاريتـه البيضـاء أمّ ولـده ، وقتلوا أيضاً آمـرأتين من أشبـاههنّ (الجبـرتي ٢/٤٨٦) .

وفي السنـة ١٢٣٥ مات ابن ابـراهيم بـاشـا نجـل محمـد علي بـاشـا ، صـاحب الديار المصرية ، وكـان الابن في سن السادسـة ، ذكروا إنّه كـان في حجر دادته وهي جارية سوداء ، فشاجـرتها جـارية بيضـاء ، ورفصتها بـرجلها ، فـأصابت الغـلام ، فمـات ، فقبض ابـراهيم بـاشـا على الجـواري بمـا فيهن الدادة ، وكن ستّاً ، فخنقهن ، ورمى بهنّ في البحر (الجبرتي ٣/٦٠٨) .

وفي السنة ١٢٦٤ قتلت الداعية البهائيـة الشهيرة ، الملقّبـة بقرّة العين ، وكانت قد ربط شعـر رأسها بذنب بغل ، وجيء بهـا مسحوبـة ، ثم خنقت ، وأحرقت . (اعلام النساء ٤/٢٠١) .

الفصل الرابع

قتل المرأة شنقاً

وفي السنة ٦٩٤ لما قبض على صدر واسط ابن الطرّاح واصحابه ، قبض على امرأة قيل إنّ أحد أصحاب ابن الطرّاح أودع عندها وديعة ، فصلبت بادية العورة (الحوادث الجامعة ٤٨٤ ـ ٤٨٧) .

وفي السنة ٧٧٥ رسم سلطان مصر ، بالقاهرة ، بشنق امرأة يقال لها : الخنّاقة ، فشنقت هي وزوجها ، وكانت تسكن في تربة في الصحراء ، وتأخذ ، هي وزوجها ، أولاد الناس الصغار ، وتخنقهم ، وتأخذ ما عليهم من الثياب ، فلما أخذت ، وجد عندها أثواب الصغار الذين خنقتهم ، وشنقت هي وزوجها بباب النصر ، وكان يوماً مشهوداً في اجتماع الناس عليهما للفرجة ، لما شنقا (بدائع الزهور ١/٢/١٢٨) .

وفي السنة ١١٧٨ صلبت « المرأة الفاحشة » فاطمة ، الشهيرة بعزّة قاش ، لأمور يطول شرحها (إعلام النبلاء ٣/٣٤٥) .

أقول : ليته ذكر السبب بآختصار إذا لم يرد أن يطيل في الشرح .

وفي السنة ١٢١٣ أحضر الأغا رجلاً « رمى عنقه » عند باب زويلة ، وأحضر امرأة شنقها على شبّاك السبيل تجاه الباب ، وكان الرجل خادماً عند الضابط الفرنسي حاكم خطّ الخليفة ، والمرأة راقصة خليلة الرجل ، فكانا يغريان الضابط بمصادرة الناس ، وعلم كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ

البلد بذلك أحضر الضابط وحبسه ، أمّا خادمه وخليلتـه فتسلّمها الأغـا وقتلهما (الجبرتي ٢/٢٥٨) .

وفي السنـة ١٢١٦ قبض بالقـاهرة على امـرأة سرقت أمتعـة من حمّام ، فأعدمت شنقاً عند باب زويلة (الجبرتي ٢/٥١٨) .

الفصل الخامس

ألوان أخرى من القتل

وفي السنة ١١ قتلت في المعركة ، أمّ زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت قد سبيت في صدر الاسلام ، فأعتقتها عائشة ، فعادت الى قومها ، ودعت إلى الردّة عن الإسلام ، وجعمت حولها جموعاً ، وعظمت شوكتها ، فقاتلها خالد بن الوليد مع جيش إسلاميّ ، ونشبت معركة عظيمة ، وهي على جمل واقفة ، وقتل حول جملها نحو مائة رجل ، واجتمع على الجمل ، جماعة ، فعقروه ، وقتلوها . (الاعلام ١٧٤/٣) .

وفي معركة الطفّ ، في السنة ٦١ كان من انصار الحسين عليه السلام ، رجل من كلب ، فحمل عليه إثنان من رجال الجند الأموي ، فقتلاه ، فخرجت امرأته تمشي إلى زوجها ، حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب ، وتقول : هنيئاً لك الجنة ، فقال شمر بن ذي الجوشن ، لغلام يسمى رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضربها به ، فماتت (الطبري ٤٣٨/٥) .

ولما استعرت الخصومة بين قيس وتغلب في السنة ٧٠ كان المستعلي منهم لا يكتفي بقتل الرجال ، وإنما يبقر بطون النساء ، ففي يوم الثرثار الأوّل ، وكان لتغلب على قيس ، بقرت تغلب بطون ثلاثين آمرأة ، وقابلهم القيسيّون في يوم البليخ ، فبقروا بطون نساء من تغلب ، وفي معركة

الكحيل ، وكانت لقيس على تغلب ، عاود القيسيّون بقربطون النساء ، وهدأت الخصومة حيناً ،ثم عاود الجحّاف بن حكيم السلمي هذا اللون من العذاب بأن أغار مع أصحاب له على تغلب فقتلهم ، وبقر بطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملاً ، وكان سبب ذلك أنه لما قتلت بنو تغلب ، قرب تكريت ، عمير بن الحباب واصحابه ، ثم هدأت الفتن ، وتكافّت قيس وتغلب ، وتقاربوا للصلح ، أثار أحد السفهاء وهو الاخطل الشاعر نار الفتنة من جديد إذ أنشد في مجلس عبد الملك بن مروان مخاطباً الجحّاف معيّراً له ، بقوله :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من تميم وعامر

فوثب الجحّاف يجرّ مطرفه وما يعقل من الغضب ، ثم افتعل عهداً من عبد الملك على صدقات تغلب ، وصحبه من قومه ألف فارس ، وأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا بطون الحبالى ، ومن كانت غير حامل قتلوها ، ثم لحق بالروم ، ولما سكن غضب عبد الملك كلّم فيه فأمّنه ، فعاد ، وأحسّ بمقدار جريمته، فحجّ فيمن شهد المذبحة معه ، وقد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا انوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها البُرَى ، ومشوا إلى مكة ، وتعلق الجحّاف بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم آغفر لي وما أراك تفعل ، فقال له محمد بن الحنفية : يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك (الاغاني ١٢/٢٠١ ـ ٢٠٤) .

أقول : لما أوقع الجحّاف ببني تغلب ، عاد مؤرّث الفتنة الاخطل الشاعر ، فأنشد عبد الملك قصيدة يستعديه فيه على الجحّاف ، منها :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكي والمعوّل
فأن لم تداركها قريش بحزمها يكن عن قريش مستراد ومزحل

فغضب عبد الملك لقوله : يكن عن قريش مستراد ومزحل ، وقال له :

إلى أين يا ابن النصرانية ؟ فقال : إلى النار .

لما أوقع الجحّاف بن حكيم السلمي ، بالبشر ، وقعته بتغلب ، وقتل الرجال والنساء والأطفال ، قالت أحداهن له : فوّض الله عمادك ، وأطال سهادك ، وأقلّ رقادك، إن قتلت إلّا نساءً أسافلهنّ دمى ، وأعاليهن ثدى، فقال الجحّاف لمن حوله : لولا أنّي أخشى أن تلد مثلها لخلّيت سبيلها ، ثم قتلها ، وبلغ ذلك الحسن البصري ، فقال : أمّا الجحاف فجذوة من نار جهنم . (الحيوان ١/٢٤ والمحاسن والاضداد ٢٦) .

وفي السنة ١٣٠ كتب مروان بن محمد ، إلى عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد جيشه في اليمن ، أن يبارحها ليحجّ بالناس ، فسار قاصداً الحجاز في اثني عشر رجلاً ، ونزل الجرف ، فأتاه آبنا جهانة المراديّان في جمع كثير ، وقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص ، فأراهم عهده ، على الحجّ ، فقالوا : هذا باطل ، فقاتلوه ، وقتلوه ، وخلفه ابن اخيه الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، فهاجم الذين قتلوه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقربطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنار من قدر عليهم منهم (ابن الاثير ٥/٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢) .

وذكر السيوطي ، في كتابه نزهة المجالس (ص ١٢٢ و١٢٣) إنّ الأمين أمر بجارية من جواريه ، فطرحت للسباع ، ففصّلت عضواً عضواً ، وخلاصة القصّة أنّ ابراهيم بن المهدي اشترى جارية بارعة الحسن ، كاملة الصفات ، بعشرة آلاف دينار ، وحملها إلى زبيدة ، فعوّضته عنها ثلاثين ألف دينار ، وبلغ الأمين خبرها ، فأمر بإحضارها ، واختبرها ، فأعجب بها ، وبسطها ، فآنبسطت ، وكايدت بحري الخادم، وكان أثيراً عند الأمين ، وعبثت به ، حتى بكى ، فغضب الأمين عليها ، وأمر بأن تطرح للسباع ، فطرحت للسبع ، ففصّلها عضواً عضواً .

أقول : أنا في شكّ من صحّة هذه القصّة ، وأحسبهـا من القصص التي سبكت بعد قتل الأمين ، وإلاّ فإنّ الأمين لم يكن مضيّعاً بـالدرجـة التي وصفه بهـا بعض المؤرخين ، ولكنّ النـاس من يلق خيـراً قـالـوا لـه مـا يشتهي ولأمّ المخطىء الهبل .

وفي السنـة ٢٦٩ رمى أحـد غلمـان ابـراهيم الخليجي امـرأة بسهم فقتلها ، واستعـدي عليـه السلطان ، فـامتنـع من تسليم الغـلام ، ورمى غلمانه الناس ، فقتلوا جماعـة ، منهم اثنين من أعوان السلطان ، فهـاج العـامّة ، ونهبـوا منزلـه ، ودوابّـه ، وأخـذوا غلمانـه ، أما هـو ففرّ (الـطبـري ٦١٣/٩) .

وأغـرق أحد المـلاّحين ببغداد ، امـرأة نـزلت في سفينتـه ، لينقلهـا من مشرعة إلى أخرى ، فطمـع فيما عليهـا من حلي وثياب ، فـأغرقهـا ، وآعترف بما صنع ، فأمر به المعتضد ، فأغرق ، راجـع القصّة مفصّلة في كتـاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف حـ ٤ ص ١٢٥ رقم القصة ٥٩ .

وفي السنة ٣٣٣ فتح أبو يزيد الخارجي بافريقية مدينـة سوسـة فأحـرقها أصحـابه ، وقتلوا الـرجال ، وسبـوا النساء ، وشقّـوا فـروج النسـاء ، وبقـروا البطون (ابن الأثير ٤٢٦/٨) .

وقبض الابـزاعجي ، صاحب الشـرطة ببغـداد ، في عهـد معـزّ الـدولـة البويهي ، ملاحاً أقرّ بأنّه راود آمرأة نزلت في سميريّته ، لينقلها من مشرعة إلى أخرى ، عن نفسها ، فلما امتنعت عليه ، أغرق آبنتين لها ، كـانتا معهـا ، ثم آستسلمت له ، فلما قضى حـاجته منهـا ، أغرقهـا ، راجع القصّـة مفصّلة في كتاب نشوار المحـاضرة للقـاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، ج ٣ ص ٢١٤ - ٢٢٠ رقم القصة ١٤٢ وقد بسط التنوخي في القصّة إقـرار المجرم بجـريمته ، والعقاب الذي عاقبه به صاحب الشـرطة ، وكيفيـة التحقيق الذي كـان يجريـه صاحب الشرطة في آستجواب المتّهمين .

وفي السنة ٤٥٨ نشبت معركة بين محمد بن خزرون ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، والمعتضد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فآستمات بن خزرون وأمر أحد غلمانه بقتل زوجته ، وأمر آخر بقتل أخته ، فقتلتا ، ثم استقتل ، وتقدّم فقاتل حتى قتل . (الاعلام ٣٤٦/٦) .

وفي السنة ٥٣٦ انهزم السلطان سنجر ، من الترك الكفّار ، وسبب ذلك أنّ سنجر كان قد حارب خوارزم شاه ، وأسر أحد أولاده ، فقتله ، فراسل خوارزم شاه الخطا ، وهم بما وراء النهر ، وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر ، فالتقوا بما وراء النهر ، واقتتلوا أشد قتّال ، وانهزم سنجر ، وقتل من أتباعه مائة ألف قتيل ، منهم أحد عشر ألفاً كلّهم صاحب عمامة ، وأربعة آلاف امرأة ، وأسرت زوجة السلطان سنجر . (ابن الاثير ٨١/١١) .

وفي السنة ٥٥٥ لما توفي المقتفي ، وخلف ولده المستنجد ، اتهم المستنجد أخاه أبا علي وأمّه ، بالسعي في قتله ،وإنّهما آستعانا بالجواري ، فأمر بالجواري ، فقتل بعضهنّ ، وغرّق البعض الآخر . (ابن الأثير ٢٥٧/١١) .

وكان قتل النساء وسبيهنّ ، من الأمور المتعارفة الإعتيادية في القرن السادس ، بحيث إنّ الأمر إذا جرى على ما يخالف ذلك ، كان يسجّل ، فإنّ الأمير المؤيّد أي أبه ، لما فتح مدينة شارستان في السنة ٥٥٦ ، ذكر ابن الاثير (ج ١١ ص ٢٧٨)أنّ عسكره نهب المدينة « إلّا أنّهم لم يقتلوا آمرأة ولا سبوها » ، ونزل أمراء المدينة بالأمان ، ولكنّ أحدهم واسمه خواجكي ، حوكم بتهمة قتله زوجته ظلماً ، وأخذ مالها ، فثبتت عليه التهمة ، وقتل .

وفي السنة ٥٦٨ توفّي خوارزم شاه أرسلان بن أتسز ، وخلفه ولده سلطان شاه محمود ، فأنف أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، من سلطنة أخيه الأصغر ، وآستعان بملك الخطا ، ونشبت بين الأخوين معركة ، كان النصر فيها

لتكش ، وفرّ سلطان شاه ، وظفر تكش بأم سلطان شاه فقتلها . (ابن الاثير ١١/ ٣٧٧ و٣٧٨) .

وفي السنة ٦٣٣ اختلف أهل إصبهان ، الشافعية والحنفية ، وجرت بينهم حروب متصّلة ، فخرج قوم من الشافعية ، إلى التتار ، وطلبوا منهم أن يقصدوا إصبهان لتسلّمها منهم ، على أن يعينوهم في قتل الحنفية ، فقصدوا البلد، وفتح الشافعية لهم أبوابها ، فلما دخلوها بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، ثم ثنّوا بالحنفية ، وثلثّوا بسائر الناس ، وسبوا النساء ، وشقوا بطون الحبالى ، ونهبوا الأموال ، ثم أضرموا النار في إصبهان ، فأصبحت تلالاً من الرماد (شرح نهج البلاغة ٨/ ٢٣٧ و٢٣٨) .

وفي السنة ٦٥٤ هلك أتدخان ، أحد ملوك التتار ، فاتّهمت امرأته بأنّها سحرته ، وقتلت (مجلة لغة العرب البغدادية ج ١٠ سنة ٧) .

وفي السنة ٦٥٥ قتلت ملكة مصر ، عصمة الدين ، ملكة المسلمين ، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين ، شجرة الدر ، بالقاهرة ، ضرباً بالقباقيب ، لأنّها اتّهمت بأنّها قتلت زوجها عزّ الدين ايبك خنقاً في الحمّام . (الاعلام ٣/ ٢٣١).

أقول : شجرة الدرّ أمّ خليل ، جارية الملك الصالح ، جارية تركية ، ذات شهامة ، وإقدام ، وجرأة ، وذكاء ، وعقل ، ودهاء ، بارعة الحسن ، وكان الملك الصالح مغرماً بها ، فلما مات في أشدّ الأوقات حراجة ، وجيشه مقابل جيش الإفرنج في مصر ، أخفت شجرة الدرّ خبر موته ، وأخذت تعلّم بخطّها مثل علامته ، ونالت من السعادة أعلى الرتب ، بحيث أنّها خطب لها على المنابر ، وملّكوها عليهم أيّاماً ، ثم بلغها اعتراض الخلافة ببغداد على تمليك امرأة ، فاختارت عزّ الدين أيبك ، وسلطنته ، وتزوّج بها ، وكان الأمر إليها ، ثم بلغها إنّه خطب ابنة صاحب الموصل ، فعظم ذلك عليها ، وعزمت

على الفتك به ، وجاء أيبك تعبان من ملعب الكرة ، ودخل الحمّام، فأمرت خدمها ، فاقتحموا عليه الحمّام وقتلوه خنقاً وهو عريان، وتسلطن ولده علي من بعده وهو ابن ١٥ سنة ، وكان أوّل ما صنعه أن أمر خدمه بقتل شجرة الدر ، فقتلت ، وألقيت مسلوبة تحت قلعة مصر ، دفنت في تربتها (شذرات الذهب ٥/٢٦٧ـ ٢٦٨).

وفي السنة ٦٥٨ حصر هولاكو قلعة حارم ، وطلب تسليمها إليه ، ولهم الأمان ، فلم يطمئن أهلها إلى أمانه ، وطلبوا رجلاً مسلماً يحلف لهم بالطلاق والمصحف على أن لا يدنو لأحد منهم بسوء ، واختاروا فخر الدين الوالي بقلعة حلب ، فأحضره ، وحلف لهم على ما أرادوا ، ففتحوا الأبواب واستسلموا ، وعندئذٍ أمر هولاكو بقتل الوالي فخر الدين ، ثم قتل جميع من في القلعة من الرجال والنساء حتى الأطفال الذين في المهد (اعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧).

وفي السنة ٦٦١ استولى على حكم فارس سلجوق شاه بن سلفرشاه بن سعد بن زنكي ، فقتل تركان خاتون أمّ عمّه السلطان محمد بن سعد وزوجة جدّه السلطان سعد بن زنكي (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٥٠) .

أقول : لم يمتد حكم سلجوق هذا ، إذ قتله المغول في السنة ٦٦٣ .

وفي السنة ٧٣٠ وقعت فتنة بين أمير مكّة الشريف عطيفة وبين آيدمور أمير جندار الناصري ، أمير الحاج المصري ، وسبب ذلك إنَّ تجّاراً من اليمن سرقت منهم أموال ، فشكوا ذلك إلى الأمير آيدمور ، فقال آيدمور لمبارك بن الأمير عطيفة : أحضر لي هؤلاء السرّاق ، فقال له : لا أعرفهم ، فكيف آتي بهم ، ثم إنَّ أهل اليمن تحت حكمنا، ولا حكم لك عليهم ، فإن سرق لأهل الشام ومصر شيء فاطلبني به ، فشتمه آيدمور ، وضربه على صدره ، فسقطت عمامته عن رأسه ، وغضب له عبيده، فقتلوا آيدمور وقتلوا معه ولده ، واشتبك

رجال امير مكّة ، مع الجند المصريين ، وقتلت امرأة بالنّشاب، قالوا إنّها كانت تحرّض أهل مكة على القتال (مهذّب رحلة ابن بطوطة ١/١٨٥).

ولما توفّي السلطان أبو سعيد في السنة ٧٣٧ اتّهمت زوجته بغداد خاتون، بأنّها دسّت له السمّ في منديل ، فهجم عليها الخواجة لؤلؤ الرومي ، وهي في الحمّام ، فضربها بدبوسه وقتلها ، وطرحت مستورة العورة بقطعة تليس (تاريخ العراق للعزاوي ١/٤٩٣).

وفي السنة ٨٤٥ هلك الأشرف اسماعيل بن الأفضل يحيى ملك اليمن ، وكان ظالماً قتل إخوته وأقاربه ، وقتل عمّته أخت أبيه ، وقتل بيده امرأة أخرى لاتّهامه إيّاها بمصاحبتها ، وقطع يد امرأة أخرى تضرب بالرمل ، كلّ ذلك لتخوفه أنّهم يسعون في تمليك غيره (الضوء اللامع ٢/٣٠٨).

وفي السنة ٨٧٣ كان حسن بيك يحاصر بغداد ، فكتبت إليه امرأة جهان شاه بيكم خاتون ، من قلعة النجق ، تحثّه على المجيء إلى تبريز لتسلّمه القلعة والخزائن ، فرحل عن بغداد ، قاصداً تبريز ، وقبل وصوله ، قصد حسن علي بن جهان شاه قلعة النجق ، وحصر زوجة أبيه ، وقال للموكّلين بالقلعة : أنا حسن علي بن جهان شاه ، جلست على التخت ، وملكت الدنيا وما فيها ، وأنتم تعصون عليّ لأجل امرأة ، فخافوا منه ، وفتحوا له أبواب القلعة ، فاستولى عليها ، وأخذ زوجة أبيه (أمّ بيربوداق) إلى تبريز ، وصلبها من ثدييها حتى ماتت ، وقصد حسن بيك ، حسن علي بن جهان شاه ، واشتبك معه في معركة حامية ، فانفلّ عسكر حسن علي ، وفرّ هو إلى باكو ، ثم إلى جبال ألوند بهمذان، حيث اعتقله هناك ثلاثة من أتباع حسن بيك ، وكان حسن علي يدرك ما له عند حسن بيك، فأزمع أن ينتحر ، وطلب منهم موسى ليحلق عانته ، فذبح بالموسى نفسه ، وعندئذٍ قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره وحطّوه في فمه ، وجاءوا برأسه إلى حسن بيك ، وقطعوا جسده أربع قطع ،

وعلّقوها على أبواب همذان على كلّ باب قطعة (تاريخ الغياثي ٣٨٠-٣٨١) .

وفي السنة ٨٩٥ مات بالسمّ السلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل ، وأخوه أبو يوسف ، وأمّهما سلجوق بيكم (تاريخ العراق للعزاوي ٢٧٥/٣) .

وفي السنة ٩٠٢ قُتل القاضي شمس الدين بن المزلق ، قتلته سريتاه بتحريض من الدوادار وأمير آخور ، واستادار الحاجب تمربغاً ، فأمسكوا الجميع وخوزقوا، خلا الجارية الصغرى ، فإنّها غرّقت ، لأنّها كانت حبلى (قضاة دمشق ١٨٢) .

وفي السنة ٩٢٥ اتّهمت صبيّة مصريّة ، بأنّها كانت مع نصراني ، فأمر بها ملك الأمراء بمصر ، نائب السلطان العثماني ، فعرّيت من أثوابها ، وكتّفت ، وربطت من رجليها إلى ذنب إكديش ، وسحبت على وجهها ، فماتت في الطريق . (بدائع الزهور ٥/ ٢٩٠) .

وفي السنة ١٠٩٨ كان والي حماة ، إذا غضب على رجل أمر به فأعدم بإقعاده على الخازوق ، وإذا غضب على امرأة، وضعها في كيس مع شيء من الكلس ، وألقاها في نهر العاصي (خطط الشام ٢ /٢٧٧) .

ومما يؤثر عن جان بولاد ، أمير لواء أكراد حلب ، إنّه غضب على زوجته، أم ولده حسين باشا فقتلها (اعلام النبلاء ٦/٨٨) .

وفي السنة ١٢١٦ أي بعد خروج الإفرنسيين من مصر ، أحضرت إبنة الشيخ البكري ، وكانت قد خالطت الإفرنسيين ، فكسرت رقبتها . (الجبرتي ٤٨٦/٢) .

وممن حاز قصب السبق في هذا المورد الذميم ، مخلوق اسمه الميرمهنا ، حاكم بندر ريق ، وهي بليدة تقع شمالي مدينة بو شهر ، على الساحل

الشرقي لخليج البصرة ، فإنَّ هـذا المير مهنـا ، بدأ جـرائمه في السنـة ١١٦٨ (١٧٥٤ م) باعتقال أبيه المير نـاصر ، حـاكم البليدة، وأمـر به فقتـل بمحضر منه ، ثم قتل من بعـد ذلك أخـاه وستّة عشـر شخصاً من أفـراد عائلتـه ، ولما عنّفته أمّه على جرائمه ، أمر بها ، فقتلت ، وأغـرق أختين له ، لأنَّ أميـراً من جيرانه خطب إحداهنّ للزواج بهـا ، وكان يئـد (يدفن بـالحياة) كـافة البنـات اللاتي يولدن له ، أمـا ما كـان يمارسـه في رعيته من أسـاليب العذاب بجـدع الأنوف وصلم الآذان ، فلا يحصى لكثرته (رحلة نيبور ٢/١٤٦ـ ١٤٩).

وفي السنـة ١٢٠١ نـودي بـالقـاهـرة على النسـاء بمنـع خـروجهن إلى الأسواق ، وسبب ذلك وقائعهنّ مع العسكر ، منها إنّهم وجدوا في بيت يوسف بـك سكن حمّامجي اوغلي نحـو سبعين امرأة مقتـولة ومـدفونـة بالإصـطبلات (الجبرتي ٢/ ٢٠).

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصـلات ، ونشطت حـركة الإعـدام كان الجـلّاد يلقي بجثث الضحايـا في أوضاع يثير بها ضحك المتفـرّجين ، وكان (كـاريه) يحمـل ضحايـاه على أن يحفروا قبورهم بأيديهم ، ليـدفنهم فيها أحيـاء ، أمّا النسـاء والأطفال ، فكـان يأمر بإغراقهم (قصة الأضطهاد الديني ٢٦ـ ٢٧).

وفي السنـــة ١٢١٣ قبض الإفـرنسيــون على خمسـة أنفــار من اليهـود وامرأتين، فألقوا الجميع في بحر النيل (الجبرتي ٢/٢٤٦).

وفي السنة ١٢١٧ مر أربعـة أنفار من العسكـر ، وأخذوا غـلاماً لـرجل حلّاق بخطّ بين السورين عند القنطرة الجديدة بـالقاهـرة ، فعارضهم الأسـطى الحلّاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلّاق وقتلوه ، ثم ذهبوا بالغلام إلى دارهم بالخطة ، فقامت في الناس كرشة وضجّة ، وحضر أغات التبديـل ، فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه بالبنـادق من الطيقـان ، وقتلوا من أتباعـه ثمانيـة

أنفار ، ولم يزالوا على ذلك إلى ثاني يوم ، فركب الباشا في التبديل ، ومرّ من هناك ، وأمر بالقبض عليهم ، فنقضوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم بعدما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشنقوهم ، ووجدوا بالدار مكاناً خرباً أخرجوا منه زيادة عن ستّين امرأة مقتولة وفيهنّ من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها (الجبرتي ٢/٥٥٥) .

وفي السنة ١٢١٩ عند الاحتفال في القاهرة بكسر الخليج ، حضر الباشا (الوالي) والقاضي ، ومحمد علي باشا وجميع العسكر ، وضرب الجميع بنادقهم ، ومات في ذلك اليوم عدّة اشخاص نساء ورجالاً ، أصيبوا من البنادق ، ومما وقع إنّ احدهم نظر إلى أعلى بيوت الخليج ، فرأى امرأة جالسة في الطاقة ، فضربها برصاصة أصابتها في دماغها ، وماتت من ساعتها (الجبرتي ٣/٢٧) .

وفي السنة ١٢٢٣ أحسّ الإنكشارية بأنّ السلطان محمود العثماني ، يرغب في الحدّ من سلطانهم يعاونه في ذلك وزيره مصطفى باشا البيرقدار ، فحصروا مصطفى باشا في قصره ، وأحرقوه هو وزوجته ، وجميع من في القصر (أعيان القرن الثالث عشر ١٠٢) .

وفي السنة ١٢٢٥ قتل شخص من الأجناد الألفية ، قطعوا رأسه بباب الخرق ، بسبب أنّه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها (الجبرتي ٣/٣١٤) .

الفصل السادس

الخوارج والمرأة

للخوارج الذين خرجوا بالعراق، تاريخ مظلم في الإعتداء على النساء والأطفال ، فبقروا بطون النساء ، وقتلوهنّ بالسيوف ، وألقوا الأطفال في القدور وهي تفور .

وكان أوّل ما ظهر منهم ، أنّهم لاقوا عبدالله بن خباب ، صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، ومعه امرأته وهي حبلى قد أركبها على حمار ، وهو يسوقه ، فلما عرفوه ، سألوه عن الخلفاء الراشدين فأثنى عليهم جميعاً ، فأضجعوه وذبحوه ، ثم أخذوا امرأته فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، فلما بلغ الإمام علي ذلك ، سار إليهم ، وبعث إليهم برسول يطلب منهم تسليم القتلة لكي يعاقبهم على جرائمهم فقالوا : كلّنا قتلتهم ، وكلّنا نستحلّ دماءكم ودماءهم ، (الطبري ٥/٧٢-٩٢).

وفي أيّام عبيدالله بن زياد ، خرج رجل وامرأة اسمها جزعة ، ومعهما سيفان فحكّما في مسجد البصرة ،وأخذ الرجل نحو رحبة بني تميم ، وأخذت المرأة نحو بني سليم ، فلما رآها قد بعدت عنه ، ناداها : يا جزعة أقربي منّي ، فقالت : إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقتلا . (أنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٩٣).

وقاتل مع عبدالله بن الزبير ، لما عاذ بالكعبة ، أربعون امرأة ، فقتلت منهنّ امرأة يقال لها الشعثاء ، فقال رجل من أهل الشام : (أنساب الاشراف ٥/ ١٨٩).

كانت لشعثا في القتال بصيرة   بل كان بغية أهلها بالأردن

ومن جملة النساء الخوارج ، امرأة اسمها سلمى ، كانت تقاتل مع ابن الزبير ، قال فيها أحد الشاميّين : (أنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٥٠).

إنّي لم أنس إلاّ ريث أذكره   أيّام تطردنا سلمى وتنضينا

ولما استولى أبو حمزة الخارجي ، المختار بن عوف ، على مكّة والمدينة ، حشد له الأمويّون، وقاتلوه ، فقتل في معركة بأسفل مكّة ، وقتلت معه امرأته، وهي تقول :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلم   من سال عن إسمي فإسمي مريم
بعتُ سواريّ بسيف مخذم

وفي السنة ٦٨ بارح الأزارقة ، وعليهم الزبير بن الماحوز ، فارس، إلى العراق ، ودخلوا المدائن، فقتلوا أمّ ولد لربيعة بن ماجد ، وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي ، وكانت من أجمل الناس ، قرأت القرآن ، فلما غشوها بالسيوف ، قالت : ويحكم ، هل سمعتم أنّ الرجال كانوا يقتلون النساء ؟ ويحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يداً ، ولا يريد بكم ضرّاً ، أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ فقتلوها، فصاحت ريطة بنت يزيد : سبحان الله ، تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب إليكم ذنباً؟ ثم انصرفت وهي تحمل طفلة في يدها ، فهجموا عليها وضربوها والطفلة بالسيف . (الطبري ٦/١٢١).

وفي السنة ٦٨ لما دخل الأزارقة المدائن ، أخذوا رجلاً اسمه سماك بن يزيد واخذوا معه ابنته ، وقدّموها ليقتلوها، فصاحت بهم : أهل الإسلام ، إنّ

أبي مصاب فلا تقتلوه ، وإنّما أنا جارية ، والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ، ولا تشرفت، ولا تطلّعت، فلما قُدّمت لتقتل، أخذت تصيح : ما ذنبي ، ما ذنبي ، فقطعوها بأسيافهم . (الطبري ٦/١٢٤).

وسبق لنا أن أوردنا في الفصل الثاني من هذا الباب ، تحت عنوان ، « قتل المرأة بالسيف » ما صنعه أحد الخوارج من عبد القيس ، وهو أبو الحديد الشني العبدي ،لما ظفر الأزارقة ، بجيش البصرة ، في معركة بداربجرد وسبوا أمّ حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، زوجة عبد العزيز بن عبدالله ، قائد جيش البصرة ، فإنّ الأزارقة أقاموا أمّ حفص ، في السوق ، حاسرة ، بادية المحاسن ، وكانت من اكمل الناس حسناً وكمالاً ، فتزايد فيها الناس حتى بلغت تسعين ألفاً (على قول صاحب العقد الفريد ، ومائة ألف على قول الطبري وابن الأثير) فأقبل ابو الحديد أحد رؤساء الخوارج من خلفها بالسيف ، وضرب عنقها ، فرفعوه إلى رأسهم قطري بن الفجاءة ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا استهلك تسعين الفاً من بيت المال ، وقتل أمة من إماء المؤمنين ، فقال له : ما تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتهم تنازعوا عليها ، حتى ارتفعت الأصوات ، واحمّرت الحدق ، ولم يبق إلّا الخبط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً هيّنة في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين ، فقال قطري : خلّوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها ، قالوا : فأقد منها ، قال : لا أقيد من وزعة الله ، ثم قدم هذا العبدي بعد ذلك البصرة ، واتى آل المنذر ، فقالوا له : والله ، ما ندري انحمدك أم نذمّك ، فقال : ما فعلته إلّا غيرة وحميّة ، وذكر صاحب العقد الفريد إنّهم وصلوه (الطبري ٦/١٦٩)والعقد الفريد ٣/٤١٤- ٤١٥).

وخرج شبيب الخارجي ، بالموصل ، فبعث إليه الحجّاج خمسة قوّاد ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ثم خرج من الموصل يريد الكوفة ، وتحصّن الحجّاج منه في دار الإمارة بالكوفة ، ودخل إليها شبيب ، ومعه أمّه جهيزة ،

وزوجته غزالة ، وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية ، بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها ، وكان الحجّاج، هرب في بعض الوقائع من غزالة ، فقال فيه الشاعر :

أسد عليّ وفي الحروب نعامة   فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلّا برزت إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت جهيزة أم شبيب شجاعة ، أيضاً تشهد الحروب ، واستعان الحجّاج بجنود الشام ، وفي إحدى المعارك قتلت غزالة ، وقتلت جهيزة ، ونجا شبيب في فوارس من أصحابه إلى الأهواز ، فغرق هناك سنة ٧٧ (وفيات الأعيان ٢ /٤٥٥).

وذكر الطبري في أخبار السنة ٧٧، أنّ غزالة زوجة شبيب ، قتلت في المعركة ، قتلها فروة بن الدفان الكلبي ، ومرّ برأسها إلى الحجّاج ، فرآه شبيب ، فأمر علوان ، فشدّ على فروة فقتله ، وجاء بالرأس، فأمر به شبيب ، فغسل، ودفن (الطبري ٦/٢٧١).

أقول : كانت غزالة امرأة شبيب ، قد نذرت أن تصلّي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وآل عمران ، فأخذها زوجها شبيب إلى الكوفة ، وكان الحجّاج فيها ، فلما سمع الحجّاج بقدومه ، تحصّن في القصر ، وأغلق عليه الباب ، فجاء شبيب فوقف على باب القصر ، وضرب الباب بعمود في يده ، وصاح بالحجّاج : أخرج الينا يا ابن أبي رغال ، وذهبت غزالة إلى المسجد حيث وفت بنذرها .

وقول شبيب للحجّاج : يا ابن أبي رغال . كلمة شتيمة ، لأنّ أبا رغال الثقفي جدّ الحجّاج ، كان دليل الحبشة لما غزو الكعبة ، وهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكّة والطائف ، ومرّ النبي صلوات الله عليه بقبره ، فأمر

برجمه ، فرجم ، وأصبح رجمه سنّة (الأغاني ٤/٣٠٣- ١٨/١١٦ واليعقوبي ٤/٢٧٤ والطبري ٦/٢٧١- ٢٧٥) .

وفي السنة ٧٧ توجّه قطري الخارجي ، يريد طبرستان ، فوجّه له الحجّاج جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد ، فلحقوا بقطري في طبرستان، وقتلوه ، وذكر معاوية بن محصن الكندي إنّه وجد في عسكر قطري خمس عشرة امرأة عربيّة ، على جانب عظيم من الجمال وحسن الهيئة ، ومعهنّ عجوز ، فلما دنا منهنّ انتحت له العجوز بسيف مسلول، فضربته به على عنقه ، فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقه ، فسلّ سيفه وضربها به فأطار قحف رأسها ، وأخذ الفتيات إلى سفيان بن الأبرد ، فقال له سفيان : ما أردت إلى قتل العجوز أخزاها الله ، فاعتذر إليه بأنّها أرادت أن تقتله، فاضطرّ لقتلها (الطبري ٦/٣٠٩).

وفي إحدى المعارك بين المهلّب والخوارج ، قرب اصطخر ، حمل يزيد بن المهلّب على الخوارج ، وتصدّى له منهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخشني ، وهو من كماة اصحابه : من لهذين ؟ قال : أنا ، وحمل عليهم ، فطعن أوّلهما فصرعه ، وحمل عليه الآخر ، فتعانقا ، وسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشني : اقتلونا جميعاً، فحملت خيل هؤلاء ، وخيل هؤلاء، فحجزوا بينهما ، فإذا معانق قيس امرأة ، فقام قيس مستحيياً ، فقال له يزيد : يا أبا بشر ، إنَّك بارزتها على أنّها رجل ، فقال : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال : قتلته امرأة (شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٠٠) .

ومن النساء المحاربات ، من نساء الخوارج ، أمّ حكيم ، كانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجهاً ، وكانت تحارب مع قطري بن الفجاءة (ت ٧٨)، وكانت تدخل المعارك وهي ترتجز :

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عنّي ثقله

وخطبها جماعة من أشراف الخوارج ، فردّتهم، وقالت : (الأغاني ١٥٠/٦ وشرح مقامات الحريري ٩١/١ـ ٩٢).

ألا أنّ وجهاً حسّن الله خلقه لأجدر أن يلفى به الحسن جامعاً
وأكرم هذا الجرم عن أن يناله تورّك فحل همّه أن يجامعا

أقول : لم تكن الفروسية مقصورة على نساء الخوارج ، وإنّما هي فيهن أظهر ، وقد كان في نساء الصليبيّين محاربات ، وذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل ٣٩/١٢ أنّه في السنة ٥٨٥ وقعت معركة عظيمة بين صلاح الدين الأيّوبي والصليبيّين على عكّار، فانتصر صلاح الدين ، وقتل من الصليبيّين نحو عشرة آلاف ، أكثرهم من فرسان الإفرنج ، وكان من جملة الأسرى ثلاث نسوة إفرنجيّات ، كنّ يقاتلن فارسات على الخيل ، فلما أسرن ، وألقي عنهنّ السلاح ، تبيّن أنّهنّ نساء ، وذكر أيضاً أنّ السلطان صلاح الدين حصر قلعة برزية ، ونصب حولها المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقاً أبطل مجانيق المسلمين ، وذكر ابن الأثير (١٥/١٢) إنّه كان حاضراً الحصار ، وإنّه أبصر بعينه امرأة من الإفرنج ترمي بمنجنيق القلعة ، وهي التي ابطلت مجانيق المسلمين .

وأحضرت أمام الحجّاج ، أمرأة من الخوارج ، فجعل يكلّمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك ، وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : أني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها ، فقتلت . (العقد الفريد ٢٦/٤) .

وأتي عتاب بن ورقاء (ت ٧٧) بخوارج فيهم امرأة ، فقال لها : أي عدوّة الله ، ما دعاك إلى الخروج ؟ أما سمعتِ قول الله عزّ وجلّ :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول

فقالت : يا عدوّ الله ، إنّما أخرجني حسن معرفتك بكتاب الله تعالى (البصائر والذخائر ١/١٤٤) .

وخرج في أيّام هشام ، خوارج بناحية البصرة ، فقتلوا ، وأسرت معهم امرأة ، فأحضرت أمام عامل البصرة ، فقالت له : يا حسن الوجه أنّي خدعت ، فبعث بها العامل إلى يوسف بن عمر الثقفي، فقتلها . (العيون والحدائق ٣/١٠٩) .

وفي امرة الوليد بن رفاعة ، على مصر ، لهشام بن عبد الملك ، خرج بمصرفي السنة ١١٧ وهيب اليحصبي شارياً ، فأخذ ، وقتل ، فكانت آمرأته تطوف بالليل على منازل القرّاء تحرّضهم على الطلب بدم زوجها ، وكانت آمرأة جزلة محلوقة الرأس . (الولاة للكندي ٧٧ و٧٨) .

وكان نساء الخوارج يحاربن مع الرجال في المعارك ، ولما دخل الضحّاك بن قيس الكوفة في السنة ١٢٧ ، وحاربه أميرها في أهل الشام ، أصابوا من جند الضحّاك أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . (الطبري ٧/٣١٨) .

وفي السنة ١٢٧ وقعت معركة بين منصور بن جمهور ، أحد قوّاد الشام ، بالكوفة ، وبين جماعة الضحاك بن قيس الخارج بالكوفة ، فأقبلت امرأة من الخوارج ، شادّة ، حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين ـ تريد به الضحاك ـ فضرب عنان دابته بالسيف فقطعه في يدها ، ونجا ، ثم إنّ منصور لحق بالضحّاك وبايعه ، وقال : مَنِ الفارس الذي أخذ بعناني يوم الزاب ؟ فنادوا : يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ، فإذا هي أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبحّ الله سيفك ، أين ما تذكر منه ، فوالله ، ما صنع شيئاً ولا ترك ، تعني أنه لم يقتلها يوم أخذت بعنانه فدخلت الجنة ، فقال

منصور للضّحاك : يا أمير المؤمنين ، زوّجنيها ، فقال : إنّ لها زوجاً ، وكانت تحت عبيدة بن سوّار العنبري . (الطبري ٧/٣٢٢ و٣٢٣) .

ولما خرج الوليد بن طريف الشيباني ، بالموصل ، بعث إليه الرشيد جيشاً أميره يزيد بن مزيد الشيباني ، فقاتله ، فقتله يزيد ، فلبست الفارعة ، أخت الوليد ، عدّة الحرب ، وحملت على جيش يزيد ، فقال يزيد : لا يعرض لها أحد ، ثم خرج إليها ، فضرب بالرمح فرسها ، وصاح بها ، أغربي ، غرب الله عينك ، فقد فضحت العشيرة ، فآستحيت وآنصرفت ، راجع تفصيل القصّة في ترجمة الوليد بن طريف في وفيات الأعيان ٦/٣١ ـ ٣٤ وراجع فيها رثاء الفارعة لأخيها ، مقطوعة من عيون الشعر ، مطلعها :

بتلّ نهاكى رسم قبر كأنّه   على جبل فوق الجبال منيف
تضمّن مجداً عدمليّاً وسؤدداً   وهمّة مقدامٍ ورأى حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنّك لم تجزع على ابن طريف

الفصل السابع

تعذيب المرأة بالنار

في السنة ٤٠٥ منع الحاكم الفاطمي النساء من الخروج من دورهن ، فاتّفق أنّ القاضي بمصر ، مرّ على دار امرأة ، فبكت أمامه وذكرت له أنّ لها أخاً في السياق ، وأنّها تريد أن تراه قبل موته ، فأمر بعض رجّالته أن يمضي معها إلى دار أخيها ، ثم تبيّن أنّ تلك المرأة إنّما ذهبت إلى دار عشيقها ، وجاء الزوج إلى القاضي ، فقال له : ما أعرف زوجتي إلاّ منك ، فركب القاضي إلى الحاكم ، وقصّ عليه القصّة ، وبكى أمامه ، فأمر الحاكم بإحضار المرأة والرجل ، فمضى الأعوان إليهما بغتة ، فوجدوهما نائمين متعانقين لا يعقلان من السكر ، فحملوهما إلى الحاكم فأمر بالمرأة فلفّت في بارية ، وأحرقت ، وضرب الرجل بالسياط ضرباً مبرحاً . (أخبار القضاة ٦٠٦ و٦٠٧) .

وفي السنة ٥٣٠ قبض على ابن كسبرة اليهودي ، وكبس بيته ، ووكّل به ، وأخرج ليلاً وقت ضرب الطبل (وقت الصلاة) ونصب له خشبة في الرحبة (رحبة جامع القصر) ، وأخذت معه امرأة مسلمة كان يتّهم بها ، وكانت مستحسنة ، فجيء بحلّة من قصب ، وجعلت المرأة فيها وضربها النّفاط بالنار ، فاحترقت الحلّة ، وخرجت المرأة هاربة عريانة فعفي عنها ، وقد نالها بعض الحريق، وقدّم هو ليقتل، فأسلم، فأمنوه. (المنتظم ١٠/٥٨) .

وفي السنة ٥٤٣ قصد سوري بن الحسين ، ملك الغور ، مدينة غـزنة ، فملكها ، وطرد ملكها بهرام شاه عنها ، ثم كرّ عليها بهرام شاه ، فاستعادهـا ، وأسر سوري ، فأشهره راكباً على بقرة ، وقد سوّد وجهه ، ثم صلبه .

وبلغ علاء الدين الغـوري ، ما تّم على أخيه ، فهاجم غـزنة في السنـة ٥٥٠ وملكهـا ، ونهبهـا ، وأخـذ من أعـان على أخيـه ، فـألقـاهم من رؤوس الجبال ، وأخذ نساءً كنّ تغنّين بشعر فيه هجو لأخيه ، فأدخلهنّ حمّاماً ، وسدّه عليهنّ ، حتى متن فيه . (ابن الأثير ١١/١٣٥ ـ ١٦٥) .

وفي السنة ٦٠٥ هلك سنجر شـاه ، صاحب جـزيرة بن عمـر ، على يد ولـده غازي ، وكـان سنجر شـاه هذا ، مخلوقاً شريـراً ، يؤذي الجميع حتى أولاده ، وكان قد حبس ولده غازي في دار ووكّل به فيهـا ، فاحتال حتى تسلّل منهـا إلى دار أبيـه ، وآختفى عنـد بعض سـراريـه ، ثم قتله ، فخلفـه ولـده محمـود ، فقتل أخـاه غازي ، ثم أخـذ جواري أبيـه ، فأحـرق وجوههنّ ، ثم غرّقهنّ ،قال ابن الاثير ١٢/ ٢٨٠ حدّثني صديق لنا إنّـه رأى بدجلة في مقـدار غلوة سهم ، سبع جوار مغـرقات ، منهنّ ثـلاث قد أحـرقت وجوههنّ بـالنار ، فلم أعلم سبب ذلك ، حتى حدثتني جارية آشتريتها بـالمـوصـل من جـواريه ، إنّ محموداً كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار ، فإذا آحترقت ألقاها في دجلة .

وفي السنـة ٦٤١ أنهى للخليفة ببغـداد ، أنّ أحد زعمـاء إربـل ، كـوى آمـرأة في فرجهـا ، فتقدّم بـاعتماد الشـرع في ذلـك ، فسـطرت فتيـا ، وأفتى الفقهاء بأن تقدّر على أنّها أمة في حالة الصحة ، وتقـوّم بعد حصـول العيب ، فقّدر العيب بقدر الثلث ، فأخذ من الزعيم ، وأمر الخليفة بحبسه (الحـوادث الجامعة ١٨٥) .

وفي السنـة ٦٨٣ انتصر السلطان أرغـون التتـاري ، على عمّـه السلطان

أحمد تكدار ، وقتله ، وأرسل إلى والدة السلطان أحمد ، وآسمها قتوخاتون ، فأحرق قصرها وهي فيه (سيرة الملك المنصور ٦٣) .

وفي السنة ٨٣٢ جهّز الملك الاشرف برسباي ، سلطان مصر والشام ، عسكراً من القاهرة لاستعادة مدينة الرها من عثمان قرايلك ، فلما وصل عسكر القاهرة إلى حلب آنضمّ إليهم نوّاب السلطان في الشام ، ومضوا بأجمعهم إلى الرها فحصروها ، وكان عثمان قرايلك قد غادرها بعد أن حصّنها وترك فيها ولده هابيل ، فحارب هابيل حرباً ضارية ، وقتل جماعة من جنود السلطان ، وعلّق رؤوسهم على قلعة الرها ، ثم إنّ عسكر السلطان استولى على الرها ، وآفتتحها عنوة ، فما ترك العسكر قبيحاً إلا أتوه ، ولا أمراً مستبشعاً إلا فعلوه ، وحاصروا القلعة ، فطلب من فيها الأمان ، فأمّنهم نائب الشام ونائب حلب ، فركنوا الى أمانهم ، ونزل إليهم الأمير هابيل بن عثمان قرايلوك ومعه تسعة من أعيان دولته ، فغدر الأمراء بهم وآعتقلوهم ، وهجم مماليك السلطان على من في القلعة ، ونهبوا جميع ما كان فيها ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والصبيان ، وألقوا فيها النار ، فأحرقوها بأجمعها ، ثم عادوا إلى المدينة ، وألقوا فيها النار ، وقتلوا من وجدوه فيها ، حتى جاوزوا الحدّ ، ثم أخذ المماليك النساء ، وفجروا بهنّ ، فكانت الواحدة منهنّ ، إذا قامت من تحت الواحد منهم ، مضت هي وطفلها إلى موضع كان فيه تبن ، فتختبيء فيه ، فآجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة مع أطفالهنّ ، وقد زنوا بهنّ جميعاً ، فأضرم المماليك النار عليهنّ ، فآشتعل التبن ، وآحترقن جميعاً ، وأخذوا النساء الباقيات إلى حلب ، فمات في الطريق جماعات منهن عطشاً ، وبيعت منهنّ بجلب وغيرها عدّة ، وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدهر (حوليات دمشقية ١٤٥ ـ ١٤٧) .

وحجّ أحمد باشا الجزار ، أمير عكّا ، في إحدى السنين ، فلما عاد بلغه أنّ بعض مماليكه قد آتّهموا بنساء من حرمه ، فأمر بنار فأجّجت ، وأمر

الخصيان ، فأحضروا نساءه ، فكان يقبض على الواحدة منهنّ ، ويطرحهـا في النـار على وجهها ، ويـدوس على ظهـرهـا ، ويضغط على رأسهـا ، حتى يتّم شيّها في النار وتهلك ، فيحضر غيرها ، وهكذا قتل سبعاً وثـلاثين امرأة ، ولم تنج غير فتاة في الثامنة من عمرها (خطط الشام ٣/٢١) .

وفي السنـة ١٢٤٧ عـذّب المـلاّ علي الخصي ، ومحمـد الليـلاني ببغداد ، زوجة رضوان اغـا ، بكيّها بـالسيخ المحمي (تـاريخ العراق للعزاوي ١٣/٧) .

الفصل الثامن

تعذيب المرأة بقطع الاطراف والتعرض للجوارح

ويشتمل هذا الفصل على ما يتعلّق بتعذيب المرأة ، بقطع أطرافها ، وسمل عينيها وقطع لسانها وجدع أنفها .

في السنة ١٢ في معركة اليمامة ، التي قتل فيها مسيلمة ، في حرب الرّدة ، قاتلت أمّ عمارة نسيبة بنت كعب بن عوف الأنصارية ، قتال الأبطال ، فقطعت يدها ، وجرحت ، وكانت يوم أحد قد خاضت المعمعة ، وأبلت بلاء حسناً ، وجرحت اثنى عشر جرحاً ، بين طعنة رمح ، وضربة سيف ، وثبتت مع رسول الله صلوات الله عليه حين تراجع الناس، وقاتلت أشدّ قتال ، وكان رسول الله صلوات الله عليه إذا تحدث عن يوم أحد ، يقول : ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً ، إلّا رأيت أمّ عمارة تقاتل دوني . (الاعلام ٨/٣٣٤) .

ولما خلع توزون المتقي وسمله ، بايع المستكفي ، في السنة ٣٣٣ ، وكان المتوسّط في ذلك امرأة آسمها : حُسْن الشيرازيّة ، فلما استخلف المستكفي ، غيّرت حسن إسمها ، وسمّت نفسها : عَلَم ، وأصبحت قهرمانة المستكفي ، وآستولت على أمره كلّه ، وآنبسطت يدها فصارت تكبس منازل الناس وتستولي على أموالهم ، فلما خلع المستكفي من السنة ٣٣٤ ، أخذت علم القهرمانة ، وسملت عيناها ، ثم قطع لسانها . (تجارب الأمم ٢/٧٣-٧٥ و٨٦ و١٠٠) .

وفي السنة ٣٩١ كبس العيّارون دار أبي الحسن علي بن طاهر الكاتب ،

بدرب المقيّر من سويقة غالب ، وعلوه بالسيوف ليقتلوه ، فقامت جارية من دونه ، للمدافعة عنه ، وضربوا يدها ضربة أبانتها ، ثم ضربوه عدّة ضربات ، فاضت منها نفسه ، وأخذوا ماله ورحله . (تاريخ الصابي ٨/٣٩٨) .

وفي السنة ٥٩٨ صلب مملوك تركي من مماليك الخليفة على رأس درب الباهقي ، وسبب ذلك إنّه اجتمع مع مملوك آخر ، في دار يشربان خمراً ، فسكر أحدهما وعندهما مغنّية ، فراودها عن نفسها ، فغار منه الآخر ، فضربه بسكّين فقتله ، فتقدم بصلب القاتل ، وجدع أنف المغنية . (الجامع المختصر ٨٢) .

وفي السنة ٦٨٣ وجد في رمضان ، عند كاتب نصراني بالقاهرة ، امرأة مسلمة ، وجماعة وهم يشربون الخمر ، فأمر نائب السلطنة بالنصراني فأحرق ، أمّا المرأة فجدع بعض أنفها (تاريخ ابن الفرات ٨/٧) .

وفي السنة ٧٤٧ حدث في حلب أنّ بنتاً بكراً من آل التيزيني ، كرهت أن تزفّ إلى زوج عقد قرانه عليها ، يقال له : ابن المقصوص ، فلقّنت كلمة الكفر ، لينفسخ نكاحها قبل الدخول ، فقالتها وهي لا تعلم معناها ، فأحضرها نائب حلب بيدمر البدري ، بدار العدل بحلب ، وأمر بها فقطعت أذناها وشعرها وعلّق ذلك في عنقها ، وشقّ أنفها ، وطيف بها على دابّة بحلب وتيزين ، وهي من أجمل البنات ، فشقّ ذلك على الناس ، وعمل النساء عليها عزاءً في كلّ ناحية بحلب، حتى نساء اليهود ، وأنكرت القلوب قبح ذلك ، وما أفلح البدري بعدها فإنّ السلطان عزله بعد شهرين من أجل ما صنعه « في حقّ البنت » وسافر الى مصر معزولاً (تاريخ ابي الفدا ٤/١٤٦ و١٤٧) ولما وصل الى غزّة ، قتل هناك (اعلام النبلاء ٢/٤١٩ ـ ٤٢٢) .

وفي السنة ١٢٢٦ لما قام محمد علي باشا ، بقتل المماليك بالديار المصرية ، هجم العسكر على بيوت الأمراء المماليك ، ونهبوا ما فيها ، وسلبوا النساء والأطفال ، حتى إنّ بعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار ، ولم يتمكّن من نزعه بسرعة ، فقطع يد المرأة (الجبرتي ٢/٣٢٢) .

الفصل التاسع

ألوان أخرى من العذاب

لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ، طلب آل أبي عقيل رهط الحجاج ، فأخذهم رجالاً ونساءً ، وأسلمهم إلى يزيد بن المهلّب ، فعذّبهم ، وبعث ابن المهلب إلى البلقاء ، وبها خزائن الحّجاج وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتي به ، أخت لزوجة يزيد بن عبد الملك ، وهي أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، فعذّبها معهم ، فجاء إليه يزيد بن عبد الملك ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال له : الذي قررتم عليها من المال أناأحمله ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلّب : أما والله ، لئن وليت من الأمر شيئاً ، لأقطعن منك طابقاً ، فقال له يزيد : لئن كان ذلك ، لأرمينّك - والله - بمائة ألف سيف ، وحمل يزيد ما ألزمت تلك المرأة بأدائه ، ومقداره مائة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك (ابن الاثير ٤/٥٧ و٥٨) .

وروى صاحب عذاب أبي جعفر المنصور ، إنه أحضر جارية صفراء ، ودعا لها بأنواع العذاب ، وكان يستنطقها عن أحوال النفس الزكيّة محمد بن عبد الله بن الحسن ، فأنكرت معرفتها بمكانه ، فدعا بالدهق ، وأمر به فوضع عليها ، فلما كادت نفسها أن تتلف ، أمر فأمسكوا عنها ، وتولّى بنفسه صبّ الماء البارد على وجهها حتى أفاقت (المحاسن والمساوىء ١/١١٤) .

وفي السنة ٣١٠ زوّجت أمّ موسى الهاشمية ، قهرمانة المقتدر ، إبنتها من أحد أحفاد المتوكلّ ، وأسرفت في الإحتفال بهذا الزواج ، فسعى عليها

أعداؤها بأنّها قد صاهرت هذا الأمير لكي ترشحه للخلافة ، فقبض المقتدر عليها وعلى أختها وأخيها ، وأسلموا ألى ثمل القهرمانة ، وكان قاسية القلب ، مسرفة في إنزال العذاب بمن يقع في يدها، فآستخرجت ثمل من أمّ موسى وأختها وأخيها أموالاً عظيمة بلغت نحو ألف ألف دينار ، حتى اضطر الوزير علي بن عيسى إلى إنشاء ديوان خاص سمّاه : ديوان المقبوضات عن أمّ موسى وأسبابها . (تجارب الامم ١/٨٣ و٨٤) .

ولما استخلف القاهر ، عذّب امرأة أبيه ، السيّدة أمّ المقتدر ، وضربها بيده مائة مقرعة ، وعلّقها بثدييها ، ثم علّقها وهي منكّسة ، فكان بولها يجري على وجهها ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي في القصة المرقمة ٢/٣٣) .

وفي السنة ٣٦٠ هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن ، عامل البصرة لبختيار البويهي ، حيث عذّب هو وزوجته وأخوه وأقاربه ونالتهم مكاره عظيمة ، كانت عاقبتها أن تلفوا بالعذاب ، بما فيهم الزوجة (تجارب الأمم ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٥) .

وفي السنة ٦٧٩ غرّقت أمرأة ببغداد ، نسب إليها إنها قتلت زوجها ، وكان محبّاً لها ، محسناً إليها ، وقد أوصى إليها في ماله وأولاده ، فأحضرت من قتله ، فلما قرّرت آعترفت بذلك ، فغرّقت ، وأخذ القاتل وسمّر (الحوادث الجامعة ٤١٣) .

وفي السنة ٧٤٠ قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، على ناظر الخاص النشو ، وهو شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، وعلى أمّه وأفراد عائلته ، وعرضوا على العذاب ، فماتت أمّه في العذاب ، وكذلك مات أخوه المخلص ، ومات النشو كذلك (الدرر الكامنة ٣/٣٣ و٣٤) .

وفي السنة ٧٥٣ قبض الأمير صرغتمس بالقاهرة على الوزير علم الدين ابن

زنبور ، وصادره ، ونهب أمواله ، وأخذ ابنه الصغير ، وضربه بمرأى من أمّه ، فأسمعته الأمّ كلاماً جافياً ، فأمر بها فعريّت وعصرت (النجوم الزاهرة ١٠/٢٨٤ وخطط المقريزي ٢/٦١ و٦٢) .

ولما اعتقل الوزير الصاحب شمس الدين موسى (ت ٧٧١) ، وعذّب عذبت معه زوجته وكانت ضعيفة حاملاً ، فولدت وهي تعصر بالمعصرة ، وعاش ولدها حتى كبر . (النجوم الزاهرة ١١/١١٠ ـ ١١٢) .

وفي السنة ٧٨١ قبض على سرّ النديم ، دادة السلطان بالقاهرة ، وعذّبت حتى أظهرت أشياء كثيرة من التحف ، منها قبع السلطان الذي كان قد صنعه له والده السلطان شعبان المقتول ، عند ختانه . (بدائع الزهور ١/٢/٢٤٩).

وفي السنة ٧٨٩ أرسل الملك الظاهر برقوق ، صاحب مصر والشام ، الأمير جمال الدين محمود ، شاد الدواوين ، إلى الشام ، حيث أوقع الحوطة على الأمير بيدمر ملك الأمراء بدمشق ، وعلى أهله وأصحابه وحاشيته ، فقام بذلك ، واحتاط على موجود الأمير بيدمر ، وعصر ، وعصر جواريه ، وأصحابه وحاشيته (تاريخ ابن الفرات ٩/٣).

ولما عاد الأمير جمال الدين محمود ، إلى القاهرة ، استقبل استقبال الأبطال ، ثم لاقى في السنة ٧٩٩ أسوأ مصير ، إذ قبض عليه الملك الظاهر ، وصادره ، واستأصله ، وأسرف في عذابه حتى مات في السجن (نزهة النفوس ٤٥٤).

وفي السنة ٧٩٢ توجّه والي القاهرة حسين بن الكوراني ، إلى قاعة البيسرية بالقاهرة ، وكان إخوة الملك الظاهر برقوق مقيمين بها ، فقبض على بيبرس ابن أخت الملك الظاهر ، وصار ابن الكوراني يفحش من الذمّ على الظاهر ، « ويوشي » على حاشيته حتى أنّ النساء صرن يتخضّعن له فلم يلتفت

لفعلهنّ ، وأخرجهنّ حاسرات ، وهنّ مسحوبات في قوارع الطرقات (نزهة النفوس ٢٨٢) .

أقول : كانت عاقبة هذا الفعل من الكوراني ، أنّه لما عاد الظاهر إلى السلطنة ، اعتقله ، وقيّده ، وضربه وسحبه ، وعصره، ثم خنقه (نزهة النفوس ٢٩٣ ، ٣٣٠، ٣٣٩) .

وفي السنة ٨٠٠ عزل الأمير علاء الدين بن الطبلاوي الحاجب ، وأخوه ناصر الدين محمد متولّي القاهرة ، ونقلا إلى بيت الأمير يلبغا ظهر النهار ، راكبين على الحمير ، في الباشات والجنازير ، وسلّما لمتولّي القاهرة الجديد ، ثم توجّهوا بابن الطبلاوي إلى بيته ، وعاقبوا أمّ إبنه وجواريه والخطيب ابن عمّه ، وأخذوا من الذهب تسعة عشر ألف دينار (نزهة النفوس ٤٦٥) .

وفي السنة ٨١٢ لما قبض السلطان الناصر على الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن احمد الاستادار ، قبض على امرأته سارة، وهي ابنة الأمير بجاس ، وعذّبت وكانت حاملاً ، فوضعت على دست نار ، فاسقطت، ورأت من الذلّ ما لا يوصف ، وماتت بعد ذلك قهراً (الضوء اللامع ١٠/٢٩٧) .

وفي السنة ٨٢٤ أمر السلطان المؤيّد ، سلطان مصر ، فقبض على الأمير الاستادار الحسن بن عبدالله ، البدر الطرابلسي ، فعصر، وعذّب ، وعوقب أتباعه ، حتى إنّ زوجته الشريفة ، عذّبت معه أيضاً (الضوء اللامع ٣/١٠٢) .

ولما قتل جهان شاه ، في السنة ٨٧٢، حكم بعده ولده حسن علي ميرزا ، فحاصر زوجة أبيه ، في قلعة النجا ، وقبض عليها ، وصلبها معلّقة بثدييها ، فظلّت معلقة ثلاثة أيّام ، حتى ماتت ، ولما دخل تبريز أمر بالقبض

على أخويها قاسم وحمزة ، وسائر اقاربها ، فقتلهم جميعاً ، بعد أن عـذّبهم ، وصلبهم . (تاريخ العراق للعزاوي ٣/١٨٥ـ ١٨٧ـ ١٨٩) .

وفي السنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) بعد مقتل مصطفى باشا ، أمير الجزائـر ، اتّفق خلفه أحمد باشا ، وبقيّة الوزراء ، على القائد عبـدالله، باي قسنـطينة ، طمعـاً في أموالـه ، وقتلوه ، واعتقلوا امرأتـه الدايخـة بنت كانـة ، بنت شيـخ العـرب بقسنطينـة ، وكانت من أحسن نسـاء زمانهـا، ولها شجـاعة عـظيمـة ، فطالبوها بأن تظهر لهم أموال زوجها ، وعـذّبوهـا ، حتى ماتت تحت العـذاب (مذكرات الزهار ٨٧) .

وفي السنـة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) هاجم الضـابط التركي عـاكف ، مـدينـة الحلة ، وقبض على مـائة وستـة وعشرين رجـلاً من رؤسائهـا، فقتلهم شنقاً ، وهـدم مسـاكنهم ، وأمـر بنسـائهم وأطفـالهم ، فنفـاهم إلى بـلاد الأنـاضــول (الشبيبي الكبير ٣٨) .

الفصل العاشر

تعذيب المرأة بالتعرض للعورة

أوّل ما بلغنا من الأخبار عن هذا العذاب ، ما صنعه أبو جهل بسمية بنت خباط ، والدة عمار بن ياسر ، أوّل شهيدة في الإسلام ، إذ كان مشركو قريش ، يخرجون عمّاراً ، وأباه ياسر ، وأمه سميّة ، إلى الأبطح ، إذا احميت الرمضاء ، يعذبونهم بحرّ الرمضاء ، فمات ياسر في العذاب ، أمّا سميّة أمّ عمّار فإنَّ أبا جهل طعنها في قُبُلها بحربة ، فماتت. (ابن الأثير ٢ / ٦٧).

وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري ، الثائر ، بإفريقية ، والمقتول في السنة ٣٣٦ ، إذا فتح مدينة بإفريقية ، يقتل الرجال ، ويشقّ فروج النساء ، ويبقر بطونهن ، ويحرق البلد (ابن الأثير ٤٢٢ـ ٤٤١)

وفي السنة ٦٤١ كوى أحد زعماء إربل امرأة في فرجها (الحوادث الجامعة ١٨٥) .

وفي السنة ٨٠٢ لما اقترب تيمورلنك من حلب ، أرسل قصّاداً إلى نائب حلب ، فأمر نائب حلب بضرب اعناق رسل تيمورلنك ، فلما بلغ تيمورلنك الخبر بقتل قصّاده ، احاط بمدينة حلب ، واقتحمها بجنده ، وأسرف في القتل والسبي ، واحتمى النساء والأطفال بالمساجد ، فاقتخمها التتار عليهم ، وأخذوا يفتضون الأبكار في المساجد ، وصاروا يأخذون المرأة وهي تحمل ولدها الصغير ، فيلقونه من يدها ، ويفترشونها، والتجأ كثير من النساء إلى الجوامع، ولطخن وجوههنّ بالطين ، حتى لا ترى بشرتهن ، فكان

التتار يأخذون المرأة فيغسلون وجهها ، ويفترشونها في الجامع (خطط الشام ٢/ ١٧٣ـ ١٧٤) .

وفي السنة ٨٣٢ حصرت جيوش سلطان مصر ونواب الشام ، مدينة الرها ، فنزل من في القلعة على أمانهم، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجال ، ونهبوا الأموال ، واحرقوا المدينة والقلعة، وفجروا بالنساء ، فكانت الواحدة منهن ، تقوم من تحت الواحد منهم ، وتأخذ طفلها فتختبىء في تبن هناك ، فلما أتمّوا فجورهم ، أشعلوا النار في التبن فاحترق النسوة وأطفالهنّ ، راجع القصة مفصلة في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة ٨٣٨ حصر اسكندر بن قرايوسف ، مدينة شماخي ، حاضرة بلاد شروان ، وقاتل صاحبها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندي ، فلما كان في أحد الأيّام، توجّه اسكندر من معسكره يتصيّد ، فهجم خليل في غيبته على معسكر اسكندر ، وقتل ، وأسر ابنة اسكندر وزوجته ، فوضعهما في إحدى الخرابات ، وأمر عسكره فارتكبوا معها الفاحشة ، فلما رجع اسكندر من الصيد ، وبلغه ما حصل ، الحّ في القتال حتى استولى على شماخي ، ودكّها دكّاً ، ونهب أموال أهلها ، وأفحش في قتلهم وسبيهم ، وظفر في شماخي بابنة خليل وامرأته ، فأمر بأن يزني بهما في كلّ يوم خمسون رجلاً « نكاية في خليل » (حوليات دمشقية ١٢٧) .

وكان الملك الناصر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة ٩٠٤) مجنوناً ، وكان يعذّب النساء ، بأن يقطع حاشية« أعضائهنّ »، وينظمها في خيط أعدّه لذلك ، وسلخ مرّة جلد جارية من جواريه ليظهر أستاذيته في السلخ (شذرات الذهب (٨/ ٢٣) .

وفي السنة ٩٠٢ قتل القاضي شمس الدين بن المزلق ، قتلته سريّتاه ، بتحريض من آخرين ، فأمسك الجميع ، ومنهم السريّتين، فخوزقوا ، خلا الجارية الصغرى ، فإنّها غرّقت ، لأنّها كانت حبلى (قضاة دمشق ١٨٢) .

وكان أحمد باشا الجزار (١١٣٣- ١٢١٩) (١٧٢٠- ١٨٠٤ م)، والي ايالتي صيدا والشام وعكا ، عظيم القسوة ، وكان يعذّب النساء ، بوضع السنانير في سراويلاتهنّ . (مجلة العرفان م ٢٦ ج ١٠ ص ١١٩٧ ك ١/ ١٩٤).

وفي السنة ١٢٣٥ (١٨١٩ م) ثار الإغريق (اليونان) على السلطان محمود العثماني ، في الجزر وبلاد المورة ، وقتلوا المسلمين ، ومثّلوا بهم ، وسبوا النساء والذراري ، فلم يبق من المسلمين إلا القليل ، وقيل إنّهم كانوا يدخلون الخنجر ، في فرج المرأة ، ويقطعونها حتى صدرها ، وهي حيّة تنظر (مذكرات الزهار ١٤٧).

وجاءت امرأة ، إلى أبي العطوف القاضي ، برجل ، وقالت : هذا افتضّ ابنتي ، فقال للرجل : أفعلت؟ قال : نعم ، قال : لم ؟ قال : لاعبتني آمرة مطاعة ، فقمرتني ، فأدخَلَتْ في استي مدقّة الهاون ، ولاعبتها ، فقمرتها ، فافتضتها، فقال أبو العطوف : يا هذه ، إنَّ الذي ادخلت ابنتك في أست هذا ، أشدّ ممّا أدخل هذا في حر ابنتك (البصائر والذخائر ٤/ ٢٣٣).



الفصل الحادي عشر

تعذيب المرأة بالاسترقاق

في السنة ٦٥ قتل عبيدالله بن بشير بن الماحوز ، أحد رؤساء الخوارج ، فوجّه المهلّب برأسه الى البصرة ، فلما صار الرسول بكربج ، لقيه أخوة عبيدالله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي بنو بشير ، فقالوا له : ما الخبر ؟ فقال : قتل الله ابن الماحوز المارق وهذا رأسه معي ، وأراهم الرأس ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ودفنوا رأس أخيهم ، فلما ولي الحجّاج بن يوسف الثقفي ، دخل عليه عليّ بن بشير ، وكان وسيماً جسيماً ، فقال : من هذا ؟ فأخبروه ، فقتله، ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الرسول الأزدي المقتول ، وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة ، فوهبوهما لها (شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤/١٥٨ـ ١٥٩).

وفي السنة ١٠٢ لما خرج يزيد بن المهلّب ، ومعه آل المهلب، على يزيد بن عبد الملك ، وقتل في معركة العقر ، جمع نساء آل المهلب وصبيانهم بالحيرة ، فأعلن مسلمة بن عبد الملك إنّه يريد أن يبيعهم، فقال له الجرّاح بن عبدالله : أنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، واشتراهم منه بمائة ألف درهم ، فقال له مسلمة : هاتها ، فقال له : إذا شئت فخذها، فلم يأخذ منه شيئاً ، وخلّى سبيلهم إلاّ تسعة فتية احداث من آل المهلّب، بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فضرب رقابهم (الطبري ٦٠٢/٦).

وفي السنة ٢٥١ خرج بالكوفة علويّ اسمه الحسين بن محمد الطالبي ،

وبعث إليه المستعين جنداً قائدهم مزاحم بن خاقان أرطوج ، فانكسر جيش العلوي، وأسر ، ودخل مزاحم الكوفة ، فأحرق الف دار ، وحبس جميع من بالكوفة من العلويّين ، وحبس ابناء هاشم كافّة ، وأخذ جوارٍ للعلوي ، وفيهم امرأة حرّة مضمومة ، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها (الطبري ٩/ ٣٢٩).

وفي السنة ٢٦٧ فارق محمد بن الحارث العمّي ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، صاحبه والتجأ إلى الموفق ، فاعتقل صاحب الزنج زوجة محمد ، وهي ابنة عمّه ، ثم أخرجها ، وباعها في السوق . (الطبري ٩/ ٥٩٢-٥٩٣) .

وكان صندل الزنجي ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، يكشف وجوه الحرائر المسلمات الأسيرات ورؤوسهنّ ، ويقلّبهن تقليب الإماء ، فإن امتنعت منهنّ امرأة، لطم وجهها ، ودفعها إلى بعض علوج الزنج يواقعها ، ثم أخرجها إلى سوق الرقيق ، فباعها بأوكس الأثمان ، وفي إحدى الوقائع، وقع صندل الزنجي أسيراً في يدي أبي أحمد الموفّق ، فأمر فشدّ كتافاً ، ورمي بالسهام حتى هلك (شرح نهج البلاغة ٨/ ١٨٧) .

وفي السنة ٣٠٢ خرج أعراب على المنصرفين من مكّة ، فأخذوا مامعهم ،واسترقّوا مائتين وثمانين امرأة من الحرائر ، سوى من أخذوا من المماليك والأماء (الطبري ١٠/ ١٥١).

وفي السنة ٨٣٢ حصرت جيوش سلطان مصر ونوّاب الشام مدينة الرها ، فنزل من في القلعة على أمانهم ، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجال ، ونهبوا الأموال ، وأحرقوا المدينة والقلعة ، وفجروا بالنساء ، ثم أحرقوا قسماً منهن بأن أشعلوا التبن الذي كنّ قد لجأن اليه ، وأخذوا النساء الباقيات الى حلب ماشيات ، فمات جماعات منهنّ في الطريق عطشاً ،

وبيعت منهنّ بحلب وغيرها عدّة ، راجع التفصيل في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة١٠١٦ اشتبك الجيش العثماني بقيادة مراد باشا ، مع جيش الأمير علي جانبولاد ، وكان والياً على حلب ، وعصى على الدولة ، فانكسر الأمير علي ، واستولى مراد باشا على حلب ، وسحب عيال الأمير علي ، وباع نساءه بيد الدلّال ، وبيعت والدة الأمير على بثلاثين قرشاً (خطط الشام ٢٥٤/٢).

وفي السنة ١٢٠١ اعتدى الأعراب على قافلة الحاج المصري ، وقتلوا الرجال ونهبوا الأحمال وسبوا النساء واسترقوهن ، فاستغاث الحجّاج بأحمد باشا الجزّار أمير الحاج الشامي ، فتكلّم مع العرب في أمر النساء ، فأحضروهنّ عرايا ليس عليهنّ الا القمصان ، وأجلسوهن عرايا في مكان ، وخرج الناس أفواجاً ، فكلّ من وجد امرأته أو أخته أو أمّه أو ابنته ، اشتراها ممن هي في أسره ، وكذلك حصل في السنة ١٢٠٢ حيث اعتدى الأعراب على قافلة الحاجّ ونهبوها ، وسلبوا الحجّاج حتى ملابسهم التي على أبدانهم ، وسبوا النساء ، وأخذوا ما عليهنّ، ثم باعوهنّ لأصحابهن عرايا (الجبرتي ١٢/٢ و٥٥).

الفصل الثاني عشر

تعذيب المرأة بالضرب

ضرب الزبير بن العوام، زوجته أسماء بنت أبي بكر ، ضرباً مبرّحاً ، حتى خلّصها ابنه عبدالله بن الزبير ، من يده (المحاسن والأضواء ١١٨) .

وفي السنة ٢٥ ضرب يزيد بن نعيم الشيباني ، جاريته جهيزة ، على أن تسلم ، فأبت ، ثم أسلمت من بعد ذلك ، وتفصيل القصّة إن يزيد بن نعيم ، وهو والد شبيب زعيم الخوارج ، حضر مبيعاً لسبي الروم ، فعرضت جارية حمراء طويلة جميلة ، تأخذها العين ، فاشتراها ، وسمّاها جهيزة ، ولما أدخلها الكوفة ، طالبها بأن تسلم ، فأبت ، فضربها، فازدادت عصياناً ، فأبقاها على دينها ، وحملت منه بشبيب ، وأحبّت مولاها حبّاً شديداً ، وقالت له : إن شئت أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام ، فقال لها : قد شئتُ، فأسلمت ، وولدت شبيباً وهي مسلمة ، ولما خرج شبيب على ظلم الأمويّين ، كانت أمّه جهيزة، وامرأته غزالة ، معه في معسكره ، وكانتا معروفتين بالشجاعة، وفي إحدى معارك شبيب ، مع جنود الشام الذين أحضرهم الحجّاج ، قتلت جهيزة ، وقتلت غزالة ، وانحاز شبيب إلى الأهواز ، حيث مات غرقاً في السنة ٧٧ (الطبري ٦/٢٨٢ ووفيات الأعيان ٢/٤٥٥) .

أقول : أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ، أحد دهاة العالم ، كان بطلاً من الأبطال ، عاش ومات ثائراً على بني أميّة ، وكان كما قال الجاحظ يصيح في جنبات الجيش إذا واجهه ، فلا يلوي أحد على

أحد ، ووجّه إليه الحجّاج خمسة قوّاد ، على خمسة جيوش ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ومزّق جمعهم ، وبايعه الخوارج بالخلافة ، وخاطبوه بإمرة المؤمنين ، ومات غرقاً بالأهواز ، كان يعبر الجسر ، فنفر به فرسه ، وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر ، فسقط في الماء ، فغاص، ثم ظهر وكان آخر ما قاله : ذلك تقدير العزيز العليم ، ثم غاص فغرق (الاعلام ٣/٢٢٩) .

وفي السنة ٥٥٧ دخل ابن فضلان الفقيه ، على أخت له كان لها زوج فمات ، فتزوّجت قبل انقضاء عدّتها ، فدخل إليها ابن فضلان فضربها ، فتقدّمت امرأة في الدار لتخلّصها منه ، فرفسها برجله ، ولكمها بيده ، فماتت المرأة ، وشكاه أهل المرأة ، فأنكر، وحلف. (التنظيم ١٠/٢٠٣) .

وفي السنة ٥٩٩ توفّي السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة وخراسان والهند ، فخلفه أخوه شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري ، فلم يحسن الخلافة على أفراد عائلة أخيه ، وكانت لغياث الدين زوجة كانت مغنيّة ، فهويها وتزوّجها ، فلما مات غياث الدين ، قبض شهاب الدين عليها وضربها ضرباً مبرّحاً ، وضرب ولدها بن غياث الدين ، وزوج أختها ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وسيّرهم إلى بلاد الهند ، فكانوا في أقبح صورة ، وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها أباها وأمّها وأخاها ، فهدم المدرسة ، ونبش قبور الموتى ، ورمى بعظامهم منها . (ابن الأثير ١٢/١٨١) .

وفي السنة ٦٠٧ اتّهم شخص اسمه علي بن السلار ، ويعرف بابن الدخينة ، بحادث سرقة أموال ، فاعتقل ، وزوجته وابنه ، وبناته ، وعذّبوا، فماتت زوجته تحت الضرب. (الذيل على الروضتين ٧٦) .

وضرب الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي (ت ٧٣٦) جارية السلطان ، امرأة بكتمر الحاجب ، ستمائة عصا ، وسبب ذلك لأنّها اختلفت مع ضرّتها وهي ابنة آقوش ، من أجل الميراث (الوافي بالوفيات ٩/٣٣٩) .

وكان أبو جعفر محمد بن أبي العباس السفاح ، يلي البصرة ، ثم استعفى منها ، وقدم بغداد فمات بها ، فصرخت امرأته البغوم بنت علي بن الربيع : واقتيلاه، فضربها رجل من الحرس بجلويز على عجيزتها ، فتعاوره خدم لمحمد ، فقتلوه، فطلّ دمه . (الطبري ٨/٢٥).

وكانت لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر ، تحت الهادي ، فكلّمته يوماً بإدلال ، فوثب عليها وضربها ضرباً موجعاً . (المحاسن والأضداد ١١٨).

وفي السنة ١٩٦ لما وثب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان بالأمين وحبسه في قصر أبي جعفر بالمدينة (مدينة المنصور) وثب العباس بن موسى بن عيسى بأمّ جعفر (زبيدة أمّ الأمين)، وأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبي جعفر فأبت ، فدعا لها بكرسي ، وأمرها بالجلوس فيه ، وقنّعها بالسوط ، فجلست فيه ، وأمر بها فأدخلت المدينة ، وضمّت إلى ولدها الأمين . (الطبري ٨/ ٤٢٩).

ودخل أحدهم على عنان ، وقد تناولها سيّدها بضرب شديد ، وهي تبكي، فقال : (المحاسن والأضداد ٩٧).

إنَّ عناناً أرسلت دمعها كالدرِّ إذ ينسلّ من سمطه

فقالت عنان :

فليت من يضربها ظالماً تجفّ يمناه على سوطه

وهربت عريب المأمونية ، من صاحبها عبدالله بن إسماعيل المراكبي ، فبثّ عليها العيون ، حتى إذا أمسك بها ، ضربها مائة مقرعة . (الاغاني ٢١/٦٣).

وكانت شارية جارية إبراهيم بن المهدي ، إذا أضطربت في صوت ، عاقبها بأن أقامها على رجليها عندما تغنّيه ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضُربت جاريته الثانية ريق . (الأغاني ١٦/ ١٠).

وثمة قصّة بالغة الطرافة ، جلدت فيها اميرة عباسية ، الحدّ ، وهي أم أبيها بنت هارون الرشيد ، جلدها أخوها أبو إسحاق (المعتصم) بأمر من أخيها (المأمون) لأنّها قذفت أخاها أبا علي بن الرشيد ، وقالت : إنّه لم يلده الرشيد ، وإنّما هو ابن فلان الفرّاش ، وتفصيل القصّة أنّ الرشيد اشترى في يوم واحد جاريتين هما : شكل ، وشذر ، فولدت شذر أمّ أبيها ، وولدت شكل ، أبا علي ، وتحاسدت شكل وشذر ، وبلغت بهما العداوة أمراً عظيماً ، وماتتا ، واستمرّت العداوة بين أمّ أبيها ، وأبي علي ، وأراد المأمون أن يصلح بينهما ، فجلس يوماً وعمّه إبراهيم وابنه العبّاس وأخوه ابو إسحاق (المعتصم) ، ووجّه فاحضر أمّ أبيها ، وعاتبها على عداوتها لأبي علي ، وهي مطرقة لا تردّ جواباً ، ولما دخل أبو علي إلى المجلس ، تنقبت أمّ أبيها ، فقال لها المأمون : كنت مسفرة، فلما حضر أخوك تنقّبت ؟، فقالت : والله يا أمير المؤمنين ما هو لي بأخ ، ولا للرشيد بابن ، وما هو إلاّ ابن فلان الفرّاش ، فأمر المأمون، أخاه أبا إسحاق، فجلدها حدّاً، فقالت : سوءة يا أمير المؤمنين ، ان تحدّ أختك لابن الفرّاش ، وسننت على بنات الخلفاء الحدّ ، ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ، لو كانت رجلاً ، لكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء . (الديارات ٣٥ـ ٣٧) .

وكانت فريدة حظيّة الواثق العباسي ، فلما استخلف المتوكّل ، وكان عدوّاً لأخيه ، أحضر فريدة ، وأمرها أن تغنّي ، فأبت ، وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً ، وأمره أن يضرب رأسها أبداً ، أو تغنّي (الأغاني ٤/١١٥) .

وفي السنة ٢٢٧ خرج ابو حرب المبرقع بفلسطين ، وكان سبب خروجه أنّه كان غائباً ، وأراد أحد الجند أن ينزل في داره ، فمانعته إحدى محارمه في ذلك، فضربها بسوط كان معه ، فاتّقته بذراعها ، فأثّر فيه ، فلما رجع أبو حرب ، وعلم بما حصل ، أخذ سيفه ، وذهب الى الجندي ، فقتله ، وخرج

على السلطان ، وجمع مائة الف محارب . (الطبري ٩/١١٦ـ ١١٨).

وكان لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق ، لحية وافرة ، فدخلت مع نساء متنقّبات إلى بعض الأعراس ، لترى العرس ، وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة ، فصاحت : رجل ، والله ، فأقبل الخدم والنساء عليها بالضرب، فلم تكن لها حيلة ، إلاّ الكشف عن فرجها ، فنزعن عنها ، وقدكادت تموت . (الحيوان للجاحظ ١/١١٥).

أقول : كان محمد بن راشد الخنّاق صديقاً لإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، خصيصاً به ، أثيراً عنده ، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابشتي ٤١ـ ٤٢.

وذكر الجاحظ ، أنّ إسماعيل بن غزوان البصري ، شدّ جارية له ، على سلّم ، وضربها مائة سوط ، فقال له أبو إسحاق إبراهيم النظّام : أشهد بالله ، إنّك لضبع ، راجع تفصيل القصّة في كتاب الحيوان للجاحظ ٥/١١٧ـ ١١٨).

ولما عزل الوزير الفرلت عن الوزارة ، وقبض على ولده المحسّن ، قبض على دنانير ورهبان جاريتي زوجة المحسّن ، وضربهما ابن بعد شرّ ضرباً مبرّحاً ، فأقرتا على فرش وثياب صحاح ومقطوعة، كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش (الوزراء للصابي ٦٩).

وكان أبو العباس الخصيبي في السنة ٣١٢ لما قُبِضَ على الوزير ابن الفرات على ديوان ضياع السيّدة أمّ المقتدر (تجارب الأمم ١/١٤٣) ، وكان قد وقف على مكان زوجة المحسن ، وهي بنت جعفر بن الفرات ، وأمّها حنزابة ، فسأل أن يولّى النظر في أمرها واستخراج مالها ، فأستخرج منها سبعمائة ألف دينار ، فتمّهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ، ورشّح للوزارة (تجارب الامم ١/١٤١) ، فلما وقف أمر الخاقاني الوزير ، أشارت السيّدة والخالة (خالة المقتدر) باستيزار أبي العباس الخصيبي فوزّر (تجارب

الأمم ١٤٣/١) ، ثم وقف أمره ، فقبض عليه في السنة ٣١٤ وتقلّد الوزارة علي بن عبسى (تجارب الأمم ١٤٩/١) ، وظهر أنّ الخصيبي ضرب النساء والحرم بالمقارع ، وأسلم زوجة المحسّن إلى أفلح ، وهو شاب جميل الوجه فتزوّج بها وهي في الحبس ، وأنّه ضرب دولة أمّ ولد الوزير أبي الحسن بن الفرات بحضرته، كما ضرب ولدها الحسن بن أبي الحسن بن الفرات ، وقد عاب عليه علي بن عيسى هذه التصرّفات وقال له : كيف آستجزت في الدين والمروءة ضرب حرم المصادرين؟ ، فلم يحر جواباً (تجارب الامم ١٥٥/١ وابن الاثير ١٦٥/٨) .

وفي السنة ٣١٧ خلع المقتدر من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر ، وبعد يومين أعيد المقتدر إلى الخلافة ، وأحضر القاهر أمامه يبكي ويتوسّل إليه أن يحفظ حياته ، فقال له المقتدر : لا يصل أحد إلى مكروهك وأنا حيّ ، ثم أسلمه إلى والدته ، فأحسنت إليه ، وأكرمته ووسّعت عليه في النفقة ، وآشترت له السراري والجواري ، وبالغت في إكرامه والإحسان إليه (ابن الأثير ٢٠٧/٨) ، فلما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ واستخلف القاهر ، أحضر والدة المقتدر ، وكانت مريضة ، قد أنهكها الحزن لفقد ولدها وسألها عن مالها ، فآعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ، فضربها أشدّ ما يكون من الضرب ، وعلّقها برجلها وضرب المواضع الغامضة من بدنها (ابن الاثير ٢٤٥/٨) ثم أخذها علي بن يلبق ، وهي شديدة العّلة لحزنها وللضرب الذي نالها من يد القاهر ، فأكرمها علّي ، وبقيت عند والدته مكرمة مرفهة ، أيّاماً وماتت (ابن الاثير ٢٥١/٨) .

وفي السنة ٣٧٨ ضرب شكر الخادم ، جاريته الحبشية ، فغضبت وأخبرت السلطات بمكانه ، وتفصيل ذلك إنّ شكر الخادم ، كان أخصّ الناس بعضد الدولة البويهي ، وأقربهم إليه ، وكان يرجع إليه في قوله ، ويعوّل عليه ، وكان شكر منحرفاً عن شرف الدولة في حياة أبيه ، فلما توفّي عضد

الدولة ، قام شكر بأمر صمصام الدولة ، فآزداد شرف الدولة حقداً عليه ، ولما انحلّ أمر صمصام الدولة ، اختفى شكر عند رجل بزّاز في رحبة خاقان ببغداد ، فلما مضت مدّة أحضر شكر جارية له حبشية ، كان يثق بها ، وطلب منها أن تتولّى خدمته ، وكانت هذه الجارية ، قد علق قلبها بهوى ، فكانت تغيب عن شكر في اكثر الأوقات الى حيث هواها ، وضجر شكر منها ، ومنعها من الخروج فلم تمتنع ، فضربها ، فأصاب وجهها ، فخرجت من الدار غضبى ، ومضت إلى باب شرف الدولة ، وصاحت : نصيحة ، وأخبرتهم بموضع شكر الخادم ، فهجموا عليه وأخذوه ، وحمل الى شرف الدولة ، فاستوهبه نحرير الخادم ، وأخذه إلى داره ، وأحسن اليه ، وخرج إلى الحجاز للحجّ ، ثم عدل إلى مصر ، واستقرّ عند صاحبها ، لزيادة التفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٤٥ ـ ١٤٧ وابن الأثير ٥٧/٩ وكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ج ٤ ص ٩٧ رقم القصة ٤٥/٤ .

وفي السنة ٣٨٢ قبض صمصام الدولة البويهي على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن ، وعلى كتّابه ، وحواشيه ، وعلى ابنته زوجة العلوي الرازي ، وطولبوا أشدّ مطالبة ، وعوقبوا أشدّ معاقبة ، حتى تلفت آبنته ، وجماعة من أصحابه تحت الضرب (ذيل تجارب الأمم ٢٤٧) .

أقول : ابو القاسم العلاء بن الحسن ، من كبار الموظفين في دولة بني بويه ، واستوزره شرف الدولة في السنة ٣٧٤ ، فلم يعن العناية المطلوبة بارضاء الحاشية ، فأفسدوا رأي شرف الدولة فيه ، فاعتقله وأخاه ، ثم أطلقهما بعد أشهر . وفي السنة ٣٧٥ وافى مع شرف الدولة الأهواز ، ثم امتدّ إلى البصرة حيث وطّد أمورها لشرف الدولة ، ثم عاد إلى شيراز ، ولما اعتقل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة ، حبسه في إحدى القلاع تحت إمرة العلاء ، ولما مرض شرف الدولة ، أنفذ من يسمل عين صمصام الدولة ، فلما بلغ الرسول القلعة ، كان شرف الدولة قد مات ، فتوقّف الموكّل بالقلعة عن

تمكين الرسول من تنفيذ الأمر ، إلى أن أمره العلاء بن الحسن بإنفاذ الأمر ، فكان صمصام الدولة يقول : ما سملني إلّا العلاء ، لأنّه أنفذ فيّ أمر ملك قد مات ، ولما مات شرف الدولة تحيّر العلاء ، فكاتب صمصام الدولة ، وكاتب أبا علي بن شرف الدولة ، على أن يبذل الطاعة لمن يصل أوّلاً ، ووصل أبو علي ، ووقعت فتنة بين جنده الأتراك والديلم ، فانصرف عن شيراز ، ووافى صمصام الدولة ، ولكنّ القائد فولاذ غلب على أمره ، فانحاز العلاء إلى الريّ ، وأخذ كلّ من العلاء وفولاذ يدسّ لصاحبه ، حتى تغّلب العلاء ، وفرّ فولاذ ، فتبسط العلاء في الأمور ، وغلب على أمر صمصام الدولة ووالدته ، فبالغ في إرضاء الحاشية ، ولكنّ فساد أمور الدولة أدّى إلى نقص الأموال ، فلم يتمكّن من إرضاء جميع أفراد الحاشية ، فأئتمروا به ، وأغروا به صمصام الدولة ، فقبض عليه ، وعلى كتّابه ، وحواشيه ، وعلى أهله ، وآبنته زوجة العلوّي الرازي ، وطولبوا أشدّ مطالبة ، وعوقبوا أشدّ معاقبة ، حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب ، وبقي العلاء معتقلاً في بعض المطامير لا يعرف له خبر ، إلى قبض صمصام الدولة على من حلّ محلّه ، فعاد إليه ، وأمر به فأخرج من سجنه ، وقد ضعف بصره ، وصار إلى دار السيّدة أمّ صمصام الدولة ، فعولج ، ثم خلع عليه ، وردّ إلى الوزارة ، ولكنّ نيّته لم تخلص لصمصام الدولة ، بعد ما لحق به وبابنته وأهله ، فإنّه أهلك الدولة بإقطاعات وزيادات وتمزيق للأموال وتسليم للأعمال ، ومات العلاء في السنة ٣٨٧ بالأهواز ، للتفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٤٦ و٢٤٧ ، ٢٤٩ .

وفي السنة ٣٨٦ أمر الوزير عيسى بن نسطورس (ت ٣٨٧) بضرب امرأة ثكلى ، فضربت حتى سقطت على الارض ، وسبب ذلك ، إنّ بعض سفن الأسطول بمصر ، احترقت ، فاتّهم العامة الروم النصارى باحراقها ، وثاروا بهم ، فقتلوا منهم مائة وسبعة رجال ، ونهبوا أموالهم ، فأعلن الوزير

عيسى بن نسطورس أنّه يجب ردّ ما نهب ، وتوعّد من تقاعس عن ذلك بالعقوبة الشديدة ، ثم جمع من إتّهم بالإشتراك في النهب ، ونثر عليهم رقاعاً ، في بعضها الضرب ، وفي بعضها القتل ، وأمضي في كلّ واحد منهم ، العقوبة المدوّنة في الرقعة ، ولما أخذ الوزير في السنة ٣٨٧ ليقتل حسب ما أمر به الحاكم الفاطمي ، قال : إنّ الله لا يظلم أحداً ، والله إنّي لأذكر ، وقد ألقيت في السنة ٣٨٦ أوراقاً على بعض المتّهمين بالنهب ، وكان في بعضها القتل ، وفي بعضها الضرب ، فأخذ شابٌّ ممن كان فيهم رقعة كان فيها القتل ، فأمرت بقتله ، فصاحت أمّه ولطمت وجهها ، وحلفت إنّها وابنها ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر ، وإنّما وردا إلى مصر بعد النهب بثلاثة أيّام ، وناشدتني الله تعالى أن أجعله ممن يضرب بالسوط ، وأن يعفى من القتل ، فلم ألتفت إليها ، وأمرت بضرب عنقه ، فقالت أمّه : إن كنت لا بدّ قاتله ، فاجعله آخر من يقتل ، لأتمتّع به ساعة ، فأمرتُ به ، فجعل أوّل من ضرب عنقه ، فلطّخت بدمه وجهها ، وسبقتني إلى القصر ، وهي منبوشة الشعر ، ذاهلة العقل ، فلما وافيتُ ، قالت لي : قتلته ، كذلك يقتلك الله ، فأمرت بها فضربت حتى سقطت إلى الأرض، ثم ترون الآن ماترون، راجع خبر مقتله في هذا الكتاب في الباب الحادي عشر (القتل) في الفصل الأول (القتل بالسيف) ، في القسم الأول (القتل فتكاً) . (خطط المقريزي ٢/١٩٦) .

وفي السنة ٤١٥ قبض على الشيخ العميد محسن بن بدوس ، وهو في ديوانه بالقاهرة فاعتقل ، وأخرج بالعشي إلى مجاز القصر الكبير ، فضربت عنقه ، وهو يصيح ويستغيث ويقول : والله ، ما خنت ، ولا سرقت ، ولا غششت (اخبار مصر للمسجي ٥٩) ثم اشتدت المعاقبة على جواريه ، وطولبن بأمواله ، وضربن ضرباً شديداً (اخبار مصر للمسجي ٧٠) .

وفي السنة ٧٨١ ظهرت في القاهرة أعجوبة ، خلاصتها أنّ حائطاً تكلّم

في دار أحد الشهود واسمه أحمد الفيشي ، فقال له : اتّق الله وعاشر زوجتك بالمعروف ، واشتهرت القصة عند أهالي القاهرة ، فقصدوا الدار ، وكان الحائط يكلّمهم ، فآفتتن به الناس ، وكادوا أن يعبدوه، فأحضر المحتسب المرأة وزوجها ، وهدّد المرأة بالضرب ، فآعترفت له أنّ الكلام من صنعها ، وأنّها اضطّرت لذلك ، لأنّ زوجها كان يسيء معاملتها ، وكان معها شخص من الفقراء اسمه عمر بن الركن ، فرسم الاتابكي برقوق ، بضرب الرجلين بالمقارع، وضرب المرأة بالعصيّ نحو ستمائة ضربة ، وأمر بهم فسمّروا الثلاثة على جمال ، وشهروا بالقاهرة فبكى الناس على المرأة ، لأنّها أركبت على جمل ، ويداها مسمّرة على الخشب ، وهي بأزارها ونقابها ، ولم يعهد قط أنّ امرأة سمّرت على جمل . (بدائع الزهور ٢٨/ ٢٤٧) .

وكان الملك المنصور حاجي (ت ٨٠٠) من الظالمين القساة ، وكان إذا ضرب إحدى جواريه ، يتجاوز ضربه لها الخمسمائة عصا ، وكان السلطان برقوق إذا سمع صياح الجارية ، بعث يتشفّع لها ، فيضطر المنصور أن يتركها ، ولجأ أخيراً إلى حيلة ، وهي أنّه إذا باشر بضرب إحدى الجواري ، أمر فرقة الموسيقى عنده ، فعزفت ، فلا يسمع صياح الجارية ، وعلم الملك الظاهر بذلك ، فصار كلما سمع عزف الموسيقى ، أرسل يتشفّع في الجارية المضروبة . (النجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٠و٣٨١) .

وفي السنة ٨٣٦ توفّي الأمير منكلي بغا الصالحي ، وكان قد ولي حسبة القاهرة ، في أيام المؤيّد ، فشدّد على النساء ، والظاهر إنّه كان يعذّب النساء بالضرب حتى قيل : (الضوء اللامع ١٠/ ١٧٣) .

لا تمسك طرفي منكلي خلفي
علقتو مائتين قبل ما يعفي

وفي السنة ١٠١٣ لما حصل الإختلاف بين نصوح باشا ، والي حلب ، وبين حسين باشا جانبولاد الذي عيّن خلفاً له ، أخذ نصوح باشا بنتاً لحسين

باشا ، وضربها، فلما حصل الصلح بينهما ، ألزموا نصوح باشا ، بأن يبدأ بزيارة حسين باشا ، باعتباره المعتدي لأنّه ضرب إبنة حسين باشا ، فذهب إليه وصالحه (اعلام النبلاء ٢٢٨/٣ و٢٢٩) .

وممن عوقب بالضرب والحبس ، من النساء ، الأميرة الهندية جهان بيكم ، إبنة الأميرة سكندر بيكم أميرة بهوبال في الهند ، فإنّ الاميرة جهان بيكم قابلت في بيت أحد أقاربها أميراً من أمراء البيت المالك في دهلي ، أراد الإقتران بها ، وبلغ ذلك أمّها الأميرة سكندر بيكم ، فأمرت بابنتها ، فضربت ضرباً مبرّحاً وحبستها في غرفتها أشهراً (أعلام النساء ٢٠١/٢) .

أقول : إنّ الأميرة جهان بيكم ، خلفت والدتها سكندر بيكم في حكم إمارة بهوبال ، على أثر وفاة الوالدة في السنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م ، وكانت أمّها سكندر بيكم قد حجّت ، ودونت ما جرى لها في حجّها ، في كتاب ألّفته بالانكليزية سمّته : الحج إلى مكّة Piligrimage to Macca ، ولم يطبع الكتاب في حياتها ، وإنّما طبعته ابنتها بعد وفاتها ، وقدّمت للكتاب مقدّمة أهدت الكتاب بموجبها إلى الملكة فكتوريا ، ملكة بريطانيه ، وعندي ، في مكتبتي ببغداد نسخة من هذا الكتاب ، وهو كتاب ممتع جدّاً .

وفي السنة ١٢٣٥ سافر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، إلى القليوبية والمنوفية والغربية ، يطالب ببقايا الخراج ، فإذا فرّ المطالبون ، قبض إبراهيم باشا على من وجده من النسوة ، وضربهنّ ، وحبسهنّ (الجبرتي ٦١١/٣) .

وفي السنة ١٢٤٧ لما عزل داود باشا ، وأسر ، وحلّ محلّه ببغداد ، الوزير علي رضا باشا اللاز ، والياً على العراق ، انتصب لظلم الناس إثنان ، الملاّ علي الخصيّ ، ومحمد الليلاني ، وكانا من أشدّ الناس قسوة ، وقد عذّبا حتى النساء ، ومن جملة من عذّباه ، زوجة رضوان اغا ، ممن قتل من أنصار داود باشا ، إذ ضربوها بالفلقة ، وكووا بدنها بالسيخ المحمي (تاريخ العراق للعزاوي ١٣/٧) .

الفصل الثالث عشر

تعذيب المرأة بالحبس

كان معاوية بن أبي سفيان ، أوّل من مارس في الاسلام ، تعذيب النساء البريئات بالحبس ، إنتقاماً من أزواجهنّ ، وقد أسلفنا إنّه لما صالح الحسن ، اشترط على نفسه أن لا يؤاخذ أحداً من أصحاب علّي ، بما كان منه قبل المصالحة ، فلما تمكّن ، تتبّع من كان من أنصار علّي ، ففّر منه عمرو بن الحمق الخزاعي ، فاعتقل امرأته ، وحبسها في سجنه بدمشق (بلاغات انساء ٦٤ والديارات ١٧٩ و١٨٠) .

ولما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية ، في سجن عارم ، بعث المختار الثقفي جنداً من العراق ، فكسروا باب السجن ، وأطلقوه ، فلما آستولى ابن الزبير على العراق ، أمر أخاه المصعب ، أن يعتقل نسوة أولئك الجنود ، وأن ينفيهنّ عن بلدهنّ (الاغاني ١٥/ ١٥٠) .

ولما بلغ المختار ، أمير الكوفة ، أنّ عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، قد أغار على الأنبار ، بعث إلى داره فهدمها ، وإلى آمرأته أمّ سلمة بنت عبدة بن الحليق الجعفية ، فحبسها في السجن ، فجاء ابن الحرّ في مائة وثلاثين من أتباعه ، فدخل الكوفة ، وأخرج آمرأته من السجن ، وأطلق كلّ من كان فيه (انساب الأشراف ٥/ ٢٩٣ و٢٩٤) .

وفي السنة ١٢٦ في عهد هشام بن عبد الملك ، حصلت حرائق بالشام ، فاتّهم أميرها ، آل خالد القسري ، فأمره هشام أن يعتقل آل خالد ،

ومواليهم ، حتى النساء ، فقدم بأولاد خالد بالجوامع (جمع جامعة ، وهو القيد الذي يجمع اليدين إلى العنق) ، ومن كان معهم من مواليهم ، وحبس أمّ جرير بنت خالد ، والرائقة ، وجميع النساء والصبيان ، ثم ظهر إنّ الحرائق من صنع آخرين ، فأخلي سبيل آل خالد . (الطبري ٧/٢٥٥ و٢٥٦) .

ولما خالف الحارث بن سيرج ، أمراء خراسان ، اعتقلوا أهل بيته وحبسوهم ، فلما عاد إلى مرو في السنة ١٢٧ ، أطلق له نصر من كان معتقلاً من أهله ، ومنهم ولده محمد ، وبنتيه الألوف ، وأمّ بكر (الطبري ٧/٣٠٩) .

وفي السنة ١٨٧ قتل الرشيد جعفر البرمكي ، وحوّل الفضل أخوه ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد ، أمّا أبوهما يحيى فحبس في منزله ، ثم حبس الفضل ويحي ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ، وصيّر معهم زبيدة بنت منير أمّ الفضل ، ودنانير جارية يحيى (الطبري ٨/٢٩٦ و٢٩٧) .

وفي السنة ٢٠٣ علم ابراهيم بن المهدي ، وكان قد بويع ببغداد ، بأنّ قائده عيسى بن محمد بن أبي خالد يفاوض قائد جيش المأمون في الإنحياز إليه ، فقبض عليه وضربه وحبسه ، وبعث إلى منزله فأخذ أمّ ولده وصبياناً له صغاراً فحبسهم (الطبري ٨/٥٦٩ و٥٧١) .

وكانت عريب المأمونيّة ، تتعشق محمد بن حامد ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، فلما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد ، أمر بالباسها جبّة صوف ، وختم زيقها ، وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم ، ثم ذكرها ، فرقّ لها ، وأمر باخراجها ، وظلّت على محبة محمد بن حامد ، فزوّجه المأمون بها (الاغاني ٢١/ ٦٨ ـ ٦٩) .

وفي السنة ٢٣٥ أطلقت من حبس سامراء ، خالة لإبن البعيث ، فلما أطلقت ، وخرجت من السجن ، ماتت فرحاً من يومها (الطبري ٩/١٧١) .

أقول : كان البعيث بن حلبس ، صعلوكاً من صعاليك الوجناء بن الرواد ، صاحب قلعة شاهين ، من كورة أذربيجان ، ولما نشأ ولده محمد تغلّب على قلعة شاهي ، وهي حصينة في وسط بحيرة أورمية ، وعلى قلعة يكدر ، وهي خارج البحيرة، والقلعتان من نواحي أذربيجان ، وكان محمد بن البعيث مسالماً لبابك في أوّل حركته ، ثم انحاز إلى جانب الجيش العبّاسي ، فلما ظفر الجيش العباسي ببابك وتمزّقت جموعه ، حمل ابن البعيث إلى سامراء ، فحبس بها ، في حبس اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، ثم أطلق بعد أن قدّم ثلاثين كفيلاً ، وأقام بسامراء ، ثم هرب إلى مرند ، وجمع أتباعاً يزيدون عن الألف ، وحصّن مرند ، فبعث إليه المتوكل جيوشاً ، ففلّها جميعها ، فسّير إليه بغا التركي على رأس أربعة الاف ، وطال الحصار على ابن البعيث ، فاستسلم جلّ أصحابه ، ونزلوا بالأمان ، واقتحم الجيش مدينته ، وأسره ، وحصل في يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وقدم بغا بابن البعيث وبقية الاسرى الى سامراء ، وأمر المتوكّل بقتل ابن البعيث ، ثم استبقاه وحبسه ، وصيّر في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوباً على وجهه ، حتى مات بعد شهر ، فتكلّم بغا في ختن ابن البعيث ، واسمه أبو الأغرّ ، فأطلق ، وأطلقت خالة لابن البعيث ، فلما خرجت من السجن ، ماتت فرحاً من يومها (الطبري ٩/١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١) .

وفي السنة ٢٥٢ أوقع مفلح بعبد العزيز بن أبي دلف ، خارج همذان ، ودخل مفلح الكرج ، فأخذ جماعة من آل أبي دلف أسراء ، وأخذ نساء من نسائهم يقال أنّه كان فيهم أمّ عبد العزيز ، فأوثقهم . (الطبري ٩/٣٧٣) .

وفي السنة ٢٥٥ لما ظهر صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني بالبصرة ، في أوّل أمره ، ودعا لنفسه ، طلبه الجند ، ففرّ منهم ، فأخذ جماعة

من أصحابه فحبسوا ، وكان ممن حبس ، ابن صاحب الزنج ، وزوجته أمّ ولده ، ومعها ابنة له ، وجارية له حامل ، وظلّوا محبوسين ، حتى ظهرت فتنة البلاليّة والسعدية ، ففتحوا السجون وأطلقوا من فيها ، فتخلّص أفراد عائلة صاحب الزنج وأصحابه فيمن تخلّصوا ، فعاد إلى البصرة (الطبري ٤١٢/٩) .

في السنة ٢٥٥ لما ظهر صاحب الزنج ، وجد سميرية ، فأخذ الملاّحين ، فأخبروه بأنّ عقيل الأبلّي ، حملهم على أتباعه قسراً ، بأن حبس نساءهم حتى اضطروا لأتّباعه ، وأنه فعل ذلك بجميع من تبعه من الملاّحين (الطبري ٤٢٣/٩) .

وفي إحدى المعارك بين الجيش العباسي وصاحب الزنج ، دخل الجيش العباسي قصر صاحب الزنج ، وأخذوا حرمه وأولاده الذكور والاناث ، وأحرقوا داره ، وحمل أولاده ونساؤه ألى الموفقية في التوكيل (أي الاعتقال) (شرح نهج البلاغة ٢٠٦/٨) .

وفي السنة ٣٠٠ قبض على دستنبويه أمّ ولد المعتضد ، ولم يكن في دار الخليفة أجلّ منها ولا أكرم نفساً ولا انصف في معاملة ، تعطي التجار الأرباح الواسعة ، وكان لها عند المقتدر محلّ عظيم ، وكانت تنكّد على أمّ المقتدر ، وتدلّ بمحلها ومنزلتها التي كانت عند المعتضد ، ففسد أمرها عند أمّ المقتدر ، وتمّ القبض عليها . (العيون والحدائق ج ٤ ص ١ ص ٢٤٩) .

وفي السنة ٣٠٦ لما قبض المقتدر على الوزير ابن الفرات وعلى أولاده وكتّابه ، قبض على دولة أمّ ولد ابن الفرات وعلى الحسن ابنها منه واعتقلوا . (الوزراء للصابي ٣٩) .

ومما عيب على أبي العباس الخصيبي أنّه حبس بنت جعفر بن الفرات ، أرملة المحسّن ، وعيّن على الحبس شاباً اسمه افلح ، فتزوّج بها في حبسه . (تجارب الأمم ١٥٥/١) .

وفي السنة ٣١٩ نفر مؤنس من الوزير الحسين بن القاسم بن عبيدالله وزير المقتدر ، وخرج وجنده إلى باب الشماسيّة (الصليخ)، وبعث بخادمه بشرى برسالة إلى المقتدر ، فلما حصل في دار السلطان، قال له الوزير : هات الرقعة التي معك ، فقال له : ليس معي رقعة ، وإنّما معي رسالة ، قال : فاذكرها ، قال : قد أمرت ألّا أذكرها إلّا للخليفة ، فوجّه المقتدر إلى بشرى ، يأمره أن يؤدّي الرسالة الى الوزير ، فقال بشرى : حتى أمضي إلى صاحبي وأستأذنه في ذلك وأعود ، فشتمه الوزير ، وشتم صاحبه ، وأمر به ، فضرب بالمُقارع ، وحبسه ، ووجّهه إلى داره ، وقبض على امرأته ، وصادرها ، وحمل ما في الدار . (تجارب الأمم ١/٢٢٢) .

ولما قبض القاهر على مؤنس وبقيّة القواد ، وقتلهم ، سأل عمّن يصلح للوزارة فدلّ على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله، فاستوزره مدّة قصيرة ثم قبض عليه وعلى أولاده وعلى حرمه وعلى أخيه ، فمات في حبسه . (ابن الأثير ٨/٢٦٢).

وفي السنة ٣٢١ قبض القاهر على مؤنس ، ويلبق ، وولده علي ، وابن مقلة وآخرين ، ووكلّ بحرمهم ، وأمر بنهب دورهم . (ابن الأثير ٨/٢٥٦).

وكان المتّقي لله قد أصعد إلى بني حمدان في الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، في السنة ٣٣٣ فتلقّاه توزون ، وأنزله في خيمته ، وقبض على أمّه ، وحاشيته ، ثم سملت عينه بحضرة « علم » قهرمانة خلفه المستكفي . (تجارب الأمم ٢/٧٢) .

وفي السنة ٣٣٦ كان محمد بن عبد الرزاق عاملاً على طوس وأعمالها ، فخالف على الأمير نوح الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، فأمر نوح قائده منصور بن قراتكين ، بأن يسير إلى محمد بن عبد الرزاق ، وأن يطرده عما بيده من الأعمال ، فسار إلى نيسابور ، ثم إلى اسقوا ، وطرد

محمداً منها ، ثم قصد طوس وكان بها رافع بن عبد الزراق ، ففرّ رافع منها ، واحتمى بقلعة درك ، فحصره منصور ، فهرب منها ، ولما احتلّ منصور قلعة درك ، وجد بها عيال محمد بن عبد الرزاق ووالدته ، فانفذهم الى بخارى ، فاعتقلوا بها (ابن الأثير ٨/ ٤٧٠- و٤٧١) .

وفي السنة ٣٥٢ لما توفّي الوزير المهلبي ، وزير معزّ الدولة البويهي ، قام أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، باعتقال السيدة تجنّي ، زوجة الوزير المهلّبي ، وطالباها ببيان ما خلّفه زوجها من أموال ومدّخرات ، من أجل مصادرته ، فتلوّت في إخبارهما ، فأمرا بضرب ولدها أبي الغنائم ابن الوزير المهلّبي ، بين يديها ، فبكى من عرفها مما يتمّ عليها ، وقالت : إنّ مولاي المهلّبي فعل بي هذا ، حتى استدعى آلات العقوبة لزوجة أبي علي الطبري ، لما قبض عليها بعد وفاته ، ثم اذعنت ، واستدعت أبا العلاء بن أبرونا ، الطبيب النصراني ، وكان كاتب سرّ المهلبي ، وكان قد ضرب وعذّب ، وطالبوه بأن يدلّهم على مخلّفات المهلّبي ، فلم يقرّ بشيء ، فأحضر أبو العلاء ، محمولاً في سبنيّة (شبليّة) بين أربع فراشين ، لا يستطيع الحركة ، لما ناله من شدّة الضرب ، فجعلت السيدة تسأله ، وهو يجيبها ، ويخبرها بمكان المخبّآت ، فقال له من حضر : ويحك ، ألست من الآدميين، تقتل هذا القتل ، ويفضي حالك الى التلف ، وأنت لا تقرّ ؟ فقال : يا سبحان الله ، أكون ابن أبرونا الطبيب الفصّاد على الطريق بدانق ونصف ، يأخذني الوزير أبو محمد ، ويصطنعني ، ويجعلني كاتب سرّه ، ثم أطلع الناس على ذخيرة ذخرها لولده ؟ ما كنت لأفعل هذا ولو هلكت ، راجع القصّة في نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٤ ص ١٢٣- ١٢٤ رقم القصة ٥٨ .

أقول : أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، الذي اعتقل السيدة

تجنّي ، هـو صنيعة الـوزير المهلّبي ، وزوج ابنتـه زينة وأمهـا السيدة تجنّي ، فأفّ وتفّ .

وفي السنة ٣٦٠ عزل عزّ الدولة بختيار البويهي ، وزيره أبا الفرج محمد بن العبـاس بن فسانجس ، وقبض على حـرمه وأسبـابه ، راجـع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٢ ص ٢١٩ رقم القصة ١١٣ .

وفي السنـة ٤٣١ أتّهم بـاديس صـاحب غرنـاطة ، أبـا الفتوح ثـابت بن محمـد الجرجـاني بالتـآمر ضـدّه ، ففرّ منـه ، فقبض بـاديس على زوجـة أبي الفتوح ، وعلى ولديـه الطفلين ، وحبسهم عنـد صاحب عـذابه ، فـاضطر أبـو الفتوح إلى العودة مستسلماً إلى باديس ، ثم قتله (الأحاطة) .

وفي السنة ٤٤٠ توفّي الملك أبو كاليجار ، وخلفه ولده الملك الرحيم ، واستـولى أخوه أبـو منصور على شيـراز ، فسيّـر اليـه الملك الـرحيم جيشـاً ، فاستولى على شيراز، واعْتُقِلَ الأمير أبو منصور ووالدته . (ابن الأثير ٥٤٧/٩- ٥٤٨) .

وفي السنـة ٤٥١ انحدر البسـاسيري إلى واسط ، ومعـه في أسره والـدة الخليفة ووالدة الأمير أبي القاسم عدّة الدين ، ووصال قهرمـانة الخليفـة، فلما قتـل البســاسيـري، أنفـذ السلطان من أحضـرهنّ من واسط . (المنتـظم ٢١١/٨) .

وفي السنة ٤٥٩ حجّت الحرّة الصيلحية ، أسماء بنت شهاب اليمانيـة ، مـع زوجهـا علي بن محمـد الصليحي ، ملك اليمن ، فقتـل زوجهـا في أمّ الدهيم ، وأسرها سعيد الأحول ، قاتل زوجها ، فأركبها في هودجها ، وجعـل أمـام الهودج رأس زوجهـا ، ورأس أخ لزوجهـا قتل معـه ، وأقامت في الأسـر

ثمانية أشهر ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلّقان أمام طاقة دارها ، ثم علم آبنها بخبرها ، فأقبل في جيش ،وظفر بقتلة أبيه ،وأنقذ أمه من الأعتقال (الاعلام ١/٢٩٩) .

وفي السنة ٤٩٣ وقعت معركة بين كمشتكين بن الدانشمند ، صاحب ملطية وسيواس ، وبين بيمند الأفرنجي ، من مقدّمي الإفرنج ، وهو صاحب أنطاكية ، فانهزم بيمند ، وأسر ، وفي السنة ٤٩٥ أطلق الدانشمند سراح بيمند ، وأخذ منه مائة ألف دينار ، وشرط عليه إطلاق سراح ابنة باغي سيان الذي كان صاحب انطاكية ، وكانت في أسره (ابن الأثير ١٠/٣٤٥).

وفي السنة ٤٩٣ وقعت حرب بين الإخوة بركياروق من جهة ، وسنجر ومحمد من جهة اخرى ، وهم أولاد السلطان ملكشاه السلجوقي ، فأسر أصحاب بركياروق أمّ أخويه سنجر ومحمد ، فأكرمها ، وقال لها : إنّما ارتبطتك ليطلق أخي من عنده من الأساري ، فانفذ سنجر من كان عنده من الأساري ، فأطلقها . (المنتظم ٩/١١٣).

وفي السنة ٤٩٦ توفّيت بنت الخليفة القائم (توفي القائم سنة ٤٦٧) وهي التي كان قد تزوّجها السلطان طغرلبك ، وكان الخليفة المستظهر (٤٧٠ - ٤٨٧ - ٥١٢) قد ألزمها بيتها،لأنّه أبلغ عنها أنّها تسعى في إزالة دولته. (ابن الأثير ١٠/٣٦٦).

وفي السنة ٥٥٥ توفّي المقتفي ، وخلفه ولده المستنجد ، فأمر بأخيه أبي علي ، فحبس ، وحبست معه أمّه ، أتّهمهما بأنّهما حاولا اغتياله ، لما أشرف أبوه على الوفاة . (ابن الأثير ١١/٢٥٧).

وفي السنة ٥٥٧ قبض على ابن الشمحل، وحبس عند أستاذ الدار ، ونقل ما في داره ، وقبض على زوجته بنت صاحب المخزن ابن طلحة . (المنتظم ١٠/٢٠٣).

ولما ثار الأمير هلاجون ، بمدينة لاهور ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، وحاربه الوزير خواجه جهان، ودخل مدينة لاهور ، أخذ من نساء المخالفين نحو ثلثمائة امرأة ، وسجنهنّ في حصن كاليور. (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠٢).

وفي السنة ٧٩٥ هاجم تيمورلنك بغداد ، ففرّ منها السلطان أحمد بن أويس وحريمه وحاشيته ،فأرسل تيمور وراءهم من يتبعهم ، ففاتهم السلطان أحمد ، ووقع أسيراً في يد تيمور الأمير علاء الدولة ابن السلطان أحمد ، ونساء السلطان أحمد ، فاعتقلهم تيمور ، ونقلهم إلى سمرقند (التاريخ الغياثي ١٨٧- ١٨٨).

وفي السنة ٨٩٣ جهّز السلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل جيشاً لمحاربة الشيخ حيدر الصفوي ، فقتله ، وحبس أولاده علي وإبراهيم وإسماعيل ، وأمّهم حليمة بيكم في شيراز . (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٢٧٠- ٢٧١).

وكان الشيخ حيدر ابن عمة السلطان يعقوب ، لأنّ أمّ حيدر هي شقيقة السلطان حسن الطويل (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٢٧٢).

وغضبت الأميرة سكندربيكم ، أميرة بهوبال، بالهند (ت ١٢٨٥هـ ١٨٦٨ م) على ابنتها الأميرة جهان بيكم ، لأنّها قابلت في بيت أحد أقاربها ، أميراً من أمراء البيت المالك في دهلي ، جاء ليخطبها ، فحبستها في غرفتها عدّة أشهر ، بعد أن ضربتها ضرباً مبرّحاً . (أعلام النساء ٢/٢٠١).

وفي السنة ١٣٢٧ اعتقل السلطان عبد الحفيظ، صاحب المغرب ، الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وحبسه وحبس معه جميع أفراد عائلته حتى النساء ، وكان سبب ذلك أنّ الفقيه لما بايعه اشترط عليه أن يتقيّد بالشورى ، فحقدها السلطان عليه ، فعزم الفقيه على مبارحة المغرب ،

ورحل بأهله جميعهم ، فأعاده السلطان بالأمان ، ثم غدر به فحبسه ، وحبس معه جميع أفراد عائلته حتى النساء ، ثم جلده، وحمل الى فاس الجديدة فمات فيها (الأعلام ٨٣/٧).

وأدركت البغداديّين ، وهم إذا تحدثوا عن امرأة أودعت السجن ، قالوا عنها : أخذوها لبيت كرّاوي ، وكان كرّاوي هذا مقيماً في الجانب الغربي من بغداد ، أي الكرخ ، وكانت الحكومة العثمانية في ذلك الحين ، تودع النساء المعتقلات في بيته ، وتؤدّي له عن كلّ رأس ، عدداً من القروش ، من أجل حفظ السجينة واطعامها . (طرائف ٩٤٦).

الفصل الرابع عشر

اشهار النساء

كان الإشهار أحد الوان العذاب التي تفرض على النساء الماجنات ، ويكاد يكون مقصوراً عليهنّ .

ولعلّ أوّل امرأة أشهرت في الإسلام ، على ما ذكروا ، كانت أمّ أشعب الطماع ، إذ شهد عليها بالزنا ، فحلقت ، وأشهرت على جمل ، وأمرت أن تنادي على نفسها ، فكانت تنادي : من رآني فلا يزنين ، فصاحت بها امرأة : يا فاعلة، نهانا الله عزّ وجلّ عن هذا ، فعصيناه ، فهل نطيعك أنت ، وأنت مجلودة ، محلوقة ، يطاف بك على جمل ؟ (الأغاني ١٩/١٣٥-١٣٧) .

في السنة ٤٦٧ تقدّم ببغداد ، فخر الدولة، إلى المحتسب بالحريم (حريم دار الخلافة)، بنفي المفسدات ، وبيع دورهنّ، فشهر جماعة منهنّ على الحمير ، مناديات على أنفسهنّ، وأبعدهنّ إلى الجانب الغربي (المنتظم ٨/٢٩٤) .

وفي السنة ٥٣١ أشهر في أسواق بغداد أربع نسوة ، على بقر السقائين ، مسوّدات الوجوه ، لأنّهنّ شربن المسكر في الشطّ مع رجال (المنتظم ١٠/٦٩).

وفي السنة ٥٥٩ شهرت امرأة ، تزوّجت بزوجين ، ومعها أحدهما . (المنتظم ١٠/٢٠٨).

وفي السنة ٧٨١ رسم الأتابكي برقوق بالقاه رة ، فاشهرت امرأة ، أوهمت الناس بوجود أعجوبة في بيتها ، خلاصتها أن كلاماً يصدر من وراء أحد حيطانه ، فأركبت على جمل ، ويداها مسمّرة على الخشب ، وهي بأزارها ونقابها ، ولم يعهد قط أنّ امرأة سمّرت على جمل . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٤٧).

وفي السنة ٧٨٢ ظهر على امرأة بالقاهرة ، أنّها تروجت برجلين في وقت واحد ، فشهرت على جمل ، وطيف بها في القاهرة ، وعلى رأسها طرطور احمر ، ونودي عليها : هذا جزاء من تتزوّج رجلين في الإسلام . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٥٤).

وأخذت امرأة اخرى، في زنا ، وطيف بها مشهرة على جمل ، ورآها بعض المجّان ، فقال لها : كيف خلّفت الحاج ؟ قالت : بخير ، وقد كانت أمّك معنا ، فخرجت في النفر الأوّل. (الملح والنوادر للحصري ٩٣).

وفي السنة ٩٢٣ بعد مبارحة السلطان سليم القاهرة ، أشهروا أربع نسوة على حمير ، ووجوههنّ ملطخة بالسواد، قيل انّهن كن يجمعن عندهنّ جماعة من التراكمة في رمضان « ويعرّصن » عليهم مع النساء الأجانب . (بدائع الزهور ٥/٢١١).

الفصل الخامس عشر

انتحار المرأة

الانتحار عند العرب ، من الأمور النادرة ، وهو ما بين النساء أندر .

وأوّل ما ورد إلينا من أخبار انتحار المرأة ، ما تناقله الرواة عن انتحار الزّباء ، ملكة تدمر والجزيرة ، وقد وليت تدمر بعد مقتل أبيها ، فهزمت الرومان ، وقتلت جذيمة الأبرش ، فآحتال ابن أخته عمرو بن عديّ ، حتى آقتحم عليها قصرها ، وهّم بقتلها ، فامتصّت سمّاً ، فماتت ، وقالت الكلمة التي ذهبت مثلاً : بيدي ، لا بيد عمرو (الاعلام ٣/ ٧١) .

وفي السنة ٨٩ فتح محمد بن القاسم الثقفي السند ، وقتل ملكها داهر ، وكان في إحدى مدن السند امرأة لداهر ، فلما حصرها محمد ، خافت أن تؤخذ ، فأحرقت نفسها ، وجواريها ، وجميع مالها (ابن الاثير ٤/ ٥٣٨) .

ونثبت في هذا البحث ، بإعجاب واحترام ، مصير فتاتين عربيتين عاشتا عيشة كريمة ، وماتتا ميتة نبيلة ، هما جميلة إبنة ناصر الدولة الحمداني ، وزينة ابنة الوزير أبي محمد المهلبي .

في السنة ٣٧١ انتحرت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، بأن ألقت نفسها من جسر بغداد إلى دجلة ، فغرّقت نفسها ، وكانت مثلاً من أمثلة الكرم والترفع وإسباغ المعروف ، وكانت شريكة أخيها أبي تغلب في الأمر والنهي ،

وحجّت في السنة ٢٦٦ فصارت حجّتها تاريخاً ، لأنّها أقامت فيها من المروءة ، وفرّقت من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونشرت من المكارم ، ما لا يوصف ، وذكر أنّها وصلت إلى الحجاز ، ومعها أربعمائة عمّاريّة لا يدري في أيّتها كانت ،وأعدّت معها خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجّالة الحاجّ ، وآستصحبت البقول مزروعة في مراكن الخزف ، فضلاً عمّ سواها ، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكّر الطبرزد والثلج ، ونثرت على الكعبة لما شاهدتها عشرة آلاف دينار ، وأعتقت ثلثمائة عبد ، ومائتي جارية ، وخلعت على الناس خمسين ألف ثوب ، وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة ، وكان عضد الدولة ، قد خطبها ، فترفّعت عليه ، وأبت أت تتزوجه ، وضرب الدهر ضرباته ، واستولى عضد الدولة على بلادها في الموصل ، فأفضت بها الحال إلى كلّ قلّة وذلّة ، وتكشّفت عن فقر مدقع ، فلما وقعت في يد عضد الدولة ، تشفّى منها ، وبالغ في إيذائها ، وطالبها بأموال ، وألزمها بأن تختلف إلى دار القحاب لتتكسّب فيها ما تؤدّيه في مال مصادرتها ، فلما أبلغت بذلك ، انتهزت غفلة الموكّلين بها ، وهم يعبرون بها الجسر ، وألقت نفسها في دجلة ، رحمها الله . (لطائف المعارف ٨٣) .

وكانت زينة المهلّبية ، قد انتقلت من عزّ إلى عزّ ، من عزّ أبيها أبي محمد المهلّبي ، وزير صاحب العراق ، إلى عزّ زوجها أبي الفضل العباس بن الحسين ، الذي وزر لصاحب العراق بعد أبيها المهلّبي ، وكانت قد بلغ بها الحال ، أن اتّخذت الجواري الأتراك حجّاباً لها في زيّ الرجال ، على ما جرى به رسم السلطان ، وكان لها كتّاب من النساء ، مثل سلمى النوبختية ، وعائشة بنت نصر القشوري الذي كان حاجب المقتدر، وغيرهما من القهارمة ، ومن يتصرّف في الأعمال تصرّف الرجال ، وكان لها كرم وجود بالأموال ، فلما قبض على زوجها أبي الفضل ، في وزارته الثانية لبختيار البويهي بن معزّ الدولة ، ووزّر ابن بقيّة ، اختفت زينة ، وسائر أسبابها ،

فجعلت عليها العيون في كلّ مكان ، وحمل زوجها الوزير إلى الكوفة ، فأقام يسيراً ومات ، ولم يزل بختيار يطلب زينة وأسبابها ، وكان سبب اختفائها منه إنّه راسلها لما قبض على زوجها ، يطلب منها أن تترك زوجها ، وأن تتزوجّ به ، فردّت عليه أقبح ردّ ، وأنكرت ذلك ، فكان ذلك سبباً لاختفائها ، وكان لها من الذخائر والودائع في أيدي جماعة ، مما كان يغني كثيراً من الناس ، فلما بلغ بها الأمر هذا المبلغ ، طمع كلّ واحد بما في يده ، وغدروا بها ، وبعد اليأس من العثور عليها ، طهر بظاهر الخلد ، بقرب محلّة تعرف بالتستريّين ، فرد محمل مغطّى ، فيه امرأة في أخلاق ، وعند رأسها رقعة مكتوب عليها : زينة بنت الحسن بن محمد المهلبّي الوزير ، فوافى القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمي المعروف بالزينبي ،وكانت أختاها تحت ولديه أبي الحسن وأبي القاسم ، فحملها إلى داره ، وتولّى من أمرها ما يجب لمثلها ، ودفنها في مقابر قريش (الكاظمية) (الملح والنوادر ٢٧٩) .

وفي السنة ٤٧٩ حصر السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة جعبر، وكان قد تحصّن بها سابق بن جعبر ، ففتحها ، وقتل عامّة أهلها ، وقبض على سابق وأراد قتله ، فوقعت عليه زوجته ، وقالت : لا أفارقه ، أو تقتلوني معه ، فألقوه من أعلى السور ، فتكسّر ، وقطع بالسيف الى نصفين ، فألقت زوجته نفسها وراءه ، فسلمت ، فقال لها السلطان : ما حملك على هذا ؟ فقالت : إنّا قوم لم يتحدث عنا بالخنا ، فخفت أن يخلو بي الترك في القلعة ، فيقول الناس ما شاءوا ، فاستحسن ذلك منها . (المنتظم ٢٨/٩) .

وفي السنة ٤٨٦ كان ابراهيم بن قريش بن بدران ، يملك الموصل ، فحاربه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فظفر تتش ، وأسر ابراهيم وجماعة من أمراء العرب ، فقتلوا صبراً ، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهنّ ، خوفاً من الفضيحة (ابن الاثير ٢٢١/١٠) .

وفي السنة ٥٠٠ حصر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاه دز ، بالقرب من أصبهان ، وكان صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، رأس الباطنية ، ثم فتحها ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فشهره ، وسلخ جلده ، وحشاه تبناً ، وقتل ولده ، أمّا زوجته فإنّها ألقت نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة (ابن الأثير ١٠/ ٤٣٠ - ٤٣٤) .

ولما توفّي السلطان خليل ، الذي خلف جده تيمورلنك ، بالري ، عمدت زوجته شاد ملك ، إلى خنجر فنحرت به قفاها ، فماتت ، ودفنا في قبرو احد . (تاريخ العراق للعزاوي ٢/ ٢٨٣)

وروى لنا الفارس أسامة بن مرشد الكناني (٤٨٨ - ٥٨٤) ، قصّة انتحار فتاة كردّية اسمها رفول ، قال : كان في جند الجسر ، رجل كرديّ ، يقال له أبو الجيش ، له بنت اسمها رفول ، سباها الإفرنج ، وهو قد توسوس عليها ، يقول لكلّ من لقيه : سبيت رفول ، فخرجنا من الغد ، نسير على النهر ، فرأينا في جانب الماء سواداً ، فقلنا لبعض الغلمان : اسبح ، أبصر ما هذا السواد ، فمضى إليه ، فإذا ذلك السواد رفول ، عليها ثوب أزرق ، وقد رمت نفسها من على فرس الافرنجي الذي أخذها فغرقت ، وعلق ثوبها في شجرة صفصاف ، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش . (الاعتبار ١٤٩ و١٥٠) .

وفي السنة ٦١٨ لما تصادم جيش التتار ، مع جيش خوارزم شاه ، على نهر السند ، انكسر خوارزم شاه جلال الدين ، وولّى منهزماً ، وأسر له ولد طفل ، ابن سبع أو ثمان سنين ، فقتل بين يدي جنكيز خان صبراً ، وأبصر جلال الدين ، أمّه ، وأمّ ولده ، وجماعة من حرمه ، على شاطيء نهر السند ، فصرخن فيه : بالله عليك ، آقتلنا ، أو خلّصنا من الأسر ، فأمر بهنّ فغرّقن في النهر ، وهو ينظر ، وهذه من عجائب البلايا ، ونوادر المصائب والرزايا (المختصر في تاريخ البشر ٣/ ١٥٠) .

وفي السنة ٦٨٤ انتحرت امرأة في بغداد غرقاً ، بأن ألقت نفسها من الجسر إلى دجلة ، وسبب ذلك إنّ الأسعار غلت في بغداد فبلغ الكرّمن الحنطة ١٨٠ ديناراً وكر الشعير ١٠٠ دينار وبيع الخبز ٣ أرطال بدرهم ، وباع القوم الضعفاء أولادهم ، وألقت امرأة نفسها إلى دجلة وكانت على الجسر تطلب ، فلم يعطها أحد ، فآثرت إتلاف نفسها (الحوادث الجامعة ٤٤٦) .

ومما يدخل في بحثنا هذا ، ما كانت تصنعه النساء الهنديات ، من الانتحار باحراق أنفسهنّ بالنار ، إما مع أزواجهنّ ، وإما إذا ترمّلن ، وقد قصّ علينا ابن بطوطة في رحلته ٢/٩ و٩٧ قصة هنديّات انتحرن مع أزواجهنّ ، وفي رحلته ٢ / ٢٠ ـ ٢٢ قصة هنديات ترمّلن فانتحرن باحراق أنفسهنّ بالنار .

فالقصّة الأولى : إنّ أميراً مسلماً ، من اقرباء السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، فرّ منه ، والتجأ إلى ملك هندوسي ، فطلبه السلطان منه فأبى أن يسلمه ، فحاربه ، فآنكسر الهندوسي ، فحرص قبل كلّ شيء أن يوصل الأمير الذي التجأ إليه إلى مأمنه ، ثم انتحر هو ورجال حاشيته ، ونساؤهم ، بأن أجّج ناراً ، وكانت المرأة منهنّ تغتسل ، وتدّهن بالصندل ، وتقّبل الأرض بين يدي الملك ، ثم ترمي بنفسها في النار ، حتى هلكن جميعاً . وأما الملك ورجاله ، فإنّهم اغتسلوا ، ولبسوا سلاحهم وآشتبكوا مع جيش السلطان في معركة ضارية استقتلوا فيها ، فقتلوا جميعاً .

والقصّة الثانية ، تتعلّق بالأرملة ، تحرق نفسها بعد وفاة زوجها ، وهم إذا كانوا ببلد سلطان الهند المسلم ، استأذنوه في إحراقها ، فيأذن لهم ، فيحرقونها ، ويقول ابن بطوطة ، إنّ المرأة ، لا تكره على إحراق نفسها ، بعد موت زوجها ، ولكنّها إذا قامت بذلك أحرز أهلها شرفاً بذلك ، ونسبوا إلى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ، ممتهنة ، لأنّها تتّهم بعدم الوفاء .

وروى قصّة ثلاث نسوة ، تعاهـدن على أن يحرقن أنفسهنّ ، لمـا توفّي أزواجهن ، فأقمن قبل ذلك ثلاثة أيّام ، في غنـاء ، وطرب ، وأكـل وشرب ، كـأنهن يودعن الـدنيا ، وتـأتي النساء إليهن من كـل جهة ، وفي صبيحـة اليوم الرابع ، أركبوا كلّ واحدة منهنّ فرساً ، وهي متـزينة ، متعـطرة ، وفي يمناهـا جـوزة نـار جيـل تلعب بهـا ، وفي يســراهـا مـرآة تنـظر فيهـا إلى وجههـا ، والبراهمة ، يجفـون بها ، وأقـاربها معهـا ، وبين يديهـا الأطبال ، والأبـواق ، والأنقار ، وكلّ إنسان من الكفّار يقـول لها : أبلغي السـلام أبي ، أو أخي ، أو أمّي ، أو صاحبي ، وهي تقول : نعم ، وتضحك لهم .

قال : وركبتُ مع أصحابي ، لأرى كيفيّة صنعهنّ في الإحتراق ، فسرنـا معهنّ نحـو ثلاثـة أميال ، وانتهينـا إلى موضـع مظلم كثيـر المياه والاشجـار ، متكاثف الظلال ، وبين أشجاره أربع قباب ، في كلّ قبّـة صنم من الحجارة ، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال ، وتـزاحمت الاشجار ، فـلا تتخلّلها الشمس ، ولما وصلن إلى القبـاب ، نزلن الى الصهـريج ، وآنغمسن فيـه ، وجرّدن ممّـا عليهن من ثياب وحلي ، فتصـدّقن به ، وجيء لكـلّ منهن بثـوب قطن خشن ، غيـر مخيط ، فربط بعضـه على وسـطهـا ، وبعضـه على رأسهـا وكتفيها ، والنيـران قد أضـرمت على قـرب من ذلـك الصهـريـج ، في موضع منخفض ، وصبِ عليها زيت الجلجلان ، فزادها أشتعالاً ، وهناك نحو خمسة عشر رجلًا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار ، وأهل الأطبال ، والأبواق ، وقـوف ينتظرون مجيء المـرأة ، وقد حجبت النـار بملحفة يمسكهـا الرجـال بأيـديهم ، لئلا يـدهشها النـظر إليها ، فـرأيت إحداهنّ ، لمـا وصلت إلى تلك الملحفة نـزعتهـا من أيـدي الـرجـال بعنف ، وقالت لهم ، وهي تضحك : أبـالنـار تخـوّفونني ؟ أنـا أعلم أنّها نـار مـحـرقة ، ثم جمعت يـديها على رأسهـا خدمـة للنار ، وألقت بنفسهـا فيها ، وعند ذلك ضـربت الأطبال والأنقـار والأبواق ، ورمى الـرجال مـا بأيـديهم من

الحطب عليها، وجعل الآخرون ، تلك الخشبات من فوقها لئلا تتحرّك ، وارتفعت الأصوات ، وكثر الضجيج .

وكان جزونت سنك ، من اكبر الشخصيات الحاكمة ، في عهد السلطان أورنك زيب ، سلطان الهند (١٠٦٨ ـ ١١١٩) ، وكان يقيم بكابل ، ومات بقرب حصن أتوك ، فصمّمت زوجته أن تحرق نفسها يوم وفاته عملاً بعوائد الهندوس ، فمنعت من ذلك ، لأنّها كانت حاملاً بسبعة أشهر ، وتقدّمت زوجته الأخرى ، وسبع من جواريه ، وأحرقن أنفسهنّ ، ولما ولدت زوجته الأولى غلاماً ، لم ترد أن تبقي بعد زوجها ، رغماً عن وجود رضيع لديها ، فأحرقت نفسها . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٤٨) .

ولهذه السيدة التي أصّرت على إحراق نفسها ، موقف عجيب من مواقف البطولة ، فإنّ زوجها جزونت سنك ، كان قائد جيش دارا ، أخي السلطان أورنك زيب، ونشبت بين الجيشين معركة، فانكسر جيش دارا، وآنفل جمعه ولما عاد القائد جزونت سنك إلى داره ، رفضت زوجته قبوله ، ورفضت أن تصدّق أنّه بذل كلّ ما في وسعه ، وقالت له : أنّ الراجبوتي ، وخصوصاً من كان من عائلة مثل عائلتك ، يجب أن ينتصر ، أو يموت ، ورتّبت جنازة ، ودارت بها في شوارع المدينة، معتبرة أنّ زوجها قد مات ، وبعد مرور مدّة طويلة ، رضيت أن تغفر له زلّته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٠٨) .

ولما تسلطن ، في الهند ، السلطان جلال الدين أبو الفتح محمد أكبر شاه ، (حكمه٩٦٣ـ ١٠١٤) كان من جملة إصلاحاته أن منع إحراق الأرملة إذا توفّي زوجها الهندوسي (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٥) .

وفي السنة ١٣٩٠ (١٩٧٠ م) نشرت الجرائد خبر انتحار أمّ ، انتحرت

بإلقاء نفسها من الطابق الأعلى ، في أحد مستشفيات روما ، بايـطاليا ، وسبب ذلك أنّها كانت قد أحضرت ولدها الشاب الذي فقد بصره ، إلى المستشفى ، لإجراء عملية ترقيع القرنيّة ، لإعادة بصره إليـه ، فأخبـرها الأطبـاء ، أنّ إجراء العملية غير متيسّر ، إذ لا توجد في المستشفى قرنيّة جاهـزة ، فطلبت منهم أن يقتطعوا قرنّية إحدى عينيها لترقيع عين ولدها، فآمتنعوا ، واعتـذروا لها بـأنّه لا يجـوز لهم إتلاف بصـر إنسان ، لا صـلاح بصر آخـر غيره ، وأنّ على ولـدها الشاب أن ينتظر ، حتى تتيسّر للمستشفى قرنيـة من شخص متوفّى ، فمـا كان من الأمّ ، إلّا أن صعـدت إلى الطابق الأعلى في المستشفى ، وألقت بنفسهـا إلى الأرض ، فماتت منتحرة ، لكي يتيسّر لولدها الحصول على قرنيّـة عينها ، فضربت بعملها هذا مثلاً من أرقى الأمثلة في التضحية والفداء .

وتذكّرني هـذه الواقعـة ، والشيء بالشيء يـذكر، بـواقعة معـاكسة لهـا ، وقعت ببغداد في الأربعينات ، خلاصتها أنّ شخصاً معدوداً من بين المثقفين ، أقدم أحد أولاده ، على الإنتحار بفصد عـروق يديـه ، ونقل الى المستشفى ، وهو لما به ، واحتاج الشاب إلى نقل دم ، فطلب الطبيب مـدير المستشفى من أبيه أن يتبرع له بشيء من دمه ، فـامتنع ، وأصـر على الامتناع ، فـآشتدّ غيظ الطبيب منه ، وأسعفه ، بأن نقـل إليه كميّـة من دمه ، أي دم الـطبيب ، ونجا الشاب .

فهرس الكتاب